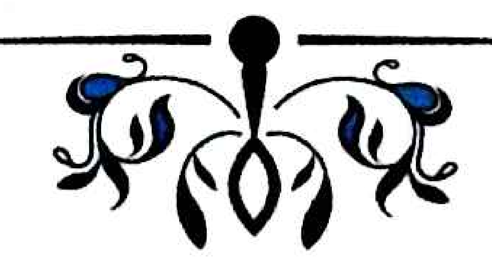


الصحوة الإسلامية

.. تاريخا وتقويما ..



د / محمد بن موسى الشريف

الصحوة الإسلامية.. تاريخاً وتقويماً



تأليف

محمد بن موسى الشريف

الطبعة الأولى (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م)

الطبعة الأولى

1438هـ - 2017م

رقم الإيداع: 25455 / 2016
الترقيم الدولى: 6 -16 -6581 -977 -978

مركز إبصار للنشر والتوزيع

القاهرة- العجوزة- شارع المنتصر

محمول: 00201143749293

E.mail: ebsar2015@Gmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد . . .

فإن انتشار هذا الكتاب بين القراء دليل على تعطشهم لموضوع الصحوة، وأن هذا الكتاب سد شيئًا من الثغرة الكبيرة في هذا الموضوع الذي قلَّ من كتب عنه تقويمًا، وندر من كتب عنه تأريخًا.

هذا وقد تفاوتت أنظار الناس في تلقي هذا الكتاب، وهذا أمر طبيعي فطر الله -تعالى- الناس عليه، فمن مُثْنٍ وقابل وشاكر وراء أن الكتاب جاء في وقته بل متأخر عن وقته، ومن ناقد نقدًا جيدًا يُستفاد منه ويُصحح الكتاب به، ومن مستهزئ منكر لبعض أحداث الكتاب.

أما الفريق الأول فهو الأكثر، ولله الحمد والمنة.

وأما الفريق الثاني فقليل.

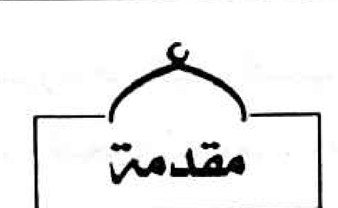
وأما الفريق الثالث فقليل أيضًا، لكن انتشاره في وسائل التواصل الاجتماعي كبير، وأرى -والله تعالى أعلم- أن بعض المكذبين والمستبعدين لبعض أحداث الكتاب إنما صنع ذلك لأنه لم يعش مرحلة ما قبل الصحوة، ولم يطَّلع على حال المسلمين فيها، فاستبعد ذلك ولم يقبله، وهذا أمر مفهوم، لكنه لو اطلع على مقدمة الكتاب وما اشترطته على نفسي فيها من طرائق تلقي الأخبار والأحداث لاطمأن قلبه؛ ثم إنه من المتواتر عن المسلمين أن أحوال الناس قبل الصحوة كانت في غاية من السوء من حيث مدى الاستمساك بالإسلام: أركانًا، وواجبات وسننًا، ومن حيث الفهم العام لدين الإسلام وشموله لجوانب الحياة كلها، ومن حيث ما ينبغي عليهم من واجبات تجاه نصرة دينهم وإعلاء رايته، وفي الجملة أقول: ليس راءٍ كمن سمعا، وبعض الناس معذورون في

جهلهم؛ وإنما جاء هذا الكتاب ليزيل الغشاوة عن الأعين، وليعيد المكانة الجليلة للصحوة في العقول والقلوب إلى ما ينبغي أن تكون عليه.

وهذا الذي جرى يدعوني لمناشدة إخواني من أساتذة وأقران إلى كتابة ما يعرفونه عن الصحوة؛ حتى تؤرخ على وجه تام دقيق لا لبس فيه ولا خلط، ولا مبالغة، ولا انتقاص من أحداثها وأخبارها، وأجزم بأن عند كثير ممن عاش ما قبل الصحوة واطلع على أحوال الناس فيها ما يستحق أن يُكتب ويُعنى به قبل فناء ذلك الجيل، وتعذر الوقوف على أخبار الصحوة ممن عاشها وتفاعل مع أحداثها ووقف على أخبارها، نعم إن الجيل الذى صنع الله تعالى الصحوة به قد غُيِّب في الثرى إلا القليل جدًا، لكن الجيل الذي شهد الصحوة واطّلع على محمود آثارها، وجمال صنعها، وعظيم فعلها، وجلال آثارها؛ ذلك الجيل مازال باقيًا حيًا يرزق، فهؤلاء عليهم مسؤولية تاريخية وأدبية أن يكتبوا ما علموه عن الصحوة؛ فهذا أقل حقوق من صنع الصحوة عليهم، ومن علامات الوفاء، ومن دلائل حسن القيام بالواجب الدعوي والمجتمعي؛ وإخراسًا لألسنة السوء، وقطعًا لدعاوى فارغة تتهم الصحوة وأهلها ومدتها بما ليس فيها من باطل، وتحملها ما لا تحتمل من فوضى وفساد فكري وعمليّ، والله تعالى هو المستعان وعليه التكلان.

محمد بن موسى الشريف

●●●



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الله - تبارك وتعالى- منّ على أمة الإسلام قبل حوالي خمسين سنة بهداية بعد طول غواية، ورشاد بعد امتداد ضلال، وتبصّر بعد طول عمى، فأصبحت الأمة وكأنها بُعثت من قبور، في حركة جليلة، ومحاولات تصحيح حثيثة، واهتدى ملايين من الناس، وعادوا إلى الله تعالى بعد أن أضلهم الوسواس الخناس، واستمسكوا بحبل الله - تعالى - المتين، واعتصموا بكتابه المبين، وسنة سيد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين.

اهتدوا وما كادوا يفعلون، وعاد الأمل حيًا في نفوس المسلمين، بعودة الأمة إلى ما ينبغي أن تكون عليه من عزة وسيادة وتمكين، والحمد لله رب العالمين.

ولقد اصطلح كثير من علماء المسلمين ودعاتهم ومفكريهم ومثقفيهم على تسمية هذه العودة إلى الله -تعالى- «صحوة»، وما أحراها أن تسمى: «بعثًا»، فإن كلمة «صحوة» لا تفي بوصف ما جرى، فليست إلا كلمة قاصرة عن شرح ما حدث.

والحديث عن الصحوة الإسلامية لهو حديث الأمل الباسم، والفجر الصادق، وهو حديث الذكريات الجميلة، والوقائع الحميدة، وكيف لا تكون الصحوة كذلك وقد انتظرتها الأمة طويلاً حتى كادت تيئس، وقد أتت على غير ميعاد، وأجمل الأحداث ما جاء كذلك عن غير ترقب ولا توقع.

وكم فتح الله -تعالى- بالصحوة أعينًا عُميًا، وقلوبًا غلفًا، وآذانًا صُمًا، ولله الحمد والمنة.

والصحوة أتى الله -تعالى- بها على بنيان أهل السوء والضلال من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم، وهدمت معظم مخططاتهم ومؤامراتهم، وذهب كيدهم أدراج

الرياح، وضَلّ عنهم ما كانوا يفترونه من كيد وكذب، وصار عملهم أثرًا من الماضي، وخبرهم حديثًا للرايح والغادي، وضحكة للسامر، وعبرة للمعتبر والناظر، ولله الحمد والمنة.

سبب تأليف الكتاب:

هذا وإن الذي دعاني لكتابة تاريخ الصحوة الإسلامية عدة أمور منها:

● **أولاً: بث الأمل:**

إن الشباب الذين لم يدركوا الصحوة، ولم يعيشوا المدتين: ما قبل الصحوة وما بعدها لا يكادون يفهمون ما حصل على إثرها من خير عظيم، وينظرون إلى الأحداث التي تعصف بالعالم الإسلامي اليوم نظر المتشائم اليائس، الذي لا يكاد يرى فيها فرجًا ولا مخرجًا، فأردت أن أبين لهؤلاء كيف كنا وكيف صرنا، والخطوات التي ارتقت بها الأمة سلم المجد واقتربت بها من تحقيق النصر؛ فإن حال الأمة قبل الصحوة مختلف جداً عن حالها بعدها؛ فهي اليوم أحسن وأفضل بكثير مما كانت عليه قبل الصحوة، بل ليس بين المدتين - عندي - أفعل تفضيل، والأمر أوضح من أن يحتاج إلى قال وقيل، ولا إلى حشد دليل بعد دليل، فإن عرف شباب اليوم أن الأمة قد حسن حالها، واشتد ساعدها، والتزمت الطريق، وفارقت كثيراً من الذل والهوان، وحققت كثيراً من مراداتها، إن عرف الشباب ذلك عظم الأمل في نفوسهم، وأقبلوا يريدون إتمام ذلك العمل، وبلوغ ما قُدر له من الأجل، وانتفى عنهم القنوط واليأس، واشتد منهم العزيمة والبأس، وهذا مطلب جليل، وهو أعظم ما دفعني لكتابة هذا الكتاب الحفيل.

والصحوة لها اليوم في الأرض قرابة خمسين سنة، فالشباب الذين يعانون اليوم أشد المعاناة في أكثر أقطار المسلمين لم يعرفوا بدايات الصحوة، ودع عنك مدة ما قبل الصحوة فإنه لا يدركها إلا من كان في عشر الستين، فقد كانت الأمة غارقة في ظلام دامس، والمسلمون في مدة استضعاف، والقوة ليست لهم، والريح لغيرهم، فالشباب الذين يعانون اليوم يرون أن ما يجري في أرض الإسلام إنما هو بلاء لا نظير له، وتسودّ الدنيا في أعينهم كلما طرقهم حادث جلل، أو دهمهم أمر عظيم، حتى صار كثير منهم

لا يرى أملاً في عودة الأمة إلى سابق عهدها ولا إلى جلال مجدها، وإنما صار ذلك كذلك لأنهم لم يعرفوا كيف كانت أحوال الأمة قبل الصحوة، ولم يدركوا كم ارتقى الناس في سلم الإيمان بعد الصحوة؛ إذ ليس عندهم خبر بذلك كله، ولا لهم مقياس يعودون إليه ليقيسوا حال الأمة اليوم بحالها بالأمس.

وأذكر أني كلما تحدثت في هذا الموضوع - وقد تحدثت فيه كثيرًا في المملكة وخارجها - فغر كثير من السامعين أفواههم دهشة، وعلت منهم همهمات التعجب، فكنت أقول لهم إن كل ما أقوله لكم موثق عندي بالاسم والتاريخ، وإنما كان ذلك منهم لأن جل السامعين سنهم تحت الخمسين، فلم يدركوا كيف كانت البلاد قبل الصحوة، فعمي عليهم الحال فلم يفهموا المقال.

إذن حديث الصحوة هو حديث الأمل الذي يجب أن تمتلئ به صدور الشباب اليوم وهم الذين نعدهم ليصلّوا في المسجد الأقصى، ويعيدوا لنا مجد الأمة من جديد، فهؤلاء لا يجوز أن يصابوا باليأس ولا يعتريهم القنوط، فهم -بعد الله - عدة الأمة، وفجرها القادم، وضياؤها الباسم، وشمسها المرتقبة، وآمالها المنعقدة، فمهما أصاب الأمة من يأس فما ينبغي أن يكون للشباب منه نصيب، ومهما طرأ عليها من قنوط فما يصح أن يشمل شبابها العتيد، فللشباب عمل غير اليأس، ومهمة سوى القنوط.

● **ثانيًا: توثيق العمل:**

إن الأعمال التي عُملت زمن الصحوة، والتضحيات التي قُدمت، والجهود التي بُذلت أعظم من أن تُنسى، وأجلّ من أن تُقصى، وأخطر من أن تُهمل وتُرمى، بل الواجب تعريف الأجيال بها، وتوثيقها وكتابتها لتكون معيارًا يرجع إليه اليوم العاملون، ومقياسًا يستند إليه الباذلون والمضحون، وهو من أعظم الأدلة على أنّ العاملين إذا بذلوا ما في وسعهم، واجتهدوا جهدهم، وقدموا كل ما عندهم فإن الله - تعالى - بالغٌ بهم أجله، ومُجْر على أيديهم قضاءه وقدره، وناصرهم ولو بعد حين، ورافع رايتهم في العالمين، هذ الذّي رأيناه عيانًا، وسعدنا به زمانًا.

فأحببت أن أكتب هذا ليسعد به الشباب الذين لم يدركوا أحداثه، ولم يشاركوا في صنع وقائعه؛ وليكون سجلاً لمن عملوا، وبذلوا واجتهدوا، فهذا أدنى حقوقهم علينا، وأقل ما ينبغي أن يُشكروا به، وعند الله تعالى - إن شاء - الجزاء الجليل، وما عسى أن ينالوا من هذا العَرَض القليل؟ لكنه الوفاء، وحق الإخاء، وهو بعض ما دعاني إلى تسطير هذا الذي سطرته.

● **ثالثًا: الحض على بذل الجهد:**

إن الشباب اليوم هم معقد أمل الأمة - بعد الله تعالى - وشمسها المرتقبة، وضياؤها الباسم، وفجرها القادم، وهم وقود التغيير، ومَظنة العمل الجليل، وهؤلاء إن بذلوا ما في وسعهم، واجتهدوا وعملوا، وأعطوا وضحوا فإن المظنون من فضل الله تعالى أن يجود عليهم بالتمكين، وأن يمن عليهم بالنصر والفرج والتأييد، وهؤلاء الشباب إذا ما اطلعوا على عمل الجيل الذي سبقهم - جيل الصحوة - والتضحيات التي بذلوها، والأعمال التي عملوها، والجهود التي قدموها، إذا اطلعوا على كل ذلك أرجو أن يَعْظم منهم العمل، ويقل فيهم الكسل، ويشتد ساعدهم، ويُقْبل مُدبرهم، ويتوب مخطئهم، ويؤوب فاترهم، فليس أحسنَ من عرض الأعمال لتحفيز الأجيال، ولا أفعل من ذكر سير الرجال لتغيير الأحوال، ولا أفضل من بيان الجهد المبذول لتعديل العمل المعلول، وأرجو أن يكون في هذا الكتاب الحافز الذي أردت، وله خَطّطت وخَطَطْت.

● **رابعًا: الرد على المنكرين والمستهزئين:**

بعض الناس قد عمي عن تلك الصحوة فأنكرها -ويا للعجب- وردها، وقد قال بعض كبار العلماء: ما هذه الصحوة؟! وهل كنا نائمين فصحونا؟ وأقول: قد طال عجبي مما قاله الشيخ، بل كنا موتى فبعثنا الله من جديد بفضله ومنّه، ومن قرأ كتابي هذا عرف صدق ما قلته، وتحقق له خبر الصحوة الذي سُقْتُه، فعسى أن يرجع المنكرون عن إنكارهم.

قال الدكتور القرضاوي حفظه الله تعالى:

«من الكتّاب المعاصرين من ينكر أن تكون هناك صحوة إسلامية؛ لأن الإسلام لم ينم

ولم يغب عن الوعي حتى يصحو، فالإسلام كان ولم يزل بخير. . . وهؤلاء يُشكرون على اعتبارهم الإسلام بخير وأنه كان ولم يزل قويًا قائمًا ولكن من تجاهل التاريخ والواقع أن نجحد أن المسلمين في العصور المملوكية والعثمانية الأخيرةَ كانوا قد جمدوا وتخلفوا، وباتت حياتهم كالماء الآسن: لا اجتهاد في الفقه، ولا إبداع في الأدب، ولا ابتكار في العلم، ولا اختراع في الصناعة. . . كما لا يستطيع دارس منصف أن يجحد ما صنعه الاستعمار «الاستخراب» منذ دخل ديارنا وتمكن منها في العقول والأنفس وشتى شؤون الحياة. . . فهذه الصحوة قد نفع الله بها كثيرًا من أبناء الجيل فاهتدوا بعد ضلال الفكر، واستقاموا بعد انحراف السلوك، واستيقظوا بعد غفلة القلب، واهتموا بقضايا الأمة الكبرى بعد أن كان اهتمامهم بتوافه الأمور. . .»[1].

أما المستهزئون بالصحوة وأهلها فلهم حديث آخر؛ فإن هؤلاء لا يقنعهم ملْءُ الأرض من البراهين والأدلة؛ ففي قلوبهم غيظ كبير وعلة، كيف لا وقد قَطَعت الصَحوة عليهم الطريق، وصاروا مثل الغريق، وقطعت قلوبهم، وفَطّرت أكبادهم، وفَلّت حَدّهم، ودمّرت كيدهم، وقلب الله - تعالى - بها السحر على الساحر، ونصر المؤمن على الفاجر، حتى صارت الأمة غير الأمة، والناس غير الناس، فلله الحمد والمنة.

والعجيب أن هؤلاء المستهزئين اليوم صاروا يذكرون الصحوة على أنها غفلة من الزمان، وفلتة ما كانت في الحسبان، ويلمزون الذين اجتهدوا وبذلوا وأعطوا بأنهم صحويون، ويلصقون بهم كل مضرة ومذمّة، وعيب ومنقصة، ويُرجعون إليهم أسباب الغلو والتطرف، وكأن العمل من أجل التمكين لدين الله في الأرض عيب يُنتقص بسببه أهل الصحوة المباركة ويستهزأ بهم من أجله، وكأن العطاء والبذل والتضحية مذمة ومنقصة، وإن كان من خطأ في الأعمال أو الأفكار فليس أهل الصحوة بمعصومين، ويكفيهم فخرًا أنهم صبرَوا في وقت عَزّ فيه الصبر، وبذلوا في زمن شَحّ فيه البذل، وضحوا في أوان قلت فيه التضحيات، في وقت كان هؤلاء الذين ينالون منهم أطفالاً يلعبون، أو شبابًا يلهون بالباطل وينشغلون، وبعضهم كاد لأهل الصحوة المباركة بكل أنواع الكيد، وتآمر عليها مع زيد وعمرو وعُبيد، فيالله العجب من حال هؤلاء، وتبجحهم بالباطل،

---

(١) «الصحوة الإسلامية»: ٢٥-٢٦.

واستهزائهم بالحق وأهله، أفلا يستحون وقد انفض عنهم الناس، ونبذتهم الشعوب حتى صاروا ضحكة للأمة، وعبرة للمعتبرين؟

ألم يكن الأولى بهم أن يستتروا ويحاولوا التوبة النصوح، عوضَ أن يستهزئوا بالصالحين والعاملين، ويحرضوا عليهم في كل وقت وحين، ويظهروا الشماتة بهم في كل زمان ومكان؟

- **خامسًا: الرد على أعداء الإسلام:**

أعداء الإسلام خططوا طويلاً لإضعاف هذه الأمة، وإبعادها عن أسباب عزها وقوتها، والحيلولة بينها وبين كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، بغزو عسكري تارة وبغزو فكري تارة أخرى، ولقد نجحوا كثيرًا، وضحكوا طويلاً، وانتقصوا كثيرًا من أراضي المسلمين، وانتهكوا أعراضهم، وسرقوا ثرواتهم، وفعلوا بهم الأفاعيل، حتى إذا ظنوا أنهم قد تمكنوا من نواصي المسلمين، وأنهم قضوا عليهم حتى لا يمكن أن تقوم لهم قائمة، ووقر ذلك في نفوسهم حتى تحدثوا به وأشاعوه وأعلنوه، حتى إذا حصل كل ذلك، وتمادوا فيما هنالك أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، وخرّ عليهم سقف ما صنعوه بظهور الصحوة الإسلامية التي قوّضت كثيرًا من خططهم، وأرْدت كثيرًا من آمالهم، وبرز لأولئك الأشرار شباب عظماء عرفوا ربهم، واستمسكوا بالكتاب والسنة، وأقبلوا يغترفون من معين دينهم بعد ضياع طويل، وهجران وبيل.

نعم إن هذا لم يحمل أعداء الله على وضع سلاحهم، ولا إلى التسليم بقدر الله -تعالى- الغالب، بل قاوموا الصحوة بكل ما أوتوا من مكرٍ وكيد وتآمر، وتلك قصة أخرى ربما أفسح لها مكانًا في الكتاب، إن شاء الله تعالى.

- **سادسًا: الأحداث الضخمة التي أنتجتها الصحوة:**

الصحوة لها اليوم في الأرض قرابة خمسين سنة، ومرّ على الأمة عقبها أحداث جسام وصارت تحولات عظام حتى أفرزت الصحوة الربيع العربي الذي نعيش أحداثه هذه الأيام، وسيتم الله تعالى نوره حتى تؤتي الصحوة أكلها، وهذا ليس رجمًا بالغيب، ولا كشفًا عن سُتُره وسُجُفه بل هو قراءة للسنن، وتتبعًا للأحداث، وسينتصر المسلمون -

بإذن الله- قريبًا، وستكون لنا خاتمة الحسنى والصلاة في المسجد الأقصى، وليس هذا قولاً عاطفيًا مرسلاً بلا علم، بل هو حقائق يقينية أثبتها الله تعالى في كتابه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وبينها النبي ﷺ في بضعة أحاديث من أحاديثه الشريفة المنيفة، فصار النصر على أعداء الإسلام عقيدة نعتقدها لا يجوز أن يشك فيها أحد.

هذا وقد قال د. حسن الترابي:

«ومن تعرف واقع الصحوة الإسلامية المعاصرة وقوتها ومداها، واستقرأ سنن تطور النهضات الإسلامية الدينية السالفة وكيف تتجه دائمًا للتمكن والامتداد، ومن قرأ وعد الله بأن يُظهر دينه ويجعل عاقبة الأمر ووراثة الأرض للصالحين أيقن أن الصحوة الإسلامية الحاضرة ليست - بإذن الله- عرضًا موقوتًا بظرف قريب، ولا حدثًا مخصوصًا بمكان محدود، وأن سيكون لها شأن ممتد في المكان والزمان»(1).

فلهذه الأسباب مجتمعة كتبت هذا الكتاب، الذي أرجو به الثواب يوم الحساب، وإفادة عامة الناس بما فيه، عسى أن يُكتب لي أجر ذلك، ويكون مكفرًا لسيئاتي، وماحيًا لخطاياي، إن شاء الله تعالى.

هذا وقد أنفقت فيه من عمري سنين، واجتمعت من أجله بمئات من الثقات من الدعاة والعلماء وطلبة العلم والصالحين، فشافهتهم بأحداث سيراها القارئ مسطورة، وهي كنوز مذخورة، وقرأت كتبًا كثيرة ومجلات وجرائد، ونظرت طويلاً في الشبكة العنكبوتية التي حوت كثيرًا مما أريده من وقائع وحوادث، كل ذلك رغبة في الأجر - إن شاء الله - ثم إظهار الحقيقة كاملة غير منقوصة بإذن الله، في زمن عَزّ فيه قول الحق، وخفت فيه صوت أهله، وارتفع صوت الباطل وحزبه، فأرجو أن أكون قد وُفقت فيما أردت، وسُددت فيما صنعت، وأفدت فيما قدمت.

- الجمع بين التاريخ للصحوة وتقويمها:

وبعد فراغي من كل محور وقضية كلية في مسألة تاريخ الصحوة أتيت على تقويمها

---

(1) «الحركة الإسلامية في السودان»: ١٧.



والنظر فيما آل إليه حالها، وبقي هناك في التقويم أمور عامة لا تندرج تحت قضية معينة، فرأيت أن من الأليق أن آتي بها مجموعة في آخر الكتاب في باب مستقل بها.

وما أصعب التقويم على من تصدى له؛ ذلك أن كثيرًا من المسائل المنقودة تختلف فيها الأنظار، وتكل عنها الأبصار، فمن مُثنٍ ومن قادح، ومن ملتمس للعذر ومن مصر على التخطئة، ويبقى أن صنيعي في نقدها هوَ اجتهاد ومحل نظر، وربما يكون لغيري رأي غير ما خرجت به، وربما رأى شيئًا لم أره، وهذا هو حال القضايا المبنية على اجتهاد، لكني أزعم أني عايشت كثيرًا من الناس ورأيت كثيرًا من الأمور، فأرجو بعد كل ذلك أن يكون ما خرجت به له حظ من النظر الصحيح، والفهم الرجيح، والفكر الفسيح، وألا يكون فيه حظ نفس، ولا هوى رأي، ولا تشفٍ، أو مبالغة مزعجة.

خطة الكتاب:

مقدمة، وفيها:

سبب تأليف الكتاب:

أولاً: بث الأمل.

ثانيًا: توثيق العمل.

ثالثًا: الحض على بذل الجهد.

رابعًا: الرد على المنكرين والمستهزئين.

خامسًا: الرد على أعداء الإسلام.

سادسًا: الأحداث الضخمة التي أنتجتها الصحوة.

- الجمع بين التاريخ للصحوة وتقويمها.

تمهيد، وفيه:

تعريف الصحوة.

مظاهر الصحوة.

أولاً: كثرة الشباب الملتزم بدينه الداعي إليه.

ثانيًا: ظهور الجهاد.

ثالثًا: ظهور نواة المؤسسات والجمعيات الإسلامية.

رابعًا: تغيير كثير من القوانين الوضعية.

خامسًا: تغير في القيادات السياسية.

سادسًا: اكتمال الوعي ونضج المصطلحات والمفاهيم.

سابعًا: التصدي لمؤامرات أعداء الإسلام بمنهج صحيح.

ثامنًا: يأس أعداء الإسلام من تحطيم جذوته المتقدة في النفوس.

تاسعًا: الثقة بالحضارة والثقافة الإسلامية.

- موقف عموم المسلمين من الصحوة.
- موقف أعداء الصحوة، منها:

رأي اليسار في بواعث ونشأة الصحوة.

رأي اليسار في برنامج الصحوة.

موقف الغرب من الصحوة.

تحريض الإعلام الغربي على الصحوة وتشويهه لها.

● **الفصل الأول: جذور الصحوة وبداياتها.**

- المبحث الأول: جذور الصحوة.

حركات الإصلاح:

١- حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٢- حركة الشيخ محمد بن علي السنوسي.

٣- حركة المهدي في السودان.

٤- حركة عثمان بن فودي في غرب أفريقيا.

٥- حركة بديع الزمان النورسي.

٦- حركة الإخوان المسلمين.

٧- حزب ماشومي الإسلامي «حركة محمد ناصر» في إندونيسيا.

٨- الجماعات والهيئات السلفية.

٩- الجماعة الإسلامية في الهند.

١٠- جماعة التبليغ.

رجال الإصلاح:

* جمال الدين الأفغاني.

* محمد عبده.

* محمد رشيد رضا.

* سيد قطب.

* حسن البنا.

* عبدالعزيز بن باز.

* أبو الحسن الندوي.

* أبو الأعلى المودودي.

* مصطفى السباعي.

* عدد كبير من المؤثرين: كل في ميدانه، وفي علمه الذي اشتهر به.

- المبحث الثاني: أسباب الصحوة:

١- قدر الله -تعالى- الغالب.

٢- عظمة هذا الدين وحيويته.

٣- عمل حركات الإصلاح ورجاله.

٤- اهتداء مجموعات متميزة من الشباب.

٥- الحرية النسبية التي تمتع بها كثير من شباب الإسلام في مصر التي ابتدأت فيها الصحوة، والإفراج عن الإخوان والسماح لهم بالعمل.

٦- المضمون السياسي للإسلام.

٧- زيادة الشعور بالانتماء الإسلامي وضرورة الوحدة الإسلامية.

٨- استقلال التيار الإسلامي وتفرده.

٩- انكشاف الحركات المناهضة للإسلام.

١٠- العداء العالمي للإسلام.

١١- رد فعل لفشل السلطة في الدول الإسلامية في إنشاء نظام مقبول في المجتمعات الإسلامية.

١٢- فشل الأنظمة العلمانية في تحقيق وعودها في التنمية والعدالة الاجتماعية.

١٣- فساد النظم الغربية.

١٤- سياسات المصالحة مع اليهود.

- المبحث الثالث: تاريخ بدء الصحوة:

بداية ظهور الصحوة.

مفاجأة الصحوة أكثر الناس.

● **الفصل الثاني: أمثلة على نشأة الصحوة في البلاد العربية والإسلامية:**

- المبحث الأول: أمثلة على نشأة الصحوة في البلاد العربية.

المطلب الأول: الصحوة في مصر.

تقويم هذا الجانب .

- المبحث السادس : أثر الصحوة في نشأة الإعلام الإسلامي .

تقويم هذا الجانب .

- المبحث السابع : أثر الصحوة في تحسين الجانب السياسي .

تقويم هذا الجانب .

- المبحث الثامن : أثر الصحوة في نشأة الاقتصاد الإسلامي .

تقويم هذا الجانب .

- المبحث التاسع : أثر الصحوة في بيان مساوئ الحضارة الغربية وإضعاف الانبهار بها .

تقويم هذا الجانب .

- المبحث العاشر : أثر الصحوة في ضبط المفاهيم والمصطلحات الدينية والثقافية والفكرية .

تقويم هذا الجانب .

- المبحث الحادي عشر : أثر الصحوة في ضبط السلوك والأخلاق وأعمال القلوب .

تقويم هذا الجانب .

- المبحث الثاني عشر : أثر الصحوة في تأليف ونشر الكتب الشرعية والدعوية والثقافية .

تقويم هذا الجانب .

- المبحث الثالث عشر : أثر الصحوة في إنشاء المؤسسات التي تستوعب جهود الشباب .

تقويم هذا الجانب .

- المبحث الرابع عشر : أثر الصحوة في توعية المسلمين بالمكائد والمؤامرات .

- المبحث الخامس عشر : أثر الصحوة في دعوة غير المسلمين .

تقويم هذا الجانب .

● **الفصل الرابع: تقويم عام للصحوة الإسلامية غير ما ذكر:**

أولاً: العجلة.

ثانيًا: اختلاف الجماعات وكيد بعضها لبعض.

ثالثًا: إحسان الظن بالطغاة.

رابعًا: النقص في القيادات الواعية.

خامسًا: ضعف استيعاب قدرات الشباب وأعمالهم.

سادسًا: ضعف الهمة وقلة العزيمة.

سابعًا: ضعف التربية.

ثامنًا: ضعف الثقافة.

تاسعًا: تفاهة الأهداف.

عاشرًا: قلة مداراة الأنظمة الحاكمة.

حادي عشر: الخلل في العلاقة مع الآخر.

ثاني عشر: الغلو في مسألة طاعة أمراء الدعوة.

ثالث عشر: الجمود.

رابع عشر: التعلق الشديد بالتخطيط الاستراتيجي ووسائل الإدارة الحديثة ودورات التنمية البشرية مما يؤدي لهضم الجوانب العملية التربوية.

● **الفصل الخامس: حال الصحوة اليوم ومستقبلها.**

● الخاتمة والنتائج.

● فهرست المصادر والمراجع.

● فهرست الموضوعات.

وقد اتبعت في كل ما أوردته المنهج العلمي - فيما أُقَدِّر وأحسب، والله أعلم - وتمثل ذلك في الآتي:

١- توثيق الخبر بذكر مصدره، فإن كان عن مشافهة فلا بد أن يكون المشافه - عندي - ثقة ضابطًا، فإذا غلب على ظني أنه كذلك ارتضيت كلامه، وأوردت حديثه بألفاظي ومعانيه.

٢- عدم الاقتصار في القصص والشواهد على بلد أو بلدين أو ثلاثة، أو شخص أو شخصين أو ثلاثة بل أحاول التوسع قدر الإمكان، وأصل إلى أقل ما قيل في حد التواتر وهو أربعة يستحيل تواطؤهم على الكذب.

٣- الترجمة لكل مغمور أو هو معروف عند بعض الناس دون بعضهم الآخر، ترجمةً موجزة.

وكل ذلك عليّ شاق صعب؛ وهو قائم على اجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن كان ذلك مبلغ الجهد مني، وغاية ما صدر عني.

والله العظيم هو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به في كل مكان وزمان، وصل اللهم على سيد ولد عدنان، المصطفى الحجازي التهامي القرشي عظيم الشان، وآله غُرة الزمان، وأصحابه خير الخلان، ما تعاقب الحدثان، واختلف المَلَوان، وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله ربَ العالمَينَ.

وكتبه حامدًا مصليًا

العبد المذنب الضعيف

محمد بن موسى الشريف

الموقع على الشبكة: www.altareekh.com.

صفحة الفيس بوك: د. محمد بن موسى الشريف.

حساب التويتر: DRMOHAMMEDMH.

البريد الإلكتروني: mmmalshareef@hotmail.com.

mhmalshareef@gmail.com

تمهيد

تعريف الصحوة:

«الصحوة تعني عودة الوعي، والانتباه بعد غَيْبة»[١]، أي أن الأمة الإسلامية كانت في مجموعها في غفلة عظيمة أشبه بغفلة النائم، ثم استيقظت بعد ذلك لتجد نفسها بعيدة كل البعد عن كل أسباب الحضارة المادية، وعن كثير من مقومات وجودها وأسباب سعادتها، من الاستمساك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهدي السلف الصالح والخلف المتابع، رضي الله عنهم أجمعين.

وتلفتت الأمة حولها لتجد كثيرًا من أعدائها متربصين بها الدوائر، كائدين لها، فعلمت أن الذي ينجيها من هذا كله هو العودة للتمسك بالشرع المطهر وتدارك ما فات بالجد والاجتهاد، هذه هي الصحوة المباركة التي أنقذ الله - تعالى- بها الأمة.

وقال الأستاذ عبدالهادي أبو طالب[٢]:

«استعمل هذا المصطلح للدلالة على الظاهرة التي نتحدث عنها[٣] باعتبار أنها تتجلى في التقاء جماعة منتمية إلى ولاء واحد في فترة زمنية تستعيد الجماعة خلالها الوعي بالقدرة على الحركة بعد السكون، وتستشعر فيها الدخول في اليقظة بعد الغفوة، وتتلمس معها الضوء المرشد إلى الطريق الصحيح بعد تخبطها في لُجَة الظلام، وتنشط فيها تلك الجماعة طامحة إلى تغيير واقعها وتجاوزه عن طريق التماسك داخل الولاء المشترك.

والصحوة أيضًا ترجمة لكلمة انجليزية (REVIVAL) ونظيرتها بالفرنسية (REVEIL)، لكنها تعبير عربي فصيح مشتق من صحا من النوم أو السُكْر بمعنى أفاق وأخذ يحسّ، أي الدخول في استعادة الوعي بعد فقده نتيجة مانع طبيعي هو النوم، أو اصطناعي هو السكْر. والعرب يعتبرون هذه الصحوة قوة واعية، وينيطونها بالعقل أو القلب، ومن ذلك قول جرير في حائيته المشهورة: أتصحو أم فؤادك غير صاحِ؟

---

(١) «الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي»: د. يوسف القرضاوي: ١١.

(٢) هو المدير العام السابق للتربية والعلوم والثقافة، وهو مغربي.

(٣) وهي الصحوة.

ويمكن أن يكون اشتقاقها من «صحت» السماء إذا انقشعت سحبها فبرزت الشمس وتبدد الظلام . . .

وتعبير الصحوة الإسلامية لا يعني أن الإسلام قد استيقظ بعد غفوة، أو ضل عن سبيله، وإنما يعني إفاقة المسلمين واستشعارهم وجوب العودة إلى أصول الإسلام كرد فعل لما عانوه من انكسار منذ تخلوا عن النهج الإسلامي.

والصحوة الإسلامية غير النهضة الإسلامية، فالنهضة تأتي حسب مسلسل تطوري متدرج، أما الصحوة فتحتضن معنيين:

- **أولهما:** قطيعة مباغتة بين الحاضر والماضي؛ هي ما يحدث فجأة في حركة الصاحي من نوم أو سكر ليجدَ نفسه في ساعة الوعي، أو في مرحلة جديدة مناقضة لحالة السكون واللاوعي التي سبقتها.
- **وثانيهما:** ما يحدثه استرجاع الوعي فجأة من تحمس واستشراف للتحرك، مما يعني أن الصحوة الإسلامية استشراف متحمس في الحاضر لبناء المستقبل انطلاقًا من خير ما في الماضي، إنها تُصَرف فعلها في جميع الأزمنة، وتربط بين حلقات الزمان في عروة وثقى لا انفصام فيها[(١)].

ومن الأمور المعلومة أن الصحوة هي صحوة المسلمين وليس صحوة الإسلام، فالإسلام لم ينم لنقول صحا، إنما هم المسلمون الذين ناموا بل مات كثير منهم قبل موته، قال الأستاذ عبدالهادي أبو طالب، رحمه الله تعالى:

«ولماذا نسبة الصحوة إلى الإسلام؟ إننا نستطيع أن نقول من منطلق الوعي بخلفيات الصحوة والإحاطة بطبيعتها والوقوف على معالمها: إن الصحوة الإسلامية لا تعني إلا صحوة المسلمين، فالإسلام شمس مشرقة يسطع نورها، قد تحجبها السحب أو يكسفها القمر، أو تتجانبها الأرض، ولكنها تظل تتقد لهيبًا وتسطع نورًا، والمسلمون قد ينامون ويستيقظون، ولكن الإسلام لاينام ليستيقظ، فهو جذوة متقدة يقتبس من نورها كل من

---

(١) «الأصولية: الجمود أو التطرف الديني»: ٢٥-٢٦، بحث في مجلة «الأكاديمية»، أكاديمية المملكة المغربية: العدد ١١ سنة ١٩٩٤/ ١٤١٤.

اهتدى، والقمر قد يغرب وراء الأرض فينأى عن نور الشمس وينقلب إلى كوكب مظلم، ولكنه عندما يواجه الشمس الصاحية يتجدد ضياؤه ويسطع نوره، فالأصح إذن تسمية الظاهرة التي نهتم بها صحوة المسلمين لا صحوة الإسلام أو الصحوة الإسلامية»[1].

والمقصود بالصحوة - إذن- ذلك المد الجارف الذي عم خيره أكثر بلاد الإسلام وظهرت ثماره في الآتي مما أشير إليه ها هنا وأعود إلى تفصيله كله إن شاء الله تعالى.

مظاهر الصحوة:

للصحوة مظاهر عديدة جليلة لا تخطئها العين، وقد ظهرت في أكثر دول الإسلام حتى غدت من المألوفات الواضحات، ولله الحمد والمنة، فمن ذلك:

- أولاً: كثرة الشباب الملتزم بدينه الداعي إليه:

إن الصحوة قد أظهرت عشرات الملايين من الشباب في العالم الإسلامي ممن عادوا إلى الله -تعالى- واستمسكوا بالعروة الوثقى بعد أن ظهر لهم إفلاس المذاهب الوضعية وحركات الضلال الغربية والشرقية التي سادت ثم بادت، وأقبل الشباب يريد نصرة دينه بأي وجه، والتضحية من أجله بالغالي والنفيس، على وجه لم يكن من قبل أبداً في تاريخ المسلمين الحديث، فملأ المساجد بعد هجران طويل، وأحسن العبادة، وطلب العلم، وعرف مكائد الأعداء، وعظم فهمه، وازداد وعيه، وتحجبت ملايين النساء بعد سفور معيب عجيب، وسيأتي تفصيل كل ذلك في ثنايا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

وفي هذا تقول المستشرقة لوك (Luecke):

إن أهم مظاهر الالتزام بتعاليم الدين هو العودة إلى ارتداء اللباس الشرعي. . . وكذلك إطلاق اللحى والإعراض عن التدخين وتعليق ملصقات في السيارات والمنازل مكتوب عليها آيات قرآنية أو الشهادتان، وازدياد أعداد المصلين في المساجد، وبناء مزيد من

(١) «الصحوة الإسلامية وأثرها في تضامن العالم الإسلامي»: ٢٥. وهي مقالة منشورة ضمن كتاب «الجامعة الصيفية للصحوة الإسلامية»: الجزء الثاني.

المساجد، والتفاف المعجبين حول خطباء مرموقين كالشيخ كشك والشيخ محمد الغزالي[١] أيام الجمعة، وبيع أشرطة مسجلة عليها خطبهم.

وكذلك ظهور البنوك الإسلامية التي تستخدم الأرباح في أعمال خيرية أو لنشر الدعوة. . . ويلتزم مزيد من المصريين والمصريات بصوم رمضان وأداء فريضة الحج، وتجري في الأوساط الشعبية وفي البرلمان مناقشة تطبيق الشريعة. . . وهناك ازدياد في أعداد المطبوعات الإسلامية وفي النسخ التي يتم توزيعها، وفي كثير من أماكن العمل تم الاستجابة لمطلب إتاحة المجال لإقامة الصلوات أثناء العمل[٢].

- **ثانيًا: ظهور الجهاد:**

وقد غاب الجهاد طويلاً حتى يُئس منه، ثم برز الجهاد بعد ذلك على وجه جليل في أفغانستان والشيشان والفلبين ثم فلسطين وغير ذلك من الأماكن على ما سيأتي تفصيله في صلب الكتاب، فلله الحمد والمنة.

- **ثالثًا: ظهور نواة المؤسسات والجمعيات الإسلامية:**

برزت زمن الصحوة نواة المؤسسات في كثير من الجوانب المهمة مثل الاقتصاد، والإعلام، والحقوق، والسياسة مما لم يكن موجوداً ألبتة في تاريخ المسلمين الحديث، وارتقت تلك الأنوية لتكون مؤسسات شامخة بعد ذلك، ولله الحمد والمنة.

- **رابعًا: تغيير كثير من القوانين الوضعية:**

على إثر الصحوة تغيرت كثير من الأنظمة والقوانين- سواء عُمل بها كلها أو بعضها أو لم يُعمل بها- وتغيرت نصوص في الدساتير، كل ذلك إلى الأحسن والأفضل، ولله الحمد، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(١) محمد الغزاليّ بن أحمد السقا. من أكبر مفكري الإسلام ودعاته. ولد سنة ١٣٣٥ بقرية في مصر، واشتهر بالغزاليّ لأن والده رأى الإمام الغزاليّ في المنام فأخبره أنه سيرزق بمولود وأشار عليه أن يسميه الغزاليّ. تعلم بالأزهر. وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل ثم أفرج عنه. درّس بعدة جامعات في العالم العربي، وعين وكيلاً بوزارة الأوقاف بمصر. نال جائزة الملك فيصل العالمية. توفي بالرياض سنة ١٤١٦ رحمه الله تعالى. له عدة مصنفات. انظر «ذيل الأعلام»: ١٩٢-١٩٤.

(٢) «المستشرقون والصحوة الإسلامية»: ٣٣.



- **خامسًا: تغيير في القيادات السياسية:**

كانت أكثر القيادات السياسية في بلاد الإسلام بعيدة كل البعد عن الإسلام، فلما جاءت الصحوة تغيرت بعض تلك القيادات وجاء من هو أفضل منها، ومَن بقي منها لم يعد يجرؤ على إظهار باطله، بل ساير التوجه الإسلامي، غالبًا، وفيه تفصيل سآتي عليه بإذن الله تعالى.

- **سادسًا: اكتمال الوعي ونضج المصطلحات والمفاهيم:**

كان للصحوة والتجارب التي مرّ بها أهلها أكبر الأثر في اكتمال الوعي الإسلامي ونضج كثير من المصطلحات والمفاهيم التي كانت سائدة من قبل لكن لم تكن قد استوت على سوقها بعد، وسأفرد لهذا مبحثًا إن شاء الله تعالى.

- **سابعًا: التصدي لمؤامرات أعداء الإسلام بمنهج صحيح:**

كان كثير من الصالحين على مدار تاريخ الإسلام الحديث عارفًا بمؤامرات أعداء الإسلام، مطلعًا على بعضها، لكن تلك المعرفة وذلك الاطلاع ليسا على الوجه المطلوب، فقد كان شيء من الغفلة ممزوجًا بتلك المعرفة وذلك الاطلاع، وأيضًا لم يكن هناك سبيل ومنهج لمواجهة تلك المؤامرات على نهج صحيح مؤثر، وليس أدل على ذلك مما عرف بـ «سرقة الثورة» وسآتي على شيء من تفصيل هذا، لكن الحال اختلف بعد الصحوة؛ فقد عَظُم الوعي بهذه المؤامرات، وحَسُن التصدي لكثير منها، بفضل الله تعالى.

- **ثامنًا: يأس أعداء الإسلام من تحطيم جذوته المتقدة في النفوس:**

إن من أحسن نتائج الصحوة أن أعداء الإسلام وقر في صدورهم وعقولهم أن الإسلام دين باق لا يمكن اجتثاثه ولا إخماد جذوته، فبعد ضعف طويل أتى الله بنيانهم من القواعدَ، وخَرّ عليهم ما بنوه طويلاً وصرفوا عليه ما لا يحصر من الأموال، وبرز هذا الدين من جديد في حُلّة بهية أغاظت أعداء الإسلام، وحَقّ عليهم قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٦]. ولله الحمد والمنة.

- تاسعًا: الثقة بالحضارة والثقافة الإسلامية:

مرّ على الأمة زمان انبهر فيه الجمهور الأعظم منها بحضارة الغرب وثقافته؛ حتى أنهم لم يعودوا يلتفتون لأي موروث إسلامي حضاري أو ثقافي؛ بل أصبح كثير منهم يحتقره ويزدريه، ويرى أن أمته ليست على شيء، وكل ذلك قد تغير جذريًا عقب الصحوة ولله الحمد والمنة، فاعتز الناس بإسلامهم، وأقبلوا على حضارته وثقافته، وظهر لهم عورات ما كانوا يتبعونه ويعجبون به جليًا واضحًا.

وهناك غير ذلك من مظاهر الصحوة سيجدها القارىء ظاهرة واضحة في صلب الكتاب إن شاء الله تعالى.

هذا وقد لخص الأستاذ عبدالهادي أبو طالب نتائج الصحوة الإسلامية بقوله: «يمكن القول إن الصحوة الإسلامية تعطي للإسلام مفهومًا شموليًا يندمج فيه جميع أبعاد الإسلام العقدية والتشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، مما يمكن معه أن يكتمل مانسميه - على سبيل المجاراة للآخرين - بالنظرية الإسلامية، في مقابل النظرية الاشتراكية، والنظرية الرأسمالية، وبذلك لا يفرق هذا التنظير الفاعل بين الدين والسياسة، ولا بين المادة والروح، ولا بين الدنيا والآخرة، وهو يعارض العلمانية التي تعتبر الدين في برج عاج والدنيا في محيط لا قعر له ولا ساحل، وهذه النظرية التوسطية الشمولية هي التي أخذت تخترق الحواجز نحو التطبيق، وتدخل في لغتها نعت الإسلام لعدد من الميادين التي لم يسبق أن اقترنت بنعته: اقتصاد إسلامي، وبنوك إسلامية، وثقافة وعلوم من منظور إسلامي، حتى سمعنا بالطب الإسلامي، والصيدلة الإسلامية. إن الصحوة الإسلامية تعتبر في الميدان السياسي أن الإسلام جاء بالأسس أو الأصول الكفيلة بتقعيد السياسة على أسس خلقية، وإقامة مجتمع سياسي متوازن في ظل دساتير إسلامية، ومؤسسات للشورى الإسلامية، كما تعتبر أن الإسلام يتوفر على نمط حكم إسلامي شامل، له نظرته المتميزة في كل مجال وميدان من الحياة...»(١).

ولا أستطيع مغادرة الحديث في مظاهر الصحوة قبل إيراد الشهادة الجليلة التي أدلى بها الأديب أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري حيث قال:

---

(١) «الصحوة الإسلامية وأثرها في تضامن العالم الإسلامي»: ٢٤.

«ولقد أكرمني ربي بأن رأيتُ بعد بلوغ الأشدِّ شبابًا من أبناء بلدي، تحقَّقت لهم دعوة المصطفى ﷺ ببهاء وتوهُّج أراه في وجوههم الكريمة العريضة المُلْتَحية.

وخَسَأَتْ أشرطةُ العندليب الأسمر، وكوكب الشرق، وغثيان الطرب المحلي الأمِّي البدائي... فوَا ضَيْعَةَ الشباب وواعمراه يوم كنتُ مع لدَات لي وجوهُهم كالعراجين الضاحية، يلحسون القمامة بأردان ثيابهم ذات الخيلاء من جَيل ١٩٥٢م.

وقيَّض الله للأمة قبيل القرن الخامس عشر بعقود رجالاً مهَّدوا للصحوة، لجيل الالتزام، فآلُ قطب والمودودي... إلخ، كان دأبهم تحرير العقل من الانهزام للغرب فكريًا وروحيًا، مؤكدين للناس أن المستقبل للإسلام... وناصر الدين الألباني أعاد الشَّبيبةَ للحديث درايةً وروايةً، والشيخ عبدالرحمن الدوسري -رحمه الله- لم يهادنْ عصرَه ألبتة مبصِّرًا للناس بحيَل الماسونية، منبِّهًا وعيَهم إلى تطلعات المستقبل. وبارك الله لبلادنا بسماحة الشيخ عبَدالعزيز بن باز - متَّعه الله بالصحة والعافية - وهو للصحوة الإسلامية كشعرة معاوية... فيالله أيُّ مكسب للأمة إذا خرج من حلقات الشيخ شباب ذوو خلوة في جوف الليل الأليَل يقولون: اللهمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد؟ ويقولون: اللهم أصلحْ إمام المسلمين وانصره، واهده، وارزقه البطانة...

واعترافًا بالحق أقول: مهما أحصِيت المؤاخذات على قلَّة من المنتسبين للصحوة، فلا يعدُّ ذلك شيئًا في بحر حسناتهم.

لقد كان الناس قبل جيل الالتزام -لا سيما عامة الشباب- قلَّما رأوا الفجر الصادق والكاذب، وقلَّما استمتعوا بطلوع الشمس، أما الآن، فقد ارتبطتْ يقظتُهم بالأسحار.

وقبل جيل الالتزام كانت الجمعة تقام ولا يحضرها إلا أشياخ من العوام، أما الشباب، فيغطُّون في سُبات عميق بعد سهر امتدَّ إلى ما بعد ثلث الليل الآخر.

وقبل جيل الالتزام كان يُقيم صلاة الفجر: الإمامُ، والمؤذِّن، وشيخان يسعلان.

وقبل جيل الالتزام كنتُ أذرع الرياض فلا أجد إلا غبارًا متراكمًا على رياض الصالحين، وربما سمحتِ الظروف بنسخةٍ من الترغيب والترهيب.

وقلّما اجتمعت السننُ الأربع، والموطأ، والمسند، والصحيحان في بيت طالب علم؛ إنما يوجد ذلك في بيوت خاصة العلماء، والمكتبات الخيرية، وبفضل الله - ثم فضلَ جيل الالتزام - قذفت خزانات العالم بفلذات أكبادها، فنشرت الأمهات والنوادر، والأجزاء والمسائل، وتوافرت الكتب بأبخس الأثمان.

فشبابُ اليوم (الذين لم ينتصفوا في العقد الثالث، وهم يحفظون القرآن، وأحاديث الأحكام. . .)، هم الآن مشايخ، وأملأْ بها فمَك. . .

وقبل جيل الالتزام كان المذياع العربي، والمجلة العربية، والكتاب العربي يقذفُ بالشبهات والتشكيك في الدين والتاريخ، فجاء جيل الالتزام وحوَّل الإيمان بالدين إلى عمل، وآثرتُ التعبير بجيل الالتزام بدل جيل الصحوة؛ لأن رقعتنا - حتى على مستوى العوامّ - لم تفقد الوعيَ بأحكام دينها، وتبدَّلت الخنافس وشعيرات كالجعلان تحت الأنف وعراجين ضاحيَة نضبت فيها ثغرة الميلاد، تحوَّلت كل تلك إلى لحًى عريضة، وشوارب مخبتة، وثفنات سجود.

ففداء لجيل الالتزام ألف ألف هفوة، وقد أخرجونا من حريق العفن إلى نعيم العمل.

وكنت امرأ لو لا الله - ثم وعيي بجيل الالتزام - لأصبحتُ من اللاهين إلا ما شاء ربك، والله المستعصم فيما بقي. . .»(١).

موقف عموم المسلمين من الصحوة:

من المعلوم أن المجتمعات المسلمة اعتادت على سلوك اجتماعي معين، لبعض جوانبه صلة بشريعة الإسلام، وبعض جوانبه الأخرى ليس لها صلة بشريعة الإسلام بل يخالفها، وتوافق عادات وتقاليدَ توارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم.

فلما أقبل كثير من الشباب على الإسلام زرافات ووحدانًا فيما عرف بالصحوة واستمسكوا بإسلامهم واتبعوا سنة نبيهم ﷺ تعجب كثير من الناس من سلوك أولئك الشباب، وعدّوه نشازاً عن مسار المجتمع، وناصب مجموعات من الناس أولئك الشباب العداوة، وأظهروا لهم عدم الارتياح لسلوكهم الجديد، خاصة في المظهر؛ في الثياب

---

(١) من أحكام الديانة، السفر الأول، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار ابن حزم، الرياض، ٤٠-٥٦.

واللحى والحجاب، وفي بعض جوانب السلوك مثل الامتناع عن الاختلاط، والبعد عن مواطن الشبهات والريب.

وأذكر أني وكثيراً من أقراني الذين كنا الجيل الأول من الصحوة في بلادنا المملكة كنا عرضة للاستهزاء من الأهل وكثير ممن يحيط بنا، وعرضة للتسفيه بسبب ثيابنا ولحانا، وابتعادنا عن الاختلاط بالنسوة الأقارب، وغير ذلك من الأمور التي دعت جماعات من الناس لمعاداة أهل الصحوة.

وفي الوقت نفسه عادت كثير من الحكومات مظاهر الصحوة وحاولت تطويقها والسيطرة عليها لكن الأمر كان أكبر منها وأعظم.

لكن لم يكن هذا الموقف العدائي هو موقف كل الناس؛ فقد استقبل كثير من الناس مظاهر الصحوة بفرح وابتهاج، ورأوا أنها موعود الله -تعالى- الذي تحقق، وخبر نبيه ﷺ الذي أخبر به عن أحداث آخر الزمان، وكانوا عضداً لها ونصيراً، وعوناً ومؤازراً، وبذلوا من أجل اشتعال جذوتها، واستمرار شعلتها الغالي والنفيس.

ولم يكن أولئك الذين رحبوا بمقدمها من أهل الاستقامة والمحافظة والالتزام فقط بل كانوا عدداً كبيراً من عامة الناس وخاصتهم، محسنهم ومسيئهم، اجتمعوا على حب الإسلام والترحيب بهذه الصحوة التي أنارت مجتمعاتهم، وسيأتي في صلب الكتاب ما يوضح هذا ويفصله، إن شاء الله تعالى.

موقف أعداء الصحوة منها:

جاءت الصحوة الإسلامية بلسماً شافياً لقلوب المؤمنين، وتجديداً لآمالهم العظام في عودة سيادة الإسلام، وفي الوقت نفسه جاءت لتكون قاضية على كثير من آمال أعداء الإسلام في تطويع الإسلام ليكون حسب رغباتهم وأهوائهم، وفي تطويع المسلمين ليكونوا عبيداً لهم وأدوات لتنفيذ مخططاتهم.

ظهرت الصحوة فأتت على بنيانهم من القواعد، فخر عليهم سقف مخططاتهم على رؤوسهم، فأصيبوا بذهول أعماهم عن رؤية الحقائق، وأقبلوا يريدون عماية الناس عن

الصحوة، وأعمالها، وأهدافها، فلما لم يستطيعوا أخذوا يشوهون الصحوة أيما تشويه، وعملوا على إلصاق التهم بها والكيد، وكان أعداء الصحوة ثلاث فرق:

١- الكفار المناوئون لكل عمل إسلامي، ولكل تقدم لأهل الإسلام نحو الخير والهدى والرشاد.

٢- فرقة أهل الأهواء ممن يُحسبون على المسلمين، وهؤلاء هم الشيوعيون والماركسيون والاشتراكيون.

٣- فرقة أهل الشهوات، وهؤلاء هم الليبراليون ومن لَفّ لفهم.

ولا ريب أن أشد الفرق الثلاث مواجهة للصحوة وتشويهًا لها هم اليساريون والشيوعيون والاشتراكيون الذين وجدوا في الصحوة الجديدة معول هدم لكل ما حاولوا سنوات طوالاً غرسه في مجتمعات المسلمين من ضلال في الفكر والمعتقد والسلوك، وللأستاذ مصطفى بن حمزة المغربي[١] كلام جيد في كيفية مواجهة اليسار الصحوة التي قامت، وهأنذا آتي به موجزًا إياه من بحثه المسمى «الصحوة الإسلامية واليسار العربي»:

موقف اليساريين من تسمية الصحوة:

يوشك أكثر اليساريين أن يُطبقوا على ضرورة إلغاء مصطلح الصحوة من الاستعمال لكونه قوي الدلالة على مقاصد إسلامية مستقبلية، وهم لذلك يتحركون لصالح هذه المحاولة في اتجاهين:

- **أولهما:** هو اتجاه التشنيع على المصطلح والانتقاص من قيمته ودلالته.

- **وثانيهما:** اتجاه آخر يروج لمصطلح بديل يحمل من المضامين الفاسدة ما لو قبلته الصحوة لألزمت نفسها بتهم خطيرة.

---

(١) يسكن الآن في وَجْدة، وهي مدينة مغربية على حدود الجزائر، وهو من كبار دعاة المغرب والعاملين للإسلام، نحسبه كذلك، والله حسيبه.

الاتجاه الأول: الانتقاص من مصطلح الصحوة:

لم يتفق اليساريون على إعطاء تفسير موحد لما يذهبون إليه من ضرورة تغييب مصطلح الصحوة وإلغائه، وإنما اختلفت آراؤهم وأقوالهم، وهدفهم - طبعًا - هدف واحد.

فالدكتور محمد أحمد خلف الله[1] يرى في بحثه الذي كتبه عن الصحوة الإسلامية بمصر، والذي نشره مركز دراسات الوحدة العربية، أن تسميته بالصحوة الإسلامية ليست إلا تسمية تمويهية يراد بها التستر وعدم الكشف عن المقاصد الحقيقية للاتجاه الديني؛ فالصحوة الإسلامية كان من حقها أن تعبر عن نفسها فتسمي نفسها ثورة إسلامية، لكنها لم تفعل لأن ذلك يعرضها للوقوع تحت طائلة قانون العقوبات[2].

فهو يجافي الموضوعية وينأى عنها لكونه يحكم على النوايا وما هو غيب في ضمائر رجال الصحوة سواء أكان ذلك حقًا أم باطلاً.

وفي مقالة الدكتور خلف الله من الإيقاع بين الحكام والصحوة ما لا يخفى، بل ما صرح به هو تحريض مباشر واستعداء على الصحوة جريء وجهير، وقد فات الدكتور خلف الله أو فوّت على نفسه أن يدرك أن الإسلام حركة بناء وتوجيه وإعادة صياغة للإنسان ليلتئم مع الوجود حينما يلتزم شرع الله ويُجْري أحكامه على حياته.

الاتجاه الثاني: ترويج اليسار لمصطلحات ليس لها دلالات كلمة الصحوة:

لقد وازى جهد اليسار في انتقاد مصطلح الصحوة جهد آخر استهدف إشاعة مصطلحات أخرى بديلة لا تعني بتاتًا ما تعنيه كلمة الصحوة، وإنما تحاول أن توحي في خفاء ومواربة شديدين مضامين هي إدانة صريحة للصحوة. ولعل أكثر التسميات تداولاً وشيوعًا تسمية «الأصولية» وهي تسمية تكاد تكون معترفًا بها ومستعملة من جهات شتى بما فيها الجهات الليبرالية.

---

(١) أحد اليساريين المصريين الذين عادوا الصحوة وأهلها طويلاً.

(٢) الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي - مقال الصحوة الإسلامية في مصر، د. محمد أحمد خلف الله ص: ٣٨.

والأصولية التي أريد لها أن تكون البديل عن الصحوة[1]، تسمية لا يمكنها أن تكون العوض أو البديل، لعدة اعتبارات موضوعية: منها أنها لا تحمل نفس المضامين والمعاني التي تتغياها حركة الصحوة؛ لأن كلمة الصحوة تشير إلى حالة انبعاث واستيقاظ، وإلى موقف من موجة التغريب التي هي عند غير الإسلاميين يقظة وشروق فيما هي عند الإسلاميين حالة تغريب وتذويب الشخصية الإسلامية، وعلى هذا تكون تسمية الصحوة إدانة مباشرة لعملية إلحاق المجتمع الإسلامي بالنموذج الغربي بتوجهيه الليبرالي واليساري على حد سواء.

ومما يوجب أيضًا اطراح تسمية الأصولية أنها اصطلاح منبثق عن وضع حضاري هو غير الوضع الإسلامي، فالأصولية في الفكر المسيحي اتجاه بروتستانتي يؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة في الكتاب المقدس.

ويدعي أفراده التلقي المباشر عن الله، وهم يؤمنون باستخدام القوة والعنف من أجل الإلزام بالمعتقد.

فإن كانت هذه هي مواصفات الأصولية البروتستانتية، فإن من شأن العقول السليمة والطباع المنسجمة أن تنفر منها لكونها تنبني على تصورات خرافية إذ تجمع بين عصمة كتاب يعرف الناس عنه أن الأيادي قد عبثت به واعتوره نقص وزيادة، وبين دعوى التلقي المباشر عن الله مما يمنح أصحابه فرصة الافتيات والتقول على الله، وهم مع ذلك يتوسلون إلى فرض هذه الآراء السخيفة بالعنف الذي لا مدخل له في مجال الإقناع ومخاطبة العقل[2].

رأي اليسار في بواعث ونشأة الصحوة:

وقال الأستاذ مصطفى بن حمزة: على نحو ما أبدى كتاب اليسار رأيهم في أصل تسمية «الصحوة» فقد كان لهم أكثر من رأي وهم يحاولون تحديد بواعث ودوافع ظهور الصحوة

---

(١) كأن مصطلح الأصولية سابق في الاستعمال والانتشار مصطلح الصحوة وليس بديلاً عنه، إلا أن يكون الأمر في المغرب على العكس من المشرق، والله أعلم.

(٢) «الصحوة الإسلامية واليسار العربي» بحث مقدم للجامعة الصيفية للصحوة الإسلامية.

في هذا الظرف بالذات، وقد أرجعوها إلى أكثر من عامل، منتهجين في كل ذلك المنهج المادي الذي لا يعير الباعث الروحي أي عناية. . .

لقد أرجع الدكتور فؤاد زكريا[1] في مقالاته عن الصحوة بروزها إلى أسباب منها: تدني المستوى الثقافي والمعرفي للأمة الذي يقابله في الطرف الآخر فشل الأنظمة الليبرالية والاشتراكية في العالم الإسلامي، فلما أخفقت هذه الأنظمة سَهُلَ على الناس الاقتناع بوجود الحلّ في العودة إلى الإسلام، ولقد حدث المحظور فبرزت الصحوة في السبعينيات فكانت لها نتائجها السلبية[2].

ولأدع فؤاد زكريا يتحدث فيقول:

«إن الدعوات والأنظمة الليبرالية والاشتراكية لم تلق استجابة كبيرة بين جماهير البلدان العربية الإسلامية؛ ولذا اتجه مفكرون كثيرون في السنوات الأخيرة للبحث عن البدائل، وتوصل بعض هؤلاء إلى أن الإسلام هو الحل، ولا يعتبر ذلك أمرًا مستغربًا، لكنه على أي حال حدث مؤسف من حيث النتائج والتصورات الإسلامية التي ظهرت كبدائل رجعية ومتخلفة في أكثرها رغم دعواها العريضة، فالذين ينشرون هذا الفكر ويعتبرونه صحوة ويقظة يدعون في الحقيقة إلى الغفوة والغفلة والسُّبات»[3].

ومؤدى رأي فؤاد زكريا أن الصحوة ليست إلا وعيًا مغلوطًا يتمسك به ضعفاء الرصيد الثقافي ومنحطو المستوى الفكري. . .

وهي قولة تشبه إلى حد بعيد مقالة الكفار في معتنقي الإيمان على زمن الأنبياء السابقين، فقد قال قوم نوح لنبيهم: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧].

---

(١) أستاذ جامعي مصري متخصص في الفلسفة. قضى حياته علمانيًا يساريًا مخاصمًا للتيار الإسلامي ولكل ما له صلة بالإسلام الشامل، متصديًا له بكل ما يملك. هلك سنة ١٤٣٠/ ٢٠١٠ عن ٨٣ سنة.

(٢) عن مقال ألكسندر فلورس «فؤاد زكريا وجدالياته للظاهرة الإسلامية المعاصرة» ص ١٩١، مجلة الاجتهاد، عدد ٥، من السنة ٢/ ١٩٨٩.

(٣) نفس المقال ص: ١٩٢.

ومنذ يؤمئذ والجاحد بالدين يتيه في صلف على المستجيبين للحق بدعوى أن أهل الكفر هم على الدوام أهل الألمعية والفطنة والذكاء، وقد قال مشركو مكة عن سبق المؤمنين إلى الإيمان: ﴿لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وبعد تحديد فؤاد زكريا الإطار الفكري الذي أنتج الصحوة الإسلامية ومكن لها، فإن اليساريين يحاولون جاهدين وضع الأصبع على الجهات التي كان لها الدور الأكبر في المساعدة على إبراز الصحوة -بزعمهم-، وهي جهات مشبوهة، لها المصلحة في إيجاد الصحوة واستخدامها، وهم يركزون على جهتين:

- **أولاهما:** الأنظمة العربية والإسلامية الرجعية.
- **وثانيهما:** الولايات المتحدة الأمريكية التي لها شغف بإحباط كل المحاولات التقدمية في البلاد الإسلامية.

يقول الدكتور محمد أحمد خلف الله، مشيراً إلى مسؤولية الأنظمة المحافظة في تدعيم الصحوة -:

«والنظم المحافظة تلعب دورها عن طريق المال والسلاح، تقدمهما للقادة ليعملوا في سبيل ضرب حركة التقدم وبخاصة الديموقراطية والاشتراكية، ذلك كله حتى لا تنتشر العدوى وتطالب النظم المحافظة بالأخذ بأسباب التقدم وممارسة الحياة على أساس من الديموقراطية السياسية والاشتراكية الاقتصادية والتحرر الاجتماعي»[1].

أما عن ربط نشوء الصحوة بالمعسكر الرأسمالي وبأمريكا على وجه الخصوص فذلك موضوع أريق فيه مداد كثير وأجهد اليسار فيه نفسه أيما إجهاد من أجل وصل خيوط بين الغرب والصحوة لإثبات عمالتها وتبعيتها، واضطلاعها بدور المحجم للمد التقدمي العربي، يقول د. خلف الله:

---

(١) الحركات الإسلامية المعاصرة- مقال الصحوة الإسلامية - محمد أحمد خلف الله، ص ٨٤.



«والنظم الرأسمالية كأمريكا مثلاً تلعب دورها عن طريق توظيف الجماعات الدينية في ضرب الاشتراكية والناصرية وما إلى ذلك من النظم التي تحارب الرأسمالية والانفتاح الاقتصادي»[1].

ويذهب د. فؤاد زكريا إلى أن أمريكا هي التي روجت مصطلح الصحوة وأغرت باستعماله، لما يؤدي إليه ذلك من صرف للنظر عن التشوف إلى الوعود التقدمية[2].

وحجة د. فؤاد زكريا انشغال الولايات المتحدة بالصحوة وتمويلها البحوث الكثيرة لمتابعة الظاهرة ومواكبة تطوراتها.

ولست أرى كيف يمكن أن يستدل استدلالاً منطقيًا على أن اهتمام أمريكا بالصحوة وإنجازها البحوث عنها يفيد أن أمريكا هي باعثة الصحوة وصانعتها، وقد كان منطقيًا أن يقال: إن أمريكا جاهلة بحقيقة الصحوة غائبة عن تشكيلاتها وعن أهدافها ومقاصدها القريبة والبعيدة، وهي لذلك تسخو بالمال من أجل أن تعرفها.

إن ظاهرة الصحوة قد اجتذبت الأنظار إليها بقوة وحملت المعسكرين الشرقي والغربي على متابعتها مُضيًا منهما على سنتهما في ملاحقة كل ما هو إسلامي بالبحث والدراسة، بغية الإعداد للسيطرة عليها إعدادًا منهجيًا، وإلا فإن مراكز الاستشراق وكراسي الإسلاميات في الجامعات الأوربية والأمريكية ليس لها إلا هذا الدور.

إن تعمد الربط بين الصحوة الإسلامية وبين الولايات المتحدة الأمريكية إن هي إلا محاولة لتشويه صورة الصحوة الإسلامية، وللنيل منها، وهي لهذا أدخل في باب الدعاية والحرب النفسية منها في باب البحث المتجرد الذي يتوخى الحق ويطلبه.

---

(١) المرجع السابق، ص٨٤.

(٢) «الصحوة الإسلامية في ميزان العقل» فؤاد زكريا، ص١٥٠.
والوعود التقدمية أي الوعود الاشتراكية والشيوعية والناصرية مما كانت تسمى تقدمية، ويطلق على الأنظمة المحافظة: رجعية، وقد ذهبت هذه المصطلحات إلى مزبلة التاريخ فلم يعد لها اليوم رواج.

رأي اليسار في برنامج الصحوة الإسلامية:

إن الناظر فيما كتبه اليسار عن الصحوة يروعه هذا الإصرار العجيب على إظهار الصحوة بمظهر الدعوة الساذجة الفارغة من أي مضمون فكري أو برنامج تنموي تدعو إليه.

ويتملك المرء العجب حين يقارن بين مقولة السذاجة هذه وبين الاهتمام الكبير والملاحقة الكبيرة للصحوة من قبل اليسار.

فلو أن اليسار آمن بأن الصحوة فارغة المضمون، عقيمة من كل عطاء لكان مجرد الإغضاء عنها كافيًا دون أن يجشم نفسه مشقة وضع الكتب وكتابة المقالات في الرد على البرنامج الذي تدعو إليه.

إن كتاب اليسار يوشكون أن يطبقوا على المناداة بفراغ الصحوة، وقد يكون أقلهم تجنيًا أولئك الذين اختاروا أن يقولوا إن الصحوة ليس لها برنامج سياسي يوقف الاستبداد ويحفظ الكرامة ويرفع المعاناة عن المضطهدين.

إن كتاب اليسار يدركون إدراكًا جيدًا أن برنامج الصحوة من قبيل السهل الممتنع؛ لأنه في ظاهره مجرد دعوة ساذجة إلى الاحتكام إلى شرع الله دون مراعاة لخصوصيات العصر، وهو في عمقه دعوة إلى إعادة ترتيب كل الأوضاع بما فيها الأوضاع السياسية والاقتصادية ترتيبًا جديدًا مؤسسًا على احترام شريعة الله والوقوف عند أمر الله ونهيه.

وبقدر ما يزداد وعي اليسار بهذه الحقيقة يزداد تخوفًا من أن يفلت الزمام فتجري الأمور مجرى آخر يعاد فيه الاعتبار إلى شرع الله ويحتكم إليه.

لقد أفصح بعض كتاب اليسار عن رفضهم للبرنامج الذي تدعو إليه الصحوة، بل أعلنوا عن ازدرائهم له ودبجوا في ذلك المقالات التي لا أشك أن غير المتبصر قد تنال من فكره منالاً، يقول الدكتور فرج فودة في كتابه: «الحقيقة الغائبة» مشنعًا على الدعوة إلى تطبيق شريعة الله:

«إن صلاح المجتمع أو حل مشاكله ليس رهنًا بالحاكم المسلم الصالح، وليس رهنًا



بتمسك المسلمين جميعًا بالعقيدة وصدقهم جميعًا وفهمهم لها، وليس أيضًا رهنًا بتطبيق الشريعة الإسلامية نصًا وروحًا، بل هو رهن بأمور أخرى أذكرها لك في حينها»(١).

وهذه الأمور التي رهن بها الكاتب صلاح المجتمع هي ضرورة التوفر على نظام للحكم يحاسب الحاكم ويطالبه بالعمل.

وقد لا تجد قولاً أكثر هزالاً من أن يقال: إن الأمة ليست في حاجة إلى إنسان صالح وإنما هي في حاجة إلى نظام صالح وكأن الأنظمة تسير في غيبة الإنسان ودون حضوره.

إن اعتقاد أن الصلاح كله هو منوط بوضع برنامج للحكم هو اعتقاد قاصر أو هو قول استهلاكي مقصود؛ لأن تحقيق العدالة الاجتماعية وضمان حقوق التعبير ليس هو كل شيء بل هو زاوية مما يعتني به الإسلام، وإلا فإن شعوبًا كثيرة في أوربا وأمريكا تملك أمرها وتمارس حريتها، ولكنها مع ذلك تعيش الفاحشة وتعرف تدمير إنسانية الإنسان، وتعييها الحيلة في محاربة المخدرات، ويعجزها أن تطوق آثار فوضى الجنس، وهي مع ذلك وإن كانت تسعد بحريتها لا تعترف لشعوب أخرى بحقها في أن تعيش حرة بأخذ مكانها تحت الشمس.

فهل يا ترى تقتصر مطالب اليسار على مجرد تحقيق العدل السياسي ويسكت هذا اليسار عن سائر جوانب السلبية في حياة تلك الشعوب الحرة الممارسة لإرادتها.

إن برنامج الصحوة أشمل مما يقول فرج فودة، وهو برنامج طموح يعالج الفرد والمجتمع، وقد يكون اليسار على علم بشيء من هذا وقد لا يصرفهم عنه إلا أنهم لا يتفقون مع الإسلام في معاييره في أن ما حرمه الله حرام، ولا يرون بأسًا بكل مظاهر التفسخ؛ لأن ذلك ليس شيئًا خطيرًا ما دامت الديمقراطية مطبقة»(٢).

هذا وقد انحسر اليسار الآن عقب سقوط الاتحاد السوفيتي في نهاية القرن الماضي -ولله الحمد والمنة- ولم يعد له ذلك الزخم والسيطرة على الشارع الإسلامي كما كان الحال عليه في الماضي، ولكن بقيت له بقية من باحثين ومفكرين أكل عليهم الدهر وشرب، ويلوكون

(١) الحقيقة الغائبة - د. فرج فودة ص: ٢٢- ط النجاح الجديدة ١٩٨٩م.
(٢) «الصحوة الإسلامية واليسار العربي» بحث مقدم للجامعة الصيفية للصحوة الإسلامية.

كلامًا هم أعلم الناس بأنه ليس له من الحق أو العقل نصيب، وكثير من أهل اليسار أصبح اليوم وقد ركب الموجة، وتلبرل -أي أصبح ليبراليًا- وصار يُسبِّح بحمد الغرب، وياللعجب.

موقف الغرب من الصحوة:

كان للغرب موقف معاد من الصحوة سياسيًا وعسكريًا وإعلاميًا، قال د. حسن الترابي موضحًا عداوة الغرب للصحوة: «أخذ القلق بالغرب كل مأخذ من مظاهر الأصولية الإسلامية، يَمدُّ أهله رعبٌ دفين وضغائن قديمة وخوف من اختلال موازين النظام العالمي بما يهدد مصالحهم المكتسبة، وأخذوا يحسبون كل تطور لحساب الإسلام القادم، وكل صيحة من المسلمين عليهم، ويرهبون قوة موهومة للنفط العربي والمصارف الإسلامية وقنبلة ذرية إسلامية مزعومة، ويفزعون من كلمة الجهاد وشعار الشريعة.

إذا أراد الله أمرًا هيأ له الأسباب وسخرها من حيث لا يحتسب الناس، فقد حمل الإعلام الغربي الطاغي أخبار التطورات الإسلامية وفصل مغازيها، فعدّى أثرها بذلك إلى كل مسلم في الأرض، وتداعت الصحوة في كل مكان، وأصبحت الحملة الدعائية الغربية لا تزيد المسلمين إلا تذكيرًا وتثبيتًا، بل أصبح أكثرُ المسلمين عرضة للدعاية الغربية أقربهم تذكرًا، ومتابًا إلى الإسلامية.

هكذا أصبحت الصحوة الإسلامية قدرًا تاريخيًا غالبًا، يحاول الغرب والشرق وأولياؤهم وأدها بالتعليم اللاديني والتحديث الحضري المادي، فإذا بها تزدهر في المنابت الغربية والمعاهد الغربية كما نبت موسى عليه السلام في بيت فرعون، ويحاولون أن يتفهموا قوانين اندفاعها ليحتووها، فيعجزهم فهم ظاهرتها الدينية الشفافة وتخذلهم معاييرهم المادية غير المناسبة، ويعمدون إلى كبتها بالقوة بتغليظ الاضطهاد ووأد الديمقراطية إن أباحت لها سبيلاً، فما تزداد إلا صلابةً وثورةً وجهادًا، ويحرّضون على ضرب الحركات والأحزاب والمؤسسات والأُطر التنظيمية التي تربّيها، فإذا هي منبثة في ثنايا المجتمع عفوًا بأوسع من كل إطار، بادية وراء كل ستار»[(١)].

---

(١) «الحركة الإسلامية في السودان»: ١٦.

وقد بين الأستاذ أنور الجندي - رحمه الله تعالى[1]- موقف الغرب من الصحوة فقال:

«يقول الدكتور حامد ربيع: إن الصحوة الإسلامية لم تكن مفاجئة للقيادات الفكرية العالمية فقد توقعوها منذ أكثر من ثلاثين عامًا، بل هناك من توقعها منذ أكثر من ستين عامًا.

١- العالم الأمريكي سميث في جامعة مونتريال في كتاب له أسماه «الإسلام اليوم» صدر في الخمسينيات ولفت نظر المسئولين في بلاده إلى هذه الصحوة.

٢- العالم الإنجليزي دات في تحليله للإسلام في العصور الوسطى صدر ١٩٦٤، توقع هذه الصحوة ووصفها بأنها سوف تعود إلى أيديولوجية رابعة ستحكم في العالم المعاصر في نهاية القرن الحالي.

٣- أخطر وثيقة بهذا الخصوص تعود إلى عالم روسي هو (تروجافوسكي) كتب مجموعة مقالات في أعقاب الثورة الشيوعية محاولاً تقييم هذه الثورة ومتسائلاً: متى وأين تأتي الثورة العالمية الثالثة (مشيرًا إلى الثورتين الفرنسية والشيوعية) وإلى أن كليهما قد فشلت في ناحية معينة وأن العالم في حاجة إلى ثورة قادمة تستطيع أن تصحح من مسارات الحركة الإنسانية، ويجيب بأن هذه الثورة لن تأتي إلا من العالم الإسلامي (كتب ذلك عام ١٩١٩).

وقد دفعت الصحوة المفكرين والخبراء السياسيين في العالم كله إلى إعادة النظر في قضايا الأمة الإسلامية: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أساس البحث عما إذا كانت الصحوة الإسلامية التي يمر بها المسلمون اليوم هي صحوة حقيقية.

كذلك فقد جرى البحث حول التعرف على الوسائل التي يتخذها الغرب (ديمقراطية وماركسية وصهيونية) لمواجهة هذه الصحوة والنفاذ إليها وضربها في الصميم والقضاء عليها قبل أن تكتمل بإجهاضها، أو الانتظار عليها حتى تقع.

---

(١) أحد كبار المفكرين والكتاب والمصريين، كتب مئات الكتب-وكثير منها مهم ومتفرد- لكنه لم يوف حقه من التعريف والإشهار. توفي سنة ١٤٢٢/ ٢٠٠٢ عن عمر يناهز ٨٥ سنة رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في الويكيبيديا.

ومنذ وقت طويل تحاول هذه القوى النظر بعين القلق إلى حركة اليقظة الإسلامية وتعويقها ومحاصرتها، وإشاعة الأكاذيب حول أصالتها والادعاء بأنها بريق خاطف، بل لقد بلغ الأمر ببعض المستشرقين إلى القول بأن الإسلام لا يستطيع أن يعيش، وأن الحضارة الغربية قادرة على إشاعة روح التحلل فيه وتمزيقه.

ولقد كانت تحركات النفوذ الأجنبي بالغة العصبية والعنف في السنوات الأخيرة من أجل القضاء على بعض مظاهر اليقظة التي أخذت طريقها إلى تأكيد وجودها وخاصة في بعض أقطار الأمة الإسلامية، كما حدث في أفغانستان وتركيا...

وقد انكشفت من خلال تقارير غربية كثيرة محاولات القوى الغازية في احتواء الصحوة أو إجهاضها أو إيقاف مسيرتها:

١- يقول أحد الكتاب الغربيين اسمه كونيل، إن مسألة الخوف من البعث الإسلامي أو المد الإسلامي هو خوف يؤرق الفكر السياسي في أمريكا ويبحث عن وسيلة تخطط لإضعاف هذا المد.

واقترح الكاتب أن تكون الوسيلة لضرب هذا المد من داخله لا من خارجه حتى يتعصب المسلمون ضد المسلمين، أي أن أسلوب الحرب يجب أن يكون بتقويض المسلمين من الداخل، واقترح الكاتب خطة ضالة للسيطرة على العالم من داخله واحتواء مجالات بعثه.

وعلقت الصحف الأمريكية على التقرير، وجاء في الحوار الدائر حول هذا الموضوع أن أكثر وسيلة لإضعاف المد الإسلامي أن يترك المجال مفتوحًا أمام تطبيق الإسلام بلا منهج ولا وضوح بواسطة مستغلين له حتى تسوء التجربة وتكون النتيجة هي التخلي عنها ونبذ الفكرة نهائيًا.

ولقد وضع هذا الرأي أمامه ما حدث لشعارات القومية العربية التي طبقت بشكل خاطئ وكانت النتيجة هي التخلي عن الفكرة[1].

---

(١) «من اليقظة إلى الصحوة» ١٢٧-١٣٢.



تحريض الإعلام الغربي على الصحوة وتشويهه لها:

تناول الإعلام الغربي الصحوة تناولاً شاملاً معبراً عن قلقه منها، وفي ذلك قال أحد الباحثين:

«انشغل الإعلام الغربي بقضية المد الإسلامي أو البعث الإسلامي في العالم، وكانت النغمة التي سادت هذا الإعلام هي التشويه الممزوج بالتحريض.

أما التشويه فبوصف العاملين للإسلام بأنهم متطرفون جامدون متعصبون، حاقدون على المسيحيين. وأما التحريض، فإن الإعلام الغربي لا زال يردد - منذ سنوات - قوله للحكام: إنكم بسكوتكم عن (الإسلاميين) كمن يحاول أن يسد ثقب السد بأصبعه (على حد تعبير جريدة الإيكونومست البريطانية).

وقد حاولت - وتحاول - وسائل الإعلام الغربي باستماتة تهميش القضية الإسلامية والتقليل من شأن الأهداف الإسلامية، وقطعها عن محورها العقيدى، وخلفيتها التاريخية وصفتها الجماهيرية ومحاولة حصرها في إطار فئة أو تنظيم أو جماعة تسعى لتشويه صورتها وبذلك تعزلها عن حياة الأمة وأهدافها وتاريخها...

فالغرب الذي يريد من العالم الإسلامي أن يسير في فلكه لا يتصور أن يكون للمسلمين نظامهم السياسي المتميز، ولا منهجهم الاقتصادي المستقل ولذلك فكل دعوة لهذه الاستقلالية تشكل خطراً عليه.

وهكذا صرنا نقرأ: «إن البعث الإسلامي يقلق العالم»، وهي عبارة أطلقتها جريدة «الهيرالد تربيون» يوم ٢٥-١١-١٩٧٨ ثم لاكتها الأقلام في شتى صحف العالم الغربي التي أبرزت تخوفها الدفين من الإسلام....

وسمع العالم الغربي -لأول مرة- أن لهذا الإسلام برنامجاً متكاملاً ونظرية تامة لإقامة مجتمع فريد، واطلع أهل الرأي منهم على تلك البرامج الإسلامية.

لذلك فقد عمد الإعلام الغربي -في عملية شاملة لقلب الحقائق- إلى تصوير الصحوة الإسلامية على أنها «حركة رفض وإنكار لواقع عالم اليوم وحضارته المادية دون تقديم بديل مناسب».

ولقد تصور الغرب أن الصحوة الإسلامية قضية عارضة من السهل احتواؤها والقضاء عليها لأنها -في تصوره- «جاءت كرد فعل نتيجة لظروف طارئة»، ومع ذلك مما يخشاه الغرب هو المد المتواصل والاستمرارية. . .

وفي هذا الاتجاه من التحليل سار الإعلام الغربي، لقد تبين للغربيين كما تقول جريدة «كوريردي لا سيرا» (مايو ١٩٧٩) إن «الإسلام وحده يقوى وينتشر، الإسلام له أتباع في كل مكان من اليمن إلى موريتانيا، في إفريقيا تسعة يدخلون الإسلام مقابل شخص واحد يتنصر، بذور الإسلام بدأت في أمريكا، مناراته تتعالى في باريس ولندن وقريبًا في روما، روسيا هي الدولة الخامسة من حيث تعداد المسلمين، لا يصطبغ الإسلام بصبغة استعمارية مثل الديانة المسيحية، ومع نمو الإسلام وحيثما نظرت تجد الأصوات تنادي بالجهاد، ومع هذه الأصوات بدأ الخوف والخشية في العالم». . .

وقد أصر الإعلام الغربي -بكل وسائله- على إطلاق مصطلح «الأصولية» (FUNDAMENTALISM) وشاع هذا المصطلح حتى عند بعض الكتاب المسلمين ظنًا منهم أن اللفظ معناه الرجوع إلى الأصول، وليس الأمر كذلك -كما علمنا-.

فالأصولية عند الإعلام الغربي توازي التطرف المصاحب للعنف والجمود والتعصب والرجعية، وهي أوصاف يحلو للإعلام الغربي أن يصف بها حركة الصحو والمد.

إن المتتبع لسير الإعلام الغربي بعامة والكنسي بخاصة يلاحظ أن النية تتجه إلى نشر الرعب- من مجرد تخيل النتائج المستقبلية لليقظة - في نفوس أبناء الغرب؛ لتحريضهم ضد الإسلام وهو بذلك يهدف إلى ضرب الصحوة في بلاد المسلمين؛ وفي ديار الغرب بصفة خاصة، فالغرب إذا كانت ديمقراطيته قد ضمنت للمسلمين -من مواطنين ومقيمين- الحق في القيام بنشاطهم الإسلامي بحرية، فإن الشعوب الغربية تقبل تلك الحرية ما لم يكن



هناك إرهاب ولا تطرف؛ ولذلك فإن وصف الحركة الإسلامية بتلك الصفات المنفرة يسهل عملية تحجيمها تمهيدًا للقضاء عليها.

والواقع أن الإعلام الغربي أصر ويصر على أن يجعل الإسلام مساويًا للتطرف، والباحث المدقق يستطيع أن يصل إلى النتيجة أن مصطلح (التطرف الإسلامي) لم تعرفه وسائل الإعلام الغربية إلا عندما نادى رواد حركة الصحوة المعاصرة بالحل الإسلامي لمشكلات الناس في مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة من خلال نماذج تطبيقية وعملية، فاعتبر هذا الطرح تطرفًا يزعج الغرب»[1].

وقد يلحظ القارئ أن موقف الغرب والشرق مضاد للصحوة منذ بداية تعاظمها وانتشارها، وما ذكرته على أنه قديم إلا أنه يظل صالحًا للتمثيل به إلى يوم الناس هذا، بل قد اشتدت عداوتهم للصحوة وأهلها بعد أحداث الربيع العربي الجليلة، فاشتد هجومهم على الصحوة وأهلها، والله المستعان.

●●●

(١) «جمهرة أبحاث ودراسات»: ١١٨-١٣٥.

الفصل الأول:

جذور الصحوة وأسبابها وبداياتها

المبحث الأول
جذور الصحوة

الصحوة الإسلامية حدث جليل جاء بعد عدة قرون من الظلم والظلام والتخلف، فمن المعلوم أن الدولة العثمانية كانت مهيمنة على كثير من بلاد الإسلام، فلما كانت قوية مرهوبة الجانب عاش المسلمون في عزة ومنعة، لكن لما ضعفت وتراجع أثرها تأثر المسلمون بذلك الضعف تأثرًا ظاهرًا.

ولقد بدأ تراجع الدولة عقب وفاة السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٧٤هـ وقد كان أعظم سلاطين الدنيا في زمانه، وأقوى حاكم في الأرض، والإمبراطورية العثمانية لم يستطع القائمون عليها أن يحافظوا على قوتها بعد وفاة السلطان سليمان، وأخذت الدولة في التراجع إلى أن استولى عليها الضعف في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ثم سقطت في القرن الرابع عشر / القرن العشرين [١].

وفي وقت ضعفها برزت حركات إصلاحية ورجال مصلحون حاولوا بما يستطيعون وبما يملكون من وسائل آنذاك إيقاظ المسلمين من غفلتهم وتصحيح مسارهم، وفي كل تلك الحركات والدعوات ورجال الإصلاح ملاحظ على مناهجهم وطرائقهم ليس هذا هو مكان التوسع في إيرادها فلذلك مظانه المعروفة، إنما المراد الآن بيان أن تلك الحركات وأولئك المصلحين كانوا هم الجذور الحقيقية للصحوة الإسلامية ثم الربيع العربي الذي كان نتيجة طبيعية للصحوة.

---

(١) ينظر للتوسع في هذا الموضوع كتاب «الدولة العثمانية المفترى عليها» للدكتور عبدالعزيز الشناوي رحمه الله تعالى، وهو من أجود الكتب في موضوعه.

حركات الإصلاح:

تلك الحركات بإيجاز هي:

١ - حركة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب[١] رحمه الله تعالى في نجد في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

وهي حركة عُنيت بنشر التوحيد ومحاربة البدع، وقد امتدت تلك الحركة وتوسعت سياسيًا وعسكريًا لتشمل أكثر أجزاء جزيرة العرب، وتأثرت بها الدولة الزيدية في اليمن، ودولة سيدي المولى سليمان سلطان المغرب، وتأثر بها علماء لا يحصون في العراق ومصر والهند والسودان وغيرها، وهي باقية إلى يوم الناس هذا[٢].

٢-حركة الشيخ محمد بن علي السنوسي[٣] في ليبيا في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

وهي حركة صوفية لكنها نحت نحو التعليم الشرعي والجهاد، وانتشرت في ليبيا وتشاد وأجزاء من غرب جزيرة العرب وغيرها، ونجت تلك الحركة من بدع الصوفية الغليظة،

---

(١) هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميميّ النجديّ، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب: ولد سنة ١١١٥هـ في العُيَيْنَة من نجد، ورحل مرتين إلى الحجاز فمكث في المدينة مدة قرأ بها على أعلامها. وزار الشام ودخل البصرة. جرت له حوادث كثيرة حتى قصد الدرعية سنة ١١٥٧هـ فتلقاه أميرها محمد ابن سعود بالإكرام وقبل دعوته وآزره وقاتل هو وأبناؤه من خالفه، واتسع نطاق ملكهم. وكانت دعوته قد انتقلت فكريًا إلى أجزاء من العالم الإسلامي. وأحفاده اليوم يعرفون بآل الشيخ. له عدة مصنفات. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٠٦. وانظر «الأعلام»: / ٢٥٧٦.

(٢) انظر لمعرفة هذا كتاب «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» تأليف د. مانع الجهني، نشر دار «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» الرياض، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٨ الجزء الأول ص ١٧٠.
وانظر كذلك كتاب «محاولات الإصلاح والتغيير في العالم العربي المعاصر وموقف الدعوة الإسلامية منها» وهي في الأصل رسالة دكتوراه للباحث د. علاء سعيد، نشر دار شروق - مصر- المنصورة الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧. ص ٥٠٣.

(٣) عالم جزائري. ولد في مستغانم بالجزائر سنة ١٢٠٢ / ١٧٨٧. طلب العلم في بلاده ثم ارتحل وحج، ثم ألقى عصا الترحال في ليبيا، وكان مركز دعوته في الجبل الأخضر. توفي -رحمه الله تعالى- في الجغبوب في ليبيا سنة ١٢٧٦/ ١٨٥٩. انظر «مختصر الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية».



وكان لها آثار نافعة إلى أن قضى عليها الاستخراب الإيطالي والفرنسي، ثم لما قامت مرة أخرى زمان الملك إدريس السنوسي[1] قضى عليها تمامًا الهالك معمر القذافي في ثورة جاهلية في ليبيا في القرن الماضي، ولم يعد باقيًا منها اليوم إلا آثار علمية مكتوبة، وبعض رجال ينتسبون إليها[2].

٣- حركة المهدي[3] في السودان في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وهي حركة صوفية أيضًا، وقد كان للقائم عليها آثار حميدة في جهاد الإنجليز لكنه زل وادعى أنه المهدي المنتظر، وناوأ الدولة العثمانية.

وأتباعه اليوم باقون في السودان فيما يعرف بالأنصار لكن غلب عليهم التصوف والدروشة، ورؤساؤهم علمانيون في الأغلب[4].

٤- حركة الشيخ عثمان بن فودي العالم المالكي الفولاني أو الفَلاّتي، في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وهي حركة إصلاحية قامت في نيجيريا وامتدت لتشمل أجزاء من وسط وغرب إفريقيا، وهي حركة جهادية علمية شرعية فيها شيء من التصوف، وعُنيت بمحاربة البدع والخرافات، ونشر التوحيد، وجهاد المشركين ومن عاونهم من سلاطين المسلمين في تلك البقاع، ثم قضى عليها الإنجليز في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

---

(١) هو حفيد محمد بن علي السنوسي. ولد في واحة الجغبوب سنة ١٣٠٧/ ١٨٩٠. وهو أول حاكم لليبيا بعد الاستقلال عن إيطاليا. قام عليه القذافي في انقلاب مشؤوم سنة ١٣٨٩ / ١٩٦٩. فانتقل إدريس إلى منفاه في مصر، وتوفي بالقاهرة ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

(٢) انظر في الحركة السنوسية كتاب الشيخ علي الصلابي الذي خصص لها، وكتاب «محاولات الإصلاح والتغيير»: ص ٥٧٧-٥٩٨، وكتاب «الموسوعة الميسرة».

(٣) محمد بن أحمد بن عبدالله، المهدي السوداني. ولد في جزيرة تابعة لدنقلة في السودان سنة ١٢٥٩/ ١٨٤٣ من أسرة حسينية النسب. تعلم على يد أبيه ثم درس في الخرطوم، ثم انقطع في جزيرة أبا في النيل الأبيض ١٥ عامًا للعبادة والتدريس وكثر مريدوه واشتهر بالصلاح. ثم ادعى المهدية سنة ١٢٩٨.
وصار أتباعه يدعون إلى الجهاد، ودخل في معارك مع المصريين وقوادهم من الإنجليز فانتصر عليهم جميعًا ودان السودان كله له، وكان خطيبًا فصيحًا قوي الحجة. مات في أم درمان سنة ١٣٠٢/ ١٨٨٥ متأثرًا بالجدري وقد أوصى بالخلافة من بعده لعبدالله التعايشي. انظر «الأعلام»: ٦/ ٢٠.

(٤) انظر «محاولات الإصلاح والتغيير»: ص ٥٨٥، و«الموسوعة الميسرة».

٥- **حركة بديع الزمان النورسي**[(١)]: ظهرت ردًا على تطرف الهالك مصطفى كمال أتاتورك في حرب الإسلام والمسلمين، وهي حركة معتمدة على النظر في كتب ورسائل الأستاذ بديع الزمان النورسي، ولها امتداد اليوم في عامة تركيا، وانقسمت الحركة إلى أربع أو خمس حركات أو جماعات ولكل منها منهجها وطريقتها[(٢)].

---

(١) ولد سنة ١٢٩٣/ ١٨٧٦ في قرية نُورْس - فهو النُورْسي وليس النَوْرسي إذًا - وتقع هذه القرية في جنوب شرقي تركيا، وهي من مناطق الأكراد، وكان أبواه صالحين ورعين، تعلم بديع الزمان منهما الصلاح والورع.
درس في الكُتّاب، ثم انتقل من قرية إلى أخرى، ومن مركز إلى آخر ليدرس على المشايخ، وقرأ قراءة ذاتية مطولة، واستوعب كثيرًا من الكتب دراسة وحفظًا. في سنة ١٣١٤/ ١٨٩٧ ذهب إلى بلدة وان ليدرس فيها كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ، وتضلع من العلوم حتى لقب ببديع الزمان واعترف له العلماء بالتقدم والذكاء والمعرفة.
شارك في الجهاد في جبهة القفقاس في الحرب العالمية الأولى، وأسره الروس سنتين وأربعة أشهر، وأفلت من الأسر أثناء فوضى الثورة الشيوعية البلشفية سنة ١٩١٧، وعاد إلى بلاده فاستقبل استقبال الأبطال من الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية، ومنح وسام الحرب.
لما تولى الهالك مصطفى كمال السلطة في تركيا ألغى السلطنة العثمانية في ١/ ١١/ ١٩٢٢، ثم ألغى الخلافة في ٣/ ٣/ ١٩٢٤، ومنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدلت الأرقام والحروف العربية إلى اللاتينية، وحُرِّم الأذان بالعربية وصار بالتركية، وحظر الحجاب، وحظر طبع الكتب الإسلامية، وأرغم الرجال على لبس القبعات، وأُسست محاكم لإرهاب الناس عامة والعلماء والدعاة خاصة، ونصبت المشانق، وساد البلاد خوف ورهبة، ونشط الصحفيون في نشر الأخلاق السيئة، والاستهزاء بالدين، وانتشر الإلحاد، وصارت البلاد في مهب الريح، وهنا نفي بديع الزمان - في جملة من نفي - إلى مناطق مختلفة، ثم نفي إلى بارلا، وهي منطقة نائية، وجرت له عدة محاكمات أظهر فيها صنوفًا من الثبات والقوة واليقين.
عكف في منفاه على كتاب الله تعالى يستمد منه المعالم الأساسية للمنهج الذي ارتضاه في حياته، ويستمد منه الثبات والقوة واليقين، وفي أثناء هذه القراءة المطولة انقدحت في ذهنه معاني كثيرة جليلة سطرها في ١٣٠ رسالة عرفت باسم رسائل النور، وكان يمليها على من يرافقه، ثم استنسخها طلابه بخط اليد إلى أن بلغ المستنسخ ستمائة ألف نسخة !! ولم تجد طريقها للمطابع إلا بعد سنة ١٣٧٤/ ١٩٥٤.
انتشر طلابه في تركيا، وانتشرت إثر ذلك دعوته في تركيا وأجزاء من العالم العربي والإسلامي في حياته وبعد وفاته، وصارت هناك مؤسسة تنشر أفكار الشيخ، وصار هناك مئات الآلاف من المتلمذين على رسائله، وعقدت مئات الندوات والمؤتمرات التي تناقش فكره وتظهر شمائله.
توفي رحمه الله تعالى في ٢٥/ رمضان/ ١٣٧٩، ٢٣/ مارس/ ١٩٦٠، ودفن في مدينة أورفة، وبعد ٤ أشهر من وفاته نبشت السلطات قبره، ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة حتى الآن، فرحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه.
(٢) انظر كتاب «الموسوعة الميسرة».



٦-**حركة الإخوان المسلمين:** وتأسست في مصر في سنة١٣٤٦/١٩٢٨م، على يد الأستاذ حسن البنا[١] رحمه الله تعالى، ولها فروع في كثير من دول العالم، وتعد كبرى الحركات الإسلامية التي تأسست في القرون الثلاثة الأخيرة، ومنها تفرع عدد كبير من الاتجاهات والجماعات والحركات والهيئات، واتبع طريقتها ومنهجها من لا يحصون كثرة من العلماء والدعاة والمثقفين ولو لم يكونوا منتظمين في الحركة[٢].

٧-**حزب ماشومي الإسلامي «حركة محمد ناصر»[٣] في إندونيسيا** وكلمة ماشومي هي اختصار لـ: مجلس شورى مسلمي أندونيسيا:

٨- **الجماعات والهيئات السلفية الحديثة:** وهي حركات علمية شرعية سعت لعودة المسلمين إلى معين الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة وعُنيت بنشر الكتب وتعليم العلم الشرعي، ومحاربة البدع والخرافات، ومن هذه الحركات:

أ- أنصار السنة في مصر والسودان.

ب- الجمعية الشرعية في مصر.

ج- الجمعيات السلفية في شبة القارة الهندية (أهل الحديث).

---

(١) حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين. ولد سنة ١٣٢٤ في المحمودية -قرب الإسكندرية- ودرس بدار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتدريس وتنقّل في بعض البلاد متعرفًا إلى أهلها مختبراً طباعهم وعاداتهم. أنشأ دعوته في الإسماعيلية، ثم انتقل إلى القاهرة. نظم أمر أتباعه، وشاركوا في حرب فلسطين مجاهدين، ثم اصطدمت بهم الدوائر الاستخباراتية العالمية فسجنتهم وقتل الإمام سنة ١٣٦٨ رحمه الله تعالى في حادثة غادرة لئيمة. له بعض الرسائل النافعة وكثير من الآثار الباقية. وانظر «الأعلام»: ٢/ ١٨٣-١٨٤.

(٢) انظر «الموسوعة الميسرة» طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وانظر «الطريق إلى جماعة المسلمين» لحسين علي جابر، وانظر «محاولات الإصلاح والتغيير» للدكتور علاء سعيد ص ٦٦٨-٦٧٢ في باب المآخذ على الجماعة، وأما المزايا فعرضها من ص ٦٣٤-٦٦٧.

(٣) هو محمد بن ناصر بن إدريس داتو سيتاريو. ولد سنة ١٣٢٧/١٩٠٨ في جزيرة سومطرا. ترقى في المناصب إلى أن أصبح رئيسًا للوزراء. له عدد من المؤلفات والمحاضرات. توفي سنة ١٤١٣/١٩٩٣. انظر ترجمته في ويكيبيديا على شبكة الإنترنت.

ولا زالت تلك الجمعيات تعمل إلى يوم الناس هذا.

٩- **الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية:** أسسها أبو الأعلى المودودي[1] في سنة ١٣٦٠/ ١٩٤١، ومنهجها قريب من منهج جماعة الإخوان المسلمين، ولها اليوم وجود وعمل في الهند وباكستان وسريلانكا وبنجلاديش.

١٠- **جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية:** وقد نشأت في القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، وانتشرت لتعم أرجاء العالم، ولها أثر في الصحوة لا ينكر، ولها أعمال مبتكرة ساهمت في إسلام مئات الآلاف من الناس وهداية الملايين من المسلمين.

وكل تلك الحركات فيها تفصيل طويل لمناهجها وطرائق عملها وما فيها من مزايا وما يعتريها من نقائص، لكن ليس هذا مكان سردها ولتنظر في مكان آخر[2].

رجال الإصلاح:

أما الرجال الذين ظهروا وكان لهم أثر في الصحوة، ويعدون من جملة العوامل التي أبرزتها وأظهرتها فعدد كبير، وليس السياق كذلك صالحًا لإيراد مزاياهم ونقائصهم بالتفصيل؛ فإن لذلك موضعًا آخر، وكان منهم:

١- جمال الدين الأفغاني:

وهو يعد من أبرز رجال الإصلاح الذين حركوا الراكد، وأعملوا معاول فكرهم في الصروح الجامدة المتحجرة، وقد اختلف في حال هذا الرجل اختلافًا كبيرًا جدًا، فمن رافع

(١) هو أحد كبار دعاة باكستان، وأنشأ الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية. وحاز جائزة الملك فيصل العالمية. توفي - رحمه الله تعالى- سنة ١٣٩٩/ ١٩٧٩ ودفن في لاهور بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال. انظر «تتمة الأعلام»: ١/ ٧٣.

(٢) انظر - إن شئت - كتاب «الطريق إلى جماعة المسلمين» لعلي حسين جابر رسالة ماجستير قدمت للجامعة الإسلامية في المدينة النبوية المنورة، وكتاب «محاولات الإصلاح والتغيير في العالم العربي المعاصر وموقف الدعوة الإسلامية منها» للدكتور علاء سعيد، وكتاب «الموسوعة الميسرة» الذي أصدرته الندوة العالمية، وهناك سلسلة أبحاث متميزة في شأن تلك الجماعات أصدرها مكتب التربية لدول الخليج العربي، فلينظرها من شاء.



له إلى أعلى الدرجات، ومن خافض له إلى أسفل الدركات، لكن من المتفق عليه أن حركته في الأرض وتكوينه التلاميذ قد ترك أثرًا كبيرًا على الساحة الإسلامية، ولم أستطع أن أخرج برأي واضح في حال الرجل على كثرة ما قرأت في سيرته، فالله أعلم به.

٢- الأستاذ محمد عبده[١]:

وهو التلميذ الأثير لجمال الدين الأفغاني، وهو أيضًا ممن اختلفت فيه الأنظار، لكن بدرجة أقل من الأفغاني، وهو كذلك ممن لم أستطع أن أخرج برأي واضح فيه لكن من المتفق عليه أيضًا أن أعماله وأفكاره الإصلاحية كان لها أثر بالغ في الساحة الإسلامية وكان من الممهدين للصحوة الإسلامية[٢].

٣- الشيخ محمد رشيد رضا[٣]:

وهو تلميذ أثير مقرب للأستاذ محمد عبده، وقد لازم رشيد رضا الأستاذ محمد عبده إلى وفاته كهلاً سنة ١٣٢٥/ ١٩٠٥ ثم انفرد بعده في الساحة المصرية بل

---

(١) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال التجديد في الإسلام، ولد في إحدى قرى الغربية بمصر سنة ١٢٦٦، وتعلّم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر ثم تصوّف وتفلسف، وعمل في التعليم وكتب في الصحف، وتولى تحرير جريدة الوقائع المصرية، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين، ولما احتل الانكليز مصر ناوأهم فسجن ثم نفي سنة ١٢٩٩ إلى باريس فأنشأ مع أستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى وعاد إلى بيروت فمصر سنة ١٣٠٦ فتولى منصب القضاء ثم جُعل مستشارًا في محكمة الاستئناف ثم مفتيًا للديار المصرية سنة ١٣١٧ فاستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة ١٣٢٣ رحمه الله تعالى له عدة مصنفات، وهناك كلام مطول في نقض بعض أعماله وتصرفاته، الله أعلم بما ثبت من ذلك. وانظر «الأعلام»: ٦/ ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) ينظر فيه وفي شيخه كتابا الأستاذ محمد محمد حسين: «حصوننا مهددة من الداخل» و«الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» على أنه قد قسا عليهما في كتابيه بعض القسوة، وينظر كتاب الدكتور محسن عبدالحميد في الأفغاني، وكتاب مصطفى غزال في الأفغاني.

(٣) هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد سنة ١٢٨٢ بالقلمون - من أعمال طرابلس الشام - وتعلم فيها وفي طرابلس وتنسك ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ، ثم أصدر مجلة المنار لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح منزع الفتيا في التأليف بين الشريعة وبين الأوضاع العصرية الجديدة، ارتحل إلى بلدان عدة، وألف عدة مصنفات، ثم توفي سنة ١٣٥٤ بعد حياة عامرة بالعلم والتصنيف. انظر «الأعلام»: ٦/ ١٢٦.

الإسلامية سنوات طوالاً، وكان لمجلة «المنار» التي أنشأها بموافقة شيخه أثر كبير في العالم الإسلامي من طنجة إلى جاكرتا ومن الأناضول إلى جنوب أفريقيا، وامتدت حياته بعد أستاذه قرابة ثلاثين سنة تغير فيها منهجه قليلاً وأقبل على الكتاب والسنة، وناصر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد وأعجب آل سعود كثيرًا، وطبع كثيرًا من كتب الفقه الحنبلي في مطبعته: «المنار»، وهذا الكتاب يضيق عن تفصيل أعماله رحمه الله تعالى.

٤- الأستاذ سيد قطب[١]:

وهو وإن كان من جملة جماعة الإخوان لكن عمله التنظيمي فيها غير واضح للعامة، وإنما كان أثره بشخصه على الصحوة أثرًا هائلاً ضخمًا امتد ليشمل كل العاملين لإعادة التمكين لهذا الدين تقريبًا، وأصبحت آثاره المكتوبة هي معاجم للعمل الإسلامي ومفاتيح لفهم الواقع وربطه بنصوص القرآن العظيم، وعلى رأس أعماله كتاب «في ظلال القرآن» وكتاب «معالم في الطريق».

ويمكن القول إن الأستاذ سيدًا هو المتفرد بين رجال الإصلاح بالأثر العظيم في الصحوة كما هو معلوم من حال الصحوة ورجالها وكتبها وآثارها، وقد ظُلم كثيرًا، ورُمي بما هو منه براء -على بعض أخطاء وقع فيها، وهذا من شأن البشر- والله الموعد[٢].

٥- الإمام الشهيد بإذن الله تعالى حسن البنا:

هو أشهر وأعظم من أن أعرف بأعماله في هذه العجالة، لكني أقول واثقًا- والله تعالى أعلم- أن أكثر ما حققته الصحوة من نتائج كان نتيجة جهده وتخطيطه وعمل طلابه،

---

(١) هو سيد بن قطب بن إبراهيم. مفكر إسلامي مصري. ولد في أسيوط سنة ١٣٢٤. وتخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في بعض المجلات الأدبية، وعين مدرسًا للعربية، ثم تنقل في الوظائف الحكومية. انضم إلى الإخوان المسلمين سنة ١٣٧٣، ثم سجن فعكف على تأليف صفوة كتبه في السجن، ثم أعدم بعد ذلك سنة ١٣٨٧. انظر «الأعلام»: ٣/ ١٤٧- ١٤٨.

(٢) انظر كتاب «الشهيد الحي» للدكتور صلاح الخالدي.

وطلاب طلابه، ويكفيه قول الشيخ محمد الحامد[1] - رحمه الله تعالى - وهو أحد كبار مشايخ الشام وعلمائه: «إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين، كان لله بكليته: بروحه وجسده، وقلبه وقالبه، بتصرفاته وتقلبه، وكان الله له، واجتباه، وجعله من سادات الشهداء الأبرار»[2].

والمجال هنا يضيق جداً عما صنعه البنا من مفاخر ومآثر وأعمال تفرد بها بين المصلحين تفرداً مطلقاً في العصر الحديث، فليراجعه من شاء في مظانه، والله أعلم.

٦- **الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز[3]:**

وهو من المؤثرين في الصحوة الإسلامية بكتاباته وفتاواه التي فيها نوع جرأة لم تعتد مثلها الساحة الإسلامية في الأزمنة المتأخرة، وكذلك لقاءاته بطلبة العلم والشباب، وجرأته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربته البدع والفساد، وقد امتد أثره إلى خارج جزيرة العرب ليشمل كثيراً جداً من المشايخ وطلبة العلم والدعاة والمثقفين في أكثر دول العالم، وقد ناصر القضايا الإسلامية في كل مكان، وكان -بعد الله تعالى- مفزع العاملين والصالحين يغدون إليه من كل مكان، ولم يكن له نظير -في رأيي- بين علماء الشريعة سواء في بلده أو خارجها في زمانه، بل أقول واثقاً إنه بعد محمد رشيد رضا لم يأت عالم بقوة الشيخ عبدالعزيز وجرأته واهتمامه البالغ بقضايا الإسلام وأثره الكبير رسمياً وشعبياً في بلاده وخارجها، والمناصب العديدة المؤثرة التي تولاها رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) محمد بن محمود الحامد. من كبار علماء حماة بسوريا، ومن كبار علماء الإخوان في العالم. ولد سنة ١٣٢٨/ ١٩١٠ وتوفي سنة ١٣٨٩ / ١٩٦٩.

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم»: ٣ / ٢٣٩.

(٣) علم من أعلام العلم والدعوة في القرن الخامس عشر وأشهر من أن يُعرَّف به مثلي. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤٢٠ عن سن عالية. وله عدد من الرسائل النافعة والفتاوى الكثيرة المطبوعة والمسجلة. انظر «ذيل الأعلام»: ٢/ ١٠٧، ١٠٨.

٧- حكيم الهند أبو الحسن الندوي[١]:

وهو من كبار علماء الهند، وممن كان له أثر كبير في الحفاظ على جماعة المسلمين في الهند وحمايتها من الهندوسية والتسييخ والوثنية، وله كتابات جليلة مؤثرة، وكان له متابعون كثيرون من العرب وغيرهم ممن يروم الإصلاح ويبتغي تمكين هذا الدين، وله نظريات ونظرات مؤثرة في جيل الصحوة، رحمه الله تعالى.

٨- شعلة الهند ومحركها أبو الأعلى المودودي:

وقد أنشأ الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، وجهوده في تكوين الصحوة في تلك البلاد معروفة، وجهوده في أمريكا وأوروبا أيضًا كبيرة، وقد تبع أفكاره جمٌّ غفير من مفكري المسلمين وعلى رأسهم الأستاذ سيد قطب الذي تبناها وبنى عليها وطوّر بعضها.

٩- د. مصطفى السباعي[٢] في سوريا:

وهو أب للصحوة الإسلامية في سوريا، ورائد من روادها الكبار.

وقد جمع بين قيادته للإخوان في سوريا، وبين تدريس العلم الشرعي في جامعة دمشق وبين الجهاد في سبيل الله -تعالى- في فلسطين وغير ذلك من الأعمال الجليلة.

١٠- عدد كبير من المؤثرين كل في ميدانه وفي علمه الذي اشتهر به:

- وذلك نحو **الشيخ ناصر الدين الألباني** وما صنعه من حركة علمية حديثية رائدة كان لها أثرها الكبير في جيل الصحوة.

---

(١) هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالحي الحسنيّ الهنديّ الندويّ - نسبة إلى ندوة العلماء بلكنو- عالم مفكر، أحسن المدافعة عن حقوق المسلمين بالهند، وله في ذلك مواقف مشهودة. له العديد من المصنفات التي حاز بعضها المدح المعلن مثل «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين». نال جائزة الملك فيصل العالمية. توفي سنة ١٤٢٠ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «ذيل الأعلام»: ٢/ ١٣١.

(٢) هو مصطفى بن حسني السباعي، أبو حسان. ولد بحمص - من سوريا- سنة ١٣٣٣. عالم إسلامي مجاهد، من خطباء الكتاب. تعلم في حمص وفي القاهرة في الأزهر. اعتقله الإنكليز في مصر وفلسطين ستة أشهر، وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه في لبنان ٣٠ شهرًا. كان على رأس كتيبة من الإخوان تدافع عن بيت المقدس سنة ١٣٦٧. أحرز شهادة الدكتوراه من الأزهر، وصار أستاذًا في كلية الحقوق ومراقبًا عامًا لجماعة الإخوان المسلمين، وعميدًا لكلية الشريعة في دمشق، وأنشأ مجلة «حضارة الإسلام». وأصيب بشلل نصفي. ألف واحدًا وعشرين رسالة وكتابًا، وتوفي في دمشق سنة ١٣٨٤ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٧/ ٢٣١-٢٣٢.

- وكذلك الشيخ **محمد بن عثيمين**، وقد ظهر بقوة في زمن تنامي الصحوة، وكان مشهورًا بالضبط العلمي والتقعيد المتميز، وهو واسع العلم، كبير التأثير على مجموعات كبيرة من أهل الصحوة.

- وكذلك **الأستاذ الكبير أبو بدر عبد الله المطوع الكويتي**(١)، الذي كان له أثر بالغ على الصحوة الإسلامية ومشاريعها بما كان يُغدق على أهلها من ماله إغداقًا لم يُعرف له نظير.

- وكذلك **الشيخ أحمد ياسين** -رحمه الله تعالى- وهو بطل فلسطين وأحد من أقام للصحوة دعائم هنالك، وقاوم المد الشيوعي والماركسي والناصري في فلسطين، وأنشأ هو وإخوانه الكرام «حماس» التي أصبحت عمدة الجهاد السني في زماننا هذا وعدته.

- وكذلك **الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي** وأثره بالغ في الصحوة بما كتبه من كتب ضابطة ومقومة للمسيرة الصحوية.

- وكذلك أستاذه **الشيخ محمد الغزالي**.

- ولا ينسى أثر **الأستاذ فتحي يكن اللبناني** -رحمه الله تعالى- في ترشيد الصحوة وتقويمها.

- وكذلك أثر **الشيخ عبدالمجيد الزنداني** في الصحوة بأبحاث الإعجاز التي كان لها صولة وجولة في قلوب وعقول أهل الصحوة منذ التسعينيات الهجرية/ السبعينيات الميلادية من القرن الفائت.

- **والأستاذ محمد قطب** كان له أثر ثقافي وفكري بالغ بكتبه الشهيرة التي صنفها في بدايات الصحوة وقت انتشارها.

---

(١) أحد مؤسسي جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، وهو كبير الإخوان في الكويت ومقدمهم ووجيههم. اشتهر بالإنفاق الجليل على الأعمال الخيرية. ولد ١٣٤٥/ ١٩٢٦ وتوفي سنة ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.

وهناك رجال كثر آخرون بعضهم مشهور، وبعضهم معروف، وكثير منهم طواهم النسيان فلم يعودوا يُذكرون أو يُعرفون لكنهم -إن شاء الله تعالى- معروفون في الملأ الأعلى بجهودهم وأعمالهم وتضحياتهم التي كانت وقود الصحوة وباعثة مجدها.

- إذن أستطيع أن أقول إن الصحوة لم تكن نتاج عمل جماعة واحدة أو اثنتين، ولا تأثرًا بفكر رجل أو رجلين، بل كانت صحوة استوعبت جماهير عريضة عظيمة من المسلمين ربما كان أكثرهم لا علاقة له بجماعة ولا حزب، ولم يطلع على سيرة رجال الصحوة، فما أشبه الصحوة بالتيار العارم الذي ساعد في نمائه واندفاعه وقوته فئام من الناس اختلفت مشاربهم، وتباينت توجهاتهم، وتفاوتت اهتماماتهم لكنهم التقوا في تيار واحد عريض لا قبل لأحد برده ولا بإيقافه.

وعلى ذلك الإرث العريض قامت الصحوة الإسلامية، وعظم أُوارها، واشتعلت جذوتها، وابتدأت مسيرتها لتنتهي إلى الربيع العربي، الذي أزال الله -تعالى- به جملة من الطواغيت ما قدّر أحد من الناس زوالهم في تلك الآونة.

هذا وإن الصحوة ماضية قدمًا حتى يحقق الله -تعالى- بها مراده، ويُمضي قضاءه، وإن لها خاتمة الحسنى، وسنصلي برجالها في المسجد الأقصى، ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبًا، والصحوة الإسلامية ماضية قُدُمًا إلى تحقيق أهدافها، وأصبح من الصعب إيقافها، أما اجتثاثها فهو أضغاث أحلام، وسندها -بعد الله تعالى- هو الشعوب الإسلامية التي التفت حولها وآزرتها وساندتها منذ ظهرت إلى يوم الناس هذا، وسندها أيضًا هو حب الشعوب للإسلام وشريعته وكتابه ونبيه ﷺ وبغضها في الوقت نفسه لكل مظاهر الفساد ومحاولات الإفساد التي أتت بها أنظمة السوء وزرعتها في بلادنا العربية والإسلامية، وفي ذلك يقول الأستاذ الحبيب الجنحاني[1]:

---

(١) أستاذ بكلية الآداب بجامعة تونس.



«برهنت الأحداث الكبرى التي تزعمتها حركات الصحوة الإسلامية على أنها تستند إلى رصيد عريق وثري، وأعني بذلك ما يمكن أن نسميه بالثقافة الشعبية الإسلامية، وقد صمدت هذه الثقافة الشعبية أمام جميع محاولات المسخ والاضطهاد التي سلطها النظام الاستعماري، ثم تجاهلتها أغلب النظم الوطنية التي بعثت غداة الاستقلال، بل حاول بعضها بطريقة أو أخرى مقاومتها باسم «الحداثة»، واللحاق بالركب الحضاري العالمي، ولكنها فشلت»[1].

●●●

(١) «الصحوة الإسلامية في بلاد الشام»: ١٢٤. وهو مطبوع ضمن مجلد بعنوان الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي. نشر مركز دراسات الوحدة العربية.

المبحث الثاني
أسباب الصحوة

ليس هنالك سبب واحد واضح متفق عليه لانطلاق الصحوة الإسلامية، إنما هي أسباب اجتمعت لتحدث ذلك الحدث التاريخي الجليل، ولم يذكر المؤرخون المُحْدثون - فيما أعلم - هذه الأسباب مجتمعة، إنما هو اجتهاد مني في تحصيلها والوقوف عليها، فمن ذلك:

١- قدر الله - تعالى - الغالب، وحكمه الذي لا يرد، وقضاؤه الجليل، وفعله الجميل بأهل الإسلام.

قال الأستاذ أنور الجندي - رحمه الله تعالى:

إن تنامي الصحوة الإسلامية وتعالي مظاهر البعث الإسلامي هي في جوهرها ومظهرها وفاء عاجل للوعد الإلهي بحفظ دينه، والتمكين لأهله، ونصره المستضعفين في الأرض:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥]

٢- عظمة هذا الدين وحيويته:

ما يوجد في هذا الدين الجليل من عوامل ذاتية للانتفاض والتغيير هو الذي أشعل جذوة الصحوة، فهو يحمل بذور ذلك في طياته، وهو صالح لتعديل الكفة لصالح المسلمين في الوقت الذي يقدره الله تعالى.

وهذا وقد قال الأستاذ أبو الحسن الندوي، رحمه الله تعالى:

«والصحوة في الحقيقة من طبيعة الإسلام يجب أن تمتد وتتسلسل وتتصل اتصالاً؛ لأن هذه الأمة هي الأمة المختارة والأمة الأخيرة المبعوثة للإنسانية جمعاء، وهو تعبير نبوي

عن هذه الأمة، وقد أثر عن الرسول ﷺ أنه قال لبعض كبار الصحابة: «**إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا معسرين**»[1]، وقال سيدنا ربعي بن عامر لـ «رستم» -لما قال له: «ما الذي جاء بكم؟- قال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»[2] ولا أبلغ ولا أوضح من قول الله -تعالى:

﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

فكانت بعثة رسول الله ﷺ مقرونة ببعثة أمة؛ بعثة مجموعة بشرية داعية واعية، كتبت لها الوصاية على المجتمع البشري في كل زمان ومكان، والحسبة الخُلقية والعقائدية والقيادية على الجيل الإنساني في كل عصر، فالصحوة الإسلامية حاجة البشرية الدائمة الخالدة، لا تقل في الأهمية عن الحاجة البشرية إلى مقومات الحياة كالغذاء والماء والهواء معنويًا، وهي في صالحها ومن مطالبها، وعدم وجودها ليس خطرًا على الكيان الإسلامي والمجموعة الإسلامية فقط، بل هو خطر على سلامة المجتمع البشري واتجاهه السليم، وبدونها تبقى الشعوب والأمم كقطعان غنم من غير راع، وسفينة مشحونة بالركاب من غير مجدف خبير قدير.

وهذا العصر يحتاج إلى الصحوة الإسلامية أكثر من أي زمان؛ لأن هذا العصر هو عصر الشهوات والشبهات، وعصر الفلسفات، وعصر الأساليب الفكرية الأجنبية عن الإسلام»[3].

٣- عمل حركات الإصلاح ورجاله:

وقد بينت في المبحث السابق تلك الحركات وأولئك الرجال، ولا بد من القول إن الجهود العظيمة التي بذلها أولئك الرجال العظماء وتلك الحركات والهيئات

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «البداية والنهاية»: لابن كثير.

(٣) مجلة البعث الإسلامي: العدد الأول: المجلد ٣٤ رمضان ١٤٠٩.

والجمعيات في الدعوة إلى الله تعالى، والتضحيات التي قُدمت في الأنفس والأموال والأوقات كل ذلك كان الوقود الأكبر لانطلاق الصحوة في القرن الماضي، وقد سُطر كل ذلك في مصنفات كانت ملهمةً لجيل الصحوة ودافعةً له إلى الظهور.

٤- اهتداء مجموعات متميزة من الشباب:

من المعلوم أن الشباب هم عماد الأمة وأملها - بعد الله تعالى - فإذا فسد الشباب فسدت المجتمعات، وقد ظهرت مجموعات من الشباب في عدد من ديار المسلمين كان لها الأثر الأكبر في إذكاء جذوة الصحوة وحملها والقيام بأعبائها، وأكثر أولئك الشباب كانوا في الجامعات التي كانت معاقل الصحوة، والأمثلة على ذلك كثيرة ففي مصر قاد مجموعة من الشباب أوائل التسعينيات الهجرية من القرن الفائت/ السبعينيات الميلادية العمل الإسلامي في الجامعات، واستطاعوا - بفضل الله تعالى عليهم - أن ينشروا مبادئ الإسلام بين الطلاب بل تعدوا أسوار الجامعة لينشروا ذلك في المجتمع وليطلقوا شرارة الصحوة الإسلامية.

وفي المملكة أيضًا كان للجامعات أثر كبير في نشر الصحوة الإسلامية.

وفي المغرب قاد الطلاب معارك ضد الماركسية والشيوعية والاشتراكية التي كانت منتشرة بين طلاب الجامعات هنالك، واستطاعوا بعد جهد كبير أن ينتصروا على تلك المبادئ الجاهلية ويبتدئوا صحوة جليلة هنالك.

وقد أخبرني بهذا وزير العدل المغربي مصطفى الرميد، والداعية المغربي المرموق المقرئ أبو زيد الإدريسي، وقد كانت تلك المعارك على أشدها عام ١٣٩٥/ ١٩٧٥.

وسيأتي مزيد تأكيد لأثر طلاب الجامعات في تأسيس الصحوة وتفصيل ما حدث منهم فيما يستقبل من مباحث، بإذن الله تعالى[(١)].

٥- الحرية النسبية التي تمتع بها كثير من شباب الإسلام في مصر التي ظهرت فيها الصحوة وانتشرت منها إلى البلاد العربية والإسلامية عقب النكبة العظمى عام ١٣٨٧/ ١٩٦٧

---

(١) سيأتي تفصيل لها إن شاء الله تعالى في الفصل الثاني القادم.

وتواري الطاغية وأفول نجمه، وأفول نجم المذاهب الوضعية في العالم العربي والإسلامي، هذه الحرية كانت تصاعدية؛ فقد زادت كثيراً عقب مجيء السادات وسماحه - لأسباب عديدة - لشباب الجامعات بالعمل الإسلامي، وإخراجه للإخوان من السجون، وسمح لهم جميعًا بالعمل في حرية نسبية لم يكن متاحًا عشر معشارها من قبل، هذا العمل الحر - نسبيًا - مع مجموعة العوامل الأخرى، التي ذُكرت والتي ستذكر بعد هذا، هي التي مهدت الطريق إلى ظهور الصحوة الإسلامية.

٦- المضمون السياسي للإسلام والذي يتضح في:

- وقوفه ضد الاستعمار والتبعية، ولقد استخدم كسلاح في الثورتين الجزائرية والإيرانية، كما يعتبر أحد المحركات الرئيسية للانتفاضة الفلسطينية.

- دعوة الإسلام إلى المشاركة السياسية.

- رفض المسلمين للثقافة الغربية التي جلبتها الأنظمة السياسية القائمة في العالم الإسلامي، كما حدث في إيران الشاه وتركيا وإندونيسيا... إلخ[١].

٧- زيادة الشعور بالانتماء الإسلامي وضرورة الوحدة الإسلامية:

والذي ساعد على ذلك بروز منظمة المؤتمر الإسلامي كإطار سياسي إقليمي يشمل جميع الدول الإسلامية وتتخذ من الإسلام رابطًا لها. كما ساعد على ذلك التنمية الاقتصادية والاجتماعية وانتشار الوعي لدى المسلمين وإدراكهم للأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية، وأن إنقاذ هذه الأمة الإسلامية يكمن في وحدتها[٢].

٨- استقلال التيار الإسلامي وتفرده:

التيار الإسلامي هو الوحيد الذي لا يمكن النظر إليه على أنه تيار مرتبط بفئة أو طبقة معينة؛ لأنه لا يؤمن بمسألة الصراع الطبقي كما لا يؤمن بالعرقية أو الأوضاع الاجتماعية، ولذلك يضم التيار الإسلامي خليطًا من جميع فئات المجتمع على

(١) انظر «قضايا معاصرة».

(٢) انظر «قضايا معاصرة».

اختلاف أجناسها وألوانها ومكانتها الاجتماعية والاقتصادية مما يفسح المجال أمام هذا التيار لتعبئة أعداد أكبر من أي حزب أو تيار يقوم على أساس القومية أو الحالة الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى ذلك فإن التيار الإسلامي هو التيار الوحيد الذي يحمل عقيدة معبرة عن المجتمع[1].

٩- انكشاف الحركات المناهضة للإسلام:

ساد أكثر بلاد العرب حركات وتيارات مناهضة للإسلام، منهجها جاهلي فاسد، واستطاعت في غفلة من المسلمين الاستيلاء على الحكم في عدة دول، وصار همها محاربة الإسلام والمسلمين، وإبعاد الشريعة عن الحكم في ديار المسلمين، واستطاعت استمالة الجماهير الغافلة التي كانت في الجملة بعيدة عن هدي الإسلام، وبث فيها الشهوات والشبهات لتضمن ولاءها، لكن الله - تعالى - أراد شيئًا آخر فانهزمت تلك الحركات أمام اليهود عدة مرات كان آخرها النكبة الكبرى سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧ التي احتل فيها اليهود بيت المقدس وسائر فلسطين، وسيناء ومساحتها أربعة أضعاف مساحة فلسطين، ووادي الأردن، والجولان فظهر ضعف تلك الأنظمة الحاكمة التي انهزمت، وصُدمت الجماهير بما رأته من هزال عسكري وضعف في الدفاع عن البلاد، فتبصر كثير من الناس في شأن تلك الأنظمة والحركات الفاسدة، واستيقظوا بعد غفلة طويلة، وجاءت معركة رمضان سنة ١٣٩٣/ أكتوبر سنة ١٩٧٣ لتكون الفاصل النهائي في علاقة جماهير العرب بتلك الحركات، فقد كفرت تلك الجماهير بالناصرية والبعثية والعروبة والقومية والماركسية والاشتراكية وأقبلت على دين الله تعالى تعتصم بحبله وتغترف من معينه[2].

وفي ذلك قال الأستاذ الحبيب الجنحانيّ: «إن الاهتمام بظاهرة الصحوة لم يأتِ صدفة، بل جاء نتيجة ظروف موضوعية فرضت نفسها، كما توضح ذلك الدراسة، فبعد المد القومي الذي عَرفه الوطن العربي في مطلع الستينيات، وسياسة بناء الدولة الوطنية المستقلة، والشروع في وضع مخططات تنموية تهدف إلى بناء اقتصاد وطني

(١) انظر «قضايا معاصرة».

(٢) سيأتي وصف تفصيلي لهذا الذي جرى في مبحث قادم، إن شاء الله تعالى.

منيع، والحدّ من التبعية الاقتصادية، وبالتالي الصمود أمام الهيمنة السياسية للقوى الإمبريالية يتدهور الوضع، ويتأزّم بعد هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧، فتضعف الدولة الوطنية، وتفشل المخططات الاقتصادية ويزداد الوضع الداخلي في الوطن العربي تأزّمًا فتنفجر انتفاضات اجتماعية مهدّدة بأكثر من حرب أهلية، وتطفو على السطح تكتلات طائفية، وتفشل السياسة التربوية والثقافية، فإذا بأجيال مرحلة الاستقلال الوطني أضعف حصانة من أجيال مرحلة التحرر الوطني، وأشدُّ استلابًا حضاريًا، ويتفاقم بلاء التبعية السياسية والاقتصادية لقوى الهيمنة الإمبريالية فتتحول مظاهر الاستعمار الجديد المفضوحة إلى تعاون وصداقة في لغة الخطاب السياسي العربي اليوم.

فليس صدفة - إذن- أن تبرز في هذا المناخ السياسي الاجتماعي والثقافي العربي حركات الصحوة الإسلامية، متبنيةً حلاً بديلاً يعوض الحلول التي فشلت في حل مشكلات الوطن العربي المتراكمة خلال العقدين الأخيرين»[١].

١٠- العداء العالمي للإسلام:

من المعلوم أن المؤامرات والكيد لهذا الدين لا ينقطع الليلَ والنهار، ولقد عرف المسلمون من مكائد الأعداء ومؤامراتهم في هذا العصر الشيء الكثير مما كان مخفيًا عنهم من قبل، وقد بلغ الأذى للمسلمين مبلغًا عرف معه المسلمون ألا ملجأ من الله تعالى إلا إليه، وألا مخرج لهم مما هم فيه إلا بالاعتصام بالله تعالى والرجوع إليه، وهذا هو ما حصل فيما يعرف بالصحوة الإسلامية، وهي رجوع إلى الله تعالى واستمساك بحبله والكفر بطواغيت القومية والعروبة والبعثية والناصرية التي لم يزد المسلمين الاستمساك بها إلا ذلاً وهوانًا وخسارة للأرض والعرض.

١١-رد فعل لفشل السلطة في الدول الإسلامية في إنشاء نظام عام مقبول في المجتمعات الإسلامية:

ومن ناحية أخرى اعتمدت الأنظمة في كثير من الأحيان على الجيش وعلى تضخيم

---

(١) الصحوة الإسلامية في بلاد الشام: ص ١٠٧، وهو بحث مطبوع ضمن مجلد بعنوان «الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي» نشر مركز دراسات الوحدة العربية.

أجهزة الأمن والإسراف على الدعاية الإعلامية والاستعانة بخبراء ومستشارين وجنود أجانب في بعض الأحيان . . . لقمع أية مطالب شعبية وعليه فإن بروز الحركات الإسلامية ليس فقط احتجاجًا على العَلمانية والتغريب بل أيضًا على احتكار السلطة من قبل أناس يهيمنون عليها تحت شعارات مختلفة(١) .

١٢- فشل الأنظمة العلمانية المتكرر في شتى نواحي الحياة لتحقيق الأهداف المنشودة مثل:

أ- فشل الأنظمة العلمانية في تحقيق وعودها في التنمية والعدالة الاجتماعية، وبروز طبقة جديدة تسمى البرجوازية الصغيرة حتى في الدول التي عملت بالنظام الاشتراكي.

ب- هزائم متكررة في الحروب التي جرت مع العدو الصهيوني، واستمرار اغتصابه لفلسطين كما أن المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ، لا يزال أسيرًا في يد الصهاينة الذين لم يتطاولوا لأن يعلنوا القدس عاصمة لهم فحسب، بل اتخذوا بعض الإجراءات الرامية إلى تهويد القدس وتغيير طابعها الإسلامي.

ج- فشل الأحزاب العلمانية في العالم الإسلامي في التشخيص المقنع للأمراض الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات في الدول الإسلامية وإيجاد حلول عملية لها.

كما أن هذه الأحزاب تحمل في كنفها عقائد غريبة على المجتمع مما أدى إلى صعوبة تفاعلها مع البيئة التي تعيش فيها والتي تسعى لخدمتها.

د- غياب مبدأ المشاركة السياسية في غالبية الدول الإسلامية واحتكار السلطة من جانب الفئات الحاكمة(٢) .

١٣- فساد النظم الغربية:

كان يتحكم في العالم -بإذن الله تعالى- قطبان: المعسكر الشيوعي الشرقي، والمعسكر الرأسمالي الغربي، وقد بدت للجماهير الإسلامية سوءات المعسكر الشرقي مبكرًا، لكن بقي هناك شيء من الجاذبية للمعسكر الغربي ونظمه وقيمه إلى أن فضحه الله -تعالى- في أواخر القرن الماضي، وتعرى أمام الجماهير، وبدت لهم سوءاته الكثيرة عقديًا وسياسيًا، وأخلاقيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا.

---

(١) انظر «قضايا معاصرة».

(٢) المصدر السابق.

قال الأستاذ أنور الجندي -رحمه الله تعالى -: «ولقد جاءت الصحوة كرد فعل حتمي في مواجهة طغيان القيم المادية للحضارة الغربية، مع ما صاحبها من موجات التحلل والفساد وانتشار المخدرات والشذوذ الجنسي وارتفاع معدلات الانتحار، فضلاً عن تفشي القلق والشعور بالضياع وطغيان القيم المادية مما أدى إلى عدم التوازن في حركة المجتمع، وقد أدت الثورة الصناعية إلى اندفاع سريع في طريق النمو الاقتصادي والغنى دون أن يصاحب ذلك تقدم اجتماعي وروحي مماثل، الأمر الذي أدى إلى خلل خطير في حركة المجتمع وظهور العديد من المشكلات وأخطرها تفاقم الأزمات الاقتصادية والتوتر الاجتماعي ومضاعفة عوامل الصراع الطبقي.

ولقد عجزت محاولة ترشيد الحياة الاقتصادية في الغرب عن تحرير الإنسان من غلبة المادية على مدنيته المعاصرة، وبالرغم من اتساع رقعة الرخاء ومستويات المعيشة فإنها لم تحقق الراحة النفسية والأمن النفسي، فقد زادت ضغوط القلق والانحلال، وتفشي أمراض العمر والعقل، وارتفاع معدلات الانتحار -رغم التقدم المادي المذهل- ووقفت الأمة الإسلامية تنظر في ذهول إلى هذه المعادلة الخطيرة التي لم تحقق إلا الانهيار النفسي والتمزق والضياع والغربة والسقوط، وكانت التجربة قادرة على إيقاظ المسلمين»[1].

١٤-**سياسات المصالحة مع اليهود في مصر والأردن وسوريا عجلت بتعاظم المد الصحوي؛** لأنها سياسات مصادمة لأحكام الإسلام فاستفزت الجماهير التي كان رد فعلها الاعتصام بالإسلام أكثر من ذي قبل.

ولقد أحسن القائمون على الصحوة استغلال هذا الحدث في توعية الجماهير بالخطب والمحاضرات والمقالات والكتب والأبحاث والمؤتمرات والمهرجانات وتنبيههم لخطورة هذا التطبيع ومنافاته لأحكام الشريعة، وأن التطبيع مع اليهود هو بداية النهاية لكل آمال المسلمين في استعادة قدسهم السليب وعزتهم المفقودة.

هذه الأسباب مجتمعة تصلح أن تكون هي الوقود الذي اشتعلت به الصحوة الإسلامية، والنور الذي قشع ظلمات الجاهلية الحديثة.

---

(١) المصدر السابق.

المبحث الثالث
تاريخ بدء الصحوة

من المعلوم أن الصحوة هي بنت اليقظة الإسلامية التي بدأت في بعض البلاد الإسلامية - وعلى رأسها مصر - نهاية القرن الثالث عشر / التاسع عشر الميلادي، بظهور جماعة من المصلحين منهم رفاعة رافع الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني والأستاذ محمد عبده في مصر، ثم تلاهم الأستاذ محمد رشيد رضا وورثه الأستاذ الإمام حسن البنا - رحمهم الله جميعًا - الذي أسس جماعته المشهورة «الإخوان المسلمين» التي عَمّ بسببها يقظة ونهضة إسلامية شملت كثيرًا من بلاد الإسلام وغيرها.

وحركات النهضة واليقظة هي بنات شرعيات لحركات الإصلاح: حركة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، والشيخ محمد بن علي السنوسي، والمهدي في السودان، وعثمان بن فودي في غرب إفريقيا، وغير ذلك مما جاء في مبحث سابق.

ويمكن أن تُعدَّ الجهود التي بذلها الأساتذة والمشايخ المذكورون سببًا في اليقظة الإسلامية التي كان لها تأثير كبير في ولادة الصحوة بعد ذلك، كما سأبين إن شاء الله تعالى.

وهنا يبرز سؤالان:

- لماذا لا تُعَدَّ حركات الإصلاح التي ظهرت في القرن الثاني عشر والثالث عشر/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين من الصحوة؟ ولماذا لا تعد حركات اليقظة والنهضة من الصحوة؟

- والسؤال الآخر: لماذا لا تسمى المدة التي ظهرت فيها جماعة الإخوان صحوة؟

أما السؤال الأول فجوابه أن حركات الإصلاح التي ظهرت في البلاد العربية مثل السنوسية والمهدية وحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد نفع الله بها في بلادها وزمانها، أي أنها لم تنتشر الانتشار الواسع - ما عدا حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي تعدى نفعها

زمانها ومكانها شيئًا ما- لكن بقيت هذه الحركات محدودة التأثير في الشعوب الإسلامية لأسباب كثيرة يعرفها دارسو هذه الحركات، وليس هذا مكان إيرادها، ولم تكن الشعوب الإسلامية - في الجملة - مهيئة للاستجابة الجيدة لهذه الحركات لعدة عوامل، وحَسْبُ هذه الحركات أن تكون مساعدة لبروز اليقظة الإسلامية في نهاية القرن الثالث عشر / التاسع عشر الميلادي.

وحركات اليقظة والنهضة التي أسسها الثلاثة: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده ورشيد رضا لا تصلح أن تسمى صحوة فقد كانت حركات نخبوية -إن صح التعبير- بينها وبين عموم الشعب حجاب وحاجز، وكانت جهودها تدور في الصالونات وعلى صفحات الجرائد والمجلات بينما كان عموم الناس يغطون في نوم عميق وسُبات قاتل.

أما جواب السؤال الآخر فهو أن جماعة الإخوان مَرّت بعدة أطوار، وطورها الأول هو ظهورها ووراثتها دعوة الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، ويمتد هذا الطور إلى نكبتها في زمن فاروق ثم الطاغية عبدالناصر، وقد أثرت في البلاد العربية تأثيراً عظيمًا لا ينكره إلا الجاحدون، لكن كان هناك عدة عوامل منعتها من أن تكون سببًا في صحوة عامة شاملة كما كانت في أوائل التسعينيات الهجرية / السبعينيات الميلادية - كما سأبين إن شاء الله تعالى - ومن هذه العوامل:

١- ضعف الوعي في الشعوب العربية آنذاك إلى حد مُريع؛ مما أورثها ضعف الاستجابة لدعوات المصلحين.

٢- وقوع الكثرة الكاثرة من بلاد العرب والمسلمين تحت الاحتلال الأجنبي البغيض الذي حارب طويلاً كل عوامل النهضة واليقظة.

٣- التآمر الضخم الذي وقع عليها ومنعها في كثير من الأحيان من الوصول لغرضها، بينما فُسح لها شيئًا ما بعد ذلك في طورها الآخر في التسعينيات الهجرية / السبعينيات الميلادية.

٤- وجود عوامل مثبطة كثيرة، وقلة العوامل المحفزة لظهور الصحوة الشاملة التي ظهرت

بعد ذلك، وأعني بالعوامل المثبطة سقوط فلسطين في أيدي عصابات إخوان القردة، وبقاء أكثر الدول العربية والإسلامية تحت نير الاستخراب العالمي، وقتل الأستاذ الإمام البنا في مصر وحَلّ جماعة الإخوان المسلمين، وغير ذلك، ومحاصرة العاملين للإسلام في كل مكان.

وأعني بالعوامل المحفزة ما شاع بعد ذلك في بلاد الإسلام من زمن الصحوة من انتصارات مثل انتصار رمضان سنة ١٣٩٣/ أكتوبر ١٩٧٣، وظهور الجهاد الأفغاني، وثورة الخميني - على ما فيها من باطل وضلال- وظهور الجهاد في فلسطين والتمكين لدعاة الإسلام في أماكن كثيرة من بلاد العُرب والإسلام، وسآتي على تفصيل شيء من ذلك، إن شاء الله تعالى.

٥- وجود المد الضخم الهائل للفرق الضالة والمذاهب الهدّامة القومية وبناتها غير الشرعيات مثل الناصرية والبعثية، وظهور اليسارية والماركسية والاشتراكية وغير ذلك مما كان له أثر في محاصرة المد الإسلامي وتقزيمه، بينما لم يكن الحال كذلك زمن الصحوة فقد كانت تلك الحركات في بداية أفولها الأبدي، ولله الحمد، وكانت الجماهير قد كفرت بتلك الطواغيت وهي مهيئة لاستقبال الإسلام بقوة.

٦- ظهور بعض الرؤساء والملوك الذين نصروا الصحوة بوجه أو بآخر وكان لهم تأثير جيد في إذكائها مثل الملك فيصل آل سعود، وضياء الحق في باكستان، وتنكو عبدالرحمن في ماليزيا - رحمهم الله تعالى - بينما لم يكن الحال كذلك من قبل.

بداية ظهور الصحوة:

إن البدايات الأولى لظهور الصحوة الإسلامية كانت عقب الهزيمة المخزية المذلة سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧ التي عُرفت بالنكبة وخففها الإعلام الناصري الخبيث فسماها نكسة، وهي من أشد نكبات الدهر على المسلمين، وسآتي على تفصيل ما ظهر فيها من مظاهر البعد عن الإسلام عند حديثي عن الجانب العسكري في الصحوة إن شاء الله تعالى.



فبعد هذه الهزيمة تساءل الناس عن سببها فهدوا إلى الطيب من القول وهُدوا إلى صراط الحميد، وتبين لهم أن ما تعلقوا به طويلاً من مذاهب الضلال والحركات الهدامة وبعدهم عن الدين لهو السبب الأول في هزيمتهم، فبدأت ثقة الناس تهتز بما استمسكوا به طويلاً ومُلئت به بلاد الإسلام ضجيجًا وعويلاً، لكن لبقاء الطاغية عبدالناصر آنذاك أثر كبير في بقاء الغشاوة على الأعين، فلما هلك سلم الأمر للصحوة، وبدأت تغزو القلوب والعقول شيئًا فشيئًا على مُكْث وتدرج بطيء إلى أن أتى الله تعالى بالنصر في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣/ ٦/ أكتوبر ١٩٧٣، فتيقن الناس أن سبب نصرهم هو الإسلام، وملأ آذانهم صيحات تكبير الجنود في قناة السويس بعد غياب التكبير طويلاً، وانتشرت أخبار كرامات تلك الحرب وقصص الشهادة - مما سأورده تفصيلاً إن شاء الله تعالى - فكفر كثير من الناس بالطواغيت وأقبلوا على الله تعالى في رجعة عجيبة ومظهر إيماني فريد، سيأتي تفصيله في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

وهذا هو الاتجاه الغالب عند أكثر الدعاة والمصلحين والمهتمين من المشايخ والعلماء وطلبة العلم في تحديد مدة الصحوة ومسارها لم يشذّ عنها إلا النادر فيما قرأته في مصنفاتهم، وشافهت كثيراً منهم به، وسأبرهن على ذلك فيما سأورده - إن شاء الله تعالى- في الفصول القادمة.

وقد بدأت الصحوة في مصر، ثم انتشرت في بلاد الإسلام كما سأبين في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

- وقال الأستاذ أنور الجندي - رحمه الله تعالى - واصفًا حال الأمة قبل الصحوة وبعدها، والعوامل التي ساعدت على قيام هذه الصحوة المباركة وعلى رأسها الهزيمة المرة المذلة سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧:

«كانت النكسة هي ثمرة الانحراف الذي سارت فيه الأمة متخطية منهج الله طبقًا لقوانين قيام الأمم والحضارات وهزيمتها وسقوطها؛ فقد استشرى المنهج التغريبي والقانون الوضعي، وجرت الأمة وراء تقليد الطابع الغربي إيمانًا بأنه المنطلق الوحيد للخروج من الأزمة حسبما أوحى لها بذلك الرواد والقمم الشوامخ الذين تكونوا في أحضان مدارس الإرساليات والغزو الفكري. . .

وفي ظل حكم استبدادي عسكري لم تكن هناك نافذة واحدة مفتوحة لمواجهة ما تطرحه هذه الدعوات من ماركسية ووجودية وإلحادية ومادية، فقد رفعت هذه الدعوات سلاحًا في وجه الإسلام أسمته: (خصوم النظام) فكأنما أصبحت الكلمة الإسلامية كلها خصومة للنظام، ووجدت هذه الدعوات التي تنطوي جميعها تحت لواء الشعوبيين فرصتها في النباح الدائم المستمر فترة لا تقل عن عشر سنوات من ١٩٦٢-١٩٧٢، وكان الإسلام هو كبش الفداء.

وكانت فرحة النفوذ الغربي بالشيوعية أشد من فرحة الماركسيين بها فهي عامل هدم للأمة يمزقها فرقًا جديدة أكثر مما كانت ممزقة.

ولكن النكسة كانت الضربة القوية التي أكدت فشل المهتمين بسقوط فلسطين في أيدي الصهيونية، لقد هزمت الليبرالية عام ١٩٤٨ وهزمت الماركسية عام ١٩٦٧ بسقوط القدس في أيدي الصهيونية.

كانت هزيمة ١٩٦٧ تترجم عن هزيمة شاملة للنظام الغربي بشقيه حيث كانت الصهيونية والشيوعية تلتقيان من وراء الخطوط في سبيل ضرب الإسلام نفسه، وتفريغه من منهج الإسلام.

لقد تكشف للأمة الإسلامية هدف المخططات المتآمرة التي ظلت القوى الغربية تحيكها خلال أكثر من مائة عام، كانت انتفاضة حقيقية كشفت أن الغرب والشرق جميعًا قد تضافرا مع الصهيونية على هزيمة المسلمين وكانت خطتهم قد احتوت: عزل القرآن عن الثقافة، وعزل الدين عن المدرسة والجامعة، وتقديم فكر وثني مادي إلحادي بديلاً له في غلاف علمي خادع، لقد اكتشف المسلمون أن تجربتي الماركسية والرأسمالية تتصارعان على احتواء الإسلام، وبان الخط الفاصل الواضح العميق بين منهج ومنهج، لقد كشفت هزيمة عام ١٩٦٧ الحقائق وأدت إلى سقوط النظم وظهور الصحوة الإسلامية بعد أن تنادى العالم كله بأن الفكر الاشتراكي الماركسي والليبرالي الغربي - هما جميعًا - قد عجزا عن أن يقدما للبشرية أشواق الروح ومطامح النفس، وتنادى العلماء في الغرب بالبحث عن صيغة جديدة، وأعلن المفكرون أن الإسلام هو الذي يستطيع أن يقدم للبشرية منطلقها

الحق، لقد تأكد تمامًا أن العودة إلى الإسلام هي السبيل الوحيدة لمواجهة أخطاء النفوذ الغربي الوافد ومطامع الأممية، وأن تمسك الصهيونية بالوحدة بين القومية والعقيدة هو مفهوم إسلامي أصلاً انحرفنا عنه وحاولت العلمانية إخراجنا منه.

انطلقت الصحوة عن فهم الحقائق التي ظلت معماة أكثر من مائة عام، وجاءت الصحوة مرحلة من مراحل اليقظة على طريق النهضة، لقد وضعت النكسة الأمة الإسلامية على عتبة مرحلة جديدة حاسمة في تاريخنا لها علاماتها ومعالمها وإشاراتها، لقد انفتح الطريق أمام تصحيح كل المفاهيم وتحرير كل القيم، فقد أحس المسلمون أن الطريق الذي رسمه لهم الرواد والقمم الشوامخ(١) قد وصل إلى الهزيمة لأنه أعطى المسلمين الأمل في الوهم، وأخفى عنهم الحقيقة، وحجب عنهم مفاتيح النصر والتمكين التي قدمها لهم منهج الله تبارك وتعالى...

لقد هزت نكسة ١٩٦٧ الوجدان من الأعماق ووضعت الإنسان أمام الحقيقة العارية وهي أن وجوده أصبح مهددًا، ودفعته إلى أن يفهم بأقوى الفهم أن الطريق مسدود، وأن التجربة فشلت وأن العودة إلى المنابع هي الطريق الوحيد والأمل الباقي.

وآية ذلك أن كل هذه القلاع التي بناها الماركسيون والوجوديون والعلمانيون خلال السنوات السبع عشرة قد انهارت وتحطمت ولم تعد لها اليوم إلا بقايا من الأنقاض، وأحقاد تملأ صدور الذين ظنوا أنهم وصلوا إلى الغاية في تدمير الأمة وحبس القرآن، وفرض إنجيل ماركس، هذه الأحقاد التي تتفاقم اليوم عندما عاد التيار الإسلامي إلى الظهور الكاسح كاشفًا عن أنه هو المنطلق الحقيقي لبناء هذه الأمة من جديد.

إن انفجار النكسة كان بمثابة علامة ضخمة على ضوء كبير أيقظ المسلمين ولفت نظر الأمة إلى الخطر الذي تجري في ركابه أكثر من قرن من الزمان دون أن تتبين الهوة التي أوشكت على أن تقع فيها»(٢).

---

(١) الأستاذ هنا يستهزئ بمن سماهم المتنفذون في المجتمعات الإسلامية الرواد والقمم الشوامخ مثل طه حسين وأحمد لطفي السيد وسلامة موسى النصراني.

(٢) «من اليقظة إلى الصحوة»: ١١٣-١١٥.

وقال أيضًا - رحمه الله تعالى -:

«بين نكسة يوليو ١٩٦٧ ونصر رمضان ١٩٧٣ خلال سبع سنوات كانت الدعوة الإسلامية تستيقظ مرة أخرى، وتلعق جراحها، وتحاول أن تعاود إعلاء كلمتها بعد أن مرت بأقسى محاولات تزييفها وتدميرها.

وعندما سقط عبدالناصر بدأ فجر جديد من الأمل في العودة إلى الأصالة، وتعالت صيحة واضحة من أحشاء الشعب بأن المجتمع والحكم قد انحرف وإلى طريق بعيد كل البعد عن المواريث الإسلامية الأصيلة، وإن الهزيمة التي أُطلق عليها اسم «النكسة» والتي كانت فادحة وشديدة إنما جاءت نتيجة التخلف عن منهج الله»(١).

وقال أيضًا، رحمه الله تعالى:

«كشفت النكسة الحقائق التي كانت مكممة لا تستطيع أن تعلن الحقيقة الخالدة: وهي أن كل طريق غير طريق الإسلام لا يصلح، وحطمت الأصنام التي صنعها عبدالناصر والشيوعيون... وتأكد أن الإسلام هو المنقذ، وأن العودة إلى الله ضرورة، بل إن المجتمع نفسه توجه إلى الله في قوة، فأنشئت المساجد، وتحجبت المرأة، وظهرت الجماعات الإسلامية في الجامعات، واستيقظت الأمة...»(٢).

«وانتقم الله تبارك وتعالى- بهزيمة ١٩٦٧ - أعظم انتقام من صلف وغرور وحقد جمال عبدالناصر على الدعوة الإسلامية، وبدأت كلمة «العودة إلى الله» تصك الأسماع، والمساجد تُبنى في كل مكان حتى بلغت ستين ألفًا بينما كانت ٦ آلاف قبل ذلك»(٣).

وهذا الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح يقول في مذكراته:

«كانت «النكسة» صدمة عنيفة للناس. ولدت حالة من الرجوع إلى الله وجعلت الناس تتجه إلى ارتياد المساجد واللجوء إلى التمسك بالدين...

---

(١) «تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة الحصار»: ١١٥.

(٢) المصدر السابق: ١٢٥.

(٣) المصدر السابق: ١٧٥.



وكان من آثار الهزيمة أن بدأ النظام الناصرى فى تخفيف قبضته الأمنية الشديدة عن الناس، فبدأت الدروس الدينية فى الانتشار، وبزغ عدد من العلماء الذين نشطوا فى هذه الفترة من أواخر الستينيات واستقطبت دروسهم الجماهير . . . وفى مقدمة هؤلاء العلماء كان فضيلة الشيخ محمد الغزالي الذى كان خطيبًا بمسجد عمرو بن العاص أقدم مسجد فى إفريقيا، ثم الشيخ سيد سابق الذى بدأ يعود للحياة العامة بقوة فى أوائل السبعينيات، وانتعشت المساجد بعد أن ارتفعت عنها القبضة الأمنية أكثر حين مات الرئيس جمال عبدالناصر فى سبتمبر عام ١٩٧٠»(١).

- **هذا وقد نشرت مجلة «الحوادث» اللبنانية بتاريخ ٢٣ أغسطس سنة ١٩٧٤ تقريراً جاء فيه:**

«امتلاء المساجد بالمصلين، وبدأت ظاهرة أيام الجمع والصلاة في الشوارع والميادين: شوارع فؤاد وشريف. . . التحول الجديد كان مظهراً آخر من الردة على ما يسمى موجة الإلحاد والإباحية الممثلة في الثياب القصيرة جداً وفي العري الذي لا يقبله مجتمع محافظ له تقاليده وعاداته. . .

أثناء حرب رمضان ازداد ازدحام المساجد، الوجوه التي ظهرت في المساجد لم تكن تظهر من قبل. . .

ظهر أثر ذلك في بعض البرامج الإذاعية، وفي برنامج تلفزيوني شق طريقه بصعوبة بالغة، البرنامج يحمل عنوان «هدى الله» مقدم البرنامج فتاة اسمها كريمان حمزة، اهتدت فجأة فانقلبت أوضاعها رأسًا على عقب. . .

وتقف الصحافة ووسائل الإعلام من هذه الظاهرة موقفًا سلبيًا. . .

الهزيمة بدلت كثيراً من المفاهيم في مصر، ثم جاءت موجة إنكار الله وهي موجة مصطنعة روج لها بعض الشيوعيين لتعمق هذه المفاهيم، ثم جاء انتصار رمضان ليغرس في نفوس الناس أن القيم الروحية هي الأجود والأبقى، فكان ما كان مما يُنتظر له انتشار واسع ليس في مصر وحدها. . .»(٢).

(١) انظر مذكرات عبدالمنعم أبو الفتوح في الشبكة العنكبوتية.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٤-٢٩٥.

وكذلك يفهم من كلام الدكتور القرضاوي الذي ساقه في ذكر عوامل الصحوة أنها بدأت عقب النكبة الكبرى سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧[١].

وقد أخبرني الشيخ الشاهد البوشيخي - وهو أستاذ جامعي من فاس، وأحد أعمدة الدعوة والصحوة في المغرب، حفظه الله تعالى - أخبرني أن حرب سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧ هزت وجدان المغاربة، وأن حرق المسجد الأقصى سنة ١٣٨٩/ ١٩٦٩ ضاعف من ذلك، ووجود عدد من المشكلات الداخلية ساهم في قيام الصحوة.

وأخبرني أنه قد تكونت الحركة الإسلامية في فاس عقب حرق المسجد الأقصى سنة ١٣٨٩ / ١٩٦٩.

وأخبرني أنه كان هناك نشاط قوي لجماعة التبليغ ابتدأ في ذلك التاريخ -المشار إليه آنفًا- أيضًا.

وقالت المستشرقة لوك (Luecke):

إن بعض المستشرقين يرون أن الإسلام لم يتوقف أبدًا عن لعب دور هام في حياة المسلمين لكنهم متفقون جميعًا على أن الإسلام لعب دورًا أكبر في الحياة السياسية في العقود الأخيرة عما في العقود التي سبقتها، ويختلف المستشرقون حول تاريخ بدء الصحوة فالبعض يقول في الستينيات والبعض يقول في السبعينيات، وغالبًا ما يجعلونه بعد عام ١٩٦٧ في أعقاب إطلاق سراح عدد من زعماء الإخوان المسلمين من سجون عبدالناصر بعد هزيمة حزيران. والبعض يجعلونه بعد حرب ١٩٧٣.

ويقول بيبس (Pipes) إن الاهتمام بالإسلام ازداد بعد حرب عام ١٩٦٧ العربية الإسرائيلية، ثم ازداد أكثر بعد معركة عام ١٩٧٣.

أما جانسن (Jansen) فيرى أنه منذ عام ١٩٧٣ تقريبًا وفي أعقاب الحرب العربية الإسرائيلية التي جرت في ذلك العام بدأ يرسخ في عقول مراقبين غربيين تدريجيًا أن ثمة

(١) «الصحوة الإسلامية»: ٢٨.

شيئًا جديدًا يغلي هناك في الشرق، وكأنه عاصفة رعدية تقترب على ارتفاع منخفض من آسيا[1].

إذن البدايات الأولى المبكرة لظهور الصحوة المباركة إنما كانت عقب النكبة سنة ١٣٨٧ / ١٩٦٧، وكانت بدايات مدها الجارف الرائع عقب النصر الجليل في حرب رمضان سنة ١٣٩٣ / اكتوبر ١٩٧٣، وتنامى هذا المد بعد ذلك ليحدث التغيير الأجمل والأعظم في تاريخ المسلمين الحديث، ولله الحمد والمنة.

وسيأتي في ثنايا الفصول القادمة من النقول العديدة الأخرى ما يؤكد حقيقة بدء الصحوة بعد هزيمة سنة ١٣٨٧ / ١٩٦٧.

مفاجأة الصحوة أكثر الناس:

جاءت الصحوة قدرًا رائعًا جليلاً، لم يكن بوسع قوة في الأرض ردها ولا تأخيرها، بل جاءت على قدر وميعاد منضبطين، وذلك تقدير العزيز العليم، ولئن كان كثير من المسلمين العاملين الصالحين ينتظرونها فقد تفاجأ بها عدد ضخم من الفاسدين وأعداء الملة، الذين ظنوا أنهم قد فرغوا من الإسلام، وأنه لا سبيل لظهوره في الأرض وعودته إلى طور التمكين من جديد، وفي ذلك قال الأستاذ محمد قطب كلامًا جليلاً:

«جاءت الصحوة الإسلامية في موعدها المقدور عند الله، وكانت مفاجأة ضخمة لكثير من الناس!

ولكن هل كانت مفاجأة في الحقيقة؟!

إن الذين فوجئوا بها من الداخل كانوا هم الذين نقلوا نقطة ارتكازهم نهائيًا من الإسلام إلى الحضارة الغربية، وأداروا ظهرهم للإسلام على أنه قد ذهب إلى غير رجعة، وأنهم هم - «المثقفين» - هم الطليعة للأجيال القادمة، التي ستتحرر نهائيًا من كل عقابيل الماضي، وتمضي على طريق التحرر إلى نهاية الشوط.

وأما الذين فوجئوا بها من الخارج فكانوا هم الذين بذلوا جهد الشياطين طوال

---

(١) «المستشرقون والصحوة الإسلامية»: بشير بركات: ١٤.

ما يزيد على قرن من الزمان لإبعاد الأمة عن الإسلام بكل الوسائل، ورأوا بالفعل أجيالاً تبتعد تدريجيًا عن الإسلام، وكل جيل يبتعد أكثر من سابقه عن نقطة ارتكازه الأصيلة، فظنوا - بحساباتهم الأرضية - أن الأمة قد أزمعت أن تخرج نهائيًا من الإسلام ولن تعود!

ولكن هؤلاء وهؤلاء كانوا قد أغفلوا حقيقة ضخمة تندرج تحتها حقائق كثيرة لا تسير بحسب حساباتهم، ولا تستطيع حساباتهم أن تصل إليها؛ لأن الله قد جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوا، وجعل في آذانهم وقرًا.

أغفلوا باديء ذي بدء أن الذي يدبر الأمر في هذا الكون العريض كله ليسوا هم، وليس غيرهم من البشر، إنما هو الله!

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: ٦٨].

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧].

والله سبحانه هو الذي قرر أن يبقى هذا الدين في الأرض إلى قيام الساعة على الرغم من كيد الأعداء كله:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨-٩].

وأغفلوا ثانيًا أن الناس في المنطقة الإسلامية قد صحبوا هذا الدين اثني عشر قرنًا كاملة قبل أن يجيئوا هم بسمومهم ليفتنوا الناس عن دينهم، وامتزجت به مشاعرهم، وأصبح هو حياتهم وفكرهم، ومبدأهم ومعادهم، ونبضهم الطبيعي الذي تنبض به قلوبهم، فلا عجب أن يرجعوا إليه ولو غفلوا عنه فترة، إنما العجب كان أن يشردوا عنه ويتجهوا إلى غيره! والعجب الأكبر كان أن يثبتوا على هذا الشرود، ولا يرجعوا إلى نبض قلوبهم الطبيعي!

وأغفلوا- فيما أغفلوا - أن هذا «دين الحق»، لا تنطبق عليه كل تخرصاتهم عن الدين الذي انتهى إلى غير رجعة، والذي كان يمثل مرحلة وسيطة بين السحر والعلم، والذي أخلى مكانه بصفة نهائية للتقدم العلمي والحضاري والتكنولوجي. . . إلخ فكل هذه التخرصات إن انطبقت على دين أوربا الجاهلي - الذي حرفت فيه الكنيسة ما حرفت، وشوهت ما شوهت - فلا تنطبق على الدين الحق، الذي حفظ الله أصوله فلم يطرأ عليها تبديل ولا تحريف، والذي يملك الناس في كل لحظة أن يرجعوا إلى أصوله الصحيحة المحفوظة، فيصححوا مسيرتهم إن أصابها انحراف في أثناء الطريق، دين الفطرة الذي أنزله الله ليلتقي تمامًا مع الفطرة السوية كما أنشأها الله؛ لأنه مفصل على قدها بالضبط، والذي يصحح انحرافات الفطرة كلما وقع فيها اختلال»[1] . . .

وأيًا كان الأمر، فقد جاءت الصحوة الإسلامية في موعدها المقدور عند الله، وإن فاجأت من فاجأت من الناس من هنا ومن هناك![2] .

هذا وقد فاجأت الصحوة أعداء الإسلام من الصليبيين والصهاينة والشيوعيين والعلمانيين فأتت على بنيانهم من القواعد، وأذهبت مخططاتهم أدراج الرياح، وفي ذلك قال الأستاذ أنور الجندي، - رحمه الله تعالى- مبينًا تفاجؤ الغرب ومن وراءه بالصحوة الإسلامية:

«أخذ مصطلح «الصحوة الإسلامية» مكانًا عريضًا في الصحافة الغربية بعد أحداث إيران وأفغانستان وباكستان؛ حيث أخذت مختلف مراكز البحث العلميّ والتاريخي والصحافي تدرس ما أسمته ظاهرة جديدة في العالم الإسلامي من حيث إن هذه الأحداث مغايرة لكل مقاييس السياسة العالمية، ومغايرة لكل الأساليب التي عرفها

---

(١) «واقعنا المعاصر»: ٣٦٤- ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق: ١٩.

العالم الإسلامي في التغيير ؛ حيث كان الغرب قد اطمأن إلى أن التنظيمات الغربية والماركسية من ديمقراطية وليبرالية واشتراكية هي وحدها الوعاء الذي أخذت تتحرك فيه البلاد الإسلامية ، وأن مفهوم الفكر الإسلامي الجامع في كل مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد قد توارى وزال ولم يعد من المستطاع أن يبرز من جديد على مسرح التنظيمات العالمية ، والأيدلوجيات التي احتوت مختلف الأنظمة ، والأقطار الإسلامية[١] .

●●●

(١) «المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر» : ١٩ .

الفصل الثاني:

أمثلة على نشأة الصحوة في البلاد العربية والإسلامية

قبل الخوض في هذا الموضوع المهم ينبغي بيان بعض الحقائق في هذا الباب، منها:

١- **أن الصحوة قامت على أكتاف الشباب والشابات**، فهم الذين كانوا وقودها، وهم الذين تحملوا تبعاتها، وهم الذين كان لهم الفضل الأكبر في إذكاء جذوتها، وهم الذين صبروا على الشدائد والأهوال والعقبات والحوافز التي وضعت في طريقهم، هم هم لا غير.

ولا يعني ذلك عدم مشاركة الكهول والمشايخ في صناعة الصحوة لكني هنا أتحدث عن العدد الأكبر، والنسبة العظمى.

٢- **أن هذا الشباب كان ملء السمع والبصر**، فهو شباب جامعي - في الغالب - مثقف دمث، متخلق بأخلاق عالية، فلم يكونوا من سقط المتاع ولا من نخالة المجتمع.

٣- **هؤلاء الشباب كان أكثرهم متخصصين في دراسات علمية «طبيعية»**، ومن المعلوم أن الصحوة قامت في بلاد الإسلام على أكتاف الشباب الذين كانوا في كليات العلوم والهندسة والطب غالبًا، ولم تقم على أكتاف الشرعيين -إلا قليلاً- لأسباب ليس هذا مجال سردها، وهذا معلوم عند كل من عاش مدة الصحوة، وعرف القائمين عليها، وكلامي هذا في الأعم الأغلب من حالات الصحوة، وقد قال الدكتور القرضاوي- حفظه الله تعالى - وهو مَن هو شهادةً على الصحوة ورجالها:

«ومما ينبغي تسجيله والتنبيه عليه أن طلاب الكليات العلمية التي تشترط المجاميع العليا من الدرجات للقبول فيها، ويقبل عليها عادةً المتفوقون كالطب والهندسة والصيدلة ونحوها هي أكثر الكليات الجامعية عمرانًا بشباب الصحوة الإسلامية؛ حتى أني لاحظت أن طلبة الطب والهندسة في جامعة الأزهر كانوا هم القادة المتحركين والمحركين في الجماعات الإسلامية، وليسوا طلاب الشريعة أو أصول الدين...»[1].

وأنا أشهد في بلدي في جدة أن الذي قام بالصحوة وقادها وتحمل عبئها لم يكونوا إلا

---

(١) «الصحوة الإسلامية»: ١٩.

طلاب الطب والهندسة والعلوم، مع مشاركة من غيرهم، وهذا الذي رأيته بأم عيني من قرابة أربعين سنة.

وكذلك سألت الناس في المغرب الذين شهدوا الصحوة فقالوا الشيء نفسه.

وكذلك الحال في تونس، وفي السودان، وفي تركيا، وفي مصر، وفي أماكن كثيرة من العالم العربي والإسلامي.

أما أوروبا وأمريكا فالصحوة فيها قامت على أكتاف العلميين «الطبيعيين» فقط لا غير.

وقد قال الأستاذ محمد قطب - رحمه الله تعالى - موضحًا أن الصحوة قد قامت على أكتاف الشباب الجامعي المثقف - «الأفندية» كما سماهم - وأن أولئك الذين قامت الصحوة على أكتافهم هم هم أنفسهم الذين كانت دوائر الاستخراب العالمي يظنون أنهم قد قطعوا كل صلة لهم بالإسلام، وأنهم قد فرغوا من إخراجهم من دينهم منذ زمن بعيد:

«كان الناس - قبل الصحوة الإسلامية - قد انقسموا في عمومهم إلى فريقين متباعدين لا يكاد يربط بينهما رابط، كأنهما أمتان منفصلتان، وإن تشابهت بينهما الأسماء!

فريق المتدينين المحافظين، على رأسه أصحاب الثقافة الإسلامية من خريجي الأزهر، ويشمل كذلك كبار السن من سكان المدينة الذين حافظوا على «تقاليدهم الإسلامية» في وجه الطوفان، وإن كانوا قد اعتزلوا المجتمع نجاة بأنفسهم من ذلك الطوفان، كما يشمل أهل الريف الذي لم تكن قد غزته الموجة الكاسحة بعد، فهو على حاله التي كان عليها منذ قرون، شديد المحافظة على تقاليده ولكن حظه من الوعي ضئيل في كل اتجاه، والدين عنده لا يعدو أن يكون مشايخ وأضرحة، وكرامات وأولياء، وتقاليد.

وفريق اتجه إلى الحضارة الغربية على أنها طريق الخلاص من كل ما أصاب العالم الإسلامي من أمراض، وعلى رأسها التخلف الحضاري، الذي اعتبروه عقدة العقد وعلة العلل، وهو الذي يحتاج إلى العلاج العاجل، وعلاجه عندهم هو أخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها - إن كان فيها شر! - لا محالة من ذلك كما قال طه حسين! وإن كان هذا الفريق قد انقسم إلى قسمين تجاه «الدين» أحدهما يرى نبذه كليةً كما نبذته أوربا؛ لأنه هو



سبب التخلف وسبب الأمراض كلها، والآخر يرى أنه لا بأس من بقائه على أن «يلزم مكانه» لا يتجاوزه، ومكانه هو أن يكون علاقة خاصة بين العبد والرب، محلها القلب، ولا شأن لها بواقع الحياة! فليكن «الدين» اعتقاداً في الله واليوم الآخر، وليكن شعائر تعبدية (١)، ولكن لا ينبغي له أن يزيد على ذلك؛ وليس له أن يتدخل في شيء من أمور الحياة السياسة والاقتصادية والاجتماعية؛ ولا علاقة له عموماً بالأمور «المتطورة» - وفي مقدمتها قضية المرأة - فهذه كلها تستمد من الحضارة الغربية، وتستورد من هناك!

الفريق الأول يحمل تراث ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً، ويعتز به ويحافظ عليه، ولكنه لا يدرك على وجه التحديد أي شيء من هذا التراث هو من حقيقة هذا الدين، وأيُّه قد وفد عليه من خارجه أو انحرف عن طريقه الصحيح، ثم هو يزداد اعتزازاً بهذا التراث، واحتضاناً له، وتمسكاً به كلما أحس بتوغل التيار الغربي في حياة الأمة! ويحس - بالفطرة- أن هذا التيار موجّه ضد دينه وأخلاقه وتقاليده، فيرفضه كله، وينظر إليه نظرة الحذر والتوجس، ويحاول قدر استطاعته ألا يمسه من دنسه شيء!

والفريق الآخر بقسميه - النافر من الدين كلية، أو الذي يرى حصره في نطاقه الوجداني والتعبدي، وعزله عن بقية الحياة - هو الفريق الذي تشرب السم الذي بثه الغزو الفكري في نفوس «المثقفين»، كل بقدر ما عبّ من هذا السم، وكل بقدر ما استراح للقدر الذي تشربه من السموم!

وعملاء الغزو الفكري في الداخل، والمخططون له من الخارج، يمدون لهذا الفريق في الغيّ؛ ليدفعوه دفعة جديدة بعيداً عن الإسلام، ويستخدمون في ذلك كل وسيلة، ويتخذون من موقف الفريق الأول ذاته مادة للتنفير من الدين، وتشويه صورته في نفوس الناس!

هل يريدون الدين؟! انظروا إلى هؤلاء المشايخ! انظروا إلى تزمتهم وتعصبهم، وضيق أفقهم وقلة وعيهم، وقلة خبرتهم بما يجري في الدنيا من حولهم، إنهم يعيشون بعقلية

---

(١) لم يكن كثير منهم يؤدي الشعائر التعبدية، إنما كانوا يعتبرون ذلك جائزاً لمن أراد!!.

«القرون الوسطى» ويريدون أن يحكموا على الحاضر «المتطور» بعقليتهم المتأخرة تلك، وأنى لعجلة التطور أن تتوقف من أجلهم؟! بل ستمضي في طريقها وتسحقهم سحقًا!...

وفي هذا الجو والناس - بفريقيهم - على هذه الصورة قامت الصحوة الإسلامية -مفاجئة- في جميع الاتجاهات لما كانت عليه حياة الناس، فكانت منعطفًا حادًا في الطريق!

كانت المفاجأة الأولى أن الذين يحملون الدعوة إلى الإسلام في هذه المرة هم «الأفندية» وليسوا «المشايخ»!

وكانت هذه كذلك هي الطامة الكبرى!

فحينما نجح المخططون في حصر «الدين» في المشايخ، وسلخ «الأفندية» منه، كان ذلك في حسهم نصرًا مؤزرًا؛ لأنهم بذلك قد حصروه في العنصر المتخلف المنقرض الذي ليس له امتداد، أما اليوم فماذا يفعلون «بالأفندية» حين يحملون الدين؟!

لقد كان «الأفندية» هم حملة التغريب، وهم في الوقت ذاته الأداة التي يستخدمها المخططون لجر الأمة كلها إلى العبودية للغرب، والانسلاخ من الإسلام، باعتبارهم حملة الثقافة، وحملة العلم، وحملة الحضارة، وحملة الرقي، وحملة الوعي، وعنوان التقدم.

وقد كان تغيير الزي في ذاته مقصودًا لأمر يراد.

فقد كان مع الزي «الوجهة»؛ أي أن الذي يرتدي زي الغرب يتجه في الوقت ذاته إلى المكان الذي استورد الزي منه، فيستورد منه أفكاره وتقاليده وأنماط سلوكه ونظم حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي كل اتجاه.

وكان تقسيم الأمة إلى فريقين متميزين لا رابط بينهما مقصودًا كذلك لأمر يراد.

فالمشايخ يتجهون إلى الشرق؛ إلى الإسلام، ويُضفى عليهم من صفات الجمود والرجعية والتخلف ما ينفر «الجيل الجديد» منهم، ويبعدهم عن أن يكونوا قدوة لأي مقتدٍ[1]، و«الأفندية» يتجهون إلى الغرب؛ إلى أوربا، وينسلخون من الإسلام، ويُضفى

(١) وكان في موقفهم الذاتي - كما أسلفنا بيانه- ما يساعد الأعداء على إضفاء هذه الصفات عليهم، وما يصدّق هذه الصفات.



عليهم من صفات التقدم والرقي وسعة الأفق وعمق الإدراك ومسايرة ركب الحضارة ما يجعلهم هم القدوة لمن أراد الاقتداء[(١)] .

لذلك كان تغيير الزيّ يحمل معه بالفعل تغيير الاتجاه .

فاليوم تأتي المفاجأة من أن الذين غُيِّر لهم زيهم ليغيروا وجهتهم ، هم أنفسهم - بزيّهم - الذين يعودون إلى الإسلام ، ويحملون الدعوة إليه!

وكانت المفاجأة الثانية أن دعاة الإسلام الجدد من «الأفندية» لا يقفون موقف «الجمود» من «الحضارة الغربية» فيرفضوها جملة ، ويأبوا أن يأخذوا أي شيء منها ، بل إنهم يعلنون أن فيها أشياء نافعة ينبغي أخذها والاستفادة منها ، كالتقدم العلمي والتقدم التكنولوجي والروح العملية وعبقرية التنظيم ؛ وفيها أشياء ضارة لاينبغي للمسلم أن يقع فيها كالإلحاد والكفر ، والفكر المادي الذي ينكر وجود الخالق سبحانه ، أو ينكر تدبيره لكل شئون الكون ، والفساد الخلقي الذريع الذي يهبط بالإنسان إلى الدرك الحيواني بل أسفل منه[(٢)] ، وآلية الحياة التي تنفي المشاعر الوجدانية وتبعدها عن مجال «الحياة العملية» ، والفردية الأنانية التي تقطّع الروابط الأسرية والروابط الإنسانية ، وفيها إلى جانب هذه وتلك نظم سياسية واجتماعية واقتصادية يختلط فيها الخير والشر ، فأما الشر فينبغي نبذه لا محالة ، وأما الخير - أي ما كان موافقًا للإسلام - فينبغي أخذه من مصدره الرباني المنزل من عند الله .

ولم تكن هذه المفاجأة أخف وقعًا على المخططين من الأولى .

فكما كان زي المشايخ - الذي نفّروا منه الجيل الجديد بكل وسائل التنفير - سلاحًا في أيديهم حين صار «الأفندية» هم حملة الدعوة الجديدة إلى الإسلام ، كذلك كان موقف الرفض البات الذي يقفه المشايخ من الحضارة الغربية سلاحًا في أيديهم يستخدمونه في حرب الإسلام ؛ إذ يصفون تلك الحضارة بكل طيب من النعوت ، ويصورونها على أنها

---

(١) وكان فيهم من قشور الثقافة ومظاهر الحضارة المادية ما يساعد الأعداء على إضفاء هذه الصفات عليهم بحيث تبدو كأنها حقيقة .

(٢) يقول تعالى عن أمثالهم : ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف : ١٧٩].

هي العلاج لكل مرض ولكل مريض، ثم يقولون إن المشايخ يرفضونها جملة وتفصيلاً، فيظل المشايخ في موقف اللوم، وتظل الحضارة الغربية في المقام الذي يتطلع الناس إليه، فجاءت الدعوة الجديدة على يد «الأفندية» لتسقط هذا السلاح أيضًا من أيديهم؛ لأن الدعوة الجديدة لا ترفض تلك الحضارة جملة، بل تنادي بأخذ النافع منها، ورفض الشر الذي يتفق كل عاقل على أنه شر! . . .

فاليوم تجيء الصحوة الإسلامية على يد «الأفندية» فتحدث موقفًا شديد الإغاظة للمخططين وأتباعهم على السواء، فكما أن دعوتها لأخذ النافع من الحضارة الغربية يسقط عنها تهمة الرجعية والجمود الذي كانوا يصمون به المشايخ فيتلبس بهم، فكذلك دعوتها «للانتقاء» من هذه الحضارة، وعدم أخذ ما هي غارقة فيه من الفساد الخلقي والانتكاس النفسي والإنساني يفسدها هدفًا هامًا من أهداف حملة التغريب، وهو نشر الفساد والإلحاد- تحت عنوان الحضارة والرقي والتقدم - لإذابة ما بقي من كيان هذه الأمة، وتحويلها إلى «غثاء كغثاء السيل» لا جذور له ولا انتماء، فيتبدد في التيار.

وكانت المفاجأة الثالثة أن الدعاة الجدد جاءوا يقولون للناس: إن ما أصاب المسلمين من التخلف والجمود والضعف والتأخر في جميع الميادين لم يكن سببه الإسلام إنما سببه البعد عن الإسلام، والانحراف عن صورته الصحيحة، وأن الصورة الحقيقية للإسلام ينبغي أن تؤخذ من مصادره الصافية الأولى: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وحياة السلف الصالح الذين طبقوا هذا الإسلام أول مرة في واقع الأرض، فكانوا عجبًا في التاريخ، وكانوا ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾.

لقد كان المخططون وأذنابهم قد بثوا في رُوع «المثقفين» أن الإسلام هكذا جمود ورجعية وتخلف، وعجز عن النهوض والتقدم، بل مانع من النهوض والتقدم، وأن ما حل بالمسلمين هو النتيجة الطبيعية لكونهم مسلمين! وأنه لا طريق لهم لعلاج ما هم فيه من التخلف والضعف، والفقر والجهل والمرض إلا أن ينبذوا الدين كما فعلت أوربا من قبل، فإنها لم تتقدم إلا حين حطمت «الأغلال» التي كانت تعوقها عن التقدم، أغلال «الدين» وما حوله من أخلاقيات وتصورات وتقاليد.



فاليوم يثير الدعاة الجدد قضايا مغايرة تمامًا، يفرقون فيها بين الإسلام في صورته الصحيحة وبين الواقع المنحرف الذي يعيشه المسلمون باسم الإسلام؛ كما يفرقون بين الدين الذي انسلخت منه أوربا، والدين الذي نزل من عند الله وتكفل الله بحفظ أصوله من التحريف، فبقيت على صورتها المنزلة، وأصبح الرجوع إليها ممكنًا في كل لحظة؛ ويفرقون بين «الحكومة الثيوقراطية» التي قامت في أوربا في قرونها الوسطى المظلمة، التي كان يحكم فيها «رجال الدين» بما شاءت لهم أهواؤهم من الجهالات والمفاسد، والحكومة الإسلامية التي يحكم فيها من يختاره المسلمون لحكمهم، ولكنه يتقيد في حكمه بما أنزل الله؛ وأنه ليس في الإسلام «رجال دين» يحكمون أو يشرعون للناس بما يشاءون، إنما فيه «علماء» و«فقهاء» لا يلبسون مسوحًا خاصة، ولا يشكلون طبقة، وليس لهم سلطان ولا حصانة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، ويملك أي إنسان أوتي قدرًا صالحًا من العلم أن يناقشهم ويجادلهم ويخطّئ اجتهادهم إن كان دليله أقوى من دليلهم! وأن الإسلام دين «مفتوح» أمام كل معتنقيه، يملكون أن يتفقهوا فيه بقدر ما توصلهم إليه مداركهم، وليس حكرًا على طبقة من الكهنوت، تحتكر نصوصه، وتحتكر تفسيره، وتحتكر حق تبديله وتغييره حين تشاء!

وحقيقة إن الذي يقوله «الأفندية» حملة الدعوة الجديدة لم يكن كله جديدًا، فقد كان «المشايخ» من قبل يقولون شبيهًا به من بعض نواحيه، فحقائق الإسلام واحدة، والحديث عنها لا بد أن يتلاقى في بعض جوانبه، ولكن أحدًا لم يكن يأبه لما يقول المشايخ - لا المخططون ولا أتباعهم - لجملة أسباب:

- فهو أولاً كلام صادر عن «المشايخ»، وهم في ضياعهم الذي هم فيه! فيضيع معهم كلامهم مهما يكن فيه من الحق!
- وهو ثانيًا كلام ليست وراءه «حركة»! ومن ثم يموت حيث هو على ألسنة قائليه، أو في آذان سامعيه - إن سمعه أحد! - لأن أصحابه لا يتحركون به، لا يحولونه إلى «دعوة»، لا يجمّعون أحدًا حوله ليعتنقه ويؤمن به، ويجعل تحقيقه غاية يعيش من أجلها، ويتحمل ما يتحمل في سبيلها.



- ثم هو فضلاً عن ذلك كلام مصبوب في قوالب جافة، هي القوالب التي كانت العقيدة قد صبت فيها منذ قرون طويلة، ذهنية تجريدية لا تخاطب الوجدان ولا تحركه، ولا تساير عقلية الذين يوجه إليهم الخطاب في الوقت الحاضر، ومن ثم فهي مرفوضة ابتداء من «المثقفين» خاصة، لا تمثل بالنسبة إليهم زادًا فكريًا يعيشون عليه، ولا زادًا روحيًا يبعث ما ضمر من أرواحهم في موجة التغريب العاتية.

أما على يد الدعاة الجدد من «الأفندية» فقد أحس المخاطبون كأنهم يتعرفون على الإسلام من جديد، والإسلام هو الإسلام، حقائقه ثابتة لا تتغير، ولكن طريقة تناوله، وطريقة تعريف الناس به تختلف من عصر إلى عصر، حسب أحوال الناس في كل عصر، وثقافاتهم، واهتماماتهم، ومشكلاتهم، وانحرافاتهم وأمراضهم كذلك، وقد كانت القوالب الذهنية التجريدية «حالة» ألمت بالناس في عصر معين، فاستساغوا يومئذ أن يقدم الإسلام إليهم في هذه الصورة، ولكنها لم تكن الصورة المثلى، ولا الصورة الصالحة لكل زمان؛ لأنها لا تسير على المنهج القرآني الذي أنزله الله للناس كافة وللعصور كافة، يغترفون منه في كل جيل ما يناسب أحوالهم واهتماماتهم ومشكلاتهم، فيلبي حاجتهم في كل مرة، ويعطيهم بقدر ما تفتح قلوبهم وعقولهم، ولكنه لا يجف، ولا يتقولب - كما حدث في عصر معين - إلا أن يصيب الناس ركود وجمود، كان «المشايخ» يحملونه معهم ويحسبون أنه هو الصورة المثلى للإسلام.

أما الدعاة الجدد فقد عادوا به إلى المنهج القرآني، فأذابوا ما حملته الأجيال المتتابعة في ركودها وجمودها؛ ومن هنا أحس المخاطبون كأنما يتعرفون على الإسلام من جديد، فأقبلوا عليه - من شاء الله منهم - بقلوب وعقول متفتحة، متعطشة للمزيد.

وأهم من ذلك - وهو الخطر الأكبر في نظر الأعداء- أنه «حركة»، فهو ليس «كلامًا» في القراطيس، وإنما هو «إيمان» في القلوب؛ إيمان يملأ تلك القلوب فتتحرك به حركة ملموسة في عالم الواقع، وتتخذ موقفا محددًا من كل شيء حولها، وتصوغ سلوكها العلمي على مقتضاه.

- وكانت المفاجأة الرابعة هي انتشار الدعوة انتشارا «ذريعًا» في صفوف المثقفين من الأطباء



والمهندسين والمعلمين والمحامين، وغيرهم من ذوي الثقافات الحديثة، ومن طلاب الجامعة في شتى التخصصات!

ولقد كان الظن أن هؤلاء لا يعودون أبدًا، ولا تستهويهم مثل هذه الدعوة أبدًا! لقد ربوا على أن يصموا آذانهم، ويغلقوا قلوبهم وأذهانهم عن أي شيء يذكر فيه «الدين»، فضلاً عن أن يكون الدين هو المنطلق الذي يُنطلق منه، والمرتكز الذي يُرتكز عليه!

رُبُّوا على أن الدين أمر من أمور الماضي، وأنهم هم يستشرفون للمستقبل! وأن الدين «غيبيات» وهم يعيشون في «الواقع» وأن الدين ممزوج بالخرافة وهم يعيشون عصر العلم!

فما بالهم يعودون إلى كل ما نهوا عنه، وكل ما بذل الجهد الجهيد لإبعادهم عنه! جهد استخدمت فيه مئات الكتب، وألوف المقالات، وألوف الدروس «العلمانية» في المدارس والجامعة، وألوف الصور العارية والأفلام العارية والأغاني العارية، وألوف الفتيات المتبرجات في الطريق، وألوف المراقص والحانات ودور اللهو ودور الفجور؟!»[1].

وكلام الأستاذ طويل لكنه مهم، ومُقعِّد لكيفية ظهور الصحوة وانتشارها.

٤- **أن الصحوة الإسلامية بدأت في مصر**، وانتشرت منها، وعم خيرها وفاض بعد أن نبتت في مصر واشتدت وقامت على سوقها.

هذا وقد كانت هناك جهود في بلاد عربية وإسلامية ساندت تلك الصحوة في بداياتها، وكانت هناك أحداث عظام -كالجهاد في أفغانستان وفلسطين- لم تحدث في مصر، لكن الناظر في كتابي هذا يعلم أن الفضل الأول لانبعاث الصحوة -بعد إذن الله تعالى وتوفيقه- إنما هو لمصر، ثم انتشرت بعد ذلك بجهود مصرية وغير مصرية، كما سيظهر جليًا في المباحث القادمة، إن شاء الله تعالى.

●●●

(١) «واقعنا المعاصر»: ٣٦٦-٣٧٩.

المبحث الأول
أمثلة على نشأة الصحوة في البلاد العربية

المطلب الأول

الصحوة الإسلامية في مصر

كانت مصر - ومازالت- قلب العالم العربي والإسلامي؛ ولذلك توجهت إليها سهام التغريب والضلال والفساد، في كل جوانب الحياة حتى صارت مصر غير التي نعرف، ثم أنعم الله عليها بأن جعل مبتدأ الصحوة منها، وعمها نورها بعد ظلام طويل.

قال الأستاذ عبدالحليم عويس(١)، رحمه الله تعالى:

«أنا تخرجت من الكلية نفسها التي تخرج منها الشهيدان حسن البنا وسيد قطب، وكنت أبحث في كليتي عن زوجة متحجبة أتزوجها... فلم أجد إلا ربما واحداً بالمائة في كلية حسن البنا وسيد قطب.

كنا نستحيي أن نقول الاقتصاد الإسلامي، والإعلام الإسلامي، والأدب الإسلامي، كنا في مرحلة انهزام داخلي...»(٢).

- وكتب الشيخ محمد الحامد إلى بعض شيوخه في الشام يصف مصر لما درس بها:

«ماذا يأمل طالب العلم الحقيقي في مصر وهو يرى المحرمات من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله».

وقال في الأزهر يصف شيوخه بأنهم: «غير عاملين بالسنة، وليس عندهم شيء من الروحانية، وطلبة يحلقون لحاهم وشواربهم، وكثير منهم لا يصلون!!»(٣).

(١) هو أحد أساتذة التاريخ المعاصرين المصريين، وله كتب عديدة نافعة في التاريخ الإسلامي، توفي سنة ١٤٣٣/ ٢٠١١ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في الويكيبيديا.

(٢) «الجامعة الصيفية للصحوة الإسلامية»: ٢/ ٧٩.

(٣) «علماء ومفكرون عرفتهم»: ٣/ ٢٣٨.



والشواهد على فساد الأحوال والأوضاع في مصر قبل الصحوة كثيرة سيجدها قارئ هذا الكتاب في المباحث الآتية لكني أوردت كلام د. عبدالحليم عويس والشيخ محمد الحامد مدخلاً لما أردت إيراده هاهنا فقط.

بدأت الصحوة في مصر في أوساط الطلاب في الجامعات، التي كان يسيطر عليها الاتجاه اليساري الاشتراكي[1]، وبرز اليسار في اعتراضاته على سياسة الدولة في الحركة الجامعية التي سميت حركة ١٩٦٨ (١٣٨٨هـ)[2]، ثم بعد ذلك قاد الشيوعيون الاعتراضات على سياسة الدولة، وكان ذلك أواخر سنة ١٣٩١/ ١٩٧١ والسنة التي تليها[3].

ثم في أواخر سنه ١٩٧٢/ ١٣٩٢ تكونت جماعة «شباب الإسلام» في كلية الهندسة بجامعة القاهرة، وحظيت بتأييد غالبية الطلبة على وجه سريع أربك الشيوعيين[4]، وكان اتحاد الطلبة في كلية الطب جامعة القاهرة بيد «الجماعة الإسلامية»، وكانت بعض الكليات بيد الشيوعيين والناصريين مثل: كلية الآداب والعلوم والاقتصاد والعلوم السياسية[5].

- وحكى الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح تجربته في كلية طب قصر العيني بجامعة القاهرة فقال:

«كان عملنا في السنتين الأولين تحت اسم (لجنة التوعية الدينية) التي أسسها أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو الفضل لكننا اصطدمنا بكون هذه اللجنة تخضع لسيطرة اتحاد الطلاب ومن ثم تضييق مسؤوليه من المنتمين للتيار اليساري، فقررنا أن نستقل باللجنة ونطلق عليها اسم «الجمعية الدينية» رغم أنف الاتحاد واصطدمنا بهم بسبب ذلك، في الوقت الذي كانت القبضة الأمنية قد بدأت تخف كثيراً.

كنا قد بدأنا ننتشر بين الطلاب أكثر فأكثر رغم معارضة الاتحاد والقوى اليسارية لنا، وكان أن ترتب على ذلك أننا صرنا نشتبك معهم فكريًا وثقافيًا، بل كثيراً ما كنا نتبادل

---

(١) «أسرار الحركة الطلابية»: ٣٥.
(٢) المصدر السابق: ٢٨ وما بعدها.
(٣) المصدر السابق ص ٥٣ وما بعدها.
(٤) المصدر السابق: ١٥٢ وما بعدها.
(٥) المصدر السابق: ١٥٣.



الضرب بالأيدي داخل الكلية حين تحتد المناقشات ويبدأ أحدهم في سب الإسلام أو السخرية من تعاليمه . . .

قررنا في عام ١٩٧٣ - لأول مرة - خوض الانتخابات الطلابية ردًا على الموقف المتعنت، وكان أول اتحاد قررنا دخوله اتحاد كلية طب قصر العيني باعتبارها معقل ومركز العمل الإسلامي وقتها، فترشحنا لجميع لجان الاتحاد الست!

كانت حركتنا قد اتسعت وصارت محل جذب للطلاب والطالبات، وكان الإقبال علينا واسعًا بما يطمئننا على الفوز بالانتخابات . . .

كان الفن أبرز نقاط ضعفنا ومن ثم كانت نقطة الضعف الكبرى في هذه الانتخابات ولزمن طويل بعدها هي اللجنة الفنية، ورغم ذلك استطعنا أن نفوز فيها وفي أربع لجان أخرى . . لنفوز بمجالسها في كلية طب القصر العيني التي أصبح أول رئيس لاتحاد طلابها من الجماعة الإسلامية ومنها انطلقنا إلى بقية جامعات مصر . . .

كان الفوز بمجلس اتحاد كلية طب القصر العيني عام ١٩٧٣ بداية قوية أعطتنا دفعة هائلة للعمل داخل جامعة القاهرة ومنها للجامعات الأخرى، في السنوات التي تلتها، فقد تحول مبنى اتحاد كلية طب قصر العيني (وكان مبنى ضخمًا وله ساحاته وملاعبه الخاصة) إلى المركز العام للنشاط الإسلامي لجامعات مصر كلها؛ حيث كان يأتيه الطلاب المتدينون من كل مكان في الجمهورية، فصارت كلية طب قصر العيني بحق هي الرائدة في العمل الإسلامي في الجامعة، وقد جاء ذلك كله بفضل الله وحده في صورة تلقائية قبل أن يصبح عملاً منظمًا . . .

كان دخولنا اتحاد الطلاب فرصة لزيادة نشاطنا في الجامعة، فازداد عدد الندوات . . .

تضاعفت قدرتنا على تقديم الخدمات نظرًا للميزانية الكبيرة لاتحاد الجامعة، وقد يسرت لنا تلك الميزانية أن ننشر زي الحجاب بين الطالبات وذلك ببيعه لهن، كما سمحت لنا بإصدار وطبع سلسلة كتيبات «صوت الحق» التي كانت منبرًا لنشر أهم الأدبيات الإسلامية التي شكلت وعينا، وصدر منها «رسالة المؤتمر الخامس» للإمام الشهيد حسن البنا،

و«المصطلحات الأربعة» و«نظرية الإسلام السياسية» لأبي الأعلى المودودي، و«هذا الدين» و«المستقبل لهذا الدين» للشهيد سيد قطب وكذلك فصولاً من كتبه أو بعض رسائله مثل «لا إله إلا الله منهج حياة»، و«الطريق إلى الله» للشيخ محمد متولي الشعراوي، و«تفسير سورة الفاتحة» للإمام ابن القيم، و«حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة» للشيخ ناصر الدين الألباني . . .

كان لدخولنا في اتحاد الطلاب أكبر الأثر في التوسع في إقامة المخيمات الطلابية في الصيف والشتاء، وقد كان لهذه المخيمات أكبر دور في الحشد والتربية للأفراد، وكان يصل العدد للآلاف حيث كانت كل مباني المدينة الجامعية تمتلئ عن آخرها بالطلاب لمدة أسبوعين كاملين صيفًا.

وكانت المخيمات الطلابية فرصة كبيرة لنشر دعوتنا بين الطلاب لوجود عدد من الكبار والمؤثرين الحريصين على الحضور معنا مثل الشيخ محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوى الذين كان لهم دور توجيهي تثقيفي كبير، فضلاً عن قيام الليل والمحافظة على الصلوات الخمس والأذكار، والنشاط الرياضي . . .

بعد ذلك صارت كل كلية تقيم مخيمًا صيفيًا إسلاميًا . . .

في هذه الفترة بدأ الحديث في مسألة السمع والطاعة لأمير الجماعة الإسلامية(١) . . . إذ لم نكن نسمي مسئول الجماعة الإسلامية بالرئيس بل بالأمير . . . بعد أن تطورت الأمور وانتشرت الجماعة الإسلامية في الجامعة صار الاتحاد يمثل الجناح السياسي والاجتماعي للجماعة . . . صار الأخ عصام العريان أميرًا للجماعة الإسلامية في جامعة القاهرة ثم جاء بعده الأخ حلمي الجزار الذي كان أميرًا لمجلس أمراء الجماعة الإسلامية . . . في عام

---

(١) هنالك فرق بين الجماعة الإسلامية في الجامعات وبين ما عرف باسم الجماعة الإسلامية بعد ذلك؛ فالجماعة الإسلامية في الجامعات اسم أطلق على الحركة الإسلامية للطلاب فيها والتي ابتدأت من أوائل التسعينيات الهجرية من القرن الفائت/ السبعينيات الميلادية.

أما الجماعة الإسلامية -كما استقر الاصطلاح عليها اليوم- فقد تكونت في آخر التسعينيات الهجرية / السبعينيات الميلادية، وأسسها جماعة منهم ناجح إبراهيم وعبود الزمر والدكتور عمر عبد الرحمن وطارق الزمر وخالد الإسلامبولي وغيرهم، وانتشرت في صعيد مصر، فلا ينبغي إذًا الخلط بينهما عند التأريخ للصحوة.

١٩٧٧ تجمع كل أمراء الجماعة الإسلامية في جامعات مصر كلها تحت اسم الجماعة الإسلامية في مصر، وانتخبت أول أمير لها وهو الأخ حلمي الجزار من كلية طب قصر العيني. . . كانت حركة الجماعة الإسلامية تنطلق بقوة وتكسب أرضًا جديدة كل يوم.

وكان العام ١٩٧٦ من أكثر أعوام الجماعة الإسلامية نشاطًا في مصر. . . في هذا العام بدأت الجماعة الإسلامية سنة إقامة صلاة العيد في الخلاء فنظمت الجماعة الإسلامية في الإسكندرية صلاة العيد في أرض استاد الإسكندرية وحضرها نحو أربعين ألفًا. . .

نظمت الجماعة الإسلامية في القاهرة صلاة العيد في ميدان عابدين وأمَّ الناس فيها فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي وحضرها أكثر من خمسين ألفًا. . .

وفي هذا العام نزل عدد من الدعاة والأساتذة انتخابات مجلس الشعب. . . وكانت الدعاية كلها تركز على أن تطبيق الشريعة هو بداية كل إصلاح وأنه سيعيد وجه مصر المسلمة. . . »[(١)].

- أما الإسكندرية فقد بدأ العمل الطلابي في الجامعة سنة ١٣٩٠/ ١٩٧٠ على يد طالب يُدعى خالد داود في كلية الهندسة، وتدين ٣ طلاب في الجامعة فعملوا مع خالد الجماعة الدينية في كلية الهندسة، ثم حُولت إلى «الجماعة الإسلامية»، ثم في السنوات التالية اشتد العمل الإسلامي بين الطلاب وتعاظم مده، وصار هنالك اعتكاف في رمضان في المدن الجامعية في الأقاليم، وابتدأ التفكير في دخول الاتحادات الطلابية واللجان الثقافية إلى أن تمكن الطلاب من أغلب مقاعد اتحاد طلاب جامعة الإسكندرية.

وفي سنة ١٣٩٤/ ١٩٧٤ أقيمت صلاة العيد في الجامعة!! ودُعي أهل الإسكندرية للصلاة في مصلى العيد في الجامعة.

وكان في مصر خمس جامعات، حذت هذه الجامعات حذو جامعة الإسكندرية في تنظيم العمل، وبايع أمراء الجامعات خالد داود، فبايعه في القاهرة عصام العريان وعبدالمنعم أبو الفتوح، وبايعه أمراء جامعة أسيوط ومنهم أبو العلا ماضي، وبايعه خيرت

---

(١) مذكرات الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح في الشبكة العنكبوتية.

الشاطر، وكان خريج جامعة الإسكندرية سنة ١٣٩١/ ١٩٧١، وبايعه محمد عبداللطيف ومحمود غزلان، ثم وُجه العمل الطلابي ليصب في نشاط جماعة الإخوان بعد خروجهم من السجون واستئناف نشاطهم(١).

وإليكم هذا التفصيل الجيد والمتميز عما جرى آنذاك على لسان د. السيد عبدالستار المليجي:

«تعد فترة السبعينيات بمثابة فترة النمو الكبرى ومرحلة استعادة الهوية في الجامعات المصرية، فالجامعات المصرية التي بدأت تاريخها منذ عام ١٩١٤ بتأسيس كليتى الحقوق والآداب بجامعة القاهرة كان المقصود منها والمستهدف لها أمرين واضحين: الأول تقوم به كلية الحقوق. . . وهو استبدال القوانين الإسلامية الشرعية بقوانين غربية وضعية(٢)، وعلى الأخص فرنسية، وبذلك ينهدم الركن الأساسي للدولة الإسلامية أو العمود الفقري للمجتمع الإسلامي وهو القانون الذي يتحاكم الناس إليه.

والأمر الثاني تقوم به كلية الآداب، ويكمن في تغيير الهوية الثقافية العامة والتي ترتبط بالإسلام عامة، وخاصة من ناحية اللغة والآداب والتاريخ المجيد الذي يعتز به الإنسان، بصفته تاريخ الإنسانية الحقيقي، وكان المقصود من كلية الآداب أيضًا أن تحل اللغات الأجنبية محل اللغة العربية، لغة القرآن، وخاصة في البيئات الثقافية وأوساط المثقفين، كما أرادوا أن يسود التاريخ الأوروبي، وقد رفعوا من شأنه فادعوا أنها «مرحلة التنوير» وصوروا الغاصبين كالفرنسيين مثلاً بأنهم جلبوا إلينا العلم والثقافة، ودرّسوا للناس ما يسمى بفوائد الحملة الفرنسية ومزاياها. . .

وقد مارست كلية الآداب دورها في عملية تغيير الهوية وطمسها في المظهر العام، فأشاعت السفور والاختلاط بين الجنسين بصورة لم يكن يعرفها المجتمع من قبل، وقد تحقق الهدفان المستهدفان من إنشاء الجامعة بالفعل بعد إنشاء كليتى الحقوق والآداب، ثم تم إنشاء بقية الكليات كالطب والهندسة والعلوم في وقت لاحق.

---

(١) «مذكرات الأستاذ محمد حسين».

(٢) الصواب أن يعكس فيقول: استبدال القوانين الغربية بالقوانين الإسلامية؛ وذلك أن الباء تدخل على المتروك؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

فإذا قلنا عن مرحلة السبعينيات إنها مرحلة استعادة الهوية، إنما نقصد استعادة الهوية الإسلامية لشباب الجامعات، واستعادة سيادة الطابع الإسلامي في المظهر العام والحركة السياسية، وسيادة اللغة العربية والألفاظ الإسلامية، وأضحى الإسلام بالجملة هو موضوع الجامعة ومحور المناقشات العامة والخاصة، ففي مرحلة السبعينيات سادت الجماعات الإسلامية وعلا صوت الدعوة إلى الله وامتلأت الجامعات بالمساجد، في ساحة الجامعة ومدن الطلاب، واحتشد الطلاب والأساتذة صفوفًا بين يدي الله خاشعين ضارعين، وتداول الوسط الجامعي ألفاظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشورى والحجاب والنقاب، كما انتشرت الكتب الإسلامية ومعارض الكتاب الإسلامي والمحاضرات الإسلامية، وصارت الجامعة معبرًا حقيقيًا عن أحاسيس الأمة الإسلامية، ومنبرًا عامًا تعبر فيه الأمة الإسلامية عن أحاسيسها ووجهة نظرها تجاه القضايا العامة، ومما لا شك فيه أن ذلك لم يكن مخططًا له من قِبَل الذين أسسوا الجامعة المصرية، بل كانوا يهدفون إلى غير ذلك كما أوضحنا.

وطبيعة عملية النمو الكبرى هذه لا تختلف من الناحية الآلية عن أي عملية طبيعية أخرى، فقد كانت محكومة بالتدرج والزيادة المضطردة بقدر ما توفر لها من عناصر النجاح والدفع إلى الأمام.

فأما عناصر النجاح فقد تمثلت في الظروف التاريخية والظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها الجامعات المصرية والتي يمكن تفصيلها على النحو التالي:

أولاً: سقوط صنم الناصرية:

فلقد مات جمال عبدالناصر عام ١٩٦٧ في الخامس من يونيو ودفن عام ١٩٧٠ في ٢٨ أغسطس.

لقد كانت هزيمتنا أمام شراذم اليهود عام ١٩٦٧ أكبر تنبيه لنا جميعًا أننا نسير في طريق خاطئ ومصير مشئوم طالما تقودنا هذه العصابة التي كشفتها الهزيمة، فإذا هم جماعة من المدمنين الذي يتقلبون بين أحضان الممثلات، بل يتصارعون على ذلك حتى قضى بعضهم على بعض، فمنهم من مات بالسم، ومن لم يمت بالسم مات بغيره، ثم كانت فضيحة



الجيش وانكشاف أمره والعار الذي جلبه على الأمة وهو يفر بلا نظام أو خطة وقد ارتدى بعض الضباط ملابس النساء لينجوا بأنفسهم، وخرج الزعيم على الناس يبكي في انكسار وذلة محاولاً بخبث ودهاء البقاء في الحكم الذي عشقه، ولكن هيهات، فلقد تحطم الصنم وانتهى أمره وانفكت الأمة تبحث عن الأسباب، وكانت النتيجة ضرورة العودة إلى الله فليس لها من دون الله كاشفة، وترتب على ذلك دخول الكثيرين في دين الله أفواجًا، ومن هؤلاء شباب الجامعات.

ثانيًا: جذوة الإيمان الكامنة:

إن روح الإيمان التي غرستها جهود الإسلاميين في فترة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات والستينيات لم تكن لتتغلب عليها أبدًا جماعة من الشراذم الذين لا دين لهم ولا خلق في هذه الفترة، فلقد ظل الإيمان متقد الجذوة عميق الجذور في نفوس المصريين جميعًا، في القرى والنجوع، وفي المدن والساحات التي ارتادتها أقدام الصالحين من الدعاة وسكبوا عليها دموع الخشية من الله وحبات عرق الجهاد في سبيله، وأحيانًا قطرات الدماء إذا تطلب الموقف ذلك.

نعم نجح فريق العلمنة والإذلال أن ينثر بعض الرماد على جذوة الإيمان فيغطيها بعض الوقت، ولكنها كانت موجودة وحية في نفوس الكثيرين من الأساتذة والمربين الذين التقطونا في بداية مرحلة السبعينيات من على أعتاب المساجد كأنهم يلتقطون حبات الزمرد والمرجان فرحين بنا سعداء بلقائنا، وكأنهم كانوا يبحثون عن أولاد لهم قد فرقت بينهم أيام وأحداث.

وفي جامعة عين شمس التي بدأت فيها أولى خطواتي على طريق الله مازلت أذكر حتى الآن الأستاذ الدكتور عبدالغني الوشاحي - رحمه الله - أستاذ طب الأطفال وهو يحملني مع آخرين في سيارته (الفولكس) الصغيرة إلى مسجد في مكان لم أكن أعرفه في ذلك الوقت حيث نستمع إلى حديث طيب ومؤثر من الشيخ إبراهيم عزت ثم يعيدنا الأستاذ الجليل بسيارته إلى حيث كنا، ولا أحسب أنه كان يفعل ذلك بتكليف من أحد إلا حب الله ومرضاته ورغبته في مساعدة هذه النباتات الضعيفة من أمثالنا أن تنمو وتزدهر وتثمر.

وأذكر آخرين كانت لهم أدوار مشابهة من أمثال الأستاذ الدكتور الكريمي أستاذ الفسيولوجيا بكلية الطب أيضًا والذي كان يتبنى معسكراتنا في بدايتها، وفي كلية العلوم أذكر الدكتور محمد الخشان أستاذ الطبيعة الذي كان يجالسنا بالمسجد ويساعدنا على التحصيل، وأذكر الدكتور عبدالمحسن زيكو الذي بحث عني أيامًا بعدما أخرجنا أول مجلة حائط إسلامية حتى لقيني وأحسن وفادتي وتعهدني بالصحبة إلى محاضرات الشيخ محمد الغزالي بجامعة القاهرة وغيرها.

نعم، ماكان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل، لقد اتصل جهاد الصالحين في المراحل السابقة ودام عملهم واستيقظ الإيمان الذي غرسوه ليؤدي دوره عندما حانت الظروف المناسبة.

ثالثًا: صراع الديكة بين الشيوعين والرأسماليين:

ففي بداية السبعينيات بدأ توجه السادات نحو الغرب عامة وأمريكا خاصة، وتخاصم مع الروس وطردهم من مصر، ولم يكن ذلك إلا مقدمة للارتماء في حضن أمريكا وإسرائيل، وهذا ما تم بعد ذلك في اتفاقية السادات- بيجن المسماة بكامب ديفيد المشئومة، وليس هذا مجال الحديث عنها، ولكن ترتب على هذا التوجه غضب الشيوعيين على السادات، فحركوا قواعدهم بالجامعات، وانهالت عليه الشتائم والانتقادات، وعلا صوت الإلحاد حتى صار حكم السادات في مهب الريح، ولجأ إلى اللعبة السياسية المعروفة بضرب الاتجاهات السياسية بعضها ببعض، فأغمض عينه عن التيار الإسلامي المتنامي ليسود بالجامعة ويحل محل الشيوعيين، ومازلت أذكر وأنا طالب بالجامعة في بداية السبعينيات معسكراتنا الإسلامية التي كانت تعقد بالمدينة الجامعية وباشتراك رمزي، وكان يأتينا مندوب من وزارة الشباب يوزع علينا الجوائز في نهاية المخيم، كما كانت تصاريح المحاضرات والندوات غاية في السهولة واليسر من قبل القائمين على إدارة الجامعة في ذلك الوقت، وقد ساهم ذلك كله في الإسراع والتعجيل بسيادة الإسلاميين في الجامعات أثناء فترة السبعينيات.



رابعًا: عودة الغائب:

ففي بداية السبعينيات أفرج عن كثير من الأحرار الذين غيبوا في سجون الناصرية ردحًا طويلاً من الزمن بلغ العشرين عامًا أو يزيد، وقد عاشت مصر هذه الفترة تترقب عودة أبنائها ودعاتها وصالحيها الذين حالت السجون الناصرية اللعينة بينهم وبين أمتهم، فلما خرجوا للحياة بعد طول غياب تلقفتهم أيادي الناس وقلوب الشباب بكل ترحاب وحب وشوق ولفهة، وكانوا جميعًا على قدر المسئولية، فلم يجلسوا لحظة واحدة للبكاء على ما فات، بل انخرطوا في الحال في أعمال جادة مضنية وقد رفعوا شعاراً واحدًا التفوا حوله جميعًا وهو «توريث الدعوة للشباب»، ولقد تحقق لهم - بفضل الله - ما أرادوا، وتشرب شباب الجامعات دعوة الإخوان المسلمين وكلمات الإمام الشهيد حسن البنا كما تتشرب البذور الماء فتنبت وتنمو وتزدهر.

وفي الجامعات التقت الأجيال الإسلامية في بداية السبعينيات، واستمع الشباب إلى توجيهات الأستاذ عمر التلمساني -رحمه الله- بوجهه المضيء وروحه السمحة، وإلى تعليمات الأستاذ مصطفى مشهور الواضحة المحددة المنظمة التي تضع أقدام الشباب على طريق الدعوة بسهولة ويسر، وآخرين من جيل ١٩٦٥ أمثال مبارك عبدالعظيم ومحمد البحيري ومحمود عزت وممدوح الديري ومحمد عبد المعطي الجزار... وآخرين لا أعرفهم ولكن الله يعرفهم، وكفى بالله شهيدًا.

تلك هي عناصر النجاح التي توفرت للدعوة الإسلامية في مرحلة النمو الكبرى أثناء فترة السبعينيات والتي يمكن إيجازها في:

- تحطم صنم الناصرية والشيوعية بهزيمة ٦٧.
- الإيمان الكامن المترقب لعودة الصالحين.
- عودة الدعاة إلى ساحات العمل.
- النهضة الإيمانية في الأمة وعلى رأسها الشباب كرد فعل للظروف المحيطة.

ولكن هل تم ذلك على دفعة واحدة وطفرة سريعة، أم صار في مراحل وخطوات؟

كما أوضحت سابقًا، تم ذلك محكومًا بسنة التدرج ومصانًا بخطوات ثابتة مما أعطاه صفة الثبات والدوام إلى يومنا هذا، ويمكننا أن نلخص خطوات الحركة الدعوية الإسلامية بالجامعات على النحو التالي:

١- مرحلة (القطاع الديني) في معسكر النشاط الصيفي العام.

٢- مرحلة (اللجنة الدينية) المنبثقة من اللجنة الثقافية باتحاد الطلاب.

٣- مرحلة (الجماعات الدينية).

٤- مرحلة (الجماعة الإسلامية) (١٩٧٣-١٩٧٧).

٥- مرحلة استلام اتحادات الطلاب وتأكيد الثقة في الإسلاميين (٧٧-٧٩).

٦- مرحلة انقلاب السلطة على عقبها وتحرشها بالإسلاميين.

٧- مرحلة (الحلويات في المعتقلات).

وفيما يلي نلقى الضوء على تلك المراحل:

أولاً: مرحلة القطاع الديني في معسكر النشاط الصيفي:

كان الصدام الدامي الذي وقع بين العسكريين ممثلين في قادة انقلاب ١٩٥٢ وبين طوائف الشعب المدنية ممثلاً في الأحزاب والقضاء ثم الإخوان المسلمين قد ألقى بظلاله على الحياة العامة في الجامعات كغيرها من قطاعات المجتمع، ففي الجامعة انكمشت الحياة السياسية إلى حد الاحتضار والتجمد، ولم يعد في الساحة الجامعية سوى غربان الحكومة تنعق في أرض خربة من الأفكار، وقد حاول النظام الحاكم أن يوجد صوراً للنشاط الديني من خلال منظماته وبطريقته الخاصة، ومن هنا تواجد ما يسمى بالقطاع الديني في معسكرات النشاط الصيفي.

فقد كان المعسكر الصيفي من الوسائل المتبعة لحشد الشباب حول الفكر الحكومي، وفي كل إجازة صيفية يعقد هذا المعسكر، ويقسم فيه الطلاب إلى قطاعات منها القطاع الديني إلى جانب القطاع الرياضي والقطاع الفني والقطاع الثقافي والقطاع السياسي.. إلخ.



ووسط هذا الحشد الطلابي المتنوع كان القطاع الديني في عام ١٩٧٠/ ١٩٧١ يمثل موطن السخرية من ناحية الشكل والمضمون . .

في جامعة عين شمس -حيث تخرجت- كان المسئول عن القطاع الديني فتاة!! نقف خلفها كل صباح في الطابور مكشوفة الرأس والرقبة والسيقان وكانت تتمايل أمامنا في الحركات الرياضية، وهي على هذا النحو ونحن في هذه المرحلة السنّية الخطيرة، ودعك من تفاصيل أخرى حول القطاع الديني وطريقة معاملته بين القطاعات وما يطلق عليه من نكات وتهكمات، لقد كانت حقًا تجربة قاسية على نفوسنا نحن القلة المتدينة التي قدمت إلى المعسكر منخدعة بالاسم: «القطاع الديني».

وأما المعسكر فكان صورة للحياة الجامعية في ذلك الوقت، فهو معسكر مشترك ومختلط بين فتيات وفتيان الجامعة، يمضون يومهم في البرامج وهم مشغولون عنها، فإذا جاء العصر حيث تنتهي فترات البرامج يجلس المعسكر في الحديقة الواسعة على شكل شلل ومجموعات من البنين والبنات يتمازحون باللسان والأيادي والأرجل وحتى ساعة متأخرة من الليل فيتوجهون كل إلى حجراته؛ البنين في مبنى والبنات في المبنى الآخر.

وأما المادة الدينية التي كانت تقدم في معسكر القطاع الديني فكانت اجتهادات الطلبة المشتركين لبعضهم ومطالعاتهم الخاصة، يتحاورون حولها في خيمة خاصة أعدت لهم، وأذكر أننا كنا نتصارح معًا في هذه الخيمة الخاصة ونبدي استياءنا عن الحالة العامة للمعسكر، ولكن الكبير فينا كان يوصي الصغير بالحذر من معرفة قيادة المعسكر لاستيائنا فيترتب على ذلك طردنا من المعسكر شر طردة.

وأذكر في هذه المرحلة أيضا أن شابًا من كلية الطب هو الزميل عبدالعزيز سويلم كان يتسلل إلى خيمتنا بعد العصر من كل يوم ويعلمنا قراءة القرآن وتجويده، وكنا نتشرب المعلومات بسرعة بالغة حتى خرجنا بعد عشرة أيام ومعظمنا يجيد التلاوة بدرجة عالية، وأحسب أن هذه كانت أكبر الفوائد، ومن الفوائد الهامة أيضًا أننا تعارفنا وتعاهدنا على أن تدوم صلتنا ببعضنا أثناء الدراسة وعلى طول العام المقبل.

وعمومًا تميزت هذه المرحلة بما يلي:

١- قلة أعداد المتدينين إلى حد الندرة.

٢- لا توجد فتاة واحدة تغطي شعرها ولا شاب ملتح.

٣- لا توجد مطبوعات إسلامية ولا محاضرات إسلامية.

٤- الصلاة لمن أراد، ولم يُشَرْ إليها في برنامج المعسكر.

٥- قيادات المعسكر وإدارته من الشيوعيين أو الناصريين مع صعوبة التفريق بينهما.

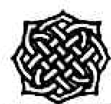
٦- العلاقات السائدة بين الأعضاء من الجنسين تحكمها تصورات ومبادئ غربية أو شيوعية.

وكانت حالة الجامعة مطابقة تمامًا للتوصيف السابق على طول فترة العام الجامعي.

ثانيًا: مرحلة النشاط الديني المنبثق من اللجنة الثقافية (١٩٧٢):

كانت الاتحادات الطلابية مثلها كالاتحادات العمالية والنقابية تمثل مرتعًا خصبًا لممارسة عملية تطويع الأفكار الطلابية للسياسة العامة التي تهدف إليها الأجهزة الحاكمة، ولما كانت السياسة العامة للحكومات التي توالت علينا في هذه الفترات هي معاداة الدين فكان اتحاد الطلاب يسير في نفس الخط المرسوم؛ ونتيجة لهذه السياسة العرجاء فقد استفحلت الأخطار الناشئة عن نمو الحركة الشيوعية بين الطلاب والتي غيرت شكلها الخارجي في بداية حكم السادات فتحولت من التنظيم الطليعي إلى حمل لافتة الناصرية.

وكانت التجمعات الطلابية التي تحمل هذه اللافتة تمثل الشيوعية في كل شيء من استهزاء بالدين وإباحية في التصرفات وبهيمية في علاقة الأولاد بالبنات والطلبة بالطالبات حتى صار شكل الجامعة العام كأنها جامعة في موسكو أو واشنطن، ولم يكن غريبًا أن ترى تحت كل شجرة من أشجار الجامعة طالبًا وطالبة قد تعانقا وإلى جوارهما آخران قد جلسا ممددين يتداعبان بالأيدي والأرجل، والويل لمن يحاول مجرد الاعتراض حيث يواجه بعبارات الاستهزاء ويوصف بأنه متخلف أو رجعي أو متزمت أو فلاح أو إلى آخر قائمة



الألفاظ المحفوظة، فإن توجه إلى مسئول بالجامعة كانت الإجابة المشهورة: وأنت ما لك؟ أي ما شأنك بهم؟.

ولقد استشرى هذا إلى حد كبير بين أعضاء هيئة التدريس بالجامعة أيضًا.

ولم تنج الحكومة المصرية بنفسها في مواجهة المد الشيوعي في الجامعة، وانطبق عليها المثل القائل (سمن كلبك يأكلك) فعندما حاول الرئيس المصري أن يوجد لنفسه قاعدة شعبية تسانده أبت عليه الجامعة وما سمي بعد ذلك مراكز القوى، وكانت هذه القاعدة الطلابية تبعًا لها، ومن هنا جندت هذه المراكز التابعين لها ليقوموا بحملة مضادة لسياسة الرئيس الجديد، وفجأة امتلأت حوائط الجامعات خاصة القاهرة وعين شمس بمجلات حائط تسخر من الرئيس المصري السادات ومن سياسته، ورسمت له صورًا كاريكاتيرية في أقبح الأوضاع وكذلك زوجته مما أشعل في صدره نار الانتقام، ولكن لم يكن لديه ما ينفذ به ما أراد، خاصة وأنه لم يكن لديه أدنى رصيد من الشعبية بين الطلاب في هذا الوقت ولا حتى في الأوقات التي تلت ذلك وحتى مقتله على أيدي الطلاب.

بناءً على ما تقدم فقد أسست الحكومة خطتها في مقاومة هذا الاتجاه على أساس ضربه باتجاه آخر، ولعله من المعلوم لدى أجهزة الأمن والمسئولين في الإعلام والثقافة والتربية والأخلاق أنه لا يقضي على الشيوعية وما شابهها إلا الإسلاميون وخاصة الذين يفهمون الإسلام فهمًا صحيحًا، وإنفاذًا لهذا المخطط وليس لأية دوافع أخرى اتخذت الحكومة عدة خطوات كان أهمها:

١- اتصال الحكومة سرًا بالقلة المتدينة من الطلاب، ومثل الدولة في هذه الاتصالات -على ما أذكر-: أ. د. كمال أبو المجد، وأ. د. صوفي أبو طالب، وأ. د. رفعت المحجوب

٢- رفع شعارات إسلامية والإعلان عنها والدعاية لها بأكبر قدر ممكن في أجهزة الإعلام ومن أشهر هذه الشعارات «العلم والإيمان».

٣- الإفراج عن بعض أفراد جماعة الإخوان المسلمين، والذين كان قد مر عليهم بالمعتقلات من ١٧-٢٣ عامًا.



٤- السماح لبعض علماء الإسلام بدخول الجامعة لإلقاء بعض المحاضرات، وأذكر من هؤلاء: الشيخ محمد الغزالي السقا والشيخ سيد سابق والشيخ إبراهيم عزت، ود. حامد حسين من علماء الأزهر، وترتب على ذلك تنشيط حقيقي للدعوة الإسلامية في الجامعات المصرية بدت مظاهره في المجلات الإسلامية التي تناقش آراء الناصريين خاصة في الاجتماع والأخلاق وكذلك في الدعاية الصريحة للعودة للإسلام وإعلان ذلك في المحاضرات العامة واللقاءات الخاصة مع الطلاب، واتسع النشاط الإسلامي ليشمل النواحي التالية:

١- عقد حلقات تعليمية بالمسجد لتعليم قراءة القرآن الكريم، ولعل أول ما طبع بالجامعة في هذا المجال هي مذكرة علم التجويد.

٢- التفكير في إيجاد شكل منظم لإدارة العمل الإسلامي، فوجد ما يسمى بمسئول حلقة التجويد ومسئول المسجد ومسئول الطالبات ومسئول الإعلام لعمل مجلات الحائط.. إلخ.

٣- المطالبة بأن تكون لنا حصة مالية في ميزانية الاتحاد، وكانت في جامعتي -عين شمس- على ما أذكره ٧٥ جنيهًا في العام كله للإنفاق على النشاط الديني.

٤- عمل قسم خاص بالمسجد كمصلى للطالبات.

وبتصاعد النشاط الإسلامي -والذي كان ينمو ويزداد بسرعة ملحوظة- كان لا بد من الصدام مع الاتجاهات العلمانية سواء كانت غربية أو شيوعية، ولكن نصيحة الكبار كانت تؤكد أن الصراع بين الإسلام وأعدائه لا بد أن يستمر في خط الدعوة والبيان، وأنه من الخطأ تحويله إلى مشاجرات بين الشباب وخاصة أنكم مازلتم في بداية الطريق؛ وإنفاذًا لهذه النصيحة فقد حققنا بعض التقدم في خط سير الدعوة كان من أهم مظاهره أن بعض الطالبات قد تجرأت وحضرت إلى الجامعة وعلى رأسها غطاء يخفي شعرها وبعضهن بدأن يخفين سيقانهن بارتداء البنطلون أسفل ما يسمونه بالجونلة، ولكن لم يكن هناك ما يسمى بالزي الإسلامي المعروف لدينا الآن.



أما من ناحية الوضع الرسمي للمتدينين فكانت الاتحادات ما تزال يسيطر عليها غيرهم، وكذلك النشاطات الكبيرة كالمعسكرات والرحلات والندوات وحفلات التكريم للمتفوقين والأسر الثقافية الخاصة، كل هذه الأنشطة كان يسيطر عليها أصحاب الاتجاهات الغربية أو الشرقية، ولكن هجومهم على الدين وأهله بدأ يتراجع شيئًا ما.

وفي آخر العام الدراسي انصرف كل منا إلى بيته ولم يكن هناك أي تفكير في أن نلتقي لممارسة العمل الإسلامي أثناء الإجازة الصيفية.

ثالثًا: مرحلة الجماعة الدينية:

لم تستغرق هذه المرحلة طويلاً، كان عمرها حوالي ستة شهور بداية من عام ١٩٧٤ ولم تكن سوى مرحلة انتقالية من مراحل العمل الخائف المتوجس الذي لا يشعر بقوته الذاتية، إلى مرحلة العمل الصريح للإسلام ومعاداة غيره والجهر بذلك.

وتبلور ذلك في جمع المسئولين عن الأنشطة الإسلامية بالمسجد تحت مسئول واحد أطلق عليه اسم الأمير، وسمي هذا التكوين بالجماعة الدينية التي سرعان ما غيرت اسمها إلى الجماعة الإسلامية وذلك لأسباب:

- **أولاً:** أن الحركة التبشيرية في هذا الوقت كانت قد تصاعدت وذلك بتولي البابا شنودة رئاسة الأقباط في مصر، ووقعت أحداث الخانكة المشهورة والتي جرت على إثرها معركة بين المسلمين والنصارى.
- **ثانيًا:** أن أجهزة الإعلام كانت ما تزال تضرب على وتر أن الأديان كلها صحيحة، وأن ما عليه النصارى أو اليهود يسمى دينًا وله وجه من الصحة.
- **ثالثًا:** رغبة الحركة الإسلامية أن تعود الأمة لاسمها الذي أراده الله لها ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾ [الحج: ٧٨].

من أجل ذلك لم يكتب لاسم الجماعة الدينية أن يستمر طويلا فتغير بعد ستة شهور تقريبًا إلى «الجماعة الإسلامية» ذلك الاسم الذي دارت حوله الأحداث بعد ذلك.

- **رابعًا:** مرحلة الجماعة الإسلامية:

أو سمها إن شئت مرحلة المعسكرات الإسلامية ويصح أيضًا أن تطلق عليها اسم مرحلة



الترشيد في العمل الإسلامي، وتقع أحداث هذه المرحلة منذ عام ١٩٧٣ وحتى ١٩٧٧ . فلم تكد تمر شهور ثلاثة منذ بداية عام ١٩٧٣ حتى صار اسم الجماعة الإسلامية هو الاسم اللائق والمقبول لدى جميع المتدينين بالجماعات المصرية، وكأننا كنا على موعد، ولم تمانع أية كلية أو أية جامعة في أن تضع لنفسها هذا الاسم (الجماعة الإسلامية بكلية . . .) .

وفي البداية كانت الجماعات الإسلامية بكليات الجامعة منفصلة تمامًا عن بعضها البعض، بل لم تكن موجودة في بعض الكليات، وآخر الكليات إقامة للجماعة الإسلامية عادة كليتا الآداب والحقوق ومعاهد اللغات الأجنبية؛ وذلك يرجع لطبيعة الدراسة وكذلك التكوين النفسي والتربوي لطلاب هذه الكليات والمعاهد. وأسبق الكليات وأجودها تكوينًا على الإطلاق كانت كليتي الطب والهندسة ثم العلوم .

وخلال عام ١٩٧٣ تأكد التكوين النظامي للجماعة الإسلامية بالكليات التي بها جماعة إسلامية فأصبح يعرف ما يسمى بالسمع والطاعة للأمير ما لم يأمر بمعصية، وأصبح يعرف أن كل عمل لا بد أن يكون له مسئول واحد ويساعده آخرون يسمعون له ويطيعون أمره، وكان لهذا الفهم الإسلامي الصحيح أكبر الأثر في نجاح العمل الإسلامي بالجامعة .

وقبل نهاية العام الدراسي بشهر تقريبًا بدأ التفكير الجاد في أن يكون للجماعة الإسلامية معسكر صيفي منفصل عن بقية الأنشطة الأخرى، وبالفعل بدأ الإعداد لذلك .

وفكرة المعسكر الصيفي لم تكن جديدة كما تقدم ولكن الجديد أن يكون للجماعة الإسلامية معسكر منفصل عن الأنشطة الفنية والرياضية وما شابه ذلك .

والمعسكر الإسلامي يبدأ الإعداد له بطلب يقدم من أحد أمراء الجماعة الإسلامية للسيد مدير الجامعة يطلب فيه السماح بإقامة المعسكر في أرض المدينة الجامعية وباستخدام حجراتها وصالات الطعام بها مع تكلفة مبدئية للدعم المالي المطلوب صرفه من الجامعة يسلم إلى إدارة المدينة الجامعية، وفي العادة كان يرافق هذا الطلب البرنامج اليومي للمعسكر والمحاضرون وكذلك قائمة بالمسئولين من الطلبة، وكان يختار أستاذ من أعضاء هيئة التدريس كمشرف عام على المعسكر .

ولم يحدث مرة أن اعترضت إدارة الجامعة على إقامة هذه المعسكرات التي كان يحضرها من ٥٠٠-٨٠٠ طالب في المتوسط ولمدة عشرة أيام.

أما أسباب موافقة الجامعات على إقامة هذه المعسكرات فكانت كثيرة منها السياسي ومنها الأمني ومنها الاجتماعي.

فمن الناحية السياسية: كانت الاتجاهات المعادية لحكومة السادات ممثلة في الناصريين ما تزال لها نوع من القوة والسطوة في الجامعات، وكان يعقد في جامعة عين شمس ما يسمى المؤتمر الناصري العام الذي يضم جميع أفراد النادي الناصري على مستوى الجامعات المصرية، وكل عدة أعوام كان يعقد المؤتمر الناصري الدولي الذي يجمع ممثلين للناصرية من البلاد العربية الأخرى، وكانت حاجة الحكومة المصرية ماسة لدفع النشاط الإسلامي حتى تكون له قوة حقيقية تقف في وجه هذا التيار.

ومن ناحية أخرى كان التحضير قائمًا على أشده لحرب أكتوبر ١٩٧٣، ولم تجد الحكومة المصرية وسيلة للتعبئة العامة أفضل ولا أيسر من إذكاء الروح الإسلامية في الجنود والشعب، ولو لمجرد الحبكة القصصية للموضوع، فلم يكن مقبولاً مقاومة الحركة الإسلامية بالجامعات بينما أجهزة الإعلام تنادي بإبعاد اليهود وتدعو لأخذ الثأر وإعادة الأرض المغصوبة.

ومن الناحية الأمنية فإن أجهزة الأمن تدرك دائمًا أن النشاط العلني يمنع تواجد الأنشطة السرية كأمر طبيعي؛ ولذلك يسهل عليها متابعة هذه الأنشطة العلنية ورصد نموها وحركتها مما يسهل التعامل معها في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب.

أما الطرف الآخر وهو الشعب فكان إقباله جارفًا نحو الإسلام ودعاته خاصة بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، وكانت المؤشرات كلها تشير إلى أن الأمة أصبحت تفكر بجدية في بديل للتجارب الفاشلة التي مرت عليها منذ داهمتنا حكومات العساكر سواء كانوا غربيين أو شرقيين.

لكل ما سبق من ظروف فإن إدارة الجامعة تركت الحبل على الغارب للجماعات الإسلامية، ولكن هذا لم يكن يعني أنها تركت الحبل من يدها خاصة وأن إدارة الجماعة



نفسها كالعادة تكون مربوطة بحبل آخر تمسك به السلطات الحاكمة، وكلهم مربوط بحبل غليظ تمسك به القوة العظمى التي تحكم العالم.

وهكذا بدأت مرحلة المعسكرات الإسلامية وسط هذه الظروف البالغة التعقيد. وإثباتًا للحقيقة فقد كان الشباب الإسلامي حتى عام ١٩٧٤ يفتقد تمامًا للعقلية الإسلامية التي تقدم له التحليل السياسي السليم للأوضاع التي يعمل في ظلها... غير أن هذا الظرف قد زال تمامًا بعد خروج الإخوان المسلمين من المعتقلات في هذه الفترة وصدور مجلة الدعوة بعد ذلك بقليل.

فلم يعد العمل الإسلامي بالجامعة منذ عام ١٩٧٤ عملاً انفعاليًا ولكنه بدأ يعرف طريقه إلى التخطيط السليم والتركيز على المرحلية في العمل والاتجاه الجاد إلى بناء الأفراد الذين يعتمد عليهم في الدعوة إلى الله.

واستمعت الدنيا كلها ومنها الشباب الإسلامي إلى قصص التعذيب الرهيبة التي وقعت للإخوان المسلمين في سجون مصر وغيرها، مما أعطى الموضوع أهمية خاصة وعلم أن طريق الدعوة ليس سهلاً بل له أعداء ما يزالون أحياء يتربصون به.

وكذلك لم يعد الشباب الإسلامي يشعر بالغربة أو الحداثة في العمل، وملأه الشعور بأنه يسير على طريق أجداده بل آبائه القريبين جدًا.

وفي هذه الفترة (فبراير ١٩٧٤) وقعت حادثة الفنية العسكرية[١] وكانت قضيتها الشهيرة وما صاحبها من غموض حول الحادث.

ولكن الفائدة الكبرى كانت تكمن في إظهار الوجه الحقيقي للنظام الحاكم من ناحية فهمه لقضية الإسلام على غير حقيقتها، وأنه ما يزال يستخدم الدين فقط لإيجاد مناخ سياسي مؤقت وليس اقتناعًا بأحقية الإسلام في أن يحكم ويسود.

---

(١) وهي حركة قام بها صالح سرية، وهو فلسطيني عاش في العراق ثم في مصر، وعمل في الجامعة العربية، واستطاع أن يجمع بعض الشباب حوله في مصر وقام بمحاصرة الكلية الفنية العسكرية سنة ١٣٩٤/ ١٩٧٤ واقتحمها، لكن محاولته باءت بالفشل وأعدم سريعًا بعدها.

كما اتضح أيضًا أن المسلمين الخارجين من المعتقلات ما يزالون أصلب عودًا وأقوى عزيمة على مواصلة الجهاد في سبيل الله مما كانت تتوقع الجهات المعادية لهم، وقد بدأ ذلك واضحًا في دفاع الدكتور المحامي عبدالله رشوان عن هذه القضية ووقوفه في ساحة المحكمة خمسة أيام متتالية يقدم دفاعه عن قضية الإسلام أولاً وأن غياب الإسلام هو السبب الحقيقي لهذه الأحداث، وأن المتسبب في غياب الإسلام هو المجرم الحقيقي الذي يجب أن توقع عليه أشد العقوبات.

وقد طويت صفحات القضية إعلاميًا بطريقة سريعة ومستعجلة لأن القوى السياسية لم تكن مستعدة لهذه المواجهة، ولكنها أضمرت في التحضير لمواجهة الحركة الإسلامية المتصاعدة ولو بأسلوب جديد وهو أسلوب التشويه الإعلامي الذي بدأ واضحًا جليًا في قضية جماعة المسلمين والتي أسموها بعد ذلك (التكفير والهجرة)[1].

وكان هذا التشويه الإعلامي مقدمة معتادة لفتح المعتقلات على مصراعيها وإجراء تصفية جسدية للقيادات الإسلامية كما وقع بعد ذلك في القضية التي أسموها (الفتنة الطائفية)[2].

ومرحلة المعسكرات الإسلامية التي نحن بصدد الحديث عنها أخذت أهميتها وتسميتها من خلال الإنجازات الكثيرة التي كانت تتحقق أثناء المعسكرات.

ففي المعسكر الصيفي ينضم إلى النشاط الإسلامي بالجماعة أكبر عدد من الطلاب الذين تعرف أقدامهم طريق العمل الإسلامي الجماعي المنظم لأول مرة.

وفي المعسكر الإسلامي المجال الخصب لتعارف الشاب المعتز بدينه المستمسك به تعارفًا

---

(١) منشئ هذه الجماعة هو شكري مصطفى الذي كان في سجون الطاغية العبد الخاسر في الثمانينيات الهجرية/ الستينيات الميلادية، ففتن من شدة التعذيب ونادى بكفر النظام والجيش والشرطة، وكل من لم يكفر أولئك فهو كافر عنده، وأصدرت جماعة الإخوان من السجن كتابها المشهور «دعاة لا قضاة» في الرد عليه لكنه بقي على فكره حتى خرج في أوائل التسعينيات الهجرية/ السبعينيات الميلادية، ودعا إلى منهجه، واستطاعت المباحث المصرية اختراق جماعته وساقته إلى أحداث انتهت بمقتله.

(٢) وهي أحداث مشهورة باسم الزاوية الحمراء، وكانت بين المسلمين والنصارى في القاهرة سنة ١٣٩٧/ ١٩٧٧.

كاملاً من خلال المعايشة اليومية الكاملة ومدارسة الأحكام الإسلامية المتعلقة بكافة قضايا المجتمع الداخلي والعالمي.

وفي المعسكر الإسلامي كانت الفرصة الوحيدة لظهور الكفاءات الإسلامية القادرة على القيادة والتوجيه خاصة في مجال الشباب.

وفي المعسكر الإسلامي كانت تتحقق عملية تعريف ناشئة الدعوة بالذين سبقوهم على طريق الجهاد الإسلامي المتواصل خاصة أن عددًا لا بأس به من هؤلاء القدامى كان قد خرج بالفعل من المعتقلات التي غيبتهم عنا ربع قرن من الزمن.

وفي المعسكرات الإسلامية الصيفية كانت الفرصة الوحيدة للتحضير الكامل لخطة العمل الإسلامي أثناء العام الدراسي القادم، مع دراسة ما تم إنجازه في العام السابق وتلافي الأخطاء التنفيذية واستشارة أهل الذكر في هذا التخصص **«فقه الدعوة»**...

وقد انتشرت المعسكرات الإسلامية في جميع الكليات والجامعات المصرية حتى أصبحت هي سمة هذه المرحلة.

ففي عام ١٩٧٣ عقد المعسكر الإسلامي الأول لجامعات القاهرة وعين شمس.

ومثلت جامعة الأزهر بقطاع كامل مكون من ٤٠ طالبًا تقريبًا في معسكر جامعة عين شمس.

وفي عام ١٩٧٤ عقد المعسكر الإسلامي الثاني لجامعات القاهرة وعين شمس والأول بالنسبة لجامعة الأزهر.

وفي عام ١٩٧٥ عقد المعسكر الإسلامي الثاني لجامعات القاهرة وعين شمس والثاني بالنسبة للأزهر والأول بالنسبة لجامعات المنصورة والزقازيق وطنطا.

وفي عام ١٩٧٦ عقد المعسكر الإسلامي الرابع لجامعات القاهرة وعين شمس والثالث بالنسبة للأزهر، والثاني بالنسبة لجامعات المنصورة والزقازيق وطنطا، والأول بالنسبة لجامعة المنيا وأسيوط والإسكندرية.

وفي عام ١٩٧٧ كانت كل الجامعات المصرية قد بلغتها المعسكرات الصيفية الإسلامية وأصبحت تقليدًا متبعًا عند الجميع.

وفي العادة كان يسبق المعسكر العام بكل جامعة معسكرات مصغرة بكل كلية من كليات الجامعة كعملية تنشيطية للعقول والأجسام استعدادًا للمعسكر العام للجامعة الذي يمثل فيه عدد من طلاب الكليات الذين حضروا المعسكر الخاص بالكلية.

والمعسكرات الإسلامية يمكننا أن نسميها معسكرات تعريف بالإسلام وتربية الأفراد على ذلك من خلال التعامل اليومي مع الدعاة إلى الله والصالحين من الناس.

ومن خلال البرنامج اليومي للمعسكر يمكن أن تتبين ذلك بوضوح.

وكانت نتائج هذه المرحلة (٧٣-١٩٧٧) كما يلي:

١- أصبح الزي الإسلامي للطالبات هو السمة المميزة والجديدة للجامعات المصرية، وبالفعل أمكن للطالبات المتسترات اكتساح السافرات في مجالات التفوق العلمي والخلقي وكذلك الاستقرار الاجتماعي والنفسي.

٢- انتشر الكتاب الإسلامي بالجامعات خاصة في أوساط الشباب عامة بما يجعله الكتاب الأول من ناحية الموضوعات والتوزيع والجودة في الإخراج والطباعة.

٣- أصبحت المحاضرات الإسلامية والدروس التربوية سمة من سمات الجامعة المصرية مما أثر كثيرًا في تحسين أخلاق الطلاب وإشاعة الفضيلة بينهم وتنويرهم سياسيًا واجتماعيًا، وتبصرتهم بما يدور حولهم من أحداث سواء كان ذلك محليًا أو عالميًا.

٤- برزت على السطح قيادات إسلامية من بين الشباب كان لها أثرها الملموس في توجيه الحركة الطلابية، خاصة أن هذه القيادات كان يراعى فيها أن تكون متقدمة في كل شيء: علميًا وخلقيًا.

٥- تكون بالجامعات المصرية وكذلك الأوساط الطلابية رأي إسلامي عام، وأصبح معلومًا في هذه الأوساط أن التوجيه الفكري والعقائدي مملوكًا للحركة الإسلامية بالجامعة وبغير منافس يمكن أن يحسب له حساب.

خامسًا: مرحلة استلام الاتحادات الطلابية (٧٧ - ١٩٧٩):

إنها مرحلة الدخول في المناطق المحرمة: المناطق التي حرمتها الحكومات على كل من اكتمل إيمانه بالله ورسوله ودينه، إنها مرحلة الوصول الإسلامي إلى منطقة السلطان والإدارة ولو على هذا المستوى الصغير: مستوى إدارة اتحاد طلاب كلية أوجامعة، والوصول الإسلامي إلى مراكز التوجيه في بلاد المسلمين المغتصبة يعني إضاءة النور الأحمر في مكاتب المسئولين عن الإدارات الحكومية في الداخل والخارج على حد سواء.

وهذه المرحلة في حياة الجماعات الإسلامية جاءت نتيجة حتمية لسلامة الدعوة الإسلامية في السنوات السابقة والتي أوضحت لجمهور الطلاب وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المبادئ الآتية:

١- أن الجماعة الإسلامية تمثل صورة صحيحة للإسلام عقيدة وأخلاقًا.

٢- أن أفراد الجماعات قادرون على إدارة شئون بلادهم بأمانة وكفاءة أفضل من أقرانهم من أصحاب الانتماءات الحزبية الأخرى.

٣- أنه واجب على الجميع أن يساعدهم ويقف إلى جوارهم، وفي هذا تعبير صحيح من المسلمين عن نصرتهم للإسلام دينهم الذين يدينون به؛ وذلك لأن نصرة الإسلام تتمثل في نصرة الأفراد الذين يحملونه ويعملون به ويهتمون بشئونه.

بهذا الفهم العام تقدمت الجماعات الإسلامية بأفراد منها في انتخابات الاتحادات الطلابية، وكانت المفاجأة: الجماعات الإسلامية تفوز بمرشحيها على جميع الاتجاهات الحزبية أو الفكرية، بما فيها حزب الحكومة، مع وفرة إمكانياته وضراوة حملته والتي



استخدم فيها التهديد المسلح وخطف أفراد من الجماعة الإسلامية بطريقة سينمائية وتكرر ذلك على مستوى الجامعة والاتحاد العام لاتحاد طلاب الجمهورية. . . [1].

- وسئل الشيخ سلامة العزّامي الصوفي المشهور وشيخ النقشبندية في مصر سئل عن رأيه في الإخوان فقال:

«إن الجامعة قبل الإخوان المسلمين كانت مرتعًا للمتغربين الذين يمشون في ركاب انجلترا وفرنسا والغرب، كما كانت مرتعًا لأهل اليسار والملحدين، فلما جاء الإخوان المسلمون حولوا الجامعة إلى حصن من حصون الإسلام وقلعة للشباب المسلم، فإن لم يكن لهم غير هذا العمل لكفانا»[2].

- ومن وجوه التحول إلى الالتزام بالإسلام في مصر القرار التاريخي بمنع الخمر على طائرات الخطوط المصرية، وقد صدر قرار رابطة الطيارين في شركة مصر للطيران بإلزام الطيارين والمضيفات والمضيفين بعدم حمل أو تقديم الخمور في طائرات شركة مصر للطيران[3] وذلك سنة ١٣٩٦/ ١٩٧٦.

وقد أوردت عقب هذا القرار صورة من مخاطبة الطيار طلعت أحمد سليمان للأزهر يسأل فيه عن حكم الخمر في طائرات الخطوط المصرية، وجاء الجواب حاسمًا وقاطعًا، وعليه بنى الطيارون والمضيفون إضرابهم إلى أن حُرم الخمر على الطائرات، ولله الحمد والمنة.

وهناك مظاهر أخرى سيجدها القارئ مبثوثة في الفصل القادم إن شاء الله تعالى في الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والدينية والإعلامية والاقتصادية وغير ذلك، إنما الحديث هنا عن ابتداء الصحوة.

---

(١) «تاريخ الحركة الإسلامية في ساحة التعليم»: ٣٢-٥٣.

(٢) «مع الدعوة خواطر ومواقف»: ٢٠٢.

(٣) مجلة «المجتمع الكويتية» العدد ٣٢٧ بتاريخ ٩ ذي الحجة ١٣٩٦/ ١٩٧٦.

١٠٧٩
٢/٢٠

١٥٧١
٢/١٩

مصر للطيران
مجلس الادارة



قرار
رئيس مجلس الادارة رقم (٣٧) لسنة ١٩٨٤

مجلس الادارة
بعد الاطلاع علـــــى :ــ
ــ القانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٨٣ باصدار قانون الهيئات العامة وشركات القطاع العام
ــ القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٧٨ باصدار قانون نظام العاملين بالقطاع العام وتعديلاته .
ــ الحكم فى القضية رقم ٨٤٨ لسنة ١٩٨١ عمال كلى شمال القاهرة القاضى بالزام مؤسسة مصر للطيران بالامتناع عن نقل او تقديم الخمور بكافة انواعها الواردة بالجدول الملحق بالقانون ٦٣ لسنة ١٩٧٦ بحظر شرب الخمر وما قد يضاف اليه من انواع اخرى أو بيعها أو تناولها فى رحلات طائراتها على الخطوط الداخلية والخارجية .
ــ الحكم الصادر من محكمة استئناف القاهرة فى القضية رقم ٦٦٢ سنة ٩٩ ق عمال والصادر بجلسة ٢٧/ ٢/١٩٨٣ والقاضى فى موضوع الاستئناف بالغاء الحكم المستأنف الصادر فى القضية رقم ٨٤٨ لسنة ١٩٨١ فيما قضى به فى الشقين ثانيا وثالثا منه وبعدم اختصاص القضاء العادى ولائيا بنظر الدعوى وأمرت باحالتها الى محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة المختصة بنظرها .
ــ الحكم الصادر من محكمة النقض فى القضية رقم ١٠٦٦ سنة ٥٣ ق نقض عمالى والصادر بجلسة ٢٩/١/١٩٨٤ والقاضى بنقض المحكمة الحكم المطعون فيه ــ وحكمت فـــى الاستئناف رقم ٦٦٢ لسنة ٩٩ ق بتأييد الحكم المستأنف فيما قضى من رفض الدفـــع المبدى من المطعون ضدها بعدم اختصاص المحكمة ولائيا بنظر الدعوى وباختصاصهـــا بنظرها واحالت القضية الى محكمة استئناف القاهرة للفصل فى موضوعها .
ــ ومع حفظ حق المؤسسة فى الاستئناف رقم ٦٦٢ لسنة ٩٩ ق بالنسبة للموضوع .
ــ وعلى ماارتآه الشئون القانونية .

قـــرر

أولـــــى : تنفيذ الحكم الصادر من محكمة شمال القاهرة الابتدائية فى القضية رقـــم ٨٤٨ سنة ١٩٨١ عمال كلى شمال القاهرة . بالامتناع عن نقل أو تقديـــم الخمور بكافة انواعها الواردة بالجدول (الملحق بالقانون ٦٣ سنة ١٩٧٦ بحظر شرب الخمر) وما قد يضاف اليه من انواع اخرى أو بيعها أو تناولها فى رحـــلات طائراتها على الخطوط الداخلية والخارجية .

ثانيـــة : على جميع الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار كل فيما يخصه ويعمل بـــه من تاريخـــه .

رفى ١٩/٣/١٩٨٤
==========
بل

مهندس/ محمد فهيم ريان
رئيس مجلس الادارة



الأزهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطابا من طيار/طلعت أحمد سليمان بمؤسسة مصر للطيران وفيه يعرض السؤال التالي بعد المقدمة :

هل يجوز السعي للعمل بشركات الطيران الأجنبية العالمية لما يتوفر لديها من الجدية ، والدقة ، والالتزام ، والأجور المجزية التي تفوق كثيرا مايتقاضاه الطيار في مصر علما بأنها تقوم بالتعامل في الخمور على طائراتها تقديما وبيعا حيث أنها لا تعترف بهذه المسألة الشرعية ولها قوانينها الخاصة بها . . .

الرجاء التفضل بتوضيح الإجابة تفصيلا ، وهل هناك معصية في ذلك وعلى من تقع ؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذا ، وقد أرفق السائل خطابا موجها من فضيلة المرحوم الإمام الأكبر الدكتور الشيخ: عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق - إلى الفريق: محمد حشاد رئيس مجلس إدارة شركة مصر للطيران وفيه بعد بيان حكم الخمر بإيراد نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف مانصه :

" ومن هنا أناشدكم الله ودينكم وغيرتكم أن تعملوا على أن تغير الشركة هذا المسلك وتمنع تقديم الخمور على خطوطها ، وكذلك كل طعام أو شراب حرم الله " يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم " وفقكم الله للعمل بما يرضى الله ورسوله . . . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)

الأزهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

كما أرفق السائل أيضا استفتاء بأسئلة أربعة موجهة إلى لجنة الفتوى بالأزهر وقد أرفق نسخة من فتوى اللجنة على أسئلته فى موضوع الخمر واعتمدت الفتوى بتوقيع من أعضائها ورئيسها وأخيرا اعتمدت بتوقيع شيخ الأزهر الأسبق المرحوم فضيلة الإمام الأكبر الدكتور الشيخ:عبد الحليم محمود ...

والجـــواب

أنه لما كان صاحب هذا السؤال قد انتهى فى كتابه هذا إلى أنه :-

هل يجوز السعى للعمل بهذه الشركات العالمية علما بأنها تقوم بالتعامل فى الخمور على طائراتها - تقديما وبيعا - لركابها أثناء الطيران حيث أنها لا تعترف بالطبع بهذه المسألة الشرعية ولها عقائدها وقوانينها المختلفة الخاصة بها.

وكان المستفاد من هذا أنه يستوضح حكم حل العمل والكسب على هذا الوجه وعلى من يقع الإثم:

ونسوق إليه فى هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه أبو داود وابن ماجة والترمذى وروى عن أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ الترمذى عن أنس بن مالك مرفوعا:

(لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشتراة له)(١)

ولما كان العاملون على الطائرات التى تباع وتقدم عليها للركاب الخمور وغيرها من المحرمات داخلين ضمن هؤلاء العشرة الملعونين بسبب عملهم فيها على هذا

---

(١) قال الترمذى هذا حديث غريب من حديث أنس، قال الحافظ بن حجر والمنذرى، رجاله ثقات - الجامع الصحيح (سنن الترمذى) جـ٣ص ٥٨٩ ، ٥٩٠ ط دار الحديث لبنان والترغيب والترهيب للمنذرى جـ٣ ص ٢٥٠ ط قطر، عون المعبود جـ٣ص٣٦٦ ط الهند سنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى جـ٢ ص١١٢١ ، ١١٢٢ ط الحلبى ، التلخيص الحبير جـ٤ ص٧٣ ط شركة الطباعة الفنية .

الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

(٣)

الأزهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

الوجه كان كسبهم أى مرتباتهم وكل مايعود عليهم من مال بسبب هذا العمل محرما بوصفهم من المعاونين على ارتكاب هذا المحرم وفى نطاق قول الرسول صلى الله عليه وسلم السالف نصه .

هذا :-

ومن الأصول التشريعية فى تحريم بعض الأموال قول الله سبحانه فى سورة النساء (يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ...) (١)

ومعناه - والله أعلم - لايحل لأحدكم أخذ وتناول مال الغير بوجه باطل كما لايحل لأحدكم كسب المال من طريق باطل أى محرم وأخذ المال أو كسبه بالباطل يأتى على وجهين :-

أحدهما : أخذه على وجه غير مشروع كالسرقة والغصب والغلول والخيانة .

والوجه الآخر: أخذ المال وكسبه بطريق حظره الشرع كالقمار أو العقود المحرمة كما فى الربا، وبيع ماحرم الله الانتفاع به كالميتة، والدم المسفوح، والخمر .

وروى الإمام أحمد وابو داود عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شئ حرم ثمنه) (٢)

فدل هذا الحديث على أن كل ماحرمه الله على العباد فبيعه حرام وكذلك كل الوسائل المؤدية إليه مثل حامل الخمر بأجرة تكون هذه الأجرة حراما وكذلك المعاون على حملها كقائد السيارة والطيارة .

---

(١) من الآية رقم ٢٩
(٢) نيل الأوطار للشوكانى جـ٥ ص ١٤٢ ط دار الحديث



وبهذا العرض الموجز لأحداث بدايات الصحوة في مصر -وهناك أحداث أخرى وقعت بمصر سيطالعها قارئ هذا الكتاب إن شاء الله تعالى- تبين جليًا الأمور التالية:

١- إن طلاب الجامعات المصرية، وخاصة طلاب الكليات العلمية: الطب والهندسة والعلوم، هم الذين كانوا وقود الصحوة والعامل الأول في نشرها، وأنها قامت على جهودهم وبذلهم وتضحياتهم.

٢- إن الصحوة انتقلت من الجامعة إلى المجتمع؛ الذي كان مستعدًا لتلقف الصحوة الجديدة والانتفاع بها، فالجامعة كانت المحضن الأول للصحوة ومِن ثم انتقلت إلى المجتمع.

٣- ليست الصحوة نتيجة جهود جماعة معينة بل شارك فيها عدد من الجماعات والاتجاهات، لكن يعود الفضل -بعد الله تعالى- للإخوان في تنظيمها وتسديدها والنأي بها عن الغلو والتطرف.

٤- ويتبين أيضًا من سير تلك الأحداث أن مصر هي التي كانت سابقة في باب الصحوة الإسلامية -كما ذكرت من قبل- لأن الصحوة فيها تقدمت كثيرًا على كل الدول العربية والإسلامية بخمس سنوات على أقل تقدير، فإن الصحوة بدأت تظهر فيها حدود سنة ١٣٩٠/ ١٩٧٠ بينما لم تظهر الصحوة في العراق إلا عام ١٣٩٥/ ١٩٧٥، وفي المغرب في العام نفسه، وفي المملكة حوالي سنة ١٣٩٦/ ١٩٧٦، وفي أكثر بلاد الإسلام كانت الصحوة قد ابتدأت في هذا التاريخ تقريبًا، فمصر سابقة بخمس سنوات على أقل تقدير، والله تعالى أعلم.

●●●



المطلب الثاني

الصحوة في المملكة العربية السعودية

لا تختلف أسباب قيام الصحوة في المملكة كثيراً عن قيامها في غيرها من البلدان التي ذكرتها في هذا الكتاب، فالطلاب كانوا هم وقود الصحوة والعامل الأول في إنشائها وثباتها ودفعها إلى الأمام، ولا تختلف مظاهر الصحوة فيها عن غيرها من البلاد إلا في بعض تفصيلاتها ودقائقها فقط، لكن يمكن القول إن الصحوة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي كما أنها عالة على مصر في النشأة والأفكار وبعض الشخصيات المهمة المؤثرة -كما بينت من قبل- فكذلك هي عالة على المملكة في بعض القضايا التي تفردت فيها، أو كان أثرها أكبر من أثر غيرها بكثير، فمن ذلك:

١- إن بعض علماء المملكة كان لهم أثر كبير في قيادة الصحوة وتوجيهها، وعلى رأسهم وأهمهم على الإطلاق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، رحمه الله تعالى، فقد كان لفتاواه كلمة الفصل في قضايا عديدة تمس الصحوة، وكان لاجتماع الصحويين حوله على اختلاف جنسياتهم وتوجهاتهم أثر كبير في توجيه الصحوة وضبط مسارها بل دفعها إلى الأمام، وكان لجرأته في مناقشة القضايا التي لها صلة بالسياسة أثر كذلك في اجتماع الناس حوله، إضافة إلى أن منصبه الرسمي الذي كان فيه المسؤول الأول عن العمل الإسلامي في المملكة صنع له هيبة لم تكن لغيره، حتى صح القول بأنه أصبح مدرسة تعلم فيها أجيال من أهل الصحوة الإسلامية، والله تعالى أعلم.

٢- إن صحويي المملكة ومن ورائهم كثير من أهلها كان لهم الأثر المتفرد في دفع الجهاد الأفغاني قُدُمًا والمضي به إلى غايته التي قُدرت له، فعونهم المادي والبشري والعلمي كان من أكبر أسباب اتقاد جذوة ذلك الجهاد الذي ظل نبراسًا للصحوة زمانًا طويلاً ورافدًا كبيرًا لها.



٣- إن عدداً من الدعاة في المملكة كان لهم أثر كبير في دفع الصحوة والارتقاء بها، فلقد كانت أبحاثهم وكلماتهم المسجلة تجوب الآفاق ويترقبها كثير من المسلمين في أرجاء الأرض لجرأتها وجدّة موضوعاتها، وحسن خطابها في كثير من الأحيان.

٤- إن بعض الكتب التي ألفها علماء ودعاة ومثقفون سعوديون قد انتشرت في العالم وكان لها أثر كبير في توجيه الصحوة سواء أكانت كتبًا شرعية علمية أم دعوية أم فكرية ثقافية.

٥- المملكة كانت محضنًا لكثير جداً من العلماء والدعاة الذين لجئوا إليها مطاردين من بلادهم سواء مصر أو سوريا أو العراق أو اليمن وغيرها، وأتاحت لهم حرية نسبية كبيرة مما مكن كثيراً من أولئك من مساندة الصحوة بقوة، والعمل على جعلها واقعًا عصيًا على المكائد، والارتقاء بها، وإن ينس التاريخ فلن ينسى أبداً عمل الشيخ محمد الصواف(١) والشيخ مناع القطان(٢) والأستاذ الدكتور توفيق الشاوي، والأستاذ الدكتور عيسى عبده، والشيخ علي الطنطاوي، وأخيه الشيخ سعيد، والشيخ سعيد حوى، والشيخ الألباني، والشيخ محمد الوكيل، والأستاذ محمد قطب، والشيخ عبد المجيد الزنداني، والأستاذ أحمد التوتونجي، والأستاذ مهدي عاكف، ومئات غيرهم بل آلاف من المشهورين ومن المعروفين ومن غيرهم ممن علم

---

(١) داعية إسلامي مناضل. ولد بالموصل سنة ١٣٣٣ وتعلم بها وبالأزهر، وعمل بالتدريس في كلية الشريعة بجامعة بغداد، وشارك في الجهاد ضد الإنكليز. وأسس جميعة إنقاذ فلسطين بالعراق، وجمعية الأخوة الإسلامية، وكان المراقب العام للإخوان المسلمين بالعراق. هرب من العراق إلى الشام بعد ثورة الشيوعيين الذين هاجموا مقر مجلة لواء الأخوة الإسلامية التي أنشأها، وحطموا المطبعة وبدَّدوا المكتبة، ومن الشام خرج إلى السعودية التي عمل فيها في مناصب كان أرفعها ما كان مع الملك فيصل رحمه الله تعالى. له عدد من المصنفات. توفي سنة ١٤١٣ رحمه الله تعالى. انظر «ذيل الأعلام»: ٢٠٠-٢٠١.

(٢) أستاذ مصري معروف، وداعية حصيف. شارك في الجهاد ضد الإنجليز في فلسطين ومصر، وكان رئيسًا لاتحاد الطلاب بكلية أصول الدين. انتقل من مصر إلى المملكة سنة ١٣٧٤/ ١٩٥٣ ليدرّس في كلية الشريعة في الرياض. وكان مديراً للمعهد العالي للقضاء. وبقي في المملكة إلى أن توفي بها -رحمه الله تعالى- سنة ١٤٢٠/ ١٩٩٩. له عدد من المصنفات النافعة. انظر ويكيبيديا على شبكة المعلومات «الإنترنت».



الله جهودهم وخفيت على أكثر الناس، وكان لهم أثر كبير في الارتقاء بالصحوة والمحافظة على اتقاد جذوتها.

٦- قدوم عشرات من كبار الأساتذة للعمل في جامعات المملكة وكان لهم أثر جيد في إذكاء الصحوة؛ فمنهم د. سيد سابق، والشيخ محمد الغزالي، ود. زغلول النجار، والشيخ الشعراوي، والدكتور محمد محمد حسين، وغيرهم.

٧- ولا يُنسى أبدًا أثر الحج والحرمين واجتماع ملايين الناس فيهما كل عام، وذلك كان له أثر كبير في الحفاظ على الصحوة والارتقاء بها.

٨- يقظة الملك فيصل، ودعوته إلى التضامن الإسلامي، وحربه الناصرية والبعث والمذاهب الهدامة الأخرى، ومواقفه التي بينتها في مبحث الجانب السياسي في هذا الكتاب، كل ذلك كان عاملاً لا ينكر في انبعاث الصحوة وإذكاء جذوتها.

٩- الحالة العامة في المملكة كان لها أثر كبير في إذكاء الصحوة، فقد كان كثير ممن يأتيها حاجًا أو معتمرًا أو زائرًا أو عاملاً يتأثر كثيرًا بما هو عليه كثير من أهلها من الالتزام بالإسلام فاللحى، وحجاب النساء الرائع، والأمن، والسكينة، وعدم وجود الملاهي المحرمة مثل السينما والمسارح والمراقص، وعدم السماح بالخمور، وقرار المرأة النسبي في البيت، وكثرة المساجد، وإلزام الناس بالجماعات، وإغلاق المحلات في أوقات الصلوات، ومنع الفطر العلني في رمضان، ووجود هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعملها الرائع الجليل، وكثرة عدد الصالحين كثرة لافتة للنظر.

١٠- وجود بعض الجمعيات المؤثرة والمؤسسات المهمة كالندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية وقت قوتها وجلال أعمالها، ومؤسسة الحرمين، ومؤسسة مكة المكرمة الخيرية، والهيئة العالمية للإعجاز، وهذه المؤسسات وأمثالها هي التي رسخت الوسطية في المجتمع السعودي ونأت بالشباب عن الغلو والتطرف، وبفضل الله سبحانه وتعالى لم يوجد -فيما أعلم- شاب واحد من التكفيريين والغلاة من نتاج تلك الهيئات.

١١- وجود الجامعات الإسلامية: جامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية في المدينة النبوية المنورة وجامعة أم القرى في مكة المكرمة، والأقسام الشرعية في عدد من الجامعات الأخرى؛ هذه الجامعات والأقسام أيضًا رسخت الوسطية، وحافظت على الشباب من تيارات الغلو والتكفير، وتخرج فيها عشرات الآلاف من الطلاب الذين تبوءوا المراكز والوظائف، ولم يعرف عن أحد منهم أنه انتسب إلى جماعات الغلو والتكفير إلا الشاذ الفذ النادر الذي لا حكم له.

١٢- تكامل المناهج التعليمية ووسطيتها: وهذه المناهج الجليلة حلت مكان مناهج أخرى قديمة، وصادف تغييرها بدايات الصحوة، هذا وقد تحدثت عن المناهج في مكان آخر، لكن ما أود قوله هنا إن هذه المناهج هي التي كونت هوية الدولة السعودية، التي اتسمت بالوسطية، ووفرت لهذا البلد قدرًا كبيرًا من الاستقرار والأمن طوال مدة الصحوة.

ولئن احتج محتج بظهور جماعة جهيمان وإلحادها في الحرم فإني أقول إن الكثرة الكاثرة من تلك الجماعة -على رأسها جهيمان نفسه- لم تكن قد تخرجت في الجامعات أو المعاهد وإنما تعليمهم متدن، وهم نافرون من خلطة طلبة العلم والمشايخ، والمجتمع في المملكة قد اتفقت كلمته على نبذ هؤلاء ورفض ما جاؤوا به.

١٣- الأموال الجزيلة التي قدمتها المملكة: حكومة ومؤسسات وشعبًا إلى المسلمين في أرجاء المعمورة كافة، مما كان سببًا في إقامة مشاريع كثيرة جدًا رفدت الصحوة الإسلامية بما تحتاجه من بِنية أساسيةفي بداياتها، ومِن ثم في زمن تعاظم انتشارها ومدها الجليل.

١٤- حلقات تحفيظ القرآن التي انتشرت في مساجد المملكة منذ بدايات الصحوة، واحتضنت مئات الآلاف من الطلاب ونأت بهم عن الغلو والتكفير، وجنحت بهم نحو الوسطية والاعتدال.



١٥- إذاعة القرآن الكريم: أنشئت هذه الإذاعة سنة ١٣٩٢/ ١٩٧٢، أي زمن بدايات الصحوة المباركة التي ظهرت في بعض البلاد العربية آنذاك، وقد كان لبرامجها أثر لا بأس به في ضبط مسار الصحوة وتقويم بعض مشكلاتها؛ وذلك لأنها ظهرت في وقت لم يكن فيه إعلام جاد يتخذ من الإسلام منهجًا له فظهر فيها بعض البرامج التي كان يتابعها جم غفير من المسلمين خاصة أصحاب اللسان العربي منهم، ومن تلك البرامج برنامج نور على الدرب الذي لقي شهرة ورواجًا واسعين.

إلى آخر ما تفردت به المملكة وتميز به مجتمعها، كل ذلك الذي ذكرته وغيره مما أُنسيته كان له أثر كبير في إذكاء الصحوة في نفوس القادمين الوافدين الزائرين وأهل البلاد المواطنين والمقيمين، وأثر في ضبط السلوك، وعامل مهم في توبة الناس ورجوعهم إلى الله تعالى، وشواهد ذلك لا تحصر كثرة.

* وفي ذلك رد على العلمانيين والمتغربين في داخل البلاد وخارجها الذين ما فتئوا يرمون الصحوة في المملكة بشتى التهم، وينبزونها بالغلو بلا دليل من واقع، ولا حياء من افتراء يفترونه على الصحوة وأهلها.

تلك كانت بعض الجوانب التي تفردت بها المملكة تفردًا يكاد يكون مطلقًا في التأثير على الصحوة الإسلامية.

وبهذا يحسن القول إن المملكة كانت هي المحضن الثاني للصحوة بعد مصر التي شرفت بابتدائها ونشرها في العالم، ويبقى البلدان لهما الريادة كل الريادة في إنشاء الصحوة ودفعها والارتقاء بها، وكل بلاد العالم الإسلامي بعد ذلك لهما تبع، والله تعالى أعلم.

●●●



المطلب الثالث

الصحوة الإسلامية في فلسطين

قد عَمَّ في فلسطين الاتجاهات اليسارية والاشتراكية والشيوعية والناصرية والقومية والبعثية لعدة عقود في القرن الماضي، لكن هذا كله قد تغير في أوائل التسعينيات الهجرية / السبعينيات الميلادية؛ حيث بدأ الناس في التحول إلى الإسلام عقيدة وشريعة، وهذا الشهيد - بإذن الله تعالى - عبدالله عزام يبين كيف كان الوضع في فلسطين وأكنافها قبيل الصحوة:

«كان الإسلام غائبًا تمامًا عن الساحة، نعم الحركة الإسلامية عندها بعض العذر أنها مصادرة تمامًا في المنطقة، في مصر سنة سبع وستين كان في داخل السجون أكثر من خمسة عشر ألفًا، طبعًا هؤلاء الذين يشتغلون بالجهاد، في سوريا الإسلام يذبح سنة ٦٧، وتجرأت إذاعة دمشق أن تقول:

آمنت بالبعث ربًا لا شريك له ... وبالعروبة دينًا ما له ثانِ

ودخلت حماة سنة ٦٤ جنود النصيرية لحافظ الأسد وهم يرددون:

هات سلاح وخذ سلاح ... دين محمد ولى وراح

في الأردن أبناء الأردن معظمهم من الفلسطينيين، الفلسطينيون يعبدون عبدالناصر أكثر من ربهم، نعم يعبدون عبدالناصر أكثر من الله، ويطيعونه أكثر من الله، وإذا سُب الله أمام الكثير منهم لا شيء، وإذا سب عبدالناصر تقوم الدنيا ولا تقعد وقد تقتل.

في العراق الإسلام مصادر، الأنفاس مكتومة في كل مكان، ليس في الساحة مجموعة مجاهدة سوى فتح، أقول عند الحركة الإسلامية بعض العذر، حاولت الحركة الإسلامية أن تتدارك الموقف وتنشئ لها كتائب، ولكن سبقها الوطنيون والعلمانيون وغيرهم والمتاجرون بقضية فلسطين، وتدخلت الدول وأنشأت كل دولة لها عصابة ووضعت أميرًا للمؤمنين ومنبرًا.

فأنشأت سوريا الصاعقة السورية، وأنشأت العراق الجبهة العربية، وكانت فتح، ثم



أُخرج لنا نصرانيان من الأردن واحد اسمه نايف حواتمة وأنشأ جبهة ديموقراطية، وواحد اسمه جورج، جورج اسمه ليس عربيًا وأنشأ الجبهة الشعبية، في الجبهة الديمقراطية كان نايف حواتمة وجورج حبش جبهة واحدة اسمها الجبهة الشعبية ثم انفصلا وصارت الجبهة الشعبية لجورج حبش، وصارت الجبهة الديمقراطية لنايف حواتمة، والاثنان يلتقيان على محاربة الإسلام ورفع راية الاشتراكية والعلمانية والشيوعية واللادينية إلى آخره، وعبدالناصر وراءهم. . .

الحركة الإسلامية حاولت، عملت بعض القواعد، ما استطاعت أن ترفع لها شعاراً؛ لأن عبدالناصر وأجهزة الإعلام العربي تتابع كالكلاب المسعورة أخبار هذه الفئة، ست برقيات جاءت من عبدالناصر لياسر عرفات: سمعنا أن الإخوان المسلمين عندك يتدربون؟

المعسكر الذي كنا نتدرب فيه حرثته الطائرات الإسرائيلية حراثة، يعني ما ضرب معسكر، هي ضربت معسكرات للفدائيين في الضفة الشرقية، لكن معسكرنا ما أظن معسكر ضرب كما ضرب. . .»[1].

وقال أيضًا، رحمه الله تعالى:

«وفي سنة (١٩٤٨م) كان الشيوعيون العرب- من أبناء فلسطين- يكتبون إلى موسكو:

« إن جعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود هو الطريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربي»[2]. . .

ولقد عرف الناس جميعًا موقف الشيوعية المخزي تجاه إخوانهم من أبناء جلدتهم، فقد رموا العرب المشردين - الذين يدافعون عن كيانهم وعن حياتهم ودينهم وأعراضهم- عن قوس واحدة، وهاجموهم واعتبروهم معتدين، وكانوا يصفون اليهود أنهم مظلومون، وقد كانوا يعتبرون الدفاع عن فلسطين رجعية دينية ومؤامرة ضد اليهود[3].

---

(١) «موسوعة الذخائر العظام»: ٣/ ١٠٦٤.

(٢) انظر « الشيوعية وليدة الصهيونية».

(٣) انظر «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» ص١٧٠ نقلاً عن كتاب «صفحات مجهولة عن تاريخ الحزب الشيوعي»: الزرقا ومرقص ص١٢٧-١٢٨.

ففي العراق قال الشيوعيون:

«إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق»[1].

وقال سكرتير الحزب في العراق يوسف سلمان الملقب بفهد:

«مرحبًا بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين»، واشترط لها الاشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية.

وألقى فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الأردني سنة ١٩٥٧م محاضرة في الجفر قال فيها:

«إننا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السياسي والاقتصادي والعسكري، وأن اليهود شعب كباقي الشعوب، له حق الحياة، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطى بغربال»[2].

وبعد قيام الثورة الفلسطينية واشتداد عودها اندسّ الشيوعيون في أوساطها، وصاروا ينادون بمقالتهم: «التفريق بين يهودي وصهيوني»؛ وذلك لتمييع القضية الفلسطينية، قالوا: نحن لا نقاتل اليهود الشرفاء إنما نقاتل الصهيونية.

ولا ندري كيف تفرق في الميدان العام بين يهودي شريف على حد زعمهم وبين صهيوني؟! بينما يرى قادة المنظمات الصهيونية أن كل صهيوني يهودي، بل صهيون يطلق على الجزء الجنوبي من القدس (جبل اليبوسيين)، ثم أصبح اليهود يطلقونه على القدس ويسمونها (ابنة صهيون) وفي التوراة (ترنمي يا ابنة صهيون، اهتفي يا ابنة أورشليم)[3].

يقول هرتزل:

«الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد»[4].

---

(١) «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» ص(١٧٠) فما بعدها.

(٢) «هذه الشيوعية في العالم العربي» لعبد الحفيظ محمد ص ٨٨.

(٣) «جذور البلاء» لعبد الله التل ص (١٤١).

(٤) المسلمون والحرب الرابعة لزهدي الفاتح ص (١٨٦).



ويقول بن غوريون:

«أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك، لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أُوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه»[1].

وأخذوا[2] يثقفون الشباب الثقافة الثورية!! ثقافة ماو وجيفارا، وثورية لينين وستالين، وآراء ماركس وحياة كاسترو، لقنوا الشباب عشرين اصطلاحًا يلفون ويدورون حولها: إمبريالية، برجوازية، ديماغوجية، بروليتاريا...

وظن الشباب أنهم قد ملكوا شيئًا جديدًا استبدلوه بدين الله - عز وجل - واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً، وضاع الشباب بين متاهات الفكر ومعمّيات المادية، وتحولت المعركة من جهاد ضد اليهود، ومن كفاح في سبيل الله لاسترجاع الأرض والمقدسات إلى حرب ضد الرجعية (دين الإسلام)، إلى صراع داخلي نُقل إلى كل بيت بين الأخ وأخيه، وبين الابن وأبيه، وبين الفتاة وأمها.

وصار مسؤولو منظمة الأنصار (الشيوعية) - التي ما سمعنا بها إلا من خلال الأوراق - يحاضرون في مجمّع النقابات سنة (١٩٦٩-١٩٧٠م) ويقولون: أعداؤنا «الإمبريالية الصهيونية وليس اليهود الشرفاء!!».

واحتفلت الفئات الثورية في أمانة العاصمة في عمان في (١٠) نيسان (١٩٧٠م) أسبوعًا كاملاً بعيد ميلاد لينين المئوي، وما بقي مفرق طريق، ولا باب، ولا بقالة، ولا حانوت، إلا وألصقت عليه صورة لينين العظيم!!! - غرس دولة الإلحاد في الأرض.

أما في قواعدهم فقد رأيناهم عن كثب، وأسماؤهم الحركية: أبو جهل، أبو لهب، ماو، جيفارا، هوشي منه.

أما سر الليل عندهم: فهو شتم الدين والرب.

---

(١) المصدر السابق: (١٢٣).

(٢) أي الشيوعيون العرب.

أما طعامهم: فقد كانوا يصطادون الكلاب ببنادقهم ثم يأكلونها؛ لأنه لا فرق عندهم بين الكلب والخروف؛ إذ دعوى التفريق خرافة رجعية جاء بها أحد الأعراب في الصحراء اسمه محمد.

ولقد رأيناهم عندما كان الشباب المسلم المجاهد الذي يحمل السلاح يرفع الأذان في التجمعات الفدائية، كان أبناء لينين وماوتسي تونغ يصطفون يلغون ويرفعون أصواتهم قائلين:

إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي

وصدق الله العظيم:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٨].

ولا يزال الشباب المسلم المجاهد الذي يرزح تحت الأغلال في سجون إسرائيل - عندما يقوم للصلاة - يعاني من الضجة التي يفتعلها الذين يعملون لحساب جورج حبش ونايف حواتمة، وكم حصلت خلافات وصدامات بسبب تعرض أحد الشباب المسلم لماو أو لجيفارا أو للينين أو لماركس.

وبعد انتهاء العمل الثوري في الأردن؛ رأينا بعض قادة اليساريين مثل جورج حبش يظهر مرة أخرى في (اليمن الجنوبية الديمقراطية) - أرض عاد - ينظم جامعات ومعاهد لماو وماركس ولينين.

أما القيم والأخلاق فليس لها أي اعتبار عند الثوريين الاشتراكيين، فكم من الرفيقات!! قد غرر بهن باسم فلسطين، وكنت تدخل قواعدهم - خاصة - في مكاتب المدن كعمان، فتجد ذوات البنطال الضيق اللواتي ينمن على أنغام الموسيقى ويستيقظن على أوتار العود بين مجموعات الخنافس والهيبيين!!

وفي مظاهرة في الجامعة الأردنية سنة ١٩٧٩م كانت أصوات هؤلاء ترتفع فتقول:

«مطالبنا شرعية: خبز وأمن وحرية، والشاب بجنب الصبية».

وقد رأيت أحد الشباب اقترب منهم وقد بدأت بعض النعرات الإقليمية تظهر، فقال هذا الشاب الطيب لهم: أيها الإخوة أخاطبكم باسم الإسلام، فقام له أحد المغرر بهم



من الرفقاء الاشتراكيين الثوريين: «مطالبنا على المكشوف: رجعية ما بدنا نشوف» أي: لا نريد أن نرى الإسلام[1].

وما قاله الدكتور عبدالله عزام -رحمه الله تعالى- يوضح الصورة الحقيقية لحال أكثر الفلسطينين قبل الصحوة.

- ومن أعجب الأمور ما ذكره الشيخ عبدالله التليدي[2] في رحلته إلى المسجد الأقصى سنة ١٣٨٦/ ١٩٦٦ فقد ذكر أنه شاهد خموراً تباع داخل حرم المسجد الأقصى - أي داخل السور!! - ورأى آثار الفساد واضحة به، فقال في نفسه: إن هؤلاء القوم سوف يحتلهم اليهود[3].

حال فلسطين وأهلها بعد الصحوة:

«أضاف تفجر المبادئ الإسلامية في قطاع غزة المحتل بعداً جديداً في الاضطراب بين سكان القطاع حيال معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية فقد أسفرت مظاهرات «المتطرفين» في شوارع المدينة عن تدمير بعض المحلات التجارية والمقاهي والمطاعم التي تبيع المشروبات الكحولية، ودور السينما، وتوجه المتظاهرون إلى المقر الرئيسي لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني الذي يعتبر معقلاً للحركة الشيوعية في قطاع غزة».

بهذه الكلمات بدأت جريدة الفايننشال تايمز حديثها عن الأوضاع في قطاع غزة بعد الصحوة، وتضيف الصحيفة قائلة:

«كان هذا التفجر مبعث ذهول واستغراب عدد كبير من الجماعات بما فيها الإدارة العسكرية الإسرائيلية، التي حسبته في البدء مجرد عمل عفوي، ولم تدرك بأنه معد جيداً من جانب الطلبة المتمسكين بدينهم إلا بعد تكرار حدوثه يومياً».

---

(١) «موسوعة الذخائر العظام»: ٩٨٤-٩٨٦.

(٢) هو شيخ مغربي من طنجة، له عدة مصنفات، مازال حياً، حفظه الله تعالى.

(٣) «ذكريات من حياتي»: ٧٧.

وقبل هذا الكلام بشهر واحد تقريبًا، نشرت الصحف أن مسؤولاً أمريكيًا كبيراً رفع تقريراً إلى الرئيس الأمريكي جيمي كارتر وضمنه نصيحة للإدارة الأمريكية بضرورة إقامة حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية؛ لأن الأمة- كما يقول التقرير- تشعر الآن بشيء من النقص لعجزها عن تحرير أرضها المحتلة، وبخاصة القدس، وحذر التقرير من أن استمرار الوضع على ما هو عليه سيؤدي الى انفجار جماهيري تغذيه مشاعر إسلامية عميقة ترفع راية الجهاد المقدس، ولن تستطيع عندها الأنظمة العربية الوقوف صامتة، بل إنها سوف تتحرك مع التيار حتى لا تفقد زمام القيادة.

وقد نشرت جريدة لونوفيل أوبسرفاتور الفرنسية تقريراً عن الصحوة الإسلامية أيضًا ومما جاء فيه:

«منذ أربع أو خمس سنوات نجح » رجال الدين - العلماء - الشباب في فلسطين في إبعاد المسنين عن واجهة الأحداث وركزوا نشاطهم القوي داخل المساجد.

كان الجمهور الإسلامي «المتعصب» يهتف أمام مكاتب الهلال الأحمر: «لنحارب إلى جانب إخواننا الأفغان ضد المعتدين».

لقد وصلت الموجة الإسلامية إلى عرب فلسطين حيث يمكن أن تطيح بالعديد من «المكاسب» !. وقد شهدت السنوات الأخيرة زيادة في توزيع المال حول المساجد على يد الأئمة الذين يوزعون الإعانات على الأشخاص الأتقياء».

إحياء حركة الإخوان المسلمين:

ونشرت صحيفة التايمز تقريراً آخر عن الصحوة جاء فيه:

«أضافت الانتفاضات المفاجئة النابعة عن الشعور الإسلامي المتطرف والعنيف في بعض الأحيان بعدًا جديدًا إلى المشكلات التي تواجهها قوات الأمن الإسرائيلية داخل الأراضي العربية المحتلة، ففي وقت سابق من هذا الشهر حدث ما يزيد على ١٠٠ عملية اعتقال في القرى العربية المزدحمة بالسكان في جنوب «إسرائيل» وفي قطاع غزة في أعقاب القيام بأعمال ذات نزعات دينية قوية، ففي الضفة الغربية تلقى أصحاب محلات بيع الخمور



ودور السينما تهديدات شديدة اللهجة من مجموعات متطرفة من المسلمين بضرورة إغلاق محلاتهم» .

«من الصعب الحكم على هذه الظاهرة بصورة دقيقة غير أن السياسيين الإسرائيليين أشاروا مؤخراً إلى محاولات البعض إحياء حركة الإخوان المسلمين وهي مجموعة دينية متطرفة» .

ويصف بعض المراقبين السياسيين في « إسرائيل» تحرك الإخوان المسلمين بأنه اتجاه يحمل في طياته مضامين خطيرة على المدى البعيد.

هذه مقتطفات مما نشرته الصحافة الإسلامية في فلسطين سواء المحتلة في عام ١٩٤٨ أو في عام ١٩٦٧ »[١] .

وقد نشرت مجلة «المجتمع الكويتية» في عددها ٤٧٩ الصادر سنة ١٤٠٠/ ١٩٨٠ هذه الدراسة المترجمة من صحيفة يهودية :

على مدى ثلاثين السنة الماضية أصاب المجتمع العربي في إسرائيل انحلال تدريجي في القيم بسبب تأثرهم بالغرب وقربهم من المجتمع اليهودي، أضف إلى ذلك أن مصادرة الأراضي العربية من قبل إسرائيل أدت إلى توقف الزراعة التي كانت تشكل الدعامة الرئيسية في اقتصاد العائلة العربية ؛ ولذا فقد تحول المزارعون إلى عمال في المستوطنات اليهودية، وهذا بطبيعة الحال أدى إلى إدخالهم نمط الحياة المدنية إلى بيوتهم ومدنهم.

إن الشباب الذين ولدوا في ظل التحرر من القيم والمثل العربية وهجر العرف الديني قد بدأوا بشُرب المسكرات وأباحوا لأنفسهم ممنوعات أخرى؛ لأن عدم الثقة والانفصال عن الدين ألغى من الأساس الطقوس الدينية فسخروا من القضاة الشرعيين، وفي حفلات الزفاف قدمت المشروبات الكحولية واختلط النساء بالرجال.

وبعد حرب الأيام الستة ومع احتلال الضفة الغربية جرى اتصال بين عرب إسرائيل وبين إخوانهم عبر الخط الأخضر، ففي الضفة الغربية المحتلة يحتل رجال الدين منزلة رفيعة هناك وخصوصًا خريجي الأزهر القاهري الذين أدركوا أن عرب إسرائيل

---

(١) مجلة «المجتمع الكويتية».

متعطشون للدين والقيم الروحية حتى يتذوقوا من جديد طعم الحياة الاجتماعية والثقافية.

وبسبب تلك الكآبة الدينية التي كانت تنتابهم فقد ولدت الاتصالات بين الشباب وبين رجال الدين في الضفة وإن كانت تنمو ببطء. أحد رجال الدين هؤلاء هو الشيخ عبدالسميع الذي جاء إلى الضفة الغربية من مصر فقد وصل للمثلث وبدأ نشاطه في المنطقة يتجول في القرى العربية مع جمهوره.

إن حركة (التائبون) تعاظمت مؤخرًا وخاصة أن أنصارها يضعون نصب أعينهم نجاح الحركات الإسلامية في إيران.

إن أعداد هذه الحركة في تزايد مستمر؛ يقول وليد صادق نائب مدير مدرسة الطيبة الثانوية:

«لقد بدأ الشباب العربي في إسرائيل بالبحث عن الخلاص بعد مرور فترة طويلة من الفوضى في القيم والكآبة الروحية، ووجدوا هذا الخلاص في الإطار الديني فمثلاً عندي في المدرسة تلاميذ كثيرون عادوا إلى طريق الحق، وهم يذهبون إلى المسجد يوميًا، وهو أمر لم يعرفوه من قبل، وقبل مدة تزوج أحد شباب قرية الطيبة وكان من الشباب غير المتدينين ولكنه في المدة الأخيرة عاد إلى طريق الحق فبدلاً من أن يقيم حفلة الزفاف المعتادة فقد أقام مسيرة دينية في الشوارع.

وكان هناك أيضًا مسيرة أخرى يوم المولد النبوي اشترك فيها الآلاف، وأنا أقدر أن ٣٠٪ من الشباب العربي قد عادوا إلى طريق الحق وهم يملأون المسجدين في القرية، أضف إلى ذلك أنهم أنشأوا بيتين آخرين يستمعون فيهما للمحاضرات الدينية ويتناقشون حول قضايا الإيمان ويفسرون القرآن الكريم.

حتى الجامعات في فلسطين وصلت إليها هذه الموجة الإسلامية ففي جامعات غزة اضطر الطلاب الشيوعيون والقوميون والمسيحيون إلى إقامة تضامن فيما بينهم حتى يهزموا

الطلبة الإسلاميين في الانتخابات الطلابية. أما في مدينة نابلس فالجبهة غير الإسلامية المتحدة انهزمت أمام الطلبة الإسلاميين في الانتخابات.

- **وقد بين الأستاذ عدنان أبو عامر كيفية الصحوة في قطاع غزة فقال:**

« قد كان وقع الاحتلال الإسرائيلي صعبًا وقاسيًا على الفلسطينيين في قطاع غزة[(١)]، ومن بينهم الإخوان المسلمون، الذي اعتادوا العمل السري طيلة فترة الحكم المصري في القطاع، واعتادوا أجواء الملاحقة والمتابعة، وبالتالي فقد كانوا أقدر من غيرهم على التعامل المبكر مع هذه الظروف التي أوجدها الاحتلال.

ومما سهّل الأمر على الإخوان المسلمين، أنهم لم يعودوا وحدهم، فمئات الألوف من مواطني القطاع أصبحوا عرضة للقمع والملاحقة من قبل سلطات الاحتلال، وقد تركزت هذه الملاحقة في هذه المرحلة على المنظمات الفدائية التي كانت تشكل الخطر الراهن على جنود الاحتلال، وهي منظمات: فتح والجبهة الشعبية، وقوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفسطيني.

ولمواجهة هذا الاحتلال الداهم، فقد دعت قيادات ورموز جماعة الإخوان المسلمين إلى اجتماع مهم للتعامل مع الوضع الجديد، وقد تم اللقاء في شهر سبتمبر من عام ١٩٦٧ في منزل المرحوم محمد خليل الغرابلي بحي الشجاعية في مدينة غزة.

وقد تركز هذا اللقاء المهم على عدة محاور:

١- اختيار هيئة إدارية لقيادة الإخوان تمثل مختلف أنحاء القطاع.

٢- اختيار المنهاج التربوي للعمل به في الأسر الإخوانية.

٣- نتيجة للشعور بقلة عددهم، قرر المجتمعون كسب أعضاء جدد، عن طريق وسيلتين مهمتين:

- الزيارات الفردية من قبل عناصر الإخوان للأعضاء المرشحين.

- الدروس والمواعظ الدينية في المساجد ودور العبادة.

---

(١) أي سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧.

ولوضع آلية عملية لتطبيق هذه المحاور، وضع المجتمعون عدة أهداف أساسية تكون منطلقًا مهمًا لتحركهم في ظل هذا الواقع الجديد، وتمثلت هذه الأهداف في الآتي:

١- محو الصورة المشوهة التي رسمها العهد الناصري عن الإخوان المسلمين في أذهان الناس، وتجلية صورة مشرقة جديدة.

٢- الانتشار السريع والواسع في المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة، لا سيما بعد ذلك الانكماش الطويل الذي ترافق مع الحكم المصري للقطاع.

٣- تحديد الموقف بصورة واضحة وحاسمة من الاحتلال الإسرائيلي، وبالتالي تحديد مسيرة الإخوان ورأيهم فيما يجري على الأرض من وقائع.

٤- ربط جماعة الإخوان بقطاع غزة بجماعة الإخون بالضفة الغربية، وقد تم ذلك لأول مرة في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين.

ومع ترسخ أقدام الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة- وخاصة في قطاع غزة - كان لا بد للإخوان المسلمين من مراجعة مع النفس وإجراء وقفة مع الذات، في ظل وضع كان المرء يتلفت حوله فلا يجد أحدًا من الجيل الجديد يهتم بالإسلام، فالمسجد العامر لا تجد به شابًا أو شابين يحافظان على الصلاة، وبالتالي لم تكن طريق الإخوان في هذه المرحلة سهلة ولا معبدة بالورود، ومع ذلك فقد بدأت مجموعة من الشباب المسلم ممن يعتبرون طلائع هذا الجيل بالتفكير في الوضع القائم، وكان هؤلاء الشباب يقفون أمام مفترق طريقين:

١- إما البدء بعملية حرب عصابات ضد اليهود، كما فعلت المنظمات الفلسطينية، والواقع هو الواقع، باستعمال نفس الشباب، الذين تربوا في ظل هذه الأنظمة والأفكار البعيدة عن الإسلام.

٢- وإما الانطلاق بعملية بعث حضاري شامل للأمة في سبيل إحياء الإسلام في نفوسها، وبعد عملية البعث هذه تكون الانطلاقة نحو التحرير.



وقد بدأ فصل جديد في تاريخ الإخوان المسلمين في قطاع غزة عقب هزيمة ١٩٦٧؛ حيث شرعوا في عملية البناء الهادئ للقوة الإسلامية، فلم يشاركوا في النزاع المسلح الذي كانت تقوده منظمة التحرير الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي، وركزوا على إقامة بنية تنظيمية واسعة، وفي منتصف السبعينيات عندما وصلت الحركة القومية الفلسطينية إلى ذروتها، كان الإخوان منشغلين بإقامة بنيتهم.

علمًا بأن بروز حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة جاء ليحول دون بروز الاتجاه الديني كقوة سياسية ذات بال؛ حيث عانى الإخوان المسلمون في قطاع غزة من حالة ضعف وتشتيت، بسبب إجراءات الملاحقة والاضطهاد التي تعرضوا لها من قبل الإدارة المصرية، كما أن قيام حركة فتح في أواخر الخمسينيات سلبهم خيرة قياداتهم وكوادرهم؛ ولذلك فقد كان الإخوان بحاجة إلى وقت طويل لاستجماع قواتهم، والعودة إلى الساحة كقوة سياسية، الأمر الذي لم يتحقق إلا في أواخر مرحلة السبعينيات.

وتشير الوقائع والأحداث إلى أن هذه المرحلة تميزت بخفوت التأثير الإخواني في مسار القضية الفلسطينية على الصعيدين: السياسي والعسكري، واتجهت حركتهم في قطاع غزة نحو نظرية التغيير الاجتماعي، وأعطوها الأولوية في نشاطهم وتحركهم في المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال، فقد كانوا يرون أن التغيير الاجتماعي سيقود إلى التغيير السياسي، ولا بد من إحداث هذا التغيير حتى يصبح المجتمع ناضجًا لممارسة المقاومة الشاملة للاحتلال، وأن أي حركة ستقاوم الاحتلال لا يمكن أن تصمد بدون توفر الأرضية المناسبة والمناخ الملائم.

ويمكن إرجاع هذا التصور عند الجماعة إلى عاملين أساسين:

١- **العامل الأول:** تمثل في الضربات الشديدة التي تلقاها الإخوان المسلمون في بعض الأقطار العربية، وعلى الأخص في مصر، وكانت من العنف والشمول لدرجة أنها طالت معظم العاملين في الحركة الإسلامية، وقضت على الكثير من تنظيماتهم ومؤسساتهم، الأمر الذي انعكس سلبًا وبشكل واضح على نشاط الإخوان



الفلسطينيين، على أساس أنهم غير مفصولين عمليًا عن جماعة الإخوان المسلمين خارج فلسطين.

٢-**العامل الثاني**: تمثل في حملة التشويه التي دشنتها بعض الأنظمة العربية خلال هذه المدة، وبعض القوى السياسية التي تحالفت معها للتشهير بالحركة الإسلامية وخلق الشكوك حولها، وقد امتدت ظلال حملة التشويه هذه إلى قطاع غزة، ثم إلى كامل فلسطين على شكل حرب إعلامية، وحرب شائعات شرسة، عملت على تشويه صورة الإخوان الفلسطينيين لدى جماهير الشعب، في الوقت الذي كان فيه الإسلاميون يرزحون في السجون والمعتقلات.

على أية حال، فقد قضى الإخوان المسلمون جل وقتهم وجهدهم، خلال هذه المرحلة في بناء المجتمع الفلسطيني، وأسهبوا في الأحاديث الطويلة عن أهمية تحصين المجتمع، وإعداده إعدادًا لازمًا لخوض المعركة، وتربية الأجيال، ودور المرأة المسلمة، والتكافل الاجتماعي، وينطلق ذلك كله من قاعدة أساسية هي أن بناء المجتمع المسلم ضرورة لازمة من ضروريات المعركة والتحرير...

كما أن عملية التربية والإعداد صبت خلاصتها في مصلحة برنامج المواجهة وتغذيته عبر تنمية القيم الدينية الدافعة إلى البذل والتضحية والاستشهاد، وربما الفترة التي تبعت انطلاق الانتفاضة عام ١٩٨٧م شكلت مؤشرًا على نجاح فترة الإعداد التي سبقتها، فقد أنتجت مسيرة البناء والإعداد التي بدأتها الحركة الإسلامية وقودًا لم يسبق له مثيل في تاريخ القضية الفلسطينية من حيث عدد المعتقلين والجرحى والشهداء من طلاب الكتل الإسلامية والجامعة الإسلامية ومدرسيها والعاملين فيها، ومن شباب المساجد وروادها وأئمتها وأشبالها.

يطلق على هذه المرحلة اسم مرحلة التعريف وبناء الأنوية الصلبة، التي تحملت أعباء الدعوة، وبناء الهياكل وزيادة الانتشار، وإزالة آثار الحملة التي حورب بها الإخوان المسلمون محليًا وإقليميًا، وفي ظل هذه الأجواء استمر النشاط بصعوبة بالغة، وكان أبرز سمات هذه المرحلة قيام الشيوخ والوعاظ في المساجد بنشر الدعوة الإسلامية بين الناس،



وخصوصًا الشباب؛ حيث يقوم المختصون بالعمل التنظيمي بتجنيد الشباب الصالح الذي تنطبق عليه الشروط، وقد ساهم في نجاح هذا العمل عدد من الشيوخ المعروفين.

ومع هزيمة عام ١٩٦٧م، وانكشاف الخطر الثقافي والحضاري الشامل الذي مثلته «إسرائيل»، ليس على أرض فلسطين وشعبها فقط، وإنما على الأمة العربية جميعًا، ومع وضوح التحالف الاستراتيجي التام بين الحركة الصهيونية والغرب في هجمتهم على الأمة، بدأ يتبلور ذلك الفهم الذي يعطي للصراع على فلسطين مكانته الواقعية؛ حيث إن الوجود اليهودي الصهيوني في فلسطين يمثل أوج التحدي الغربي السياسي للأمتين: العربية والإسلامية.

وقد شهدت هذه المرحلة التي أعقبت هزيمة العرب النكراء تصاعداً ملحوظًا للحركة الإسلامية في فلسطين، ممثلة بجماعة الإخوان المسلمين، ويمكن حصر أسباب المد الإخواني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من خلال الأسباب التالية:

- **أولاً: هزيمة حزيران يونيو ١٩٦٧م:**

لقد شكلت هزيمة الخامس من حزيران/ يونيو ١٩٦٧م، بالنسبة للفلسطينيين خاصة وللعرب عامة، صدمة قاسية لم يستطيعوا استيعابها في الفترة الأولى، بل نستطيع القول: إنها كانت مفاجئة أكثر من هزيمة ١٩٤٨م؛ نظرًا لأن الأجواء التي سادت أثناء حرب ١٩٤٨ كانت مهيأة لهزيمة العرب.

وكان كثير من المثقفين العرب يستوعبون تلك الهزيمة لسببين:

١- طبيعة الأنظمة العربية السائدة في تلك الفترة.

٢- الوضع العالمي الذي كانت تسيطر عليه الدول الاستعمارية.

بينما كانت الشعوب العربية تعيش قبل عام ١٩٦٧ نشوة المد القومي الناصري، وتعتقد أن مسألة الانتصار على «إسرائيل» غير قابلة للشك، ومن هنا كانت مفاجأة ١٩٦٧ قاصمة.

ومع وقوع الهزيمة اتضح مؤشر مهم تمثل في فشل النظم العربية في مواجهة «إسرائيل»، وبالتالي فقد أعقب الهزيمة مباشرة، عودة التأثير إلى دائرة الساحة الفلسطينية، وبدء صحوة إسلامية جديدة فيها، وخاصة في قطاع غزة، كان من أبرز معالمها:

- تراجع المد القومي واليساري الذي شكل في فترة من فترات الصراع أملاً تعلقت به الجماهير الفلسطينية من أجل التحرير.
- بدء قيادات جديدة من المثقفين ممن ينتمون إلى أصول اجتماعية شعبية تمارس دوراً فعالاً في حركة الإخوان المسلمين.

لم يعد الهدف الأول من هذه الصحوة هو إقامة الدولة الإسلامية فقط، بل تقاطع مع هذا الهدف العامل الوطني، أي أن الصدام مع الاحتلال يمكن أن يتواكب مع الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية.

وعلى صعيد التيار الإسلامي في فلسطين، اعتبرت هزيمة ١٩٦٧ تتويجًا لهزيمة الفكر القومي؛ حيث كانت هذه الهزيمة الكارثة القاصمة التي قصمت ظهور من وُصفوا في كتابات الإخوان المسلمين بـ «الدجالين من دعاة التحرر والثورية، والأبطال المزيفين الذين أذلوا شعوبهم، وطاردوا دعاة الإسلام، وزجوا بالشباب الطاهر المسلم في السجون والمعتقلات، وحاربوا كل دعوة إسلامية مخلصة، وشجعوا الفساد والانحراف الفكري والسلوكي والأفكار المستوردة، فكانت الهزيمة نتيجة طبيعية لهذا السقوط، وعقوبة ربانية للأدعياء الطغاة».

- **ثانيًا: التأثر بالمد الإخواني في مصر:**

كان ذلك من خلال الشباب الفلسطيني الذين درسوا في الجامعات المصرية في سنوات السبعينيات، إثر إفراج الرئيس المصري السابق أنور السادات عن قادة الإخوان المسلمين من السجون والمعتقلات؛ حيث عاد هؤلاء الطلبة بعد أن تخرجوا أطباء ومهندسين إلى قطاع غزة ليقوموا بالدعوة على غرار ما عايشوا في مصر؛ لذلك سنجد معظم قادة الحركة الإسلامية في غزة من خريجي الجامعات المصرية.

ومع وقوع الهزيمة اتضح مؤشر مهم تمثل في فشل النظم العربية في مواجهة «إسرائيل»، وبالتالي فقد أعقب الهزيمة مباشرة، عودة التأثير إلى دائرة الساحة الفلسطينية، وبدء صحوة إسلامية جديدة فيها، وخاصة في قطاع غزة، كان من أبرز معالمها:

- تراجع المد القومي واليساري الذي شكل في فترة من فترات الصراع أملاً تعلقت به الجماهير الفلسطينية من أجل التحرير.
- بدء قيادات جديدة من المثقفين ممن ينتمون إلى أصول اجتماعية شعبية تمارس دوراً فعالاً في حركة الإخوان المسلمين.

لم يعد الهدف الأول من هذه الصحوة هو إقامة الدولة الإسلامية فقط، بل تقاطع مع هذا الهدف العامل الوطني، أي أن الصدام مع الاحتلال يمكن أن يتواكب مع الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية.

وعلى صعيد التيار الإسلامي في فلسطين، اعتبرت هزيمة ١٩٦٧ تتويجًا لهزيمة الفكر القومي؛ حيث كانت هذه الهزيمة الكارثة القاصمة التي قصمت ظهور من وُصفوا في كتابات الإخوان المسلمين بـ «الدجالين من دعاة التحرر والثورية، والأبطال المزيفين الذين أذلوا شعوبهم، وطاردوا دعاة الإسلام، وزجوا بالشباب الطاهر المسلم في السجون والمعتقلات، وحاربوا كل دعوة إسلامية مخلصة، وشجعوا الفساد والانحراف الفكري والسلوكي والأفكار المستوردة، فكانت الهزيمة نتيجة طبيعية لهذا السقوط، وعقوبة ربانية للأدعياء الطغاة».

- ثانيًا: التأثر بالمد الإخواني في مصر:

كان ذلك من خلال الشباب الفلسطيني الذين درسوا في الجامعات المصرية في سنوات السبعينيات، إثر إفراج الرئيس المصري السابق أنور السادات عن قادة الإخوان المسلمين من السجون والمعتقلات؛ حيث عاد هؤلاء الطلبة بعد أن تخرجوا أطباء ومهندسين إلى قطاع غزة ليقوموا بالدعوة على غرار ما عايشوا في مصر؛ لذلك سنجد معظم قادة الحركة الإسلامية في غزة من خريجي الجامعات المصرية.

وقد استمر تدفق الطلاب الفلسطينيين على مصر حتى نهاية السبعينيات، وتحول الوضع الإخواني الفلسطيني في مصر تدريجيًا إلى موقع تنظيمي بالغ الأهمية لعدة عوامل منها:

- تراخي قبضة الدولة المصرية على البلاد بشكل نسبي، منذ ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م.
- بدت أجواء مصر أكثر ليبرالية مما كانت عليه في أية مرحلة سابقة منذ عام ١٩٥٤م.
- إطلاق سراح الآلاف من عناصر جماعة الإخوان المسلمين المعتقلين.

وقد ساعدت تلك العوامل وغيرها على إعادة الحيوية لمصر الإسلامية الأمر الذي أرخى بظلاله على التنظيم الإخواني الفلسطيني أيضًا.

- **ثالثًا: أثر الطفرة النفطية:**

تأثر الفلسطينيون من خلال عشرات الآلاف من أبنائهم الذين ذهبوا إلى بلدان الخليج العربي؛ حيث يتمتع الدين هناك بوضع قوي كقانون وثقافة وقيم، كما كان تأثير الخليج من خلال المساعدات المالية الحكومية والشعبية التي تدفقت على الأراضي الفلسطينية، وخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

كما ليس خافيًا أن بعض دول الخليج وخاصة السعودية، تدعم العديد من النشاطات الإسلامية في فلسطين سواء بناء المساجد، أو مساعدة الجمعيات الإسلامية، ولجان الزكاة.

- **رابعًا: الثورة الإسلامية في إيران[1]:**

ساهمت الثورة الإيرانية من خلال شعاراتها الإسلامية، والدور القيادي لعلماء الدين فيها، في إعطاء دفعة قوية للعمل السياسي الإسلامي في فلسطين؛ حيث أثبتت للمرة الأولى الإمكانية الفعلية لوصول الجماهير المؤمنة إلى السلطة بواسطة الثورة الشعبية، وبالتالي لم يكن تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية منحصرًا فقط في الأهمية الاستراتيجية لإيران، ولكنها أثرت على شكل واستراتيجية العمل السياسي الإسلامي، وواقعية طموحه.

(١) كلام المصنف في تقرير أثر الثورة الإيرانية صحيح لكن لا بد من البيان والتوضيح لفساد منطلقات الثورة العقائدية، بحيث لا يؤهلها لتكون قدوة كما تصور عشرات الملايين من المسلمين حين قيامها.



وقد استفاد الإخوان المسلمون من تزايد تأثير الصحوة الإسلامية في العالم العربي تحديدًا، والعالم الإسلامي عامة، فمع هذه الصحوة بدأ المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال يميل نحو المحافظة تلقائيًا، فهو مجتمع أغلبيته العظمى إسلامية، ويتأثر بالمناخ الإسلامي العام المحيط به، ومن المؤشرات المرافقة لهذا التحول المتدرج والمستمر: ازدياد عدد المساجد والمصلين ازديادًا ملحوظًا، وازدياد الالتزام بالمظاهر الإسلامية، كارتداء الأزياء الإسلامية من قبل عدد متصاعد من النساء، وإطلاق اللحى من قبل الرجال.

- **خامسًا: انحسار نفوذ منظمة التحرير وضعف التيار الوطني:**

كان لحرب عام ١٩٨٢ وغزو لبنان من قبل الاحتلال الإسرائيلي، تأثير سلبي على منظمة التحرير الفلسطينية بفصائلها المختلفة لسببين:

- خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان.
- الانشقاق الذي حدث في حركة فتح.

ومما ساهم في انحسار نفوذ منظمة التحرير ما أعطته التجربة اللبنانية في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وما صاحب ذلك من عمليات فدائية بطولية ضد الجيش الإسرائيلي وقوات المارينز الأمريكية، وبالتالي أعطى دفعة قوية للتيار الإسلامي في فلسطين.

وقد عانت الفصائل الوطنية المختلفة الكثير من المشكلات والعقبات التي تكدست أمامها، وحالت دون تحقيقها للشعارات التي رفعتها، لعدة أسباب:

- التردد الكبير والتغييرات الجذرية التي حدثت لتلك الشعارات، من تحرير كامل التراب الفلسطيني وإقامة الدولة العلمانية، إلى تأسيس دولة فلسطينية في الضفة والقطاع، إلى الاتحاد الكونفدرالى مع الأردن.
- التخلي عن تبني الكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين، إلى جعله أمرًا مهمًا يسير جنبًا إلى جنب مع العمل السياسي، إلى اعتماد العمل السياسي السلمي خيارًا وحيدًا.



كل ذلك أوقع الشباب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها في اضطراب وخيبة أمل جعلت الكثيرين منهم يجدون في ثبات شعارات الحركة الإسلامية ملجأ لهم.

- **سادسًا: التعصب الديني اليهودي:**

بات كثير من الفلسطينيين مقتنعين بأن الصراع مع «إسرائيل» هو صراع ديني بالأساس، وأن السر الكامن وراء نجاح الإسرائيليين هو تمسكهم بدينهم، مما يجعلهم يعتقدون أن الاحتلال الإسرائيلي ليس تهديدًا للأرض فقط، بل للهوية الوطنية والثقافية التي يشكل الإسلام عمودها الفقري، وكلما زاد الإسرائيليون في تطرفهم الديني اليهودي كان ذلك داعيًا للفلسطينيين للعودة للأصول الإسلامية والتمسك بها أكثر.

ثم ذكر الأستاذ عامر تفصيلات كثيرة في أسباب صحوة أهل فلسطين ومظاهر تلك الصحوة، لكني سأكتفي بما ذكره عن الشيخ أحمد ياسين -رحمه الله تعالى- فقد قال:

الدور القيادي للشيخ أحمد ياسين:

كان الشيخ أحمد ياسين رائد هذه المرحلة، كما كان الرائد الأول لجميع المراحل، فقد برع في استقطاب الفتيان والشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥-٢٠ عامًا، وكون قاعدتين دعويتين:

١- القاعدة الأولى في مسجد المخيم الشمالي.

٢- القاعدة الثانية في مسجد العباس بحي الرمال في مدينة غزة.

وكانت الجلسات الأسبوعية بداية لتنظيم هؤلاء الشباب الذين سيحملون على عاتقهم مهمة العمل الإسلامي في الجامعات المصرية، وفي دول الغرب.

ومع التقيد بالعمل الدعوي في هذه المرحلة، إلا أن إشارات ذات مغزى كانت تظهر أحيانًا تكشف عن نوايا الإخوان وتطلعاتهم، وفي مقدمتهم الشيخ أحمد ياسين الذي حدث معه موقفان مهمان هما:

١- لقد سمى ولده الأول «عائد» قبل حرب عام ١٩٦٧، ولما توفي وجاءه الولد الثاني سماه أيضًا «عائد» الذي توفي أيضًا، وجاءت البنت الأولى ليسميها «عائدة».

٢- عندما أسندت قوات الاحتلال قيادة قطاع غزة إلى الجنرال «أرئيل شارون» الذي استخدم كل أساليب القمع والإرهاب للقضاء على العمل الفدائي في قطاع غزة، ووصل قمته في ذلك الوقت؛ حيث حوصر مخيم الشاطئ للاجئين عدة أسابيع، ووقف يومها الشيخ أحمد ياسين على منبر مسجد العباس في خطبة الجمعة ليلهب حماس الناس، وتخرج المظاهرة الحاشدة عقب الصلاة من المسجد إلى المخيم، تتحدى جبروت الاحتلال، وتطالب بكسر الطوق عن المخيم، فيأمر الاحتلال بمنعه من الخطابة.

لقد ركز الشيخ ياسين نشاطه الحركي الإسلامي بين شباب مخيم الشاطئ، وذلك في السنوات الأولى التي ضعف فيها الإخوان المسلمون في قطاع غزة، وتمكن من إنشاء هياكل نشاط الحركة من لا شيء، وفي ظروف مخيم اللاجئين الصعبة، وبدأ بعملية جمع التبرعات، وحين أصبح في حوزته مبلغ من المال أنشأ مسجدًا صغيرًا شمال المخيم، ورغم أن سقفه من الصفيح، لكنه أقام به فصولاً تعليمية، وأقام بجواره ناديًا اجتماعيًا، وملعب كرة قدم صغيرًا، ونظم المسابقات الرياضية، وفي الصيف كان يقيم المصايف للأطفال.

برز الشيخ ياسين، وتميّز بسعة المعرفة، وقدرته التنظيمية، وقيادته الجذابة والمحبوبة، وكان ذا شخصية كاريزماتية في أواسط أبناء جيل الشباب داخل سكان المخيمات، وذا حضور ديني واجتماعي بارز في قطاع غزة، وساهمت صفات التفاني في خدمة الناس والعمل على قضاء حوائجهم ومواساتهم، والوقوف الدائم إلى جانبهم في نشوء حالة من الاحترام والتقدير له في معظم الأوساط، ووصلت تلك الحالة ذروتها في السعي إليه للاحتكام في المنازعات، وفض الخلافات، وقبول الحكم الذي يصدر عنه.

أثر الشيخ أحمد ياسين على مسار الدعوة التي شملت الإيمان بالله، والتربية، والوعظ الديني بهدف تأليف القلوب...

كان للعمل الدعوي الذي شرع به الشيخ ياسين ورفاقه نتائجه على المدى البعيد، فما إن جاء عام الانتفاضة ١٩٨٧، حتى كان الإخوان المسلمون قد ثبتوا وجودهم في معظم



المؤسسات المتواجدة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بل أنشأوا مؤسساتهم الخاصة بهم في قطاع غزة والضفة الغربية، وبلغ ثقلهم من التراكم الكمي ما يكفي لإحداث تغيير نوعي حاد، وكان لا بد لهذا التغيير أن يتطرق إلى سلوكهم العملي تجاه الاحتلال الإسرائيلي، وتمثل ذلك في حدوث الانتفاضة، وبسبب متطلبات الأيديولوجية التي يجب أن تستمر بشكل أو بآخر لدى حركة تعتمد الدين منهجها وفكرها وهدفها. تلك الأيديولوجية التي تعتمد التعبئة المستمرة ضد اليهود، والتي يجب أن تتجسد في الواقع العملي. . .

وقد وظفت الحركة الإسلامية عدداً من الوسائل والأساليب لزيادة مدها الجماهيري ومنها:

١- الخطباء في المساجد. . .

٢- دروس الوعظ والإرشاد. . .

٣- إحياء الأعراس الإسلامية:

فقد كانت الأفراح الإسلامية في تلك المرحلة تبدو غريبة، والإقبال عليها ضعيفًا؛ حيث نظر إليها الناس نظرة تخلف ورجعية، ومن خلال الأفراح بدأ ينتشر المسرح الإسلامي في مناطق مختلفة من الضفة الغربية وقطاع غزة، وسرعان ما أصبح الناس كلهم في شوق لإقامة الحفلات الإسلامية؛ حيث حرص الإخوان المسلمون على تأسيس العديد من الفرق الفنية الإسلامية، النشيد والمسرح، ولديها اليوم تراث طويل من الإنتاج الفني.

٤- الكتب الإسلامية المتوفرة. . .

٥- لجان الإصلاح الاجتماعي. . .

٦- العمل المؤسساتي: عمل الإخوان المسلمون على تعميم الانتشار الواسع للتيار الإسلامي في قطاع غزة، من خلال إنشاء جمعيات أهلية لإضفاء الصبغة القانونية لنشاطاتهم الاجتماعية والدينية، رغم أن طلبات للشيخ ياسين ورفاقه بإنشاء هذه الجمعيات رفضت عدة مرات من قبل الحكم العسكري الإسرائيلي حتى سنة ١٩٧٠م،

وبضغوط من قبل أوساط إسلامية تقليدية فقد أنشئت الجمعية الإسلامية كوسيلة للعمل الجماهيري والديني، وفتحت لها فروعًا في التجمعات السكانية المهمة في قطاع غزة.

وعلى الصعيد الداخلي:

جرى نشر ثماني مجلات بشكل منتظم أو متقطع من قبل المؤسسات والكتل الطلابية المختلفة التابعة للإخوان المسلمين، وركزت محتويات هذه المطبوعات على المسلكية الفردية، ووصف الثقافة السائدة بأنها مشوهة بفعل تأثير الغرب، والدعوة إلى العودة إلى الإسلام، كما تحرض ضد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وتوجه النقد للقوى الوطنية المحلية، وتصف الاحتلال الإسرائيلي بأنه لعنة أو عقاب من الله؛ لأن الفلسطينيين ابتعدوا عن طريق الإسلام الحقيقي، وأن السبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق هو العودة للإسلام.

وفيما يخص الكتب المقررة في المنهاج التربوي للأسر الإخوانية كانت هناك كتب الفقه والسيرة والتفسير، إضافة إلى الكتب الحركية، بالإضافة إلى بعض المنشورات والدراسات التي تتناول القضية الفلسطينية.

ثم ذكر الأستاذ عدنان أبو عامر تطور العمل المؤسسي في غزة ابتداء من سنة ١٣٩٦/ ١٩٧٦ فقال:

شرع الإخوان المسلمون في هذه المرحلة بإنشاء مؤسساتهم الجماهيرية على النحو التالي:

١- المجمع الإسلامي: الذي تأسس في غزة عام ١٩٧٣م.

٢- الجمعية الإسلامية: التي تأسست عام ١٩٧٦م.

٣- الجامعة الإسلامية: التي تأسست عام ١٩٧٨م.

٤- الكتلة الإسلامية: ذات النشاط المؤسسي البارز في الجامعات، التي خاضت انتخاباتها، وحصلت على نتائج متقدمة، فاجأت الجميع بما فيهم الحركة الإسلامية نفسها.



٥- الجماعة الإسلامية: التي مارست النشاط البارز في السجون والمعتقلات الإسرائيلية.

٦- ولعل أهم مؤسسة نشطت في هذه المرحلة، ونجح الإخوان في إدارتها هي المسجد.

وستتحدث بالتفصيل عن نشأة هذه المؤسسات وآلية عملها:

١- المجمع الإسلامي:

يمكن اعتباره النواة التنظيمية الأولى للحركة الإسلامية في فلسطين من خلال جماعة الإخوان المسلمين في بداية فترة السبعينيات؛ حيث تقدم مسئولون في الحركة في قطاع غزة عام ١٩٧٣م بطلب إلى سلطات الاحتلال لتشكيل جمعية إسلامية باسم المجمع الإسلامي للقيام بنشاطات ثقافية وتربوية، وقد أدى الوجود العلني للمجمع الإسلامي ودوره الفاعل في النشاطات الثقافية والاجتماعية إلى زيادة نفوذ جماعة الإخوان المسلمين، وربما كان الهدف الذي سعت من أجله إسرائيل في موافقتها على قيام المجمع الإسلامي إضعاف النفوذ الذي تتمتع به منظمة التحرير في الأراضي المحتلة، وصرف اهتمام الشباب عن العمل الوطني المتصادم مع الاحتلال.

وقد أثبتت السنوات التي تلت تأسيس المجمع، أن تلك الخطوة كانت عملية ثورية، وتغييرًا جوهريًا في نمط التفكير لدى قيادة الإخوان المسلمين في قطاع غزة، فلم يكن سهلاً الخروج من قوقعة الانعزال، والإحساس بتآمر جميع الأطراف عليهم بعد سنوات من الملاحقة والضعف والدعاية ضدهم وضد أهدافهم، لقد كانت عملية جريئة أن يخرج الإخوان إلى الشارع، يخوضون العمل الشعبي والاجتماعي، ويتعاملون مع الناس جميعًا على اختلاف أفكارهم، وبالتالي استفاد الإخوان من تجربة المجمع فائدة عظيمة؛ حيث وفر نمطًا وشكلاً من أشكال الحماية لنشاطاتهم في قطاع غزة، وأصبحوا يمارسون كافة فعالياتهم من خلاله.

وقد شبه بعض الباحثين المجمع الإسلامي وكأنه دائرة الأوقاف في الضفة الغربية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن نشاطات المجمع في القطاع لا يغلب عليها الطابع الروتيني والبيروقراطي الذي تتصف به دائرة حكومية كالأوقاف، كما أن المجمع ممثلاً في رئيسه



الشيخ أحمد ياسين قد شكل سلطة قضائية غير رسمية في قطاع غزة؛ حيث كانت تعرض عليه كثير من القضايا العالقة للبت فيها.

وقد ناصبت الإدارة الإسرائيلية المجمع الإسلامي العداء، لدرجة أن المسئول الإسرائيلي عن المحاكم العسكرية وإدارة الوقف الإسلامي قال: إن استمرار تجاهلنا للمجمع الإسلامي من المنتظر أن يشكل خطرًا كبيرًا في المستقبل؛ لذلك يجدر بنا تركيز الجهود في البحث عن سبيل لدحر الخطر قبل أن يصبح واقعًا.

وقد تعددت نشاطات المجمع الإسلامي على النحو التالي:

- تنظيم المحاضرات.
- إقامة المكتبات الإسلامية.
- إقامة المعرض السنوي للكتاب الإسلامي.
- إعادة طبع بعض الكتب الإسلامية محليًا.
- إنشاء رياض الأطفال التي تهتم بالتنشئة الإسلامية.
- إنشاء مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم عام ١٩٧٦م.
- عقد دورات تقوية للطلاب في المساجد.
- تأسيس لجان لجمع الزكاة والصدقات.
- تأسيس صندوق لمساعدة الطالب الفقير في إكمال دراسته داخل القطاع وخارجه.
- تقديم مساعدات طارئة للعائلات التي تتعرض لنكبات، مثل نسف البيوت، أو اعتقال العائل الوحيد للأسرة، ومن تعرضت بيوتهم للأضرار الجسيمة نتيجة المطر الشديد عام ١٩٨١م، مما ترك أثرًا طيبًا في نفوس الناس.
- الاهتمام بالعمل التطوعي، وخصوصًا في الإجازات الصيفية للطلاب، كإقامة أسبوع النظافة، والمساهمة في نشر الوعي الصحي.



- التركيز على الخدمات الصحية، وتقديم الأدوية بأسعار رمزية، وأحيانًا بالمجان، وتأسيس عدة عيادات في أنحاء القطاع، وإنشاء بنك الدم الذي قدم المساعدات للعديد من المرضى؛ حيث كان يطلب من الشباب التبرع بدمائهم عند الحاجة.

- الاهتمام بالأنشطة الرياضية المختلفة، كالسباحة وركوب الدراجات وألعاب القوى وألعاب الكرة، والنشاط الكشفي، وتنظيم رحلات للشباب إلى داخل فلسطين لتعريفهم بوطنهم المغتصب، وإقامة المعسكرات الصيفية على شاطئ البحر.

- تأسيس فرقة فنية لإحياء حفلات الزواج غير المختلط، وتقديم النشيد الإسلامي والمسرحية الهادفة.

- الاهتمام بالمرأة والعمل النسائي، من خلال إقامة الدروس ومعارض الزي الإسلامي، وإنشاء مركز تأهيل الفتاة المسلمة عام ١٩٨٢م؛ حيث تقام دورات الحياكة والتطريز.

وقد اعتمد المجمع في تمويله على الهبات والتبرعات المالية والعينية، والصدقات وأموال الزكاة من المحسنين داخل القطاع وخارجه، سواءً كانوا أفرادًا أو مؤسسات، يضاف إلى ذلك موارده الذاتية من اشتراكات الأعضاء، وأثمان الكتب والملابس والرسوم الرمزية في العيادات ورياض الأطفال.

أما عن أعضائه، فقد تراوح عددهم ما بين ١٢٠٠ و٢٠٠٠ عضو، وما إن حلت السنوات الأولى من فترة الثمانينيات حتى أصبح المجمع الإسلامي في غزة صرحًا مهمًا له مؤيدوه وناقدوه من الاتجاهات السياسية الأخرى، وظل الناس يعرفون الحركة الإسلامية بـ«جماعة المجمع» إلى أن دخلت الانتفاضة، وبرز اسم حركة حماس، وكان الشيخ أحمد ياسين قد ترأس المجمع، وبعد اعتقاله عام ١٩٨٤م خلفه الصيدلي إبراهيم اليازوري، وهو من مؤسسي حركة حماس».

ثم ذكر الأستاذ عامر بعض المؤسسات والجمعيات، كان منها «الجامعة الإسلامية» فقد قال فيها:

«ربط الكثير من الأدبيات الفكرية والسياسية بين إنشاء المؤسسات التعليمية العليا، وبين الازدياد الملحوظ للنشاط الإسلامي في الأراضي الفلسطينية، وأشارت إحدى مطبوعات



حركة حماس مثلاً إلى أن دور الحركة الإسلامية بدأ في الظهور بشكل بارز وملحوظ منذ منتصف السبعينيات، خاصة بعد إنشاء الجامعات في الضفة الغربية وقطاع غزة: جامعة الخليل، الجامعة الإسلامية في غزة، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، وغيرها من الجامعات والكليات.

فيما ذهبت مطبوعة أخرى إلى إمكانية أن يكون إنشاء هذه الجامعات أحد أسباب المد الإسلامي، وليس نتيجة له فقط؛ لأنه من الملاحظ أن تاريخ تأسيس الكثير من المؤسسات التعليمية الشرعية جاء متزامنًا مع المد الديني الذي حدث في النصف الثاني من السبعينيات ومتوازيًا معه، ومن ثم دافعًا لعملية الأسلمة في المجتمع الفلسطيني.

وقد شكلت المؤسسات التعليمية ومنها الجامعة الإسلامية، مستودعًا بشريًا، تغرف منه التنظيمات المختلفة العاملة في المناطق المحتلة، وأصبحت الجامعات موقعًا أساسيًا من مواقع تواجد التيار الديني، الذي أخذ يخوض الانتخابات الطلابية بشكل مستقل حينًا، وبالتحالف مع بعض منظمات المقاومة حينًا آخر، وأضحت الكليات الشرعية في هذه الجامعات تخرج الخطباء، وتعد المدرسين في المساجد المنتشرة في المدن والقرى والمخيمات، كما لعبت هذه الكليات دورًا مباشرًا في تغذية الحركة الإسلامية، من خلال:

١- التثقيف الديني الذي تقوم به.

٢- تخريج كوادر تعتنق الأيديولوجية الدينية، وتسهم مباشرة في نشر الثقافة الدينية، التي تعكس نفسها على جوهر ومظهر الطلبة الإسلاميين الذين يتواجدون في المساجد، أو ينضمون إلى حلقات دراسية إسلامية، تنظمها الحركة الإسلامية.



٣- الاشتراك بفعالية في النقاشات الدينية والسياسية، والقيام بجمع التبرعات لبناء المساجد، وتوزيع الكتب والنشرات الإسلامية.

أما عن نشأة الجامعة الإسلامية، فقد جاء نتيجة لتوقف قبول خريجي الثانوية العامة في الجامعات المصرية منذ عام ١٩٧٧م، واندفاع الكثير من الشباب إلى سوق العمل الإسرائيلي تحت ضغط الحاجة؛ حيث قام بعض الرجال من قطاع غزة بمساندة الحركة الإسلامية بالتوجه إلى الأردن والسعودية ودول الخليج ليروجوا لفكرة الجامعة، ويجمعوا لها الأموال والدعم، وتعاون معهم بعض الشخصيات من أبناء القطاع في الخارج، وتكونت هيئة المؤسسين للجامعة من أربعة وعشرين عضواً، وتم افتتاح أول كليتين في الجامعة وهما: كلية الشريعة، وكلية أصول الدين في العام الجامعي ١٩٧٨-١٩٧٩م...

من جهة أخرى، شكلت الجامعة الإسلامية الموقع الأهم لنشاط الإخوان المسلمين في قطاع غزة؛ حيث عمل فيها أهم نشطاء الحركة الإسلامية، مثل الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، والدكتور محمود الزهار، كما أثبتت نتائج الانتخابات لمجلس الطلبة في الجامعة أن أغلبية الطلبة تؤيد الكتلة الإسلامية، الذراع الطلابي للحركة الإسلامية.

وربما بسبب ذلك، خاضوا معارك وصراعات مريرة وطويلة مع كافة الاتجاهات السياسية من أجل الحفاظ على اسم الجامعة وطبيعتها، كما شارك طلابها في المواجهات والمظاهرات، وطالما حوصرت من الجيش الإسرائيلي، حتى جاءت الانتفاضة ليكون للجامعة دورها البارز، ويسقط الشهداء من طلابها، ويكثر المعتقلون.

وبذلك تكون الجامعة الإسلامية من أبرز ما قدمته الحركة الإسلامية، ورمت به قوى

الاحتلال؛ حيث ساهم هذا الصرح مساهمة فعالة في بناء العقلية الصدامية ضد اليهود، وحولت الجامعة مدينة غزة إلى جهنم في وجه الاحتلال[1].

ويتضح جليًا من خلال هذا العرض الأمور التالية:

١- إن الطلاب كانوا هم وقود الصحوة في فلسطين -مثلهم مثل طلاب العالم الإسلامي الذين قامت الصحوة على أكتافهم وبجهودهم- وإن اختلف الأمر في قطاع غزة قليلاً فالمجتمع غير الطلابي كان له أيضًا أثر فعال في الصحوة، كما ظهر من النقول السابقة.

٢- إن ماجريات الصحوة لا تكاد تختلف كثيراً عن مثيلاتها في دول الإسلام، وأنها تأثرت بصحوة مصر تأثراً كبيراً بل إنها تكاد تكون امتداداً لها.

٣- يظهر بوضوح أن الصحوة استعصت على محاولات وأدها من قبل إخوان القردة ومن قبل العصابات العلمانية في فتح وفي غيرها مثلما استعصت الصحوة على محاولات وأدها في الدول العربية والإسلامية، ولله الحمد والمنة.

٤- إن الصحوة في فلسطين تكاد تكون حكراً على جهود الإخوان المسلمين، بينما الصحوة في الدول التي ذكرتها في هذا الكتاب شاركت فيها مختلف التيارات والجماعات والاتجاهات.

٥- كان قطاع غزة يتمتع بكثير من الحرية التي مكنت الإسلاميين من الانطلاقة القوية والجادة دون عقبات كبيرة تذكر، وهكذا هي الحرية في كل زمان ومكان: لا بد أن ينتشر معها الإسلام ويتفوق دعاته والعاملون فيه على غيرهم، ولله الحمد والمنة.

---

(١) الحركة الإسلامية في قطاع غزة: ١٠- ٥١ بتصرف. وقد ذكر الأستاذ تفضيلات كثيرة فليقرأها من شاء في موضعها.



المطلب الرابع

الصحوة الإسلامية في المغرب الأقصى

لأسباب عديدة غزا التيار الماركسي واليساري عقول الطلاب في الثانويات والجامعات؛ حتى غدا أولئك الطلاب مسيطرين على العمل والأنشطة الطلابية في الجامعات المغربية، وصارت الصلاة والصيام نادرين في الطلاب، واختفى الحجاب، وأضحى الأمر بالغَ السوء.

وهذا الأستاذ المغربي أحمد الشقيري الديني يذكر أن الإلحاد انتشر في التسعينيات الهجرية من القرن الفائت/ السبعينيات الميلادية، في الثانويات المغربية!! بسبب المد الماركسي اللينيني، الذي اختطف معظم أصدقائه وزملائه[1] !!

وقد أنشئت في المغرب حركة الشبيبة الإسلامية -التي سيأتي الحديث عنها قريبًا إن شاء الله- في أواخر الثمانينيات الهجرية/ الستينيات الميلادية من القرن الفائت لتكون بداية لظهور الصحوة في ذلك القطر الشقيق، وعاونتها حركة طلابية ناشئة في الجامعات المغربية.

هذ وقد قال الأستاذ فريد الأنصاري المغربي، رحمه الله تعالى:

«لقد وصلت إلى مرحلة الطلب بالجامعة المغربية سنة ١٩٨١/ ١٤٠١ وهي في أوج إلحاديتها، والإسلاميون حينئذ قلة قليلة جدًا يخافون أن يتخطفهم الناس، كان التحدي الماركسي مستفزًا وصارخًا، فكثير من الطلبة الرفاق يجهرون بالإفطار عمدًا في نهار رمضان على مرأى جميع الطلبة بالأحياء الجامعية، وكذلك كان حال بعض الأساتذة الجامعيين مع الأسف.

لم يكن حينها أحد يجرؤ على النطق ببسم الله الرحمن الرحيم بأي مرفق من مرافق الحرم الجامعي، وعندما جاهر مجموعة من الطلبة الإسلاميين في أواخر السبعينيات من

(١) «ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية»: ٤/ ١١٢.

القرن العشرين الميلادي- وهم ساعتها في مرحلة العمل الشرعيّ -بإعلان الأذان بالحرم الجامعي بمدينة فاس المغربية صارت قنينات الخمر وأعقاب السجائر تتساقط على المؤذن من الطوابق العليا للحي الجامعي!»[١].

وقد قيض الله -تعالى- شبابًا هداهم للإسلام الحق فقاموا يعملون له بحماسة جليلة وصبر عظيم، وعمل دائب ليلاً ونهارًا بين طلاب الجامعات، وواجهوا مشكلات كثيرة مع الطلاب اليساريين حتى ظهر الحق، وزهق الباطل، ولله الحمد والمنة، وإليكم شهادات على هذا العمل الجليل على ألسنة من كانوا طلابًا في الجامعات:

- **شهادة الأستاذ المهندس محمد الحمداوي[٢] على انبثاق الصحوة من أوساط العمل الطلابي:**

«في مرحلة سيطرة اليسار وهيمنة الفكر اللاديني كان ظهور محتجبة أمرًا صادمًا بالنسبة لليسار، وكانت هذه الأخت المتحجبة تنال الرتبة الأولى في الكثير من المواد، وكان تفوقها في الدراسة وفي بعض المواد التي يحصل فيها الطلبة بصعوبة على المعدل سببًا في احترام الآخرين لها.

هي الأخت حليمة البردعي، وقد تزوجت بأحد الإخوة الطلبة من المعهد الزراعي، وكان زواجهما يعيد إلى الأذهان الصورة الإسلامية المشرقة التي كان عليها الزواج، والذي كان غاية في اليسر، فكان يذكرنا هذا الزواج بزواج الصحابة رضوان الله عليهم.

وكان المسجد عبارة عن غرفة واحدة كانت في الأصل مخصصة للسكن، وكان الأخ عبدالله بَها[٣] هو الذي خاض معركة المسجد وكسبها على الرغم من اعتراض اليسار عليه، وبعد تخرجه بعامين صار المسجد يضم ست غرف بالإضافة إلى الممر، وصرنا نقيم في هذا المكان خطبة الجمعة، ويأتي من خارج المعهد بعض السكان لحضورها، وكان للمسجد لجنة

(١) «البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي»: ١٤٦.

(٢) هو رئيس حركة التوحيد والإصلاح في المغرب سابقًا.

(٣) أحد أركان الصحوة في المغرب، وقد توفي قبل سنتين سنة ١٤٣٥/ ٢٠١٤ بسبب حادث قطار، رحمه الله تعالى.



مشرفة عليه تعين من يقوم بخطبة المسجد، ومن يتولى الإشراف على مكتبة المسجد، ومن يقوم بإلقاء الدروس وغير ذلك، في هذه المرحلة، أي في سنة ١٩٨٠.

● وكيف تيسر لكم بناء عمل طلابي داخل المعهد؟

بعد التخرج في يوليوز ١٩٨١، كلفت أن أشرف على طلبة السنة التحضيرية للمعهد الزراعي، فتوصلت بلوائح جميع المدن التي سيلتحق طلبتها بالسنة التحضيرية. وتكفلت بمهمة إسكان طلبة فاس ومكناس ووجدة... وأشرفت على العملية بكاملها، واستطعنا أن نكوِّن خلايا استقطبت طلبة السنة التحضيرية، وقضينا طيلة سنة ١٩٨١ نؤطر هؤلاء في الجلسات ونعدهم للعمل الطلابي بالمعهد الزراعي، وختمنا السنة بمخيم صيفي عرضنا فيه العضوية على من لم يعلن بعد التحاقه بالجماعة، فلما أقبل الموسم الدراسي الجديد، وبفضل هذا الزخم والتراكم الذي حصل طيلة السنة، استطعنا أن نقف في وجه الأساليب اليسارية التي كانت تترجم الوصاية التي يفرضها الطلبة القدامى على الطلبة الجدد، فطرحنا الأمر على الاختيار، واستطعنا أن نعبئ قطاعًا واسعًا من الطلبة، وقامت معركة هجم فيها اليسار المتطرف على الإخوان، فكان رد فعل الإخوة قويًا، وتدخلت الشرطة لفك الاشتباكات، وبقيت الأجواء متوترة بعد ذلك في المعهد قرابة شهر كامل أو يزيد.

ولم تقع أي اعتقالات، لكن وقعت جروح وكسور في أطراف بعض الطلبة.

وكانت هذه المحطة نقطة تحول كبيرة في مسار العمل الطلابي بشكل عام؛ إذ أشرت على بداية تغير موازين القوى لغير صالح اليسار، وظهور طرف قوي في المعادلة»[1].

- **وهذه شهادة الأستاذ عبدالمالك زعزاع على بدايات الصحوة في المغرب وانطلاقها من العمل الطلابي في الجامعات:**

«التحقت بكلية الحقوق... سنة ١٩٧٩ بالدار البيضاء، وسكنت في الحي الجامعي مع الأخ مصطفى الرميد[2]، وكان شابًا غيورًا على الدعوة، متحمسًا لنصرتها... وكان

(١) «ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية»: ٤/ ٣٤- ٣٥.

(٢) هو وزير العدل المغربي الآن.

الرميد يلقي خطبة الجمعة في الحي الجامعي، وكان بعض الشباب من أحياء الدار البيضاء يحضرون لخطبته، وكانت الغرفة ٩٠ تمتلئ بعد صلاة الجمعة بالإخوة الضيوف وكان الرميد كريمًا وجوادًا، فكان يكرم الجميع.

وقد تكونت بالحي الجامعي مجموعة منسجمة كانت تضم مصطفى الرميد، وعبد اللطيف الزروقي، وقد كان مقرئًا ومؤذنًا بمسجد الحي الجامعي، وعبدالرزاق لعروشي وكان يتمتع بقراءة خاشعة ومبكية، وكان معنا أيضًا الأخ عبداللطيف مصدر شفاه الله ومحمد شباب، ورشيد عبداللطيف، وعبدالقادر الكيمل (الطبيب)، وكان يتعاطف معنا الطلبة الأجانب من موريتانيا والأردن وفلسطين، وكانوا يحضرون أنشطتنا.

وقد خضنا صراعات ومواجهات لإثبات وجودنا الإسلامي بالكلية، وكان اليسار يمارس علينا سلوكات مستفزة، وكانوا يتجرؤون على الإفطار في نهار رمضان جهارًا، ويستفزون الأخوات المحجبات وكن وقتها قلة، وكانوا يستهزئون بالدين في مداخلاتهم بالمدرجات، وكنا نستنكر ذلك منهم، وندخل معهم في مشادات كلامية تصل أحيانًا إلى مواجهات عنيفة، وأذكر أنه ذات مرة عند وصول مجموعتنا أمام غرف أحد اليساريين الذي كان يعلن انتهاكه لشهر رمضان قمنا بإنكار الأمر عليه، ومنعناه بحجة أن ذلك يستفز المشاعر الدينية للطلبة، وقد خاف على خليلته التي استقدمها من خارج الحرم الجامعي، وأدخلها إلى غرفته، وأغلق عليها بالقفل في دولاب الملابس خشية عليها من الإخوان، وقد دخلنا غرفته، وفتحنا الخزانة، ووجدناها هناك، وطردناها من الحي الجامعي لأنها لا تقطن به، ولما أخرجناها من الدولاب قلت لها معلقًا: «هل هذه هي مكانة المرأة عند الماركسيين؟ يأتون بها من أجل قضاء شهواتهم المريضة، حتى إذا افتضح أمرهم أغلقوا عليها بالقفل وفروا؟».

وكنا ننظم العديد من الأنشطة ونستضيف لها الإخوة من شتى التنظيمات الموجودة حينها، وأتذكر أننا استدعينا أحمد الملاخ من مراكش لإلقاء محاضرة بالحي الجامعي، كما استضفنا العربي بوسلهام، وكان الرميد يربط علاقات واسعة مع الإخوة في الحركة الإسلامية بجميع أطيافها، وكانوا يزوروننا في الغرفة ٩٠، وكان التصور الناظم وقتها هو



التعاون على الدعوة وتوحيد جهود أطياف الحركة الإسلامية، وكان مصطفى الرميد يعقد حلقات يومية في الحي الجامعي، يشرح فيها للطلبة التصور الإسلامي وموقف الإسلام من العديد من القضايا، وكان عناصر اليسار يستفزونه فلا يكترث بما يقولون، وحدث مرة أن أحداً بالغ في الاستفزاز، وربما أراد أن يعتدي عليه، فألقى الرميد بحذائه، ولاحقه، وكاد أن يرد له الصاع صاعين، لكنه لم يفعل ذلك، ولم يكن الرميد عنيفاً، بل كان يقبل الحوار ويستمع للرأي الآخر، لكنه كان مندفعاً، وقد هاجمتنا مرة قوات الأمن التي كانت تلاحق اليسار، وداهمتنا في بيوتنا في الحي الجامعي، فانهالت علينا الهراوات ففررت واصطدمت بالحائط، وتكسرت بعض أسناني العليا.

نظمنا أسبوعاً ثقافياً باسم طلبة الحي الجامعي، فرفض ذلك طلبة اليسار بدعوى ألا نشاط ينظم خارج هياكل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، لكننا أصررنا على القيام بالأسبوع الثقافي، فهددنا اليسار بإحراق المسجد بدعوى أنه يشكل بؤرة لتخريج الظلاميين وقاعدة لإنتاج التطرف، ولم نكترث بتهديدهم، وتحديناهم، فقمنا بالأسبوع الثقافي، وكان أسبوعاً ناجحاً، وقد روجنا فيه الكتاب الإسلامي والأشرطة الإسلامية والزي الإسلامي و«كوفيات» فلسطين.

بعد هذا الأسبوع الثقافي أصبح لنا حضور قوي في الحي الجامعي، وتكسرت أسطورة اليسار فيه، وصار قبلة للإخوان يأتون إليه من كل مكان ويحضرون لخطبة مصطفى الرميد، وكنت أنوب عن الرميد في بعض الأحيان حينما لم يكن يتيسر له أمر الحضور، كما كان الأخ لعروشي ينوب عنه أيضاً.

أرادت السلطة أن توقف الرميد، وأن تجعل بدلاً عنه أحد الأئمة التقليديين، فوقع بيننا وبينه صراع كبير؛ لأن المسجد كان يقوم بدور كبير في الدعوة، وتغيير الإمام كان يعني الإجهاز على مكتسبات الدعوة، وأذكر أن خطبة هذا الإمام كانت باردة تجلب النوم لكل من يسمعها، وكان من نتيجة ذلك أن أفرغ المسجد من رواده، وغادره الطلبة إلى مسجد جديد قرب الكلية، حتى تم إعادة الرميد إلى الخطبة، وعادت لمسجد الحي الجامعي حيويته ونشاطه»[1].

---

(١) «ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية»: ٣/ ٣٧- ٣٩.

- **وهذه شهادة الأستاذ مصطفى الرميد وهو وزير العدل في الحكومة المغربية الآن.:**

«بدأت أنشط داخل الجامعة، وسعيت في تمكين الطلبة المصلين من قاعة للصلاة، وبدأت أؤمهم في صلاة الجمعة والصلوات الخمس بالحي الجامعي، وكنا وقتها قلة نعد على رؤوس الأصابع، في حين كان التيار الماركسي اللينيني والتيار الاشتراكي قويًا ومهيمنًا على الساحة الجامعية، بحكم أن الحي الجامعي بالدار البيضاء كان يستقطب وقتها طلبة كلية الحقوق وطلبة كلية الطب، وكان معظمهم من جنوب المغرب ووسطه، وهي مناطق لم تكن الحركة الإسلامية قد وصلتها بعد بخلاف الحركات الأيديولوجية الأخرى، فقد كان لها نشاط كبير بها.

إن أنسَ فلن أنسى تلك الليلة التي انقطع فيها التيار الكهربائي عن طلبة الحي الجامعي؛ إذ خرجت مع المحتجين، فلما جاء مدير الحي الجامعي بدأ الطلبة يستعرضون عليه مطالبهم، وفي هذه اللحظة، تدخلت وطالبته بقاعة للصلاة ضمن مطالب أخرى، فكانت سخرية أغلبية الطلبة الحاضرين بي كبيرة، بل إنهم ارتكبوا في حقي استفزازات أستحي من ذكرها، وهو ما أقنعني مرة أخرى بأن هؤلاء القوم (يقصد اليسار الراديكالي) لا سبيل إلى أن تكون لحركتي أي موقع قدم في محيطهم إلا إذا تسلحت برجال أقوياء أشداء قادرين على رفع التحدي ومواجهة مثل هذا الاستفزاز والتصدي لمن يسخر من الدين ويضايق المتدينين، وهو ما حصل بالفعل، وقد استطعت بحمد الله تعالى أن أدخل مع طلبة اليسار في نقاشات كانت تمتد بالليل والنهار، واستطعت أن أستقطب العديد من الشباب الذين كانوا محتارين -كما كنت من قبل- وكانوا يطرحون نفس الأسئلة التي سبق وأن طرحتها على نفسي في مرحلة متقدمة، ولم تمض سنتان (أي عند ١٩٨٠) في عمري الجامعي، حتى كان إلى جانبي إخوة من أمثال عبدالملك زعزاع وعبد الرزاق العروشي ورشيد عبداللطيف ومجموعة أخرى.

إلى جانب الأنشطة الثقافية والمحاضرات، فقد كان قصدنا هو الترويج للكتاب الإسلامي على أوسع نطاق داخل الأوساط الطلابية، وقد تعاقدنا لهذا الغرض مع بعض المكتبات التي أمدتنا بالكتب المطلوبة دون أن تأخذ منا حسابًا مسبقًا، وقد كان الإقبال على



هذه الكتب عظيمًا، كما تعاقدنا مع أحد الإخوة ويسمى (محطن) وكان خياطًا، على أساس أن يعد لنا مجموعة من أغطية الرأس والألبسة الخاصة بالزي الإسلامي، وكان قصدنا هو دفع الطالبات إلى اكتشاف هذا الزي بجميع مكوناته.

ووجه هذا النشاط برفض قاطع ممن كانوا يعتبرون أنفسهم ممثلين شرعيين للاتحاد الوطني لطلبة المغرب؛ إذ ما إن سمعوا بخبر تنظيم هذا المهرجان حتى عقدوا اجتماعًا على الفور، إلا أن حضورنا المكثف مساندين بطلبة غير ملتزمين لكنهم كانوا ضد المد الإلحادي جعلنا نحول دون ظهور تيار الرفض لمظهر ممثل الأغلبية الطلابية وقرروا فيه منع النشاط بدعوى أنه ليس له مشروعية.

لقد هددنا كل من منع هذا النشاط بالمواجهة الشاملة، وقد استعنت في ذلك بإخوة من الدار البيضاء، وكان منهم الأخ الشرقاوي -رحمه الله- الذي توفي في فرنسا منذ سنوات في حادثة سير غامضة، وقد كان رحمه الله شعلة من النشاط والحيوية، ولم يستطع الطلبة اليساريون أن يقدموا أو يؤخروا في الموضوع، خاصة وأنني كنت أؤم الطلبة في صلاة الجمعة بالحي الجامعي، وكانت خطبي النارية تسمع عبر مكبر الصوت ويصل صداها خارج الحي الجامعي، وكان المئات من المصلين من داخل الحي الجامعي وخارجه يصلون خلفي، وكانوا بعددهم ومنظرهم المهيب يخلقون الرعب في نفوس الطلبة اليساريين؛ ولذلك لم يقتربوا من المهرجان ولم يقوموا بأي استفزاز من شأنه أن يؤثر على مسار هذه الأيام الثقافية...

وقد كان حقًا فاتحة خير على التيار الإسلامي داخل الجامعة، لكن بعده مباشرة حاول الإخوة في فاس والرباط أن ينظموا مهرجانات مماثلة، غير أن الطلبة اليساريين كانوا يقومون بالاعتداء عليهم ويمنعونهم من ذلك لكونهم كانوا يعتبرون الجامعات المغربية هي قلاعهم المحصنة التي لا يجوز لأحد أن يشوش على وجودهم فيها.

في السنة الموالية، أي في ١٩٨١، نظمنا المهرجان الإسلامي الثاني، والذي كان أكثر إشعاعًا وإثارة للاهتمام من المهرجان الأول، وقد حصلت في هذه المرحلة مواجهات بيننا



وبين الطلبة اليساريين؛ إذ بعد التزام أختين بالزي الإسلامي في الحي الجامعي، بدأتا تتعرضان لاستفزازات ومضايقات من طرف الطلبة اليساريين، حتى اضطررنا أن نوفر لهما طلبة حراسًا يمنعون الإساءات والمضايقات أن تلحق بهن، وحدث أن زارت الأخت نادية ياسين الحي الجامعي لتلتقي بأحد هاتين الأختين، وكانت صديقتها، فإذا بأحد الماركسيين يستفزها بألفاظ نابية وقبيحة، وما إن وصلني الخبر حتى دعوت الإخوة للاجتماع في غرفة ٩٠ وكانت مقرًا للاجتماع بين الإخوة حيث لا تفتر فيه الاجتماعات ليل نهار، وقد قام أحد الإخوة عقب الاجتماع الذي تنادينا له إلى تأديب الطالب اليساري الذي استفز الأخت بما يستحق، وجدير بالذكر أن هذا اليساري تخرج لاحقًا واشتغل قاضيًا، وضبط متلبسًا في حالة ارتشاء، وفصل من مهامه، وقد حاول الماركسيون الانتقام له، فنشبت بيننا وبينهم مواجهات خفيفة، وكنا وإياهم نقدر بأنه ليس من المصلحة أن تتطور هذه المناوشات إلى مواجهة شاملة. . . »[1].

- وهذه شهادة الأستاذ رشيد حازم:

لم أتعرف على الشبيبة الإسلامية إلا في سنة ١٩٧٧ وهي السنة التي حصل فيها الالتزام الديني ثم الحركي؛ إذ كنت أسكن في الحي الجامعي السويسي ٢ وكان أنشئ مسجد كبير في الحي الجامعي السويسي١، وفي إحدى الليالي، سمعت أذان صلاة العشاء، فأحسست برجة عنيفة دفعتني إلى مراجعة نفسي، وكنت بدأت في ذلك الوقت أبتعد عن التدين، فلما سمعت الأذان وقع لي تحول عجيب في نفسي، فصممت أن ألتزم الصلاة من يوم الغد، وكانت تلك هي البداية، وقد استفدت كثيرًا من الأجواء الربانية التي كانت تسود في الحي الجامعي خاصة في مسجد صغير فتح بالحي الجامعي السويسي٢، وكانت الشبيبة الإسلامية تنشط بحيوية فيه، وكان المسجد يضم مكتبة تحتوي على العديد من أمهات الكتب الإسلامية والحركية والدعوية، وبدأنا من هذه الفترة ننسج علاقات مع بعض

---

(١) المصدر السابق: ٤/ ١٠٠- ١٠٣.



الإخوة، وقد ساهم في توجيهي الأخ محمد العمراوي، وهو صديق حميم لي منذ التحاقنا إلى الجامعة في نفس الشعبة، استفدت كثيراً من مكتبة المسجد وبدأت أطلع على الكتب، وأحرص على اقتناء مجلة «الدعوة» التي كان يصدرها الإخوان المسلمون في مصر، وصرت أتردد على مكتبات حي الأحباس وأشتري بعض الكتب الدعوية والحركية . . .

لا أتذكر الطريقة التي ألحقت بها إلى الشبيبة الإسلامية في الرباط، ما أذكره أنه كانت لي علاقة معهم عبر المسجد، فوجدت نفسي تلقائيًا في التنظيم. وفي الغالب ساهم في ذلك الأخ محمد العمراوي، وقد كنت أخبرت بالتحاقي بالشبيبة لما كنا بالدار البيضاء، التحقت بخلية كان يؤطرها الأخ مصطفى المعتصم، وكان الأخ الأمين بوخبزة ينوب عنه في بعض الجلسات، وكنا نتدارس في هذه موضوعات تربوية، كما كنا نطلع على أدبيات الإخوان المسلمين والوضعية التربوية والتنظيمية للشبيبة الإسلامية، وكان إذا صدر كتاب ما في الدعوة أو الحركة نسارع إلى اقتنائه ومدارسته، وأذكر أنه كانت ترد علينا بعض التوجيهات بقراءة كتب مثل «طريق الدعوة في ظلال القرآن» وكتب سعيد حوى وكتب أحمد الراشد «المنطلق» و«العوائق»، و«الرقائق» أو كتاب «معالم في الطريق» لسيد قطب، أو بعض كتب محمد قطب، وكنا نحضر إلى المخيمات، وقد حضرت سنة ١٩٧٨ أول مخيم في واد لاو . . . وكان هذا المخيم خاصًا بطلبة كلية العلوم بالرباط، وكنا حوالي ٣٠ أخًا (١).

بهذا العرض الموجز والسريع يظهر جليًا أن الصحوة في المغرب الأقصى إنما كانت على يد طلاب الجامعات، شأنها شأن أخواتها في البلاد العربية والإسلامية بل الغربية أيضًا.

نعم كانت هناك مساعدات من قبل هيئات وأشخاص خارج أسوار الجامعات لكن إنما أتحدث عن عُظم العمل وأكثره وأجوده فهو قد كان على يد الطلاب.

---

(١) «ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية»: ٤/١١٨- ١٢٠.

المطلب الخامس

الصحوة الإسلامية في الجزائر

من المعلوم أن ثورة الجزائر على فرنسا الظالمة الغاشمة قامت على أساس جهادي إسلامي واضح في أصله لكن خالطه غبش غير قليل، لكن يمكن القول باطمئنان إن باعث أغلب الثوريين كان هو الإسلام، لكن لما نجحت الثورة تنكر رجالها للإسلام وأداروا ظهورهم له، وفي هذا يقول الأستاذ توفيق الشاوي - رحمه الله تعالى - مبينًا ما جرى:

«في السيارة التي أقلتني من المطار إلى العاصمة الجزائرية بدأت أحدث الدكتور «زبير» ورفيقيه حسن وعلي من جماعة النهضة التي يتزعمها الشيخ جاب الله عن زيارتي الأولى للجزائر المستقلة عام «١٩٦٢» مع «محمد خيضر» و«بن بللا»، وما حدث من خلافاتي مع «بن بللا» أدت إلى خروجي من الجزائر، وأول هذه الخلافات كانت بشأن اقتراحي اسم «جمهورية الجزائر العربية الإسلامية» في بيان إعلان الاستقلال الذي أعددته للمكتب السياسي، وواجهوني بإصرارهم على أن تكون «ديمقراطية وشعبية» فقط . . .

لقد قصصت عليه[1] كل ما دار بيني وبين بن بللا ومحمد خيضر بشأن اقتراحي وأنهما كانا مقتنعين برأيي أولاً، ولكن في اليوم التالي جاءني بن بللا وقال: إن عباس فرحات رفض هذا الاقتراح وأنه سيحضر اليوم هو وصديقه «فرنسيس» فيمكنك أن تناقشهما لعلهما يقتنعان برأيك . . .

قال «محمدي سعيد»: إن الموضوع ليس مسألة آراء وأفكار، إن عباس فرحات كان زعيم دعاة الفرنسة والاندماج في الاتحاد الفرنسي، وأسس حزبًا كان هدفه فرنسة الجزائر، ومع ذلك فإنه فجأة وفي عام ١٩٥٦ بدأ المتفرنسون يتسللون إلى أجهزة الثورة سواء في الداخل أو في الخارج، وكان أولهم عباس فرحات الذي ذهب إلى القاهرة التي كانت قد بدأت المعركة ضد الإخوان المسلمين في مصر، وجاءتنا أنباء إعدام قادة الإخوان في مصر وهللت الصحافة «الفرنسية» طوال عام ١٩٥٥ . . .

---

(١) أي على محمدي سعيد، رحمه الله تعالى.



كان هدف هؤلاء المتسللين استغلال الخصومة بين حزب الحكومة الناصرية والإخوان، ونقل ذلك إلى مسيرة الثورة الجزائرية، وتحريض الحكومة المصرية لتنفيذ خطتهم لإزاحة جميع الإسلاميين من قيادة جبهة التحرير الناشئة، وشجعهم على ذلك أن بعض أجهزة الحكومة المصرية في ذلك الوقت كانت ترحب بكل من كانوا معادين للإخوان وتستعين بهم حتى أصبح مقياس الثقة في أي شخص في نظرهم عدم وجود اتجاه إسلامي في فكره واتجاهاته أو تاريخه؛ لأن كل صاحب فكر إسلامي يفترض فيه أن يكون، أو سيكون في المستقبل نصيراً للإخوان أو مؤيداً لهم حتى ولو لم يكن من أعضاء الجماعة. . .

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن التسلل كان أكبر في صفوف المقاومة في الداخل حتى إنه في أشد مراحل الثورة في أغسطس «١٩٥٦» نجح بعض المتسللين في تشجيع بعض العسكرين القياديين في الداخل لتحويل مسيرة الثورة عن الإسلام بحجة الاشتراكية، وعقدوا لهذا الغرض اجتماعًا شهيراً في «وادي الصمام» ضم بعض العسكريين الذين خدعتهم دعايات المتسللين من المتفرنسين واليساريين الذي بدأوا خطتهم لسرقة الثورة التي قامت باسم الإسلام والجهاد الإسلامي، وتحويلها إلى التبعية للاشتراكية الفرنسية والسوفياتية أو الناصرية عند الاقتضاء، وما زال المؤرخون الفرنسيون يعطون لهذا الاجتماع في وادي الصمام أهمية كبرى ويوهمون الناس بأنه وضع فيه برنامج الثورة؛ لأن أهم ما فيه -في نظرهم- هو تجاهل الإسلام باعتباره أساس الجهاد ومنبع الثورة وغايتها، وإدخال الشعارات الاشتراكية في برنامجها كبديل عن الإسلام.

لكن قادة الثورة في معظم المناطق لم يعترفوا بهذا المؤتمر ولا قراراته، وعارضوه لأنه لم ينص على أن تكون الجزائر دولة إسلامية عربية، واجتمعوا بعد بضعة أشهر في ١٥ ديسمبر من نفس العام، وأعلنوا رفضهم لقرارات مؤتمر وادي الصمام؛ وذلك لأنها تخالف الاتجاه الأول للثورة الذي كان يؤكد أن الدولة الجزائرية ستكون في إطار الإسلام مما يستلزم أن تكون الجزائر دولة إسلامية عربية. . .

إن عام ١٩٥٦ شهد صراعات دموية استطاع فيها المتسللون اليساريون والمتفرنسون ومن تبعوهم اغتيال عدد كبير من أعظم رجال الثورة من الإسلاميين وقادتها مثل الشهيد

مصطفى أبو العيد ويوسف زيروت، بل دبرت مؤامرة اختطاف طائرة بن بللا ورفاقه كجزء من هذه المؤامرة الاشتراكية. . . »[1].

وقال أيضًا -رحمه الله تعالى-:

«لقد أشرت من قبل إلى ما لاحظته من اتجاه بن بللا إلى السير في النهج الذي رسمه له مستشاروه وأصدقاؤه الاشتراكيون الجزائريون والفرنسيون الذين اعتبروا اللغة الفرنسية بل التعاون مع فرنسا شرطًا ضروريًا لتعميق المنهج الاشتراكي الذي كان يعني لدى كثير منهم السير نحو الإلحاد الماركسي المتناقض مع عقائد الإسلام ومبادئه، فضلاً عن أنه يعني الانتماء إلى الكتلة الاشتراكية والابتعاد عملاً عن فكرة الوحدة الإسلامية وعن الفكر الإسلامي ومعاداته، حتى وصل بهم الأمر إلى تعمد تشويه عقائد الإسلام والتشهير بقيمه ومبادئه وشريعته، مما اضطرني إلى اليأس من فائدة بقائي في الجزائر، وتركت صديقي بن بللا وحكومته تسير في نهجها الاشتراكي الذي كان يرضي الاشتراكيين في فرنسا ومصر في عهد عبدالناصر كذلك.

صحيح أن بومدين[2] قد استمر هو أيضًا في سياسة الالتزام بالاشتراكية والتقرب من الكتلة السوفياتية، لكنه وجد من المستشارين الذين التفوا حوله من استطاعوا أن يستبعدوا التناقض المصطنع بين التعريب كخطة ثقافية والاشتراكية كمنهج اقتصادي أو سياسي واجتماعي، وكان أغلب هؤلاء من تلاميذ جمعية العلماء التي كانت الحاشية الاشتراكية المتفرنسة سببًا في دفع بن بللا إلى الغلو في معاداتها بل معاداة ذوي الثقافة العربية الإسلامية عمومًا، وكان من مظاهر ذلك أنه بدأ سياسة التضييق على جمعية القيم، بل جمعية العلماء.

ومن المؤكد أيضًا أن بومدين استمر في اضطهاد أصدقائي في جمعية «القيم» وأنه هو الذي أمر بحلها مرتين واعتقال رئيسها وأعضائها، لكن ذلك لم يعطل سياسة التعريب،

---

(١) «مذكرت نصف قرن من العمل الإسلامي»: ٥٣٧- ٥٣٩.

(٢) اسمه محمد بوخروبة واشتهر باسم هواري بومدين، وكان قد درس في الأزهر بمصر لكنه نكص على عقبيه وعمل في الجزائر بالنظام الماركسي لما تولى الرئاسة عقب انقلابه على بن بللا. هلك سنة ١٣٩٩/ ١٩٧٨. وانظر ترجمته في «إتمام الأعلام»: ٢١٩.



وأعتقد أن الفضل الأكبر في ذلك يرجع إلى نفوذ صديقي المرحوم مولود قاسم الذي درس في جامعة القاهرة وأحب مصر والعروبة، وعمل مديراً لمكتب محمد خيضر الأمين العام للمكتب السياسي أثناء وجودي في الجزائر، وكانت له جرأة عجيبة في الدفاع عن وجهات نظره مهما تكن شاذة في نظر كثيرين، وأعتقد أن هذا هو ما أعجب بومدين وجعله يقربه وأطلق يده في تنفيذ خطط التعريب إلى أقصى حد ممكن، وهو الذي بدأ سياسة تنظيم ملتقى الفكر الإسلامي السنوي في الجزائر، وكان له الفضل في أنني دُعيت له مرة واحدة عام ١٩٧٤، ولم أعد للجزائر بعدها إلا في عهد الشاذلي بن جديد بعد أن بدأ سياسة التعددية السياسية في عام ١٩٨٨م وهي التي أتاحت للإسلاميين إنشاء جبهة الإنقاذ في عام ١٩٨٩م...[1].

هذا كان حال الجزائر قبل الصحوة، أما التحول الصحوي في الجزائر فقد حدث على مراحل، وإليكم هذا التقرير الذي نشرته مجلة «المجتمع» الكويتية، وبه يتبين ما حصل:

«الدعوة الإسلامية بالقطر الجزائري ليست بالحديثة وليست بغير جذور أو أصول فالشعب الجزائري - برغم الحصار الاستعماري الذي ضرب عليه طيلة قرن وربع القرن - عرف نهضة إسلامية قبل كثير من الأقطار الإسلامية، ولئن لم تثمر هذه النهضة تياراً منظمًا على شكل حزب إسلامي فإنما ذلك لأسباب متعددة أهمها أن الشعب الجزائري - تحت ضغط الاستعمار الفرنسي الاستيطاني - تحول إلى الحرب المسلحة مبكراً وانشغل بها عن الدعوة التربوية الهادئة وكأنما أراد أن يحرر الأرض أولاً ثم يتفرغ لنشر الدعوة وتوضيحها ثانيًا وهذا رأي قد يثير الخلاف ولكنه على كل حال واقع...

إن الشعب الجزائري قد عرف في أحلك عهود الاستعمار جمعية العلماء التي ساهمت في المحافظة على اللغة العربية والعقيدة الإسلامية وكان من أقطابها الإمام عبد الحميد بن باديس والطيب العقبي والبشير الإبراهيمي، ثم عرف فيما بعد الاستقلال جمعية القيم التي أسسها مجموعة من الشباب المثقف بتوجيه من الأستاذ مالك بن نبي -رحمه الله-

---

(١) المصدر السابق: ٤٣٠- ٤٣١.

وأصدرت مجلة القيم التي تعتبر أول مجلة إسلامية ملتزمة في الشمال الإفريقي ولكن النظام الجزائري في عهد بن بِلاّ حل الجمعية وأوقف صدور المجلة وطارد المسؤولين عنها.

واستمرت الدعوة الإسلامية مواصلة سيرها بالرغم من القمع وحملات التشكيك والإرهاب إلى عهد بومدين؛ حيث أسست مجموعة من الدعاة من بينهم الأخ الأستاذ محفوظ النحناح مساجد بالجامعات، وأشرفوا على جمع فلول جمعية القيم وتلامذة جمعية العلماء مستفيدين من ظروف النظام الجزائري الجديد الذي كان محاصراً بتيار يساري متطرف وتياري اللغة الفرنسية والعصبية البربرية، فواصلت الدعوة الإسلامية سيرها في ظل موجة العداء للفرنسية وللشيوعية المتطرفة وما رفعه بومدين من شعارات العربية والأصالة واستقلالية الشخصية الجزائرية.

البومدينية الأولى (١٩/ ٦/ ١٩٦٥ إلى ١٩٧١):

لئن قلنا إن الثورة الجزائرية كانت إسلامية أثناء تأسيسها وممارساتها الجهادية فإننا لا نعني بهذا أنها سارت إسلامية إلى نهاية الشوط.

ذلك أن الاتجاه الإسلامي فيها ضعف مع الزمن واستعَارِ الحرب وانشغال المجاهدين بالبندقية عن التربية والتوعية والتفقه بالدين، وازدياد عدد المَتطوعين للحرب الجهادية بما فيهم من عوام وشيوعيين وقوميين، وبسبب التأييد الناصري للثورة وانقطاع الصلات الفكرية والثقافية عن المشرق والحركات الإسلامية العاملة فيه واستعانة بن بللا في حكمه بأعداء الإسلامية وأنصار الاشتراكية والتغريب.

كما ساعد على جرف الثورة نحو الاشتراكية أسباب أخرى كثيرة منها:

١ - المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية ومخلفات حرب التحرير التي أعقبت الحصول على الاستقلال، بحيث عاشت الجزائر في سنوات الاستقلال الأولى حالة من الفوضى والتناحر والصراع مع فلول الفرنسيين الذين لم يتقبلوا بسهولة مبدأ استقلال الجزائر.



٢- عدم وضوح التصور الإسلامي المتكامل للدولة الإسلامية في أذهان قادة الثورة لا سيما وثقافتهم جميعًا فرنسية باستثناء بومدين الأزهري، كما أنهم لم يجدوا في العالم الإسلامي نموذجًا للدولة الإسلامية يقتدون به، هذا على فرض أنهم فكروا في هذا الأمر أصلاً.

٣- تركيز علماء الجزائر في دعوتهم التمهيدية للثورة على الجانب العبادي والجهادي في الإسلام من أجل إثارة روح البذل والتضحية والاستماتة لتحرير البلاد وطرد الاستعمار، وذلك بدل تقديم الإسلام كنظام سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي متكامل.

٤- أثناء الثورة تخرج كثير من الشباب الجزائري من جامعات الدول الاشتراكية والتحقوا بالثورة فعملوا على تغيير مسارها.

هذا وعقب انتصار الثورة الجزائرية أرسلت أعداد كبيرة من الطلاب الجزائريين إلى بعض الجامعات السعودية، وبعد مدة سحبوا كلهم لعدة أسباب منها خوف قادة الثورة من تأثر الطلاب بالبيئة الإسلامية السائدة في المملكة.

٥- انقسام العالم أثناء قيام الثورة إلى معسكرين: المعسكر الرأسمالي وحلفه الأطلسي الذي كان يدعم الاستعمار الفرنسي ويمده بالسلاح، والمعسكر الاشتراكي الذي كان يدعم الثورة بالسلاح والمال ويؤيدها في المحافل الدولية.

وقد رصد بومدين هذه الأوضاع وشعر بتذمر الشعب الجزائري من هذا الانحراف نحو الناصرية والاشتراكية المتطرفة، ومن حالة الفوضى التي ضربت أطنابها عقب الاستقلال، واستفاد من حالة السخط التي انتابت زعماء الثورة بسبب إبعاد بن بللا لهم عن مراكز السلطة والمسؤولية فقام بانقلاب (١٩/ ٦/ ١٩٦٥م).

وكان من المنتظر أن يعيد بومدين العربة الجزائرية إلى الجادة الإسلامية المحضة - لا سيما وهو خريج الأزهر- ولكنه لم يفعل واكتفى بمحاولة ترضية الشعب الجزائري وإعادة بناء

الدولة على أسس النظام المكتبي (البيروقراطي) وبواسطة إقامة المشاريع العديدة الضخمة في مجالات الاقتصاد والصناعة والزراعة ورفع راية التعريب والسير فيه قدمًا وتشجيع التيارات الداعية اليه . . .

أما في المجال الإسلامي فقد سمح في حدود ضيقة جدًا لتيار مالك بن نبي -رحمه الله- بالعمل في مساجد الطلبة التي أسست بالجامعات الجزائرية، وكان هذا التيار هو الذي خلف جمعية القيم ورعى آثارها ومنجزاتها، ثم ظهرت من خلاله تيارات إسلامية أخرى متأثرة بكتابات سيد قطب والإمام الشهيد حسن البنا ما لبثت أن قمعت . . .

كما تميزت هذه الفترة ببروز شخصية بومدين عسكريًا حازمًا قويًا لا يحضر الحفلات ولا السهرات، ولا يرغب في الدعاية الإعلامية لشخصه، ويحرض على مناوأة فرنسا والتحرش بها واستفزاز مصالحها، وعلى معاداة إسرائيل والصهيونية بحيث أرسل الجيش الجزائري للقتال في حرب خامس يونيو ١٩٦٧، وختم هذه الحلقات المتتالية بتأميم البترول (٢٤/ ٢/ ١٩٧٢) وتأسيس شركة ضخمة لضخ ونقل وتكرير البترول وتمييع الغاز وتسويقه تسمى سونا طراك .

أما الوجهة السياسية للدولة في هذه الفترة فإنها في الحقيقة لم تكن اشتراكية محضة ولا رأسمالية محضة بل ولا قومية جزائرية أو عربية أو إسلامية محضة وإنما كانت هناك شعارات من كل هذه الخيارات تطغى عليها كلها وتغطيها شخصية بومدين الذي ظهر متقمصًا دور البطل «المنقذ»، لمنجزاته الصناعية ومناوأته للاستعمار الفرنسي، ولخطاباته باللغة العربية التي تمس شغاف قلوب الجزائريين المتطلعين إلى ماضيهم الإسلامي العربي المجيد، وفي أجواء من بساطة الملبس والتواضع والبعد عن فخفخة الملك وزهو السلطان، واستثماره للروح الوطنية التي أججتها الثورة والنصر بالوقوف بحزم في وجه الجارتين الشقيقتين (تونس والمغرب) اللتين تطالبان بمراجعة الحدود على ضوء معطيات تاريخية وإقليمية ما كان أغنى شعب شمال أفريقيا المسلم عن الصراع من أجلها . . .»[1] .

---

(١) مجلة المجتمع : العدد ٤٨٤ ص ١٧ - ١٩ .



ثم نشرت «المجتمع» الحلقة الثانية من تقرير الأستاذ البيضاوي، حيث قال:

«البوميدينية الثانية»:

هذه الفترة هي فترة التوجيه الاشتراكي للبلد، ويبدو أن هذا التوجيه كان تحت تأثير علاقات بومدين بالشعوب الاشتراكية وضغط الشيوعيين المنبثين في أجهزة السلطة في الداخل.

وكثيرًا ما ذكر المطلعون أن الثورة الزراعية مثلا (نوفمبر ١٩٧١) والتسيير الاشتراكي للمؤسسات (١٩٧١/ ١٩٧٢) من إيحاءات بعض كبار الشيوعيين (كاسترو وأضرابه)، كما تسلل عدد كبير من الاشتراكيين والشيوعيين إلى المؤسسات الإعلامية وبعض المراكز القيادية في حزب جبهة التحرير والحكومة والوزارات، وأصبحت الاشتراكية مذهبًا ملتزمًا به سواء في خطابات بومدين أو في وسائل الإعلام الرسمية وشبه الرسمية، أو في المؤسسات الاقتصادية والفلاحية...

وإنما نجحت ضغوط اليساريين وتيار المتفرنسين في إيقاف برنامج التعريب الشامل للإدارة والمدرسة والشعب، وعزل وزير التعليم المناصر لهذا الاتجاه وعوض بآخر أوقف مشروع بناء كلية الشريعة، ودمج المعاهد الدينية في التعليم العام وصفى مناهجها الدينية... وفتح بذلك باب «الردة» الثقافية إلى الفرنسية والعلمانية والعصبية البربرية التي تسيرها المراكز الاستعمارية في فرنسا، وبعض جيران الجزائر الأشقاء.

وكان من نتائج هذا أن فتح باب الهجرة لتلقي العلوم الشرعية في بلدان الشرق (المملكة العربية السعودية وما إليها) في وجه الشباب المتدين الذي لم يجد في بلده معينًا يستقي منه...

أسباب فشل الاتجاه الاشتراكي:

يزعم الماركسيون في الجزائر أن الاشتراكية فشلت لأن النظام الذي أشرف عليها نظام بورجوازي يتستر بثوب الاشتراكية ولأن الدولة ليست بروليتارية، ولا تحكمها دكتاتورية الطبقة العاملة.

ولكن الحقيقة أن فشل الاشتراكية في الجزائر يعود إلى أسباب موضوعية وأسباب تطبيقية:



فالأسباب الموضوعية تتعلق برفض الشعب الجزائري بكافة فئاته وطبقاته لها؛ وذلك لأنه يرى فيها مخالفة للفطرة الإنسانية، والطبيعة البشرية، والدين الإسلامي الذي يتعارض مطلقًا مع النظام الاشتراكي المبني على أسس إلحادية، ونظرة تحقيرية للإنسان تنفي عنه كل تكريم فطره الله عليه. . .

وقد كان رفض الشعب الجزائري للاشتراكية حادًا وشديدًا بسبب طبيعته الثورية أولاً، وكرد فعل منه للصدمة التي أصيب بها نظرًا لخيبته في تحقيق ما ثار من أجله في ميدان العقيدة والإصلاح الاجتماعي والروحي للأمة. . . لاسيما وهو ينظر إلى الجانب المادي للحياة نظرة جانبية تأتي في الدرجة الثانية بعد الهدف الأساسي (الإصلاح الديني للأمة).

المد الإسلامي الطلابي:

أتاح تقرب الدولة من الاشتراكيين ورفعها للشعارات الاشتراكية في ميادين الثقافة والفلاحة والصناعة والتسويق الفرصة لنمو التيارات الماركسية التي اجتاحت الجامعات والمعاهد والشارع ضاغطة من أجل مزيد من الإقبال على الاشتراكية. . . إلا أن هذا المد الشيوعي قوبل بمد آخر إسلامي أصيل يستقي من نبع الكتاب والسنة والتاريخ الإسلامي العريق للقطر. . . وكان من علامات هذا التيار الجديد وقوع اصطدامات بين الفئتين في كثير من المجالات، ففي انتخابات لجان الشباب (ربيع ١٩٧٥) وقع اصطدام بين النزعتين، ووصف الشيوعيون الإسلاميين بأنهم (فاشيون) ووقع الهجوم على كلية (بنعكنون) والتنكيل بالطلبة الإسلاميين. . . بالمطارق والسلاسل والفؤوس. في حين كانت وسائل الإعلام تبشر بأن الانتخابات تجري بصفة ديمقراطية، ثم توجت هذه (الديمقراطية) بمظاهرات ومسيرات للشيوعيين يهتفون بسقوط الرجعية والاتجاه الديني بين الشباب.

ثم لما عرض الميثاق الوطني للاقتراع ووقفت منه العناصر الإسلامية موقف المعارض -وهذا حق ضمنته السلطة للجميع علانية- عوقب هذا الاتجاه باعتقال الأستاذ محفوظ النحناح وصحبه. . .



الشاذلي بن جديد والانفراج السياسي:

وأخيرًا - وليس آخرًا - جاء الشاذلي بن جديد إلى الحكم بأسلوب لم يصل به أي حاكم عربي أو مسلم إلى الحكم في هذا العصر، ولأول مرة نرى مجموعة متألقة تنتخب رئيسها انتخابًا . . .

ودشن الشاذلي عهده بإلغاء بعض الإجراءات التي تحد من حرية المواطنين كنظام تأشيرات الخروج، وبعض القيود التجارية على المنتجات الزراعية والتجارية . . . ثم أطلق سراح أخطر من تآمر على الدولة في عهد بومدين، وأطلق سراح بن بللا وبدأ الناس يتنفسون الصعداء . . .»[1].

ومن المعلوم ما حدث في الجزائر بعد ذلك من تعاظم الصحوة إلى الحد الذي نجح فيه الإسلاميون في الانتخابات، التي وئدت من قبل الجيش ودعم فرنسا له، وحصل ما حصل بعد ذلك من مذابح طوال عشر سنوات عجاف، والأمر لله تعالى.

وقد رأيت من الجزائر وصحوتها عجبًا سطرته في مقالات «أيام في الجزائر» لمن أراد الاطلاع عليها، وقولي: «رأيت عجبًا» لا يوفي حق الوفاء بما رأيته فيها مما لم أره في أي مكان آخر من قارات العالم الست، فياحسرة على وأد تلك الصحوة الجليلة العظيمة التي لا أعلم شبهًا لمدها الطاغي في أي بلد إسلامي آخر، والله أعلم، وسأتحدث في شأن وأدها بإيجاز في فصل قادم، إن شاء الله تعالى.

●●●

(١) مجلة «المجتمع»: العدد ٤٨٥: سنة ١٤٠٠: ص ١٩- ٢١.

المطلب السادس

الصحوة الإسلامية في تونس

الصحوة في المغرب وتونس ظهرت بالأسباب نفسها - تقريبًا- التي ظهرت بها الصحوة في المشرق العربي، وقد تأثر المغاربة والتونسيون والجزائريون بالأحداث التي كانت تموج في المشرق آنذاك، سواء بالهزيمة العظمى سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧، أو نصر رمضان ١٣٩٣/ ١٩٧٣ أو غير ذلك من الأسباب التي سقتها آنفًا، وكانت الكتب من المشرق تذكي صحوة المغرب، وعلى رأسها كتب الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى.

هذا وقد قال الأستاذ راشد الغنوشي موضحًا بداية الصحوة في تونس:

«في بداية السبعينيات قدمت أنا من المشرق مفعمًا بفكرة الإصلاح الديني التي شهدها المشرق، وكنت ذهبت إلى سوريا للدراسة... ولما رجعت إلى تونس حضرت حلقات الشيخ ابن ميلاد، والتقيت بالشيخ عبدالفتاح مورو، ثم انطلقنا في الحركة الإصلاحية، وقد ساعدني عملي في التعليم الثانوي على الاتصال بالشباب وتوعيتهم... وقد أنشأنا لذلك حلقة أولى في جامع سيدي يوسف بالعاصمة سنة ١٩٧٠/ ١٣٩٠، وهي تتجه خاصة لشباب البكالوريا «الثانوية» تقدم فيها المفاهيم الغربية وتُحلل وتُنقد، ويقدم البديل الإسلامي.

وفي سنة ١٩٧١ انضممنا إلى جمعية المحافظة على القرآن، ونشطنا داخلها، إلا أن الحزب تدخل وأخرجنا منها، فأنشأنا حلقة أخرى في جامع «صاحب الطابع» بالعاصمة، وبدأت تتسع شيئًا فشيئًا، واستمرت تقريبًا سبع سنوات، ثم انتقل هؤلاء الشباب الذين كانوا يحضرون الحلقات إلى الجامعة، ونقلوا معهم الفكرة الإسلامية، وبدأوا صراعهم هناك مع الاتجاهات اليسارية، والذين تخرجوا من الجامعة انتشروا في البلاد، ونقلوا فكرتهم، وأنشأوا بدوْرهم حلقات لتوعية الشباب وتربيته تربية إسلامية، وهكذا انتشرت الحركة»(١).

---

(١) «الإسلام الاحتجاجي في تونس»: د. محمد الهرماسي: ٢٥١ ضمن كتاب صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان «الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي».

وقال الأستاذ صلاح الدين الجورشي -وهو عضو سابق في حركة الغنوشي-:

«في البداية كنا ننوي التوجه إلى كل الفئات، إلى كل أفراد الشعب، لكن التجربة أعطت أن الطرف الأساسي الذي تفاعل مع توجهاتنا ومع أفكارنا كان هو الشباب؛ ولذلك فإن الحركة في بدايتها كانت فيها نسبة التلاميذ والطلبة هي الأكبر، ويمكن أن تحتل أكثر من سبعين في المائة.

الملاحظة الثانية: هي استجابة قطاعات ريفية واسعة، بحيث لا يكاد أستاذ بمدرسة بالجنوب أو بالشمال يحاول أن يناقش التلاميذ ويدعوهم إلى الالتزام بالإسلام وبخط الدعوة إلا وتكون العناصر الريفية أكثر استجابة، ثم تتولى مواصلة الدعوة وحمل الرسالة»(١).

وقال الأستاذ راشد الغنوشي موضحًا تطور الصحوة بانبعاث الحركة الإسلامية وترشيد المسار:

«انبعاث الحركة الإسلامية»:

في الوقت الذي تغربت فيه الحياة بفعل السيطرة الاستعمارية على الاقتصاد والإدارة وبضغط وإصرار من السلطة الاستعمارية، ظلت المعاهد الدينية قائمة على المناهج القديمة لم يدخل عليها تحديث لا في لغتها ولا في مضامينها، وظل الفقه يدرّس كما كان يدرّس سابقًا، يطرح مشكلات لا وجود لها في الواقع، مشكلات هي غير مشكلاتنا، أما المشكلات التي فرضها الاستعمار وأصبحت واقعًا فعلاً فلا يتطرّق إليها، ونتج عن ذلك انفصال بين الدين والحياة، فبينما تغربت الحياة ظل الدين منغمسًا في التاريخ، فكأنما الشباب الذي يدرس في المعهد الديني يقوم بجولة في متحف تاريخي لا يزوده بأي نور يهديه في حياته، ولا يبيّن له كيف يعيش إسلامه في حياة قد تغرّبت، كانت الدروس مملّة، وكان الذي ينتمي إلى المدارس الدينية إنما يفعل ذلك لأنه لا يجد مكانًا يدرس فيه غير هذا المكان؛ أو لأن والده دفعه لهذه الدراسة، أو لأنه يدرس حتى يمتهن مهنة لا للاستنارة والفهم؛ فقد كان معظم الطلبة ريفيين فقراء.

---

(١) المصدر السابق: ٢٥٢- ٢٥٣.



هكذا كان حال الزيتونة رغم ما قام به الشيخ الطاهر بن عاشور[1] وأصحابه - رحمهم الله - من جهود كبرى لتطوير التعليم في الجامع حتى يكون إطاراً للتحديث، لقد كانت تلك تجربة طريفة، لو تم لها الاستمرار ووجدت الدعم لكان مصير تونس غير هذا المصير، ولتم تحديثها ولكن في الإطار العربي الإسلامي، ولكن التقت إرادة المستعمر الفرنسي مع حزب الدستور - خليفته - لإجهاض ذلك المشروع إلحاقًا لتونس بفرنسا وتضحية بالإسلام والعروبة، وأعتقد أن إجهاض مشروع التحديث في إطار عربي إسلامي كان أهم بندٍ سري في صفقة الاستقلال، وهو ما سيكشف عنه مستقبل البحث.

ولذلك لم تكن الحركة الإسلامية المعاصرة في تونس من ثمار جامع الزيتونة، بل لم يكن للجامع دورٌ يذكر في نشأتها؛ كانت الحركة الإسلامية إلى حد كبير انعكاسًا لأثر الفكر الإصلاحي في المشرق، ولم تكن امتداداً لمنهج التعليم الذي كان سائداً في جامع الزيتونة...

لقد كان طالب العلم في جامع الزيتونة ممزقًا، يعيش حياته في إطار غربي ويتلقّى العلم في إطار عربي قاصر لا يعطيه منظوراً لمجتمع بديل، فكان ينجذب بطبيعة الحال إلى نموذج الحياة الغربي الذي يؤطره والحياة كلها، فيعيش في حالة اغتراب وتمزّق تدفعه إما إلى الهرولة للانخراط الأعمى في الحياة الحديثة أو إلى محاولة التمرّد اليائس.

نشأت الحركة الإسلامية لتجيب عن مثل هذه الأسئلة الكبرى، حول الوجود، وحول التاريخ، وحول الدين ونظام الحياة، والموقف من الحداثة، والمسألة الفلسطينية، والعلاقة مع الغرب والموقف الغربي من الإسلام، والمستقبل العربي، فمثل هذه القضايا لم تكن مطروحة في التعليم الزيتوني، ثم بعد أن شبّت الحركة الإسلامية على الطوق أخذت تراجع نفسها وتحاول أن تُجَسِّر العلاقة بينها وبين جامع الزيتونة الذي كانت البورقيبية قد أحدثت بينه وبين الحياة الحديثة قطيعة تامة.

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وُلدَ سنة ١٢٩٦ بتونس، وعين عام ١٩٣٢ شيخًا للإسلام مالكيًا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشقَ والقاهرة، له مصنفات مطبوعة متداولة ومقالات كثيرة في المجلات، توفي بتونس سنة ١٣٩٣ رحمه الله تعالى. انظر: «الأعلام»: ٦/ ١٧.



بدأت الحركة الإسلامية تبحث في جامع الزيتونة عن جوانب التجديد لتؤصّل نفسها في إرث البلاد، كان ذلك في الثمانينيات، وأذكر أن أول ما قرأته لابن عاشور - وهو أهم رمز للثقافة الإسلامية في تونس الحديثة - كان في الثمانينيات، ولم أكن قبل ذلك قد قرأت كتابًا إسلاميًا تونسيًا واحدًا، بما في ذلك الكتاب المرجع لنواة فكرة الإصلاح: «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»[1]، بل كل الذي قرأته من قبل كان كتابات مشرقية، هي التي فتحت لي الطريق إلى الإسلام، ولكنها أوقعتني في قطيعة مع تراث الإسلام المحلي ومع تراث تجربة التحديث العريقة في تونس والتي بدأت بمنطلقات وغايات إسلامية منذ منتصف القرن التاسع عشر سعيًا لإنقاذ البلاد من مخاطر التفوق الغربي المهدد لها بالاحتلال، وذلك عن طريق تحديث الإدارة بالحد من السلطان المطلق للحاكم وتحديث المؤسسة الدينية لتضم إليها العلوم الحديثة، غير أن ميزان القوة الدولي كان قد مال كليًا للطرف الآخر، فلم يسمح لهذه العملية أن تصل إلى غايتها فتم التآمر على رائدها الوزير خير الدين التونسي، فأُبعد وجماعته من أجل فرض فتح أبواب البلاد أمام الاحتلال . . .

كان الشيوعيون هم عدونا المركزي، سواء في الجامعة أو في النقابات، ومع أن البورقيبية كانت عدوًا أيضًا إلا أنها لم تكن في الترتيب العدو الأول، ؛ ولذلك كان اليساريون يشيعون ما اعتبروه حقيقة مسلّمة من أن الحزب الحاكم شجع ظهور التيار الإسلامي من أجل ضرب التيار اليساري، وهذا ما يردّده اليساريون في مصر أيضًا من أن السادات هو الذي أطلق الإسلاميين من السجون وشجع التيار الإسلامي من أجل ضرب اليسار.

ما من شك بأن التيار الإسلامي ساهم في إضعاف التيار اليساري، ولكن من العبث أن يصور ذلك على أنه خطة أو مؤامرة، فمثل هذا التصوير يندرج ضمن التفسير التآمري للتاريخ، بمعنى أن هذه الظاهرة الإسلامية الضخمة هي نتيجة مؤامرة أو لعبة أوجدتها

---

(١) ألفه المصلح التونسي الكبير الذي لم يوف حقه من التعريف والاهتمام بتراثه خير الدين التونسيّ، رحمه الله تعالى، وقد عاش حياته في القرن الثالث عشر/ التاسع عشر الميلادي، ومن العجائب أنه شركسي قوقازي بيع عبدًا في سوق اسطنبول واشتراه الباي حاكم تونس ثم تدرج به الأمر إلى أن أصبح صدرًا أعظم في تونس -رئيس الوزراء- ثم أصبح صدرًا أعظم في الدولة العثمانية زمان السلطان عبد الحميد الثاني عليه رحمات ربنا الباري، وكان في اسطنبول يوم استولت فرنسا على الجزائر، ثم توفي في اسطنبول سنة ١٣٠٧/ ١٨٩٠م.



الأنظمة، وبالتالي يمكن لها أن تتخلص منها، والحقيقة أن الأنظمة يمكن أن تكون قد استفادت من ظهور التيار الإسلامي في إضعاف التيار اليساري ولكن الفرق شاسع بين أن نقول إن الأنظمة استفادت. . . وبين أن نقول بأنها هي التي خططت لظهور التيار الإسلامي أو رحبت به أو كان لها دورٌ في ظهوره، هذا باليقين ليس صحيحًا[1]، ونحن في تونس لم تكن لنا أية علاقة مع الحزب الحاكم أو مع الدولة، بل كانت الدولة مطمئنة إلى أنها نجحت في القضاء على التيار الإسلامي حتى أن الدكتور عبدالباقي الهرماسي - وهو أستاذ مشهور في علم الاجتماع - أكد في محاضرة له عام ١٩٦٩ أن الحداثة في تونس بلغت من العمق والاتساع درجة لم يعد معها ممكنًا ظهور تيار إسلامي.

ويشاء الله أن يَظهر التيار الإسلامي في تلك السنة نفسها، ولكن لما كانت البورقيبية تفتقر إلى تجربة - كتجربة الناصرية في المشرق- في مقاومة التيار الإسلامي، لم تتنبه إلى خطورته ظنًا منها بأنه بعد الذي أنجزت من عملية التحديث؛ أي: عملية علمنة تونس، أن الدولة أصبحت حرة من أي ضغط إسلامي على سياستها في الاقتصاد أو في الإدارة أو في الفن أو في التشريع، وتشكلت لَدى النظام قناعة بأن الدولة لم تعد مضطرة لتجامل الإسلام أو تقدم له التنازلات أو حتى تضعه في حسبانها، ونقصد بعلمنة تونس أن الدولة أصبحت تسلك في سياساتها ما تراه نافعًا مقلدة تقليدًا يكاد يكون أعمى العلمانية الغربية الفرنسية في جوانبها الثقافية لا في نموذجها السياسي الديمقراطي، فانطلقت تنظم الإدارة والاقتصاد والتشريع بتحررٍ واستقلال كامل عن الدين.

وقد ساهم اطمئنانها ذلك في غفلتها عن تنامي التيار الإسلامي، لاسيما وأن الإسلاميين عندما نشأوا لم يركّزوا على القضايا الحساسة، فلم يكن نقدهم لسياسات الدولة مباشرًا، وكان اليساريون هم الذين يتبوّؤن الصف الأول في مقاومة الدولة وانتقاد سياستها، وكان التيار الإسلامي بحكم تكوينه العقائدي والفكري يركّز - إلى جانب بعض النقد الملطّف للنظام - على نقد الأسس الفكرية للفلسفة المادية وصورتها الصارخة المتمثّلة في الماركسية، وكانت الدولة مطمئنّة إلى أن الإسلام انتهى وأن هذه الممارسات الدينية لبعض

(١) لئن لم يصح هذا في تونس فقد صَحّ في مصر، فقد أخرج السادات الإخوان عمدًا وعمل على إظهارهم وتمكينهم ليقفوا في وجه اليسار الطاغي آنذاك.



الشباب لعب أطفال، معتبرة وجود مجموعات تصلّي في المساجد ظاهرة من مخلّفات التطوّر لا غير بتعبير داروين، فلم تلقَ لها بالاً حتى عام ١٩٧٨م ولذلك استفاد التيار الإسلامي قرابة عشريّة من العمل الدؤوب في الجامعات والمدارس والمساجد دون إعاقات من الدولة تذكر، ولكن عندما كنا نظهر نشاطنا على السطح في تجمّعات كانت السلطات تعيق هذه التجمّعات كما حصل في سوسة سنة ١٩٧٣م غير أنها كانت إعاقة محدودة؛ لأن الدولة لم تكن معبأة ضد التيار الإسلامي بل كانت مشغولة باليساريين، غير أنها بعد أن فرغت من ضرب اتّحاد الشغل سنة ١٩٧٨م بعنف شديد موجّهة من وراء ذلك ضربة شديدة للتيار اليساري، وظهر التيار الإسلامي إلى السطح وتضخّمت أعداده وظهرت سافرة بوادر خطابه المعارض لسياسات الدولة والمؤيّدة لاتحاد الشغل، تنبّهت الدولة لهذا الخطر الجديد الذي ملأ المساجد وراح يصارع الشيوعيين في الجامعة بكفاءة ويقيم اجتماعات جماهيرية كبيرة، ويندد بسياسات الدولة الداخلية والخارجية وينتهي إلى تأييد اتحاد الشغل.

عوامل التطوير:

- يمكن القول بأن العوامل التي ساهمت في تطوير فكر الحركة وبروز صيغة أو خصوصية تونسية للثقافة الإسلامية تمثلت؛ أولاً: في الصراع والصدام العنيف الذي حصل سنة ١٩٧٨م بين النقابات وبين الدولة.

- **وثانيًا:** في الصراع في الجامعة بين التيار الإسلامي والتيار اليساري مما أدى إلى أن يستوعب التيار الإسلامي خلال صراعه المرير مع اليسار كثيراً من مقولاته حول طبيعة الصراع في العالم وفي البلد.

- **ثم ثالثًا:** تفجّر الثورة الإيرانية.

- **ورابعًا:** الفكر السياسي الاجتماعي للحركة الإسلامية في السودان، لا سيما فيما يتعلق بالفكر العملي (البراغماتي) والمشاركة الواسعة للمرأة في نشاط الحركة والمجتمع[1]، إلى

---

(١) عندي كلام كثير في مسألة التجربة السودانية واستفادة التونسيين منها لكن ليس هذا الكتاب محلاً لهذا النقد، لكن أقول إن د. حسن الترابي قد جنى كثيراً على الحركة الإسلامية في السودان، وتمددت جناياته لتؤثر على حركات إسلامية أخرى كان منها الحركة التونسية التي تأثرت ببعض أفكاره الخاطئة والضالة، والله المستعان.

جانب تأثرها بالتيار الليبرالي الديمقراطي الذي نشأ في تونس في النصف الثاني من السبعينيات وازدهر في الثمانينيات قبل الانقلاب عليه من طرف العسكر والبوليس بقيادة ابن علي في ٧/ ١١/ ١٩٨٧م، دون أن نغفل عن تأثير فكر مالك بن نبي في اعتماده المنهج الخلدوني في تحليل الظواهر الاجتماعية والحضارية. . . »[١].

- هذه كانت بعض مظاهر الصحوة في تونس، لكن لا بد لي من التعليق هاهنا بأن الصحوة في تونس كان لها مسار فكري خاص مهيمن عليها وسائق لها يخالف المسار المتفق عليه بين الاتجاهات الإسلامية الأخرى بحيث يصح وصفه -في بعض جوانبه-بالنشاز، ولم يكن ذلك كذلك في مصر أو المغرب أو الجزائر أو غيرها من البلاد، فقد كانت النزعة الفكرية الاستقلالية واضحة في الحالة التونسية نتج عنها ظهور كتابات للحركة الإسلامية في تونس للأستاذ الراشد خاصة ولقليل من الأساتذة غيره لم تكن موافقة للفكر العالمي السائد الرائد للحركة الإسلامية، ونُقد لذلك نقداً شديداً من أطراف عديدة.

هذا ولم تكن مخالفة الصحوة التونسية لأخواتها في الفكر فقط بل تعدى ذلك إلى استقلالية في العمل بأمور كانت مثار نقد شديد، وعلى كل حال فإن هذا البحث يضيق عن مناقشة كل ذلك، فله مظانه التي يرجع إليها من أراد.

وإنما علقت على الحالة التونسية خاصة لأن الصحوة في البلاد العربية لم يكن لها اجتهاد فكري مخالف للسائد بل كان بعضها يقارب بعضها الآخر، وربما كانت الحالة السودانية -في المدة الترابية- قريبة جداً من الحالة التونسية، وقد ذكر الأستاذ راشد صراحة تأثره بالتجربة السودانية التي أيضًا كانت محلاً لنقد شديد.

تلك كانت جولة في مظاهر الصحوة في بعض البلاد العربية، وسيجد القارئ لكتابي هذا مظاهر متعددة من بلاد أخرى مثل اليمن والكويت، لكني لم أفرد لها مطلبًا كما أفردت لتلك الدول؛ وذلك حرصًا على الإيجاز وتقليل صفحات الكتاب، ومن ناحية أخرى للتشابه الكبير بين مظاهر الصحوة في أكثر البلاد العربية فاكتفيت ببعضها عن بعضها الآخر، والله الموفق.

---

(١) «من تجربة الحركة الإسلامية في تونس»: ٤١- ٥٣.



المبحث الثاني
الصحوة خارج البلاد العربية

المطلب الأول
الصحوة في الهند

لقد كان للصحوة ظهور متقارب في كل البلاد العربية، وبعض الدول الإسلامية ظهرت الصحوة فيها متقاربة مع ظهور الصحوة في البلاد العربية، وبعض الدول الأخرى كان للصحوة فيها ظهور مختلف، ومن ذلك الهند، ولقد لخص الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي [1] كيفية ظهور الصحوة في الهند، فكان مما قاله:

«بدأت في شبه القارة الهندية أولاً بجهود تلاميذ الشاه ولي الله الدهلوي وتلاميذ أبنائه مثل الإمام الشهيد السيد أحمد بن عرفان، والإمام محمد إسماعيل بن عبدالغني [2]، وبجهود زعماء حركة الخلافة التي ظهرت في شبه القارة الهندية في العقود الأولى للقرن الماضي وفي مقدمتهم شيخ الهند مولانا محمود الحسن، وزعيم الهند مولانا محمد علي جوهر، وبجهود قادة العلم والفكر والدين، فقد ظهرت شخصيات عديدة بذلت في هذا المجال ما وسعها من جهود، فنجد هنا وهناك جهوداً مبشرة بعضها لم تبرز إلى مكان الشهرة والصيت، وبعضها الآخر نال الظهور والشهرة. . .

بذل علماء الإسلام جهودهم في هذا المجال فكان لها تأثير كبير في دعم الصحوة الإسلامية، ويمكن أن نقسم جهودهم التي أحدثت تغيراً وتأثيراً إلى ثلاثة أقسام للعمل، وهي:

---

(١) عميد كلية اللغة العربية في دار العلوم: ندوة العلماء في لكنو في الهند.

(٢) هؤلاء مجموعة من العلماء الهنود ظهروا في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وقد كان لهم أثر كبير في المحافظة على الإسلام في الهند.

[١] جبهة نصرة الخلافة الإسلامية.

و[٢]جبهة تحرير البلاد.

و[٣] جبهة الجهود التعليمية والعلمية والتربوية الإسلامية.

وشبه القارة الهندية تملك أهمية كبيرة في العالم الإسلامي لأنها تشكل بالمسلمين من سكانها وحدهم نحو ثلث السكان من العالم الإسلامي كله[1]، ثم إنها غنية ومكتفية إلى حد كبير بوسائلها وخاماتها ومراكزها التربوية ونشاطاتها الإسلامية، فلا بد أن تحتل في العالم الإسلامي مكانًا ذا أهمية وقيمة، فحركة من الحركات الإسلامية تظهر فيها يُسمع لها دوي في الخارج أيضًا، وكانت حركة الخلافة فيها أقوى حركة إسلامية تأثيرًا لإنعاش الغيرة الإسلامية، فظهرت في العقد الرابع من القرن الماضي الهجري، وتتصل أصالة بالشرق الأوسط، فكان المطلوب منها أن تؤثر على أوضاع ذلك الجزء من العالم الإسلامي، ولكن تأثيرها انحصر في شبه القارة وحدها، وأصبحت من العوامل الكبيرة التي لم تحرك الغيرة والحمية الإسلامية في نفوس المسلمين، ولم تبعث فيها حنينًا إلى عزهم الفائت فحسب بل مهدت الطريق لجميع سكان شبه القارة الهندية على اختلاف الأديان والطوائف لطلب التخلص من الحكم الأجنبي كذلك، وقد بلغت شدة الحركة إلى حد أن كبار زعماء غير المسلمين السياسيين أيضًا لجئوا إلى مشاركة المسلمين في عواطفهم الثائرة مثل الزعيم غاندي وأتباعه، واستمدت حركة الاستقلال منها قوتها التي توسعت فيما بعد وآتت أكلها.

وحركة الخلافة وإن لم تحقق أصل هدفها وهو إعادة الخلافة الإسلامية الزائلة في تركيا ولكنها حققت مكاسب جانبية لا تقل أهميتها عن مقصد آخر، وهي حمل النفوس على مقت الإنجليز والاستعمار، وإثارة روح الغيرة والعزة الإسلامية، وإيجاد الوعي الإسلامي في نفوس المسلمين لضرورة الاتحاد الإسلامي واستعادة مجدهم التليد، كما حركت شعور أهل الفكر والأدب من المسلمين ببذل جهودهم في هذا المجال، فنشط عدد من الباحثين العلميين لإثارة الروح الإسلامية وتصحيح الأفكار وإصلاح النفوس، وأثرت هذه الجهود

---

(١) وهذا قبل انفصال باكستان.



في إضعاف وإزالة مهابة الغرب عن النفوس وإزالة شعور الخذلان أمام الفكر الغربي الجارف.

وفي مقدمة من تركت جهودهم أثرًا كبيرًا في هذا الصدد الصحافي المسلم الغيور ظفر علي خان، والزعيم الإسلامي المعروف مولانا محمد علي جوهر، والباحث المؤرخ الإسلامي العلامة شبلي النعماني، والشاعر الفيلسوف المسلم الدكتور محمد إقبال[(١)]، والزعيم مولانا أبو الكلام آزاد، والشاعر أكبر إله آبادي، فإن هؤلاء وأمثالهم أثروا بخطبهم ومقالاتهم وشعرهم على عقول الشباب والكهول، وأثاروا فيها وعيًا إيجابيًا للأوضاع وشعورًا بضرورة استعادة المجد الغابر، وكان من نتيجة نشوء السخط على الإنجليز أن نشأت في قلوب كثير من الناس نفسية المقت للغرب وحضارته حتى لمنتوجاته، وظهرت في نتيجتها حركة المعارضة لكل ما يتصل بالإنجليز من ثقافة وتعليم وآداب، فقام كثير من الشباب بمقاطعة المستوردات الأجنبية وقاطعوا التعليم في مؤسسات الحكومة التعليمية، حتى قطع عدد لا بأس به من الشباب دراستهم في الكليات والجامعات الحكومية، واستدعى ذلك تأسيس مؤسسات تعليمية حرة ليتعلم فيها هؤلاء الشباب المقاطعون، وثارت في نفوس عامة أبناء الهند الغيرة ضد الأجنبي ونشأ فيهم الاعتزاز بما هو إسلامي وبما هو شرقي، يدل على ذلك تاريخ هذه الحقبة من العهد.

واختار العلامة شبلي النعماني أحد أعضاء ندوة العلماء[(٢)] المؤسسين الأسلوب العلمي الرصين في إثبات عظمة المد الإسلامي الأول ومثاليته في الأخلاق والمدنية والعلم، تلك المجالات التي كان الاستعمار الغربي قد سخر طاقاته الاستشراقية في الطعن على الإسلام فيها، وتكبير ذرات موهومة من ضعفه فيها، واتخذ العلامة في ذلك منهج البحث العلمي

---

(١) الدكتور محمد إقبال. ولد في سيالكوت - من البنجاب- سنة ١٨٧٧، وقد أسلم جده الأعلى من قبل مائتي سنة، وكان من براهمة كشمير. وتعلم في مدارس بلده الإنجليزية وغيرها، وسافر إلى لندن وحصل فيها على «الماجستير»، وحصل على الدكتوراه من ميونخ، وعاد إلى الهند سنة ١٩٠٨م، وكان شاعرًا مجيدًا باللغتين الفارسية والأردية، وله عدة دواوين ترجم بعضها إلى العربية وغيرها من اللغات العالمية. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٩٣٨م. من ترجمة الأستاذ الندوي له في مقدمة كتابه «روائع إقبال».

(٢) هي كلية إسلامية جليلة قامت في مدينة لكنو في الهند، وكل من تخرج فيها لُقب بالندوي، وقد رأسها جماعة من العلماء منهم الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمهم الله تعالى.



والأسلوب البليغ، وكان من زعماء الأدب الأردي الكبار وضليعًا في التاريخ ومطلعًا على علوم الشريعة الإسلامية، فكان لكتاباته تأثير قوي على القراء.

وبالإضافة إلى تأليف الكتب أسس بمساعدة تلاميذه النبغاء ومنهم السيد سليمان الندوي أكاديمية علمية إسلامية للبحث والتأليف والنشر باسم «دار المصنفين» في بلدة أعظم كره، عمل فيها تلاميذه المتخرجون من ندوة العلماء لشرح عظمة الإسلام والمسلمين في العلم والسياسة والاجتماع بوضع مجموعات من الكتب كانت متصفة بعلمية المنهج وسلامة الأسلوب، وقد حازت مطبوعات هذا المجمع الثقة من أصحاب الثقافة والعلم، واعترفوا بتأثيرها في الترشيد الفكري لمسلمي شبه القارة الهندية.

وأنشئ على غراره مجمع علمي إسلامي آخر في دهلي باسم «ندوة المصنفين»، وقام هو الآخر بمساهمة علمية في التزويد الثقافي الإسلامي لأبناء لغة أردو المسلمين، واتخذ مولانا أبو الكلام آزاد المنهج الصحافي والخطابي لإثارة شعور المسلمين وإلهاب عواطفهم لمعاداة الإنجليز وتأييد الأخوة الإسلامية العالمية؛ وللنهوض بطلب حقوق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من المستعمرين الغربيين سواء كانت في آسيا الصغرى وشمالي إفريقيا أو في الهند نفسها، فكان يحاضر ويكتب بأسلوب يجلجل القلوب والنفوس، وأصدر صحيفتين أسبوعيتين باسم «الهلال» و«البلاغ» كان يقرءهما الشباب المسلمون بنهامة وشوق عجيبين فأحدثتا زلزالاً في العواطف واتجاهًا إسلاميًا حرًا في الأفكار، وسحر بها الشباب بصورة أشد.

واستمر مولانا آزاد في كتابة مقالاته الرنانة إلى أن انتقل تدريجيًا إلى حركة تحرير البلاد وحدها، وقلت كتابته وخطابته ولكن دويها في النفوس بقى زمنًا طويلاً، وفي نفس الوقت قام الزعيم محمد علي جوهر بالكتابة والخطابة باللغة الإنجليزية بنفس القوة والرنة والتأثير، وكان مهتمًا بحركة التحرير بصورة خاصة، وكانت صحيفته باللغة الإنجليزية المدعوة بـ «كامريد» (الرفيق) لسان حاله.

ونشأ بتأثير هذه الجهود الأدبية والفكرية المختلفة نشاط وحركة في أقلام الشباب المعاصرين لهؤلاء الكبار واستهدفت أقلامهم بصورة خاصة موضوع نقد الحضارة الغربية،



وبعثت ثقة الشباب المنهزم أمامها بالإسلام وتاريخه المجيد وضرورة النهوض بالإسلام والاعتصام بالدين.

وامتاز من المتزعمين لهذا الاتجاه الفكري الإسلامي الأستاذ مولانا أبو الأعلى المودودي مع زملاء له من أصحاب المنهج العلمي والحماس الإسلامي الصحيح مثل الشيخ أمين أحسن إصلاحي، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، والأستاذ مسعود الندوي منشئ أول مجلة عربية بالهند، مجلة «الضياء»، وجميعهم كانوا من الممارسين للتعليم والكتابة ورؤساء تحرير صحف إسلامية.

بدأ مولانا أبو الأعلى المودودي نشاطه من رئاسة تحرير بعض الصحف الإسلامية، ثم أصدر مجلة إسلامية باسم «ترجمان القرآن»، وأسس منظمة إسلامية باسم الجماعة الإسلامية، وكتب مقالات علمية قيمة في انتقاد الحضارة الغربية وشرح نظرة الإسلام في قضايا الحضارة ومشكلاتها ونال بها تقديراً وإعجابًا، وأثرت دعوته وتقدمت، وصدرت له كتب في عدد من أهم القضايا صارت أساسًا لخطواته الحركية فيما بعد.

ولكن علماء الإسلام في الهند ممن كانوا يعملون في مجالات الإصلاح وإثارة الروح الإسلامية لم يتفقوا معه على بعض النقاط، واختلف خط عملهم عن خط عمله، ولقد حاول بعض العلماء التوفيق بين الخطين وجمع الطاقات الفكرية والدعوية الإسلامية على خط واحد، كان في مقدمتهم الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، فاختار منهجًا جامعًا بين الطريقتين فيه التأثير الديني والإقناع العلمي والجمع بين المحافظة والتقدم، وله مشاركة فعالة في العمل باللغتين العربية والأردية بأسلوب مشرق بليغ، وله عدد من مؤلفات قيمة فيهما حازت الإعجاب والتقدير من أوساط الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، وعُرف بعمله في المجالين الخطابي والكتابي على السواء.

على كل، فقد نشطت الجهود بأيدي هؤلاء في مجالات الفكر والدعوة، وكان ذلك في الثلث الأخير من القرن الهجري الماضي، وأدت حركة الجماعة الإسلامية عملها برياسة الأستاذ أبي الأعلى المودودي في مجالات من شرح الفكر الإسلامي ومواجهة القضايا الفكرية الناشئة من الحضارة الغربية، كما صدرت له ولقادة الفكر الآخرين مؤلفات قيمة



في قضايا مختلفة للحياة المعاصرة، ساهمت في التأثير على النفوس، ونُقلت إلى طائفة من اللغات المعاصرة وإلى الإنجليزية بصورة خاصة.

وكانت هناك حركة أخرى همها التربية الدينية وإصلاح الفرد وهي حركة الدعوة والتبليغ، بدأها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى لإصلاح سكان المنطقة المجاورة لدهلي عاصمة الهند التي تدعى بميرات، وذلك عندما رأى أهلها أنهم تغيروا عن الالتزام الإسلامي إلى حد أنهم أصبحوا صورًا من الهندوس في حياتهم وممارساتهم مع أنهم مسلمون نسبًا ونسبة، فجاشت في نفسه الحمية الإسلامية، وعكف على تبصيرهم وتذكيرهم، وبذل ما لديه من وسائل التأثير والإقناع باختيار طريق المحبة والمجاملة متأسيًا في ذلك أسوة الرسول ﷺ وصحابته في العهد المكي، وقد نجحت حركته نجاحًا باهرًا، وتحول سكان هذه المنطقة إلى رجال صالحين ودعاة مصلحين، ثم بسط الشيخ دعوته في أطراف الهند، وتوسع نطاقها تدريجيًا حتى عم في أطراف العالم، وظهرت بتأثيرها نتائج باهرة كثيرة كسبت أصدقاء وأنصارًا لها وعرفت بنجاحها في تصحيح العقيدة والمحافظة على العبادة، وتكوين الفرد الصالح، وكان من مكاسب هذه الدعوة ألوف من المسلمين تحولوا من الحياة الفاسدة إلى الحياة الصالحة، وكثرت آثارها، وشوهدت في كل المجتمعات الإسلامية في شبه القارة الهندية أولاً وفي خارجها أخيرًا[1].

واختار علماء الدين المسلمين في الهند بصورة عامة مجالين للعمل، وهما مجال السياسة ومجال التعليم، أما المجال السياسي فكان لتحرير البلاد من المستعمر الغاشم، فقد بثوا في نفوس المسلمين عداء ومقتًا ضد القوة الاستعمارية الكافرة، وكان من زعماء هذه الحركة العالم الجليل شيخ الهند مولانا محمود الحسن والشيخ الكبير مولانا عبدالباري الفرنجي محلي ثم المحدث الجليل الشيخ حسين أحمد المدني رحمهم الله جميعًا، وألفوا بجهودهم تلك جمعية تدعى جمعية علماء الهند وكانت نظيرة لجمعية علماء الجزائر في المنهج والهدف، واقترنت جهودهم للسياسة بعملية الإصلاح الاجتماعي والديني وإثارة عاطفة الحمية الإسلامية في النفوس، وتعاونوا مع أبناء البلاد الآخرين من الهندوس

(١) ليس هذا الكتاب موضعًا لنقد الجماعات المذكورة آنفًا، وإنما لذلك موضع آخر.



وغيرهم في مجال الكفاح لتحرير البلاد، وقد انشق عنهم حزب باسم «مسلم ليك» ونادى بنبذ التقارب السياسي مع الهندوس، وتزعم طلب إنشاء دولة إسلامية منفصلة عن الدولة الهندوسية في البلاد، وعلى أساسها حصل تقسيم البلاد الهندية عند إحرازها للاستقلال، وانقسم المسلمون بين بلدين: بلد تحرر باسم الإسلام وبلد تحرر باسم العلمانية[1].

والمجال الآخر الذي كان علماء الدين الإسلامي عملوا فيه هو منهج التربية والتعليم فقد كان وسيلة لتخريج عدد ضخم من علماء الدين الإسلامي ممن ساهموا في الحفاظ على الدين الإسلامي وعلومه في هذه البلاد البعيدة عن مهد الإسلام، وتكفلوا حاجة المسلمين في العلوم الإسلامية في هذا البلد الواسع الذي لا يتمتع بالأكثرية الإسلامية، ولقد أسست بجهودهم آلاف من المدارس والكليات الأهلية في شتى أنحاء البلاد، وكان من أعظمها وأهمها جامعة دار العلوم بديوبند، وجامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، وجامعة دار العلوم ندوة العلماء بلكهنؤ، وجامعات أهلية إسلامية عديدة في جنوبي الهند وشمالها، مثل الباقيات الصالحات وسبل السلام ودار السلام في جنوبي الهند، والجامعة السلفية وجامعة الإصلاح وجامعة الفلاح في شمالها.

وكانت هذه الجامعات والمدارس في غياب الحكومة الإسلامية مصدر خير كبير، فقد أخرجت ما احتاجت إليه الأمة الإسلامية الهندية -البالغة في عدد أبنائها إلى مائة مليون شخص[2]- من الأئمة والمفتين ومدرسي العلوم الدينية والعربية والدعاة والمصلحين، والعلماء الربانيين، ولقد أدت هذه المدارس والجامعات بطاقاتها العلمية الإسلامية الواسعة دورها في خدمة شئون المسلمين الدينية والإسلامية في الهند، فإن هذه المؤسسات التعليمية، والمجامع العلمية والدوائر التربوية إنما تسد حاجات المسلمين الخاصة بهم وهي مجتمعة على الهدف ومختلفة في الإدارة والسياسة العملية، وهي من العوامل الأساسية لدعم الصحوة الإسلامية في هذه البلاد، كما هي ذريعة للحفاظ على الدين الإسلامي في هذه البلاد والقيام بنظمه التعليمية والتربوية، وتخريج رجال أكفاء للقيادة الدينية في هذه البلاد.

---

(١) يعني باكستان والهند.

(٢) عدد المسلمين الآن في الهند أكبر بكثير من هذا الرقم المذكور.

كانت النظم التعليمية الدينية الأهلية في الهند أوسع تأثيرًا وأكثر قوة منها في بلاد أخرى؛ وذلك لأنها دامت غير خاضعة لسياسة الحكومات، ولقد أدت هذه المؤسسات الإسلامية الأهلية دورًا مهمًا في حركة التأليف والصحافة والنشر أيضًا مما ساعد في دعم الصحوة الإسلامية في هذه البلاد، قد صدرت منها صحف ومجلات إسلامية، كما خرج منها خطباء ودعاة في أطراف البلاد يثيرون في نفوس المسلمين الشعور الصحيح للأوضاع ويحثونهم للعمل.

وامتازت ندوة العلماء فيها بالعمل في مجال اللغة العربية مع مجال اللغة الأردية السائدة في البلاد، فقد صدرت منها مجلة «الضياء» بالعربية وحلت محلها فيما بعد مجلة «البعث الإسلامي» الشهرية وصحيفة «الرائد» نصف الشهرية، وهما لخدمة الفكرة الإسلامية والدعوة في الهند والعالم العربي، ولا تزالان تؤديان دورهما لتصعيد الصحوة الإسلامية، وتخرج من ندوة العلماء شباب ظهرت كفاءاتهم في اللغتين على السواء، على أساتذة نابغين في هذا الاختصاص مثل العلامة السيد سليمان الندوي، والأستاذ عبدالباري الندوي، والأستاذ المرحوم مسعود الندوي، والأستاذ الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، فقد كان لتربيتهم تأثير كبير في تخريج الجيل الجديد، وفي مقدمة أبناء هذا الجيل الجديد الأستاذ السيد محمد الحسني رحمه الله، فقد حملت افتتاحيته في مجلة «البعث الإسلامي» حماسة دينية كبيرة ومادة مؤثرة لدعم الصحوة الإسلامية، جمعت في كتاب «الإسلام الممتحن» وغيره من الكتب.

هذا استعراض موجز لعوامل الصحوة الإسلامية الحديثة ونجاحها في شبه القارة الهندية وهو يدل على أن الصحوة الإسلامية ليست لسبب واحد إنما لأسباب عديدة، ومن أكبر هذه الأسباب -كما ذكرت- استعداد المسلمين للصحوة، فكلما طرأ عليهم الضعف والاضمحلال جاءت أسباب صحوتهم حسب الأوضاع وجهود المخلصين من العلماء وقادة الفكر، فعندما يكون ضعفهم وانحطاطهم في المجال الاجتماعي تكون صحوتهم في هذا المجال، وعندما يكون هذا الضعف في المجال الديني تكون صحوتهم فيه، وعندما يكون ذلك في المجال السياسي تكون صحوتهم في هذا المجال، ولكن المهم في هذا الصدد



هو وجود قيادة واعية مجاهدة، فقد تتجلى هذه القيادة في رجل واحد وعدة رجال، فهذه القيادة الواعية المجاهدة إنما تحرك النفوس للصحوة، وتثير فيها الصلاحية لها بمساعدة الغذاء الديني والفكري العظيم الذي لا يزال مهيئًا للمسلمين في كتابهم السماوي العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وفي كتب رسولهم العظيم وصحابته البررة»[1].

وقد أتى الأستاذ على الصحوة في الهند بكلمات جامعات موجزات لا مزيد عليها.

هذا ولا زلت مفتقراً لمعرفة تفصيلات ودقائق العمل الطلابي الشبابي في الهند وتأجيجه الصحوة فيها، فلعل ذلك يكون في مستقبل الأيام، إن شاء الله تعالى.

لكن لا بد من القول إننا معشر العرب لا نكاد نشعر بصحوة إخواننا في الهند، فعددهم اليوم يقدر بـ٣٠٠ مليون لكن مشاركتهم في هموم العالم الإسلامي وأحواله تكاد تكون ضعيفة جداً، وحضورنا في مؤتمراتهم ومحافلهم ومجامعهم ضعيف جداً، وكذلك حضورهم في محافلنا ومؤتمراتنا ومجامعنا وندواتنا ضعيف جداً، وهذا الأمر مفتقر إلى تصحيح جاد ومراجعة شاملة.

كما أن هذا الكتاب لا يصلح لمناقشة علل صحوتهم فلهذا محل آخر، لكن لا بد من الإشارة إليه بعد هذا النقل من كلام الأستاذ محمد الرابع الحسني الذي يُلحظ فيه التزكية التامة لصحوتهم بدون ذكر أي نقائص فيها، مما يخالف واقع المسلمين هنالك، والله أعلم.

●●●

(١) «الصحوة الإسلامية: عواملها وأسبابها»: مقالة في مجلة «البعث الإسلامي»: العدد٢: المجلد ٣٠ شوال سنة ١٤٠٥.



المطلب الثاني

الصحوة الإسلامية في باكستان

باكستان دولة إسلامية قوية، وهي الدولة الوحيدة التي تمتلك سلاحًا نوويًا، وعدد سكانها كبير جدًا بالنسبة لمساحتها إذ هو قريب من مائتي مليون، وفيها زخم إسلامي واضح جدًا، وقد ظهرت فيها الصحوة الإسلامية مقاربة لزمان الصحوة في الدول العربية، ولكن كان لصحوتها أسباب تختلف في أكثرها عن أسباب الصحوة في الدول العربية، لكن تاريخ ظهور الصحوة متقارب مع ظهورها في البلاد العربية، فمن تلك الأسباب ما ذكره أحد الباحثين المهتمين بالشأن الباكستاني:

«بلغت الصحوة الإسلامية في باكستان أوجها في السبعينيات من القرن العشرين، ويمكن أن يعزى ذلك إلى العوامل السياسية التالية:

١- انفصال بنغلادش في عام ١٩٧١ أوجد أزمة هوية وطنية مما أدى إلى البحث عن إطار أيديولوجي لباكستان ووجدته الأغلبية في الإسلام؛ لأنه العقيدة التي وُجدت على أساسها باكستان، والتي يمكن أن تكون الأساس لإعادة بناء الدولة مرة أخرى.

٢- استخدمت الأحزاب التسعة المؤتلفة والمعارضة لنظام بوتو في انتخابات مارس ١٩٧٧ الإسلام كقاعدة أساسية لحملتها الانتخابية، وأصبح الإسلام القاعدة الفعلية التي جمعتهم؛ حيث دعت هذه الأحزاب إلى إنشاء نظام المستضعفين، وهاجمت بوتو لعدم اتباعه النهج الإسلامي أثناء فترة حكمه.

٣- بعد فوز حزب بوتو في انتخابات عام ١٩٧٧، هاجمت أحزاب المعارضة طريقة الانتخابات، واستخدمت الإسلام كأساس لمعارضتها حيث اعتبرت المظاهرات والاحتجاجات ضد نظام بوتو نوعًا من الجهاد.

٤- نتيجة للضغوطات السياسية التي واجهت حكومة «ذو الفقار علي بوتو»، اتخذ بوتو عدة خطوات إسلامية لامتصاص المعارضة مثل تغيير يوم العطلة الأسبوعية من الأحد



إلى الجمعة، كما أعلن أن الشريعة الإسلامية ستطبق في فترة أقصاها ستة أشهر، وفرض حظرًا كاملاً على المشروبات الكحولية والقمار والملاهي الليلية.

٥- الإخفاق والفشل في حل المشكلات السياسية والاقتصادية التي كانت تعاني منها باكستان، بالإضافة إلى عدم قدرة حزب الشعب على الوفاء بالوعود التي قطعها على نفسه، السياسية منها والاقتصادية، مما أدى إلى تزايد الرغبة الشعبية في التحول إلى النظام الإسلامي عن طريق الأحزاب الإسلامية. فمثلاً، سياسيًا لم يكن حكم بوتو ديمقراطيًا بالمفهوم الكامل للكلمة كما كان يدعي عندما كان حزبه يشكل المعارضة الباكستانية ويتضح ذلك في تعذيبه لمعارضيه السياسيين وسجن الصحفيين وتزوير الانتخابات.

ومن الناحية الاقتصادية، فإن الإجراءات الاشتراكية الإصلاحية التي تبناها لم يكن لها تأثير كبير على حالة الفقر الذي كانت تعاني منه باكستان، واستمر الوضع الاقتصادي شبه إقطاعي خاصة في إقليم البنجاب على حساب الفقراء والعمال والفلاحين.

٦- استخدام ذو الفقار علي بوتو للإسلام كدعاية سياسية ساعده بصورة غير مباشرة على تعزيز مكانة المعارضة الإسلامية.

٧- استخدمت الجماعات الإسلامية الصراع الطبقي في باكستان كأحد الأسباب الرئيسية للمطالبة بتطبيق النظام الإسلامي؛ لأن استمرار ذلك دليل واضح على فشل اشتراكية بوتو في تحقيق العدالة الاجتماعية.

٨- ساعدت التطورات السياسية التي حدثت على الساحة الإسلامية الشرق أوسطية كنجاح الجماعات الإسلامية كقوة ضاغطة في معظم دول العالم الإسلامي على ظهور التيار الإسلامي كقوة سياسية ضاغطة في باكستان.

٩- تبني الجنرال ضياء الحق بعد نجاح الانقلاب الذي قام به لبعض المطالب الإسلامية، والعمل على تطبيق الشريعة تدريجيًا. ساعد على تعزيز المكانة السياسية للإسلام،



وكان أحد الأسباب الرئيسية وراء تأييد بعض الأحزاب الإسلامية لنظام ضياء الحق(١)(٢).

وقال الباحث نفسه أيضًا:

« محاولات ضياء الحق لتطبيق الشريعة الإسلامية:

جاء محمد ضياء الحق إلى السلطة في انقلاب عسكري في ٥ يوليو ١٩٧٧؛ حيث أطاح بحكومة ذو الفقار علي بوتو وأعلن في خطاب متلفز أن «باكستان التي وجدت باسم الإسلام سوف تستمر إذا تمسكت بالإسلام؛ ولذلك اعتبر أن تطبيق النظام الإسلامي مطلبٌ أساسي لاستمرار البلاد».

وعلى الرغم من أن ضياء الحق قد أعطى عدة وعود لإجراء انتخابات حرة في البلاد إلا أنه لم ينفذها بحجة أن الوقت لم يحن بعد؛ لأن أي انتخابات ستأتي بالأحزاب العَلمانية إلى السلطة وعليه فإنه من الضروري أسلمة المجتمع وتنشئة الأجيال تنشئة

---

(١) «قضايا معاصرة».

(٢) يرى الأستاذ عبدالغفار عزيز وهو مدير قسم الشؤون الخارجية بالجماعة الإسلامية في باكستان - كما أخبرني في لقاء خاص - التالي:

«أهل باكستان استطاعوا من خلال جهودهم المختلفة أن يظفروا بدستور إسلامي يجعل من جمهورية باكستان الإسلامية دولة إسلامية حقيقية لو طبق بروحه الأصيلة، إلا أن هروب الحكومات المتعاقبة من تطبيقه جعله حبرًا على ورق؛ فعلى سبيل المثال هناك بندان دستوريان أساسيان وشهيران في الأوساط الشعبية هما بند ٦٢، ٦٣: الأول ينص على قائمة من المواصفات التي يجب توافرها في كل من يعتلي منصبًا رسميًا أو يخوض معركة انتخابية مهما كان مستوى الانتخابات، ومما ورد في المواصفات:

- أن يؤدي الفرائض.
- أن يُلم بتعاليم الإسلام.

كما ينص البند ٦٣ على قائمة الموانع التي تجعل شخصًا ما غير مؤهل لهذه المسؤوليات...

كما ينص الدستور على المكانة الدستورية لمجلس الفكر الإسلامي، والمجلس منوط به أن يقدم توصيات قانونية لأسلمة التشريع، وأن يراقب القوانين والبنود الدستورية الصادرة من البرلمان.

ويضمن خلوها من أي تعارض مع الشريعة الإسلامية.

لكن المؤسف أن هذا المجلس الدستوري والذي يمثل جميع المدارس الفكرية في باكستان أصبح بدوره خاويًا من الروح؛ لأن جميع التوصيات - وهي ممتازة - أصبحت زينة الرفوف ولم تر نور التطبيق».



إسلامية من خلال تبني التشريعات الإسلامية، وتكييف وسائل الإعلام لخدمة هذا الغرض وإعادة صياغة المناهج التعليمية... إلخ.

وخلال فترة حكمه التي امتدت حتى اغتياله في أغسطس ١٩٨٨ أصدر ضياء الحق عدة تشريعات إسلامية يمكن إيجازها فيما يلي:

١- تطبيق الحدود على مرتكبي السرقة والزنى وشاربي الخمر.

٢- إنشاء أقسام خاصة في المحاكم العليا الإقليمية يقوم عليها قضاة شرعيون مهمتهم مراجعة القوانين فيما إذا كانت تنسجم مع الشريعة الإسلامية أو لا.

٣- إجراءات اقتصادية تتعلق بقيام الحكومة بجمع الزكاة والعُشر وإعادة توزيعها على الشعب حسب الأوجه التي حددها الإسلام.

٤- أسلمة المناهج التعليمية؛ حيث دعا ضياء الحق في عام ١٩٧٩ إلى مراجعة الكتب الدراسية ومناهج التعليم في باكستان واستبدالها بكتب دراسية من شأنها أن تعزز الشعور والانتماء الوطني للأيديولوجية الإسلامية لباكستان. كما منحت لغة الأوردو أهمية أكبر في المدارس على حساب اللغة الإنجليزية التي كانت لغة التدريس، كما أعطيت الأوردو أولوية أكبر كلغة قومية في وسائل الإعلام على حساب اللغات الأخرى الدارجة كبنجاب والسندي والبوشتان والبلوش.

٥- تعزيز مكانة الإسلام في نمط الحياة العامة فمثلاً إعادة تسمية المدن والشوارع والجامعات والمرافق العامة في جميع أنحاء باكستان لإضفاء الصبغة الإسلامية، واستبدلت إشارات المرور المكتوبة باللغة الإنجليزية بإشارات مكتوبة بالأوردو[1]. بالإضافة إلى ذلك، طلب من جميع الوزارات والدوائر والمؤسسات الحكومية اتخاذ الإجراءات الضرورية لتخصيص أماكن للصلاة أثناء وقت العمل، كما طُلب من رئيس كل إدارة أن يؤم المصلين أو على الأقل المشاركة في الصلاة مع موظفيه، بالإضافة إلى ذلك

---

(١) العكس هو الصواب؛ لأن الباء تدخل على المتروك، فتقول استبدلت إشارات مرور مكتوبة بالأوردو بإشارات مرور مكتوبة باللغة الإنجليزية.



أصدرت الحكومة قراراً بإغلاق المحلات التجارية وغيرها أثناء فترة صلاة الجمعة، كما فرضت العقوبات الصارمة التي تصل إلى درجة السجن على أصحاب المحلات الذين يبيعون المأكولات أثناء النهار خلال شهر رمضان.

٦- أدخل ضياء الحق بعض التعديلات على نظام الانتخابات في باكستان لتتناسب مع النظام السياسي الإسلامي مثل إيجاد دوائر انتخابية منفصلة لغير المسلمين، وتخصيص مقاعد برلمانية للنساء، كما تبنى في نوفمبر ١٩٧٩ قراراً يقضي بإدخال نظام التمثيل النسبي في الانتخابات، وجاء في دراسة للبروفيسور خورشيد أحمد رئيس معهد الدراسات السياسية بأن نظام التمثيل النسبي أقرب إلى الإسلام.

وفي ٥ يونيو ١٩٨٨ أصدر ضياء الحق مرسوم «تطبيق الشريعة الإسلامية» الذي أصبحت بموجبه جميع القوانين والأعراف والنظم تستمد شرعيتها بمقدار اتفاقها مع أحكام الشريعة الإسلامية، وجاء في المرسوم ما يلي:

١- تحكم المحاكم بموجب الشريعة الإسلامية.

٢- توجيه الاقتصاد وجهة إسلامية.

٣- تدريس الشريعة الإسلامية والتدريب عليها.

٤- توجيه المناهج ووسائل المعرفة والنظم وجهة إسلامية.

٥- تقوم الوسائل الإعلامية بتشجيع المثل الإسلامية وتطويرها [١].

- ويمكن معرفة تأثير المودودي على خطب الرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق فيما يلي:

١- أن السيادة لله وأن الشريعة هي أعلى قانون على الأرض.

٢- يجب أن تحكم الدولة من قبل شخص واحد تكون مدته وسلطته محدودة بولائه للشريعة الإسلامية.

٣- حكم الرئيس يكون مسانداً من قبل مجلس شورى.

---

(١) «قضايا معاصرة».



٤- لا يكون الحكم على أساس حزبي ولا معارضة غير إسلامية.

٥- يكون لغير المسلمين الحق في العيش بأمان في الدولة الإسلامية.

٦- يكون للأقليات غير الإسلامية الحق في التصويت منفصلة لاختيار ممثليها.

تلك كانت بعض جوانب الصحوة الإسلامية في باكستان، وهي جوانب ينقصها العمل الشعبي وتوجهات الطلاب في الجامعات لكن هذا كان كل ما استطعت جمعه.

وكلامي في صحوة باكستان يماثل -تقريبًا- كلامي في صحوة الهنود؛ فنحن نشعر في العالم العربي بعزلة الباكستانيين عن قضايانا؛ ولا نكاد نشعر بعمل جاد قوي باكستاني شعبي مؤثر في قضايانا؛ ولهذا أسباب عديدة ليس هذا محل عرضها وتفصيلها لكن يمكن القول إن الخلافات الكبيرة بين الفصائل الإسلامية عامل مؤثر فيما ذكرته من قصور في المشاركة في قضايا الإسلام الكبرى في العالم العربي، وكذلك فساد الساسة والنخب، والضغط الكبير على رموز الصحوة وقادتها، وغير ذلك من العوامل المؤثرة في مشاركة الباكستانيين لإخوانهم العرب في قضاياهم المهمة والكبيرة، والله أعلم.

●●●

الفصل الثالث:

آثار الصحوة



المبحث الأول
أثر الصحوة في تصحيح العقيدة

من المعلوم أنه في عصور الانحطاط منذ القرن الحادي عشر إلى الرابع عشر / السابع عشر الميلادي إلى العشرين شاعت الخرافات والبدع الغليظة وألوان من الفساد العقدي، وقد تولى كبر ذلك الصوفية الغالية التي هيمنت على العالم الإسلامي زمن الانحطاط، والصوفية مرت بثلاثة أطوار:

- **الطور الأول**: طور الجنيد[1] وصحبه من أهل القرن الثالث، وقد كانت الصوفية آنذاك قريبة من هدي النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وقد أثنى جماعات كثيرة من العلماء على ذلك الطور وأهله، لكنه للأسف لم يدم طويلاً حتى حل مكانه:

- **الطور الثاني**: وهو طور بدأ فيه التصوف بإظهار الشطح في الأقوال والأعمال، ومن أبرز أهل هذا الطور الإمام الغزالي[2] وهو -على جلالته وإمامته- يُعد المؤصل له، وكتابه إحياء علوم الدين هو الأساس المنهجي الذي اعتمد عليه صوفية هذا الطور ومن جاء بعدهم.

على أنه مال في آخر حياته إلى التمسك بالكتاب والسنة فقد قال تلميذه عبد الغافر الفارسي:

---

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، شيخ الصوفية. ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وتفقه، وأتقن العلم، ورُزق الذكاء. وكان يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. توفي سنة ٢٩٨ رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٦٦-٧٧.

(٢) الإمام الغزالي: الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين العابدين، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطُّوسيُّ الشافعيُّ الغزاليُّ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، تفقه ببلده، ثم تحول إلى نيسابور فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه، ومهر في الكلام والجدل، وشرع في التصنيف، وعظم جاهه، ثم تزهد وحج، واعتزل الناس مدة، وكان خاتمة أمره إقباله على الحديث وأهله، توفي -رحمه الله تعالى- سنة ٥٠٥هـ بطوس، انظر: «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٢٢-٣٤٦.

«كانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين اللذين هما حجة الإسلام».

وقال الإمام ابن كثير[١]: «أقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحيحة»[٢]. فلعله تراجع عن بعض ما سطره في كتابه الإحياء من تأسيس لبعض قواعد التصوف التي لا توافق المنهج الإسلامي، والله أعلم.

وقد امتد هذا الطور وتمكن قرابة خمسة قرون ليحل محله.

- **الطور الثالث**: وهو طور تصوف الاتحاد والحلول والوحدة، وأبرز رجال هذا الطور ابن عربي الذي أصل له تأصيلاً في كتبه، وقد تمكن هذا الطور وامتد في العالم الإسلامي وشاع وذاعت تعاليمه منذ أواخر القرن العاشر الهجري إلى الرابع عشر.

وهذا الطور هو أخطر الأطوار، وهو المسؤول عن فساد عريض في العقيدة[٣]، سواء من حيث شيوع عقيدة وحدة الوجود والاتحاد والحلول، أو عقيدة الإرجاء التي انتشرت بين العوام انتشاراً خطيراً في آثاره ونتائجه، وهي العقيدة التي تقول بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، وأنه مهما فعل المرء وكان مسلمًا فلا بأس عليه.

ولما جاءت الصحوة كان لها أثر كبير جدًا في تصحيح عقائد الناس وردهم إلى السنة وإلى جادة الحق والصواب، واندحرت الصوفية الغالية، وانطمس كثير من معالمها، ونكست أغلب أعلامها، ولله الحمد والمنة.

وكان لبروز مشايخ كبار متبوعين وطلبة علم نابغين، ولدروسهم وكتبهم وأشرطتهم أثر كبير في توعية الناس وتصحيح عقائدهم، إضافة إلى الجهود الكبيرة التي قام بها طلاب الجامعات ودعاة ومثقفون في إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير البصري: عماد الدين، الحافظ الإمام، ولد سنة سبعمائة ونشأ بدمشق واشتغل بالحديث، وله عدة مصنفات سارت في البلاد، وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، توفي سنة ٧٤٤، «انظر الدرر الكامنة»: ١/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) البداية والنهاية: ١٢/ ١٧٤.

(٣) لهذا كله تفصيل طويل لا يصلح إيراده هاهنا فله مكانه، وانظر كتاب «مظاهر الانحرافات العقدية وأثرها السيئ على الأمة» لإدريس محمود، توزيع مكتبة الرشد بالرياض.



وإليكم شواهد واضحة عن فساد التصوف في القرون الأخيرة، واشتداد فساده في القرن الثالث عشر/ التاسع عشر الميلادي:

«ازدادت الحالة سوءًا في أواخر القرن التاسع وبداية العاشر الهجري، فانساق التصوف تحت تأثر الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلى التدهور والاضمحلال، ودخله العوام، واعتنقه الوصوليون والأدعياء»[1].

«وتطور الحال حتى أصبح كل مجذوب شيخًا، وكل معتوه وليًا من أولياء الله الصالحين»[2].

وهناك دراسة عن القرنين الحادي عشر والثاني عشر تظهر تكاثرًا كبيرًا في عدد المجاذيب الذين تظنهم العامة أولياء، وهم ما بين ساقط التكليف ومعتوه، وكان لهم أثر كبير على العامة[3].

وهذا عبد الرحمن الكواكبي يقول عن المتصوفة المتأخرين:

«جعلوا كثيرًا من المدارس تكايا البطالين الذين يشهدون لهم زورًا بالكرامات المرهبة، وبه حولوا كثيرًا من الجوامع مجامع للبطالين، وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقًا لهم، وجعلوا مداخيل أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم»[4].

أما في الجزائر فهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس يقول:

«لقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر سيطرة مذهلة، فبلغ عدد الزوايا في الجزائر ٣٤٩ زاوية، وعدد المريدين أو الإخوان ٢٩٥٠٠٠ مريد، والفقهاء الذين عُرفوا بمعارضتهم الصوفية أصبحوا بدورهم طُرقيين،

---

(١) التصوف والاتجاه السلفي: ٢٠٣ نقلا عن «التصوف في مصر إبان العصر العثماني» للدكتور توفيق الطويل.

(٢) «التصوف والاتجاه السلفي» نقلاً عن «محاضرات في الحركة الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث» للدكتور جمال الشيال.

(٣) «التصوف والمجتمع»: ٨٦ وما بعدها.

(٤) «التصوف: منشؤه ومصطلحاته»: ١٦٦.

فساد الظلام، وخيم الجمود، وكثرت البدع، واستسلم الناس للقدر... وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشل جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى»[(١)].

وقال محمد علي دبوز يصف هؤلاء المشايخ المنحرفين وعلاقتهم بالاستخراب العالمي وأنه اتخذهم مطية «يركبها إلى أغراضه، إنه يريد أن يفسد الأخلاق، ويهدم الدين في النفوس فوجد هؤلاء المشايخ أحسن ركوبة، وأطوع وسيلة، وأخلص خادم، فصيرهم جنوده في قتل الأمة، فأفسدوا دينها، وعلموها الخمول والجمود والذلة والاستسلام للعدو، وجردوها من الثقة بالنفس... وأن حظ المسلم في الآخرة، أما في دنياه فهو للشقاء والتعاسة والحرمان»[(٢)].

وقال أيضًا:

«كان هؤلاء المشايخ جاهلين فاسدين لا تهمهم إلا شهواتهم، فحرصوا على بقاء الجهل الذي يقيد العامة لهم ليستغلوها كما يريدون، ويبتزوا أموالها، ويسيطروا عليها، ويسخروها في شهواتهم... وكانت هذه العامة إذا زارت المشايخ الأحياء تزحف على وجوهها من مسافة بعيدة قبل وصول مجلسه... أما قبور المشايخ فهي أماكن الرحمة والبركات، ترى العامة الجاهلة قبل أن تصل إلى قبر الشيخ تتمسح بجدار مقبرته، وتخشع وتنادي به باكية: يا سيدي فلان جئتك مستجيراً فاغفر لي ذنبي، واقض حوائجي، ودمر أعدائي»[(٣)].

وهذا الشيخ عبد الكريم الفكون يقول عن أحد المشايخ هؤلاء:

«اتخذه الناس الجهلة مقطعًا للحقوق وطريقًا لبلوغ مرادهم، فأظهر إذ ذاك البدعة، وأشهر الخدعة، وجعل تلامذة سماها الفقراء على طريق أهل البدع، واتخذوا الحضرة وهي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ولا يستخفون من الله، بها يأكلون، ومنها يتمولون، وعليها في قضاء أوطارهم يُعوّلون، يجتمعون لذكر المولى -جل جلاله-

(١) المصدر السابق نقلاً عن «آثار عبدالحميد بن باديس»: ١/ ١٨.

(٢) المصدر السابق: ١٦٦-١٦٧.

(٣) المصدر السابق: ١٦٧ نقلاً عن «أعلام الإصلاح في الجزائر»: ١/ ٢٣.



فيغيرون اسمه ويشطحون ويرقصون، وربما يتضاربون، فتراهم ككلاب نابحة، ولعابهم كمياه طافحة، وأنفاسهم كنيران نافحة، لا يفرقون بين واجب ومندوب، ولا محرم ومكروه، ويعتقدون أن ما هم عليه هو الحق الواضح، والطريق الأقوم الراجح، ولقد زين لهم الشيطان أعمالهم، وحبب إليهم أفعالهم. . .

فترى تلك الأعوان زبانية وأي زبانية، وعند المائدة إذا وضعت لهم ذئاب عاوية، ويقصدون مع رئيسهم بيوت اللصوص من الأعراب وغيرها، وينصبون وراء المحلة بيتًا لهم يأوون إليه، ويخرج أحدهم من قِبَل رئيسه إلى شيخ القبيلة مناديًا بشهرته، وأنه ولي الله صالح، لا تحرموا من بركته، وإنه يقتل ويثير الضرر والأسقام، ويبري العاهات ممن يشاء من الأنام، وكل ذلك والرئيس بمرأى ومسمع، ويعجبه ذلك القول ويرضاه. . . فيسارعون لقضاء أوطاره»[1].

أما في إفريقيا السوداء فقد كان الحال صعبًا، فقد «وُجد في البلاد من أنواع الكفر والفسوق والعصيان أمور فظيعة، وأحوالٌ شنيعة طبقت هذه البلاد وملأتها حتى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صح إيمانه وتعبده إلا النادر القليل، ولا يوجد في غالبهم من يعرف التوحيد ويحسن الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات»[2].

أما مشايخ الصوفية فإنهم «لم يخرجوا عن دائرة الشيطان والهوى، ولم يعرفوا بعض ما يجب عليهم من فروض الأعيان، وقفوا على بعض كتب التصوف، وانقبضوا في زي الوقار والتقشف إرصادًا للدنيا وحطامها، وغرورًا ممن هو على شاكلتهم من الحمقى»[3].

وأما الناس فقد صاروا يقصدون الأحجار والأشجار «يتصدقون لها، ويسألون حوائجهم عندها، ولا يغزون حتى يشاوروها، وإن قدموا من سفر قصدوها ونزلوا عندها»[4].

---

(١) «منشور الهداية»: ١٢٠.

(٢) «التصوف والاتجاه الإسلامي»: ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق: ٢٣٤.

(٤) المصدر السابق: ٢٣٥.

-وهذا أحد المشايخ المصريين وهو ابن الوفاء الشيخ محمد درويش يذكر حال بلاده إبان الحرب العالمية الأولى وبعدها، فيقول:

«نظرت فإذا الناس من حولي غرقى في بحر لجُي متلاطم الأمواج من البدع والخرافات، والإعراض عن الله -تعالى- خالق الأرض والسموات، والإقبال على الأباطيل والتُرهات، والتماس الحاجات من المخلوقين الضعفاء العاجزين بل الموتى الهالكين المقبورين، والهتاف بأسمائهم ودعائهم في السر والجهر، والقومة والقعدة، والحركة والسكون، ولدى كل عمل من الأعمال، وفي كل حين، وعلى كل حال...

لم أجد من حولي في هذا البلد أحداً يجهر بعداوة الناس إلى تغيير شيء من هذا الفساد، أو التطهر من هذا الرجس، إنما أسمع خطباء المساجد يدعون إليه ويحضون عليه، ويضربون بأعمالهم أسوأ المثل للناس، فيقتدي بهم العامة ويسلكون سبيلهم، حتى جرى الوادي وكان السيل...»[1].

ثم قال:

«ألم يتورطوا فيما تورط فيه المشركون من قبل؟

ألم يزعموا أن أصحاب القبور يقربونهم إلى الله زلفى؟

ألم ينذروا لهم؟

ألم يشدوا إليهم الرحال ويقربوا لهم القربان؟

ألم يحلقوا عندهم رؤوس الولدان؟

ألم يدعوهم على بعد الدار وشط المزار؟

ألم يسألوهم شفاء المرضى وقضاء الحاجات...

ألم يخشوا سطوتهم ويخافوا انتقامهم إن لم يوفوا نذورهم؟

---

(١) «صيحة الحق»: ١٣-١٥.



ألم يشفقوا أن يموت أولادهم أو تتلف أنعامهم إن قصروا في أداء ما فرضوا على أنفسهم؟»[1].

«لمن المواكب تُزجى كلَّ عام؟...

لمن تدق الطبول وتعزف المزامير؟

لمن تُساق الكباش والجِداءُ والعجول؟

لمن تشد الرحال وترحّل الجمال؟

أليس المسلمون يعملون كل هذا لأصحاب القبور استجلابًا لرضاهم ودفعًا لأذاهم؟ تعتقد المرأة ويصدقها الرجل أنها إن لم توف بنذرها للشيخ قتل ابنها الذي تزعم أنه منحه إياها إجابة لنذرها...

ألستم ترون هذه المواكب في كل عام في موسم خاص من السنة؟ ألم تروا ولم تسمعوا بازدحام الزوار في القاهرة وطنطا ودسوق وإخْميم وسوهاج وقنا وغيرها من البلاد والقرى؟»[2].

«ما من فلاح يملك جاموسة أو بقرة أو ثورًا أو ناقة أو جملاً إلا وللبدويّ أو غيره في أنعامه قيراط أو قيراطان، لماذا؟»[3].

وهذا شاعر النيل حافظ إبراهيم -رحمه الله- يقول:

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهم	وبألف ألف تُرزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة	قامت على أحجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجري حولها	بحر النذور وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى	ووسيلة تقضى بها الحاجات

(١) المصدر السابق: ٧٩.

(٢) المصدر السابق: ١٥٣-١٥٤.

(٣) المصدر السابق: ١٧٠.

وقال الشيخ محمد درويش أيضًا في هؤلاء المشايخ:

«لقد سمعنا من أخبار هؤلاء الشيوخ ما تسود به الصحائف وتندى له الجباه، سمعنا أن منهم من شيد قصرًا منيفًا من آجُرٍّ حرام...»[(١)].

«وكم سمعنا أن إنسانًا سُدت في وجهه سبل العيش فعمد إلى سعفة خضراء غرزها في بقعة ثم أشاع في الناس أن فلانًا الولي جاءه في النوم وأمره أن يبني له مقامًا، ويتسامع الناس، وسرعان ما يشيد الضريح ثم يتخذ معبودًا يُدعى ويهتف باسمه، وينذر له، وتشد إليه الرحال، والله يعلم أنه ضريح مبني على أرض فضاء لا قبر فيها ولا رفات تحتها...»[(٢)].

مفاسد الموالد:

ومن المؤرخين الذين تحدثوا عن المفاسد التي كانت ترتكب في الموالد: عبدالرحمن الجبرتي[(٣)] فقد قال وهو يصف المولد العفيفي[(٤)] وما يحصل فيه من أنواع الفساد بشتى أنواعه المختلفة:

«ينصبون خيامًا كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم، وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغواني والبغايا، والقَرّادين والحواة فيملأون الصحراء والبستان فيطأون القبور ويتغوطون،

---

(١) المصدر السابق: ٢٦٣.   (٢) المصدر السابق: ٢٥٣.

(٣) هو عبد الرحمن بن حسن بن إبراهيم، وهو حبشي الأصل، ومصري المولد والنشأة والمواطن، جاء أسلافه مصر من جبرت: إحدى مقاطعات الحبشة، وكان أبوه الشيخ حسن عالمًا من علماء الأزهر. ولد عبد الرحمن في القاهرة سنة ١١٦٧. وهو معدود خاتمة المؤرخين الكبار في مصر. ويظهر من كتاباته تمسكه واعتزازه بدولة الخلافة العثمانية وسخطه على المماليك الظلمة، وتبرمه الشديد من ظلم محمد علي وشدة بأسه وسطوته. توفي عبد الرحمن الجبرتي في القاهرة سنة ١٢٤١، ويزعم بعض المؤرخين أنه مات مقتولاً، والله أعلم. انظر «الأعلام» ٣/ ٣٠٤.

(٤) قال عنه الجبرتي: هو الإمام المعمر القطب أحد مشايخ الطرق عبدالوهاب بن عبدالسلام بن أحمد العفيفي المالكي. كانت الأمراء تأتي إليه لزيارته ولما توفي عام (١١٧٢هـ) بنى له أولاده قبة وكان يقصد للزيارة ويختلط به الرجال والنساء وابتدعوا له مولدًا له موسم وعيد في كل سنة يدعون إليه الناس. انظر: «تاريخ الجبرتي» (١/ ٣٠٣).

ويزنون ويلوطون، ويلعبون ويرقصون، ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة، ولو لم يكن ذلك لأنكره العلماء فضلاً عن كونهم يفعلونه، فالله يتولى هدانا أجمعين»[(١)].

*** ومن المؤرخين الذين كتبوا عن الفساد الذي يحصل في الموالد: أبو المحاسن جمال الدين (ت٨٧٤) فقد قال وهو يتحدث في الفساد الذي يحصل في الاحتفالات بالموالد:**

«وصار يعمل المولد في كل سنة فيأتيه الناس من الأقطار وترحل إليه من الأطراف، وتخرج إليه أهل مصر والقاهرة، وتضرب بزاويته الخيم ويعقد سوق، ويجتمع من النسوان والشبان خلق كثير، فذكروا أنه عمل المولد على عادته في شهر ربيع الأول سنة (٧٩٠هـ) فهرع الناس لحضور المجتمع حتى غص الفضاء بكثرة العالم، وتنوعوا تلك الليلة في الفسوق لكثرة اختلاط النسوان والمردان بأهل الخلاعة فتواتر الخبر بأنه وجد في صبيحة تلك الليلة من جرار الخمر التي شربت بالليل فوق الخمسين فارغة ملقاة حول الزاوية في المزارع، وافتضت تلك الليلة عدة أبكار، وأوقدت شموع بمال كثير، فبعث الله يوم الأحد صباح المولد قاصفًا من الريح كدرت على من كان هناك وسفت في وجوههم التراب، واقتطعت الخيم، ولم يقدر أحد على ركوب البحر، ولم يعد يعمل مولد بعدها فإن الشيخ مات في آخر شعبان سنة (٧٩٠)»[(٢)].

*** ومن المؤرخين الذين تحدثوا عن الفساد الذي يحصل في الموالد ابن الفرات فقد قال في مولد الشيخ إسماعيل بن يوسف الإنبابي:**

«حصل فيه من الفساد ما لا يحصى من كثرة الفساد والفساق حتى أشيع أنهم وجدوا في ثاني يوم في الزرع مائة وخمسين جرة فارغة من جرار الخمر، وفتحت مئات الأبكار، وكان يعمل هذا المولد كل سنة ويحضر إلى مولده ما لا يحصى من القاهرة ومصر والضواحي والبلاد»[(٣)].

---

(١) «تاريخ الجبرتي»: (١/ ٣٠٤).

(٢) «المنهل الصافي» (١/ ٥٥٦-٥٥٧)، و«نزهة النفوس والأبدان» لابن الصيرفي: ١/ ١٩٦.

(٣) «تاريخ ابن الفرات» (٩/ ٢٧-٤٢-٤٣).

ويقول المقريزي[1] هو يصف ما يحصل في هذا المولد من الفساد:

«كان فيه من الفساد ما لا يوصف، ووجد في المزارع مائة وخمسون جرة فارغة سوى ما حكي عن الزنا واللواط»[2].

وكرر ابن حجر ما تواتر عن المولد وبقايا الجرار الفارغة من الزنا واللواط والتجاهر بذلك.

ويقول الحافظ محمد بن عبد الله السخاوي:

«عندما أبطل الظاهر جقمق مولد البدوي عمل شخص يسمى رمضان بناحية محل البرج بالقرب من المحلة الكبرى المولد، ووقع فيه فساد كبير على العادة»[3].

*** وممن تحدثوا عن المفاسد التي تحصل في هذه الاحتفالات بالموالد المبتدعة: الدكتور أحمد صبحي منصور فقد قال:**

«والأضرحة الصوفية كانت مدعاة للخلوة المحرمة ومكانًا للتلاقي الآثم، كما كانت الموالد مواسم زمنية لممارسة الانحلال الخلقي، فأصبحت القرافة بما تضم من أضرحة وقباب مواطن مستمرة للانحلال الخلقي في العصر المملوكي، حتى إن النداء كان يتكرر دون جدوى بمنع النساء من الخروج إلى القرافة لتحاشي ما يقع فيها من فسوق، واستمرت القرافة بقبابها»[4].

تعاون الصوفية مع الاستخراب:

أما عن تعاون بعض الصوفية مع الاستخراب العالمي فحدث ولا حرج، فهذا أحد المستخربين الفرنسيين وهو فيليب قونداس يقول:

---

(١) أحمد بن علي بن عبدالقادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة فيها. ولد في القاهرة سنة ٧٦٦. ولي الحسبة والخطابة والإمامة مرات، وعرض عليه القضاء فأبى. له عدة كتب. توفي في القاهرة سنة ٨٤٥ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ١/ ١٧٧-١٧٨.

(٢) «السلوك» للمقريزي.

(٣) «التبر المسبوك»: ص ١٧٧.

(٤) لم يذكر المرجع.



«لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في إفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية -أي الصوفية- لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية، وأكثر تفهمًا وانتظامًا من الطرق الوثنية التي تعرف باسم بيليدو وهاجون، أو من بعض كبار الكهان أو السحرة السود»[1].

وجاء في كتاب: «تاريخ العرب الحديث والمعاصر» تحت عنوان: المتعاونون مع فرنسا في الجزائر:

«وتتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا في المدارس الفرنسية، وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة، ويضاف إليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافة والبدع، وبثوا روح الانهرامية والسلبية في النضال فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس»[2].

والطريقة التيجانية التي كانت تسيطر على الجزائر أيام الاستعمار معروف أنها كانت تستمد وجودها من فرنسا، ولقد حاولت فرنسا أن تعمل في سوريا الشيء نفسه وأن تجند أتباعًا لها من أهل البلاد لكن بعض مجاهدي المغرب نبه المخلصين من أهل البلاد السورية إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدين...»[3].

وتحت عنوان: «الطريقة التيجانية صديقة فرنسا» ذكرت إحدى الباحثات ما يلي:

«دخلت هذه الطريقة إلى تونس -أيضًا- من الجزائر، وذلك بصفة متأخرة... وقد استطاعت هذه الطريقة أن تكسب شهرة وثروة هائلة؛ حيث توغلت إلى أقصى الجنوب، وخلقت علاقات مع وسط إفريقيا، وسيطرت على جزء من التجارة الصحراوية... وكان مقدموها يقودون القوافل؛ حيث كانت الطريقة تحمي تجارة هائلة...

---

(١) «الصحوة والوجه الآخر»: ١٠٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ١٠٧.

ويمكن أن نقسم تاريخ انتشار الطريقة التيجانية إلى مرحلتين مختلفتين: مرحلة أولى سبقت الاستعمار الفرنسي أو ظهرت بُعيده، ومرحلة ثانية تحققت في ظل الاستعمار. . .»[1].

ومن المعروف أن الطريقة التيجانية تحالفت مع الفرنسيين لإجهاض جهاد الأمير عبدالقادر الجزائري[2].

ثم ذكرت الباحثة أنه ظهر في تونس رمزان لهذه الطريقة كان الآخر منهما هو الشريف المنُّوبي التيجاني الذي ولد حوالي سنة ١٨٩٠ ببوعرادة، وكان أبوه مقدمًا لزاوية تيجانية صغيرة هناك، وذكرت الباحثة أن هذا الرجل «اشتهر خاصة بتماديه طوال حياته في استمداد شرعيته من الولاء للسلطة الاستعمارية الفرنسية، وفي التعامل معها بكل تبعية، وفي هذا يمثل الشريف المنُّوبي التيجاني ببوعرادة رمزًا للجيل الثاني للطريقة التيجانية؛ وهو الجيل الذي كان ملتزمًا بالسياسة الاستعمارية وبالانحياز إليها بصفة مطلقة»[3].

ثم ذكرت الباحثة أن هذه الطريقة جمعت عشرة آلاف منتم إليها كان من بينهم الكثير من اللصوص وأصحاب السير المشبوهة[4].

ثم ذكرت الباحثة ما جرى أيام الغزو الاستخرابي الفرنسي لتونس سنة ١٨٨١ ودخولهم مدينة الطاف، وكيف كان سيدي قدّور شيخ الزاوية القادرية هنالك مساعداً وداعمًا لهؤلاء الفرنسيين المخربين، وقد ذكرت تفاصيل مخزية[5]، وهذا سيدي قدور كان الممثل القنصلي الفرنسي بالطاف «روا» يتردد على بيته، وكان سيدي قدور لا يقطع الثناء على سيدي «روا» طالبًا من الله أن يحفظه لتونس !![6].

وفي الحرب العالمية الأولى دخلت الدولة العثمانية الحرب مع ألمانيا ضد انجلترا وفرنسا،

(١) «الإسلام الطُّرُقي»: ٥١-٥٢.
(٢) المرجع السابق: ١١١.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق: ٧٥-٧٦.
(٦) المرجع السابق: ٩٣.



فتخوفت فرنسا من ردود أفعال المسلمين في تونس، لكن الذي حصل هو أن رسائل التأييد للمستخرب الفرنسي كانت ترد متواصلة من قِبَل الشيوخ الكبار للطرق الصوفية وتصل إلى المقيم العام الفرنسي بتونس، وهذه إحدى الرسائل تقول:

«لقد حزنا وكئبنا كثيراً عندما علمنا بأن زعماء الحكومة العثمانية قد التحقوا بألمانيا المتوحشة في هذه الحرب، وبهذه المناسبة نجدد اعتبارات ولائنا لملكنا المحبوب وإلى الأمة الحامية لنا. . .

الإمضاء: محمد بن شعبان: شيخ القادرية الأكبر.
محمد البشيري الشريف: شيخ الرحمانية الأكبر.
أحمد الشريف: شيخ العيساوية الأكبر»[1].

وقد تجاوز هذا الولاء الكلام إلى المشاركة، فقد شجع بعض شيوخ الزوايا الأهالي على الانخراط في الجندية للمساهمة في الحرب إلى جانب فرنسا مثل الأزهاري بن مصطفى ابن عزوز شيخ الزاوية الرحمانية بنفطة، وشيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة المنّوبي التيجاني الشريف الذي شجع ابنه الشريف التيجانيّ على الانخراط بنفسه في عسكر زواوي: الصف الرابع للمساهمة في الجبهة الفرنسية[2].

- وانظر إلى هذا النص الذي يوضح أن عدداً من مشايخ الطرق كانت علاقاتهم من المستخربين الفرنسيين مشبوهة إلى حد كبير:

«فمع بقائهم أحيانًا متعصبين ضدنا نراهم أحيانًا يختلطون بنا لضروريات مصلحتهم، فنقابلهم في صالوناتنا حين يحضرون حفلاتنا الرسمية، ويجلسون في مقاهينا على أرصفة شوارعنا الباريسية لاستهلاك بعض المشروبات المشبوهة. . .

قد تزوج شيخ زاوية عين مهدي بالآنسة أوريلي بيكار التي تعرف عليها بمدينة بوردو[3]، أما مولاي عبدالسلام شيخ الطريقة الطيبية فقد تزوج بمدرسة إنجليزية، وفي

(١) المرجع السابق: ٨١.
(٢) المرجع السابق: ٨١-٨٢.
(٣) وهي قصة طويلة مخزية، أوردتها في بعض الحلقات المرئية «للحملة الفرنسية على الجزائر» لمن يريدها، وسيأتي موجز لها قريبًا.

هذه الأيام الأخيرة طلب سيدي حمزة -شيخ أولاد سيدي الشيخ- يد الآنسة فيري ابنة المسؤول عن مراقبة الخطوط الحديدية، ولم يظهر ألبتة أن هذه التحالفات قد مست من هيبة هذه الشخصيات القوية»[1].

ولقد قدرت فرنسا هذا الولاء من قِبَل عدد من شيوخ الطرق، فقامت بتكريمهم، وقدمت قائمة طويلة للمرشحين لمختلَف التشريفات الاستعمارية من بين شيوخ الطرق، وذلك بتمكينهم من وسامات الشرف الفرنسي، من ذلك الشيخ صالح بن شعبان الشيخ الأكبر للقادرية باقتراح من وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية لنيل وسام، وذكروا أنه «ينتمي إلى عائلة بورجوازية من الصناعيين الكبار بمدينة تونس، وقد انضوى بكل إخلاص منذ البداية تحت حمايتنا، متوليًا المشيخة الكبرى بعد أبيه على رأس الطريقة القادرية الكبرى، وقد وضع كل هيبته في خدمة تسامح وسلام العقول، وهو يُعد من بين العناصر المعدّلة لرأي الأعيان والإخوان بكل نجاعة»[2].

والأغرب أن بعض مشايخ الطرق كان يتقدم لطلب هذا الوسام الخبيث، فهذا محمد العربي الأزهري الشريف شيخ الزاوية القادرية بالقصور توجه سنة ١٩٤٢ إلى الماريشال بيتان في فرنسا وطلب منه منحه وسام الشرف وذلك لأنه أحد أفراد العائلة الإبراهيمية الشريفة التي كانت دائمًا مخلصة وموالية لفرنسا!![3].

وقد كان أتباع الطريقة التيجانية وشيوخها من أكثر العلماء نفعًا لفرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الإفريقية؛ ففي عام (١٨٧٠) استطاعت سيدة فرنسية تدعى «أوريلي بيكار» أن تتسلل إلى الزاوية التيجانية وتتزوج شيخها المدعو سيدي أحمد، ولما توفي تزوجت أخاه فأصبحت السيدة المذكورة مقدسة عند التيجانيين وأطلقوا عليها لقب «زوجة السيدين» وكانوا يتيممون بالتراب الذي تمشي عليه مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم، وقد أنعمت فرنسا عليها بوسام الشرف.

---

(١) المرجع السابق: ٩٣.

(٢) المرجع السابق: ٩٥.

(٣) المرجع السابق: ٩٦.



وقالت الحكومة الفرنسية في أسباب منح هذا الوسام: لأن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى، وكسبت للفرنسيين مزارع خصيبة ومراعٍ كثيرة لولاها ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين التيجانيين؛ ولأنها ساقت إلينا جنودًا مجندة من أحباب الطريقة التيجانية ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفًا كأنهم بنيان مرصوص[(١)].

وقد ساعد أتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل فكانوا يتجسسون لهم ويرسلون معهم الأدلاء، ويقاتلون إلى جانبهم، وعد مشايخهم ذلك واجبًا يمليه الشرف ويبغون فيه الاحتساب من الله تعالى:

قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة في خطبة ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة (عين ماضي)[(٢)] المركز الأساسي للطريقة الصوفية التيجانية وذلك بتاريخ ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٥٠هـ، قال فيها:

«إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديًا ومعنويًا وسياسيًا؛ ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعًا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا»[(٣)].

وقال الشيخ شقفة:

«ولم يقف الاستعمار في بلادنا ولا في مصر موقفًا عدائيًا من الصوفية بل كان يشجعها ويكرم شيوخها ويحسن استقبالهم ويسارع إلى تحقيق مطالبهم»[(٤)].

---

(١) «مخازي الولي الشيطاني» (ص١٢) نقلاً عن «التصوف» لشقفة ص ٢١٢.

(٢) في الجزائر.

(٣) «تاريخ المغرب في القرن العشرين» لروم لاندو (ص ١٤٣).

(٤) «التصوف بين الحق والخلق» لشقفة (ص ٢١٦).

وقال الشيخ طنطاوي جوهري في كتابه «الجواهر في تفسير القرآن»:

«إن كثيراً من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش وأغدق الناس عليهم المال من كل جانب، وحببت إليهم الثمرات وهوت إليهم القلوب لما ركز في النفوس من قربهم إلى الله، فلما رأوا الفرنجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم إلا أن يسلموا لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام، وهذا هو الذي حصل في أيامنا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مراكش وقرأنا نحن فيها إذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشائخ الطرق، وأن الشرفاء القائمين في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة، فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشائخ الطرق وعلى الشريف الذي يملك السلطة في تلك البلاد.

وقالوا هكذا بصريح العبارة:

«إن هؤلاء جميعًا متمتعون بالعيش الهنيء ورغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا في جر المغنم، وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقبان التي تأكل ما فضل من فرائس الآساد والنمور»[1].

والخلاصة مما سبق لنا من العبارات التي نقلناها عن المتصوفة أنفسهم والتي تدل دلالة صريحة واضحة على أنهم يرون الجهاد الأكبر هو جهاد النفس أما جهاد الأعداء فليس بأمر ذي أهمية، بالإضافة إلى مقالات الكتاب المسلمين وغير المسلمين الذي أكدوا فيها تقاعس المتصوفة عن القيام بالجهاد في سبيل الله وتعاونهم مع المستعمر. ندرك خطر كثير من رجال الطرق الصوفية على البلاد الإسلامية، فإنهم لا يتقاعسون عن تعاونهم مع الاستعمار إذا ضُمنت مصالحهم المادية الخاصة، علاوة على هذا فإنهم مستسلمون دائمًا للعدو فلا يحركون ساكنًا؛ إذ شعارهم الصوفي:

«دع الخلق للخالق»[2]، «ليس في الإمكان أبدع مما كان»[3]، «لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع»[4].

---

(١) «الجواهر في تفسير القرآن» لطنطاوي (٩/ ١٣٧-١٣٨).

(٢)، (٣) «التصوف بين الحق والخلق» لشقفة (ص ٢١٥).

(٤) «جواهر المعاني» لعلي براده (١/ ٢٢١).



وقال علي برادة التيجاني:

«إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره»[1].

ولم يكتف هؤلاء بموالاة الاستخراب الفرنسي بل نصبوا العداء للحركات الوطنية التحريرية، وأعلنوا براءتهم منها، وهذا عجيب[2].

وهذا عدا عن الحرب الكلامية التي كانت تقوم بين مُقَدَّمي بعض الطرق الصوفية وأتباعها، وهي حرب بلغت حدتها إلى أن يكفر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا[3].

- هذا ولبعض الطرق الصوفية عمل مشكور في مواجهة المستخرب الأوروبي وعلى رأسها الطريقة السنوسية في ليبيا، التي كانت الجهة الوحيدة المجاهدة للمستخرب الإيطاليّ آنذاك[4].

- هذه النقول الموجزة توضح أثر التصوف الفاسد في إفساد عقائد المسلمين، وخضوعهم لأعدائهم المحتلين، فلما برزت الصحوة انفض أكثر الشباب عن التصوف المنحرف وأهله، ورأوا فيه معول فساد وهدم للعقيدة الإسلامية ولثوابت الشريعة وضوابط السلوك، ولم يعد للتصوف ذلك السلطان العظيم الذي كان له على الناس فيما سبق، ولله الحمد والمنة، وهنالك محاولات اليوم لإحياء التصوف ومده بالمال والمعونة السياسية ليعيد تمدده من جديد، لكن لا أرى إلا أن جماهير الأمة ستدير ظهورها للتصوف المنحرف فلن تقوم له قائمة بإذن الله تعالى.

وأنا لا أعادي التصوف الصافي الذي مدحه أئمة الإسلام الكبار وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب، تصوف الجنيد وأصحابه، لكن أين هؤلاء؟

---

(١) «جواهر المعاني» لعلي برادة: ١/ ٢٢١.

(٢) «الإسلام الطرقي»: ١٢٠-١٢١.

(٣) «الإسلام الطرقي»: ١٢٢-١٢٤.

(٤) «الإسلام الطرقي»: ١٤٧.

أما هذا التصوف المميت للعقول والقلوب فأنا منه براء، والله المستعان.

- ومن ناحية أخرى ساد فساد عقدي عظيم في القرن الرابع عشر/ العشرين الميلادي ألا وهو ظهور مذاهب عقدية فاسدة تحولت إلى أحزاب حاكمة، وهي القومية العربية التي أراد أصحابها أن تكون بديلاً عن الإسلام، وحكم المسلمين أحزاب وحركات اتخذت القومية دينًا ومظلة، واستوردت لها أيديولوجيات موجِّهة وهي الناصرية في مصر، وتأثر بها جل العرب، واتخذت الاشتراكية مذهبًا تحت ستار القومية، والبعثية في العراق وسوريا وكذلك نادت بالاشتراكية، وظهرت الماركسية اللينينية في الجزائر واليمن الجنوبي.

هذا عدا عن الحركات والتنظيمات البعثية والماركسية والاشتراكية التي لم تترك بلدًا مسلمًا إلا فرّخت فيه وباضت.

فماذا فعلت الصحوة لما قامت؟

قضت الصحوة بفضل الله على هذا الشرك الجديد، والذي لم يستطع أن يقف أمام رغبة الجماهير العريضة في العودة للإسلام العظيم، أما الناصرية فقد ماتت وقبرت ولم يبق منها إلا أحزب ورقية لا قيمة لها.

وأما البعث فقد انتهى في العراق ولُفظ منذ زمن بعيد، لكنه انتهى عمليًا بالغزو الصيلبي للعراق.

وأما سوريا فقد أصبح البعث منذ تولي حافظ الأسد حمارًا يركبه الحكام ليصلوا إلى غايتهم فلم يعد أيديولوجية يؤمن بها الجمهور.

وأما الماركسية في الجزائر فقد ولت من غير رجعة.

وأما الماركسية في اليمن الجنوبي فقد قُضي عليها بمعركة جليلة ذات تفاصيل عظيمة لا يسعني إيرادها ها هنا.



وأما التنظيمات البعثية في الدول الإسلامية فقد أدار لها جمهور المسلمين ظهورهم فسقطت سقطة مدوية ولم يعد لها قيمة بفضل الله تعالى.

وكل الذي ذكرته فيه تفاصيل كثيرة لها مظانها.

وخلاصة الأمر: إن للصحوة أثرًا عظيمًا في إصلاح عقيدة الأمة، ونبذ الشرك والخرافات على يد العلماء والدعاة الذين وقفوا بالمرصاد للفساد العقدي، وحطموه بمعاول الدعوة إلى الله -تعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة، والكلام في ذلك كله الذي أوردته طويل وله ذيول وتفاصيل لكن حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق، والله غالب على أمره.

تقويم هذا الجانب:

إن كان لي من تقويم هاهنا فهو في بيان الخلاف الشديد والنزاع المتواصل بين بعض أهل الصحوة في الجانب العقدي، فمن مكفر ومبدع ومفسق، ومن مخرج من أهل السنة والجماعة من يرى إخراجه، ومن نزاع شديد بين كثير من أهل الصحوة بسبب هذا، ولا بد لأهل الحل والعقد من المشايخ والدعاة والعاملين أن يتصدوا لهذا الخطر الماحق، وأن يحاولوا جمع الكلمة ما استطاعوا، وأن يعملوا على رأب الصدع، ولَمّ الشمل، وأن يعتبروا بما مضى من أحداث الزمان الأليمة بسبب تفرق أهل السنة، فالأحداث اليوم ضخمة، والكيد كبير، والمكر كُبّار، وقد تداعت علينا الأمم، ولا ينجينا إلا توحيدنا وأملنا بالله ثم اجتماعنا على كلمة سواء، مع تجنب إثارة كل ما يمكن أن يفرق الصف، ويحطم الاجتماع، ويُذهب بالقوة، والله المستعان.

●●●

المبحث الثاني

أثر الصحوة في إحياء وتصحيح العلوم الشرعية ومؤازرة العلماء

من المعلوم أن العلوم الشرعية نالت اهتمامًا ضئيلاً في عصور الانحطاط، وعزف عنها أكثر المسلمين، وزاد الطين بلة عزوف المثقفين عنها في العصر الحديث بسبب عدة عوامل منها الانبهار الحضاري، ومنها صنيع المستخربين في إضعاف نظام التعليم الشرعي بقبول الضعاف فيه وتدني رواتبهم بعد التخرج مقارنة برواتب طلاب العلوم العلمية «الطبيعية».

ولما ظهرت الصحوة عكف كثير من الطلاب على العلوم الشرعية دراسة واهتمامًا بل إن كثيرًا من طلاب العلوم العلمية «الطبيعية» كانوا يدرسون الشريعة دراسة موازية لتخصصاتهم العلمية.

وأسست كليات شرعية كثيرة في أكثر بلاد الإسلام، بل في خارج بلاد الإسلام أيضًا.

- وظهرت حركة تحقيق قوية وتصحيح للعلوم الشرعية، وظهرت مؤلفات القدماء في حلة قشيبة محققة - في كثير من الأحوال - تحقيقًا بديعًا.

- وأما العلماء والدعاة قبل الصحوة -على فضلهم وجهودهم- فقد كانوا في معزل عن جمهور الناس، في الغالب الأعظم، إما لقصور فيهم أو لأمور أخرى خارجة عن إرادتهم، فأقبل الشباب عقب الصحوة على العلماء وآزروهم وصدّروهم وعنوا بهم، ولقد حُدثت أن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- كان له في آخر مسجده في عنيزة أوائل الثمانينيات الهجرية/ الستينيات الميلادية سرير يرقد عليه، ويقول لأحد طلابه: إذا اجتمعتم ثلاثة فأيقظوني، ثم عاش ليرى آلاف الناس تجتمع حول دروسه.

وكان كذلك حال كثير من المشايخ الكبار الذين كانوا لا يؤبه لهم من قبل الجماهير، ولا يلتفت لجهودهم، وهل برز الشيخ عبدالحميد كشك والشيخ الشعراوي والشيخ الغزالي وغيرهم من المشايخ إلا عقب الصحوة؛ إذ كانت هي التيار الجارف الذي أجلسهم المجلس العالي الذي جلسوه في قلوب ملايين الناس.



وأصبح لكثير من العلماء صوت مسموع بعد غياب طويل، وإنما الذي جعل لهم هذا الصوت وتلك المكانة هو التفاف جمهور الصحوة العريض حولهم، وعنايته بهم، وإبرازه آثارهم وأفكارهم.

ولا أنسى أبدًا أني ذهبت إلى الجزائر سنة ١٤٠٤/ ١٩٨٤ في رحلة للخطوط السعودية، ومكثت فيها يومين، ونزلت من نزلي في فندق الأوراسي في العاصمة الجزائر أريد مسجدًا لأصلي فيه، فدخلت مسجدًا قديمًا عثمانيًا ورأيت فيه العجب: رأيت شيخًا كبيرًا خفيض الصوت، يجلب الملل للسامعين بطريقته وكلامه، رأيته يجلس وسط المسجد الكبير وحوله لا يقل عن ألف من السامعين كأنما على رؤوسهم الطير يسمعون كلامه فتملكني العجب منه ومن السامعين، الذين كانوا في أكثريتهم الكاثرة من شباب الصحوة المتعطشين لسماع كلام الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ.

- وظهرت عقب الصحوة مجموعة من طلبة العلم والعلماء الذين يختلفون في مناهجهم وطريقتهم وعلاقتهم بالناس اختلافًا كبيرًا عن أكثر علماء ما قبل الصحوة، بحيث إنهم أحسنوا التعامل مع الناس وكسبوا قلوبهم، وأحسنوا توجيههم وتربيتهم حتى تعاظم المد الصحوي، وانتشر الخير، ولله الحمد والمنة.

تقويم علاقة الصحوة بالعلماء اليوم:

علماء اليوم ينقسمون أقسامًا ثلاثة:

١- قسم لا علاقة له بالواقع؛ فهو منزو على نفسه، معتزل معظم ما يجري من أحداث، بل هو إلى الجهل بها أقرب منه إلى المعرفة، وهؤلاء هم الأكثرية في العالم الإسلامي اليوم للأسف.

٢- وقسم آخر عامل بعلمه، عارف بواقعه، مضح باذل معطاء، يقدم ما يستطيع لنصرة قضايا أمته، وعدد هؤلاء العلماء قليل نسبيًا لكن الله تعالى يبارك فيه بإذن الله ورحمته، وهؤلاء العلماء هم قادة الصحوة اليوم وموجهوها.

٣- وقسم ثالث هو ثالثة الأثافي، وسبب كثير من الفساد، وهو الذي يحارب الصحوة بل جعلها غايته وهدفه، وينقسم هؤلاء إلى قسمين:

أ - قسم مغرر به، جاهل بما عليه الأمور، إنما يحارب الصحوة لقناعة رسخت في نفسه من جراء جهله بالواقع وسوء فهمه للنصوص الشرعية، وكيفية تحقيق مناطها -أي إنزالها على الواقع- وهذا هو الذي عليه جماعة كبيرة من هذا القسم من المشايخ للأسف.

ب - وقسم آخر منحرف سلوكيًا وأخلاقيًا، وهذا جعل من حرب الصحوة بضاعة له وديدنًا وصناعة يتأكّل منها، والعياذ بالله تعالى، قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى:

«إني أعرف رجالاً من شيوخ الأزهر يعيشون على الإسلام كما تعيش جراثيم البلهارسيا والأنكلستوما على دماء الفلاحين التعساء»[1].

ولما كان القسم الأول من المشايخ معتزلي كل الأحداث.

ولما كان القسم الثاني يحال بينهم وبين الناس -غالبًا- ولا تفتح وسائل الإعلام لهم أبوابها، ويحال بينهم وبين توجيه الناس في أكثر الأحيان وإن فُتح له الباب فبقدر وضوابط عديدة مزعجة.

ولما كان القسم الثالث من المشايخ هو المرحب به والمهلل له من قبل وسائل الإعلام -غالبًا- فقد أصبح كثير من شباب الصحوة في حذر شديد من المشايخ، وأساؤوا الظن بهم، ولم يعودوا ينزلونهم المنزل اللائق بهم -خلا بعض البلاد الإسلامية القليلة جدًا التي مازال للمشايخ فيها منزلة وأثر- وهذا كله عاد بأسوأ العواقب على مسار الصحوة وترشيدها، وأصبح كثير من شباب الصحوة منطلقًا إلى هدفه لا يلوي على المشايخ ولا يلتفت إلى طلب نصحهم وإرشادهم، فحصل من وراء ذلك شر كثير في كثير من بلاد الإسلام، وهذا أمر لا بد منه فالشاب الممتلئ حماسة إن لم يُرشَّد بتوجيهات المشايخ فإنه غالبًا ما يضل ويزل ويشتط بعيدًا عن المنهج الصحيح.

(١) «الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين»: ص ٢٧.



إقصاء العلماء عن قيادة الركب:

هذا وإن عدداً من الحركات والتجمعات الإسلامية صلتها ضعيفة بالعلم الشرعي والعلماء الشرعيين، وقد كان ينبغي أن يتصدر العلماء قيادة تلك الحركات والتجمعات، فقد وقفت على أخطاء عديدة وكبيرة بسبب إقصاء العلماء عن قيادة تلك الحركات والتجمعات.

وفي التاريخ شواهد عديدة على تفلت بعض قيادات الإسلاميين من ضوابط الشرع بدعوى المصلحة وفقه المقاصد والمآلات الذي تسبب في ضياع البوصلة والتفلت عن المنهج الصحيح.

تقويم هذا الجانب:

- أما تقويم هذا الجانب فقد مَرَّ بعضه، لكن ظهرت طائفة من المشايخ عقب الصحوة زعمت أنها من العلماء أو ادُّعي لها ذلك، وهمها هو تحطيم الصحوة ورجالها وعلمائها ودعاتها والعاملين عليها، ورميهم بكل نقيصة، واتهامهم بالابتداع والمروق والفسق والضلال، وتسليط أتباعهم عليهم، وإغراء السلطان بهم، وقد عظم كيدهم وتآمرهم وضلالهم حتى صاروا -عندي- خارج أهل السنة والجماعة بابتداعهم أصولاً لم يُسبقوا إليها، ومنها تعظيم الحاكم المرتد أو الكافر الأصلي وادعاء أنه ولي أمر شرعي تجب طاعته ويحرم الخروج عليه، ومنها تسخير حياتهم وقدراتهم وأعمالهم للطعن في رجال الإسلام من أهل السنة والجماعة، واتهامهم ظلماً بالمروق والابتداع والفسق والضلال والخروج من دائرة أهل السنة والجماعة، ومنها تحزبهم واجتماعهم على هذا الضلال وادعاء أنهم على الحق، وهذا عين الابتداع والضلال.

ولا علاقة للصحوة بهؤلاء فهم مرض طرأ على الصحوة، ولكنهم مؤثرون في مسيرتها بما زرعوه في صفوفها من شقاق وشحناء وبغضاء، والله المسؤول أن يخلصنا من هذا المرض عاجلاً غير آجل.

●●●



المبحث الثالث

أثر الصحوة في المحافظة على العبادات وتصحيحها

هناك اتفاق بين أكثر المراقبين لأحوال الأمة قبل الصحوة وبعدها أن كثيراً من المسلمين فرطوا كثيراً في مسائل العبادات، وعلى رأسها الصلاة، فقد كان عدد من يصلي قليلاً بالنسبة لمجموع المسلمين، وأما المساجد فقد كانت شبه مهجورة، لا يؤمها في الأغلب الأعم إلا كبار السن، وإليكم بعض الشواهد على ما أقول:

- حدثني أحد إخواني الثقات أن مساجد عديدة في جدة قبل الصحوة لم يكن يُصلى بها التراويح فكانت تغلق أبوابها في رمضان بعد العشاء !!

وهناك مساجد يصلي فيها الإمام مع شخصين أو ثلاثة منهم المؤذن !!

- وأخبرني أحد مشايخي الثقات أنه صلى قيام رمضان خلف الشيخ الخليفي - رحمه الله تعالى- في حصوة زمزم سنة ١٣٨٢/ ١٩٦٢ قال: وكنا أربعة صفوف، وكنت في الصف الأخير وعددنا قليل وأسمع الشيخ الخليفي بوضوح مع أنه لم يكن يقرأ عبر مكبر الصوت «الميكروفون»!!

وحصوة زمزم -لمن لا يعرفها- هي المنطقة الشرقية من المطاف حول الكعبة حيث يوجد بئر زمزم، وسميت الحصوة لأنه قديمًا كان المطاف الملاصق للكعبة مبلطًا كله أما الذي يبعد عن الكعبة ببضعة أمتار فبعضه تراب وبعضه مبلط، وقد كان الناس يأتون بطعامهم ويسمرون جالسين في المنطقة الترابية هذه، فحصوة زمزم هي المنطقة الترابية شرق الكعبة، إذن صلاة القيام في الحرم المكي لم تكن تصلى حول الكعبة وإنما فقط في منطقة صغيرة من المطاف فقط !!

- وأخبرني أحد إخواني الثقات ممن يكبرني بست سنوات أنه كان يصلي التهجد مع عائلته في الطابق الثاني من الحرم، ولم يكن فيه أحد مطلقًا من الناس أثناء صلاتهم.



وكان الشيخ الخليفي يصلي مع مجموعة يسيرة من المصلين في الطابق الأرضي.

- وأخبرني أحد كبار أهالي مدينة رسول الله ﷺ أنه صلى قيام رمضان في السبعينيات الهجرية / الخمسينيات الميلادية في روضة المسجد النبوي وكانوا عشرين شخصًا فقط!!

- قال الدكتور أحمد توتونجي -حفظه الله تعالى- واصفًا الشباب العرب في لندن يوم جاءها للدراسة سنة ١٣٧٨/ ١٩٥٨م فقال:

«أقرأ في قسمات وجوه بعضهم شيئًا غريبًا فور فراغنا من الصلاة، سرعان ما ترجمه أحدهم: هل أنتم متخلفون؟! لا زلتم تصلون حتى بعد وصولكم إلى هنا، هنا بريطانيا»(١).

- وذكر -حفظه الله تعالى- أنه حضر مؤتمر اتحاد المنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا في شيكاجو سنة ١٣٨٤/ ١٩٦٤ فكان فيه إعلان عن ليلتين راقصتين!! واحدة للرقص الشرقي وأخرى للرقص الغربي!! مع دعايات للخمور كثيفة، والسبب هو علاقة منظمي المؤتمر ببائعي الخمور.

ولما حان وقت صلاة الظهر ما قام أحد!! فلما سأل عن الصلاة قالوا له: كل واحد يفعل ما يشاء!! فصلى الظهر مع قليل من الأشخاص، ثم تضاعف العدد في صلاة العصر(٢).

- وهذا أحد الطلاب الذين ذهبوا إلى أمريكا سنة ١٣٨٠/ ١٩٦٠ يقول واصفًا حال الشباب مع الصلاة:

«إن الكثير من هؤلاء الشباب قادمون من عوائل محترمة من الشرق الأوسط، ولكن البيئة الغربية التي يعيشون فيها والظروف القاسية التي يمرون بها قد مسخت عقولهم وسلوكهم وعقيدتهم؛ ولذلك ما وجدت ولا رأيت ولا سمعت شابًا أو شخصًا يتوجه إلى القبلة من هؤلاء الشباب...

---

(١) «خمسون عامًا بين الشرق والغرب»: أحمد توتونجي: ٣٥-٣٦.

(٢) المصدر السابق: ٩٠.

خلال الثلاثة أشهر الأولى التي قضيتها في عدة أقسام من أمريكا ما شهدت صلاة الجمعة مطلقًا، ولا صلاة الجماعة إلا نادرًا. . .

لا يوجد من يوجهنا إلى مواعيد الصلاة. . . »[1].

وقال الدكتور تقي الدين الهلالي، رحمه الله تعالى؛ حين كان في مصر فقال في شخص عرفه:

«كنا نجتمع في الاحتفالات التي تقيمها وزارة المعارف، فما كان أحد يقوم لصلاة المغرب إلا أنا وهو، فكان يقدمني فأصلي به إمامًا»[2].

وذكر الشيخ عبدالله التليدي أنه ركب حافلة من عمان عبر الصحراء الواقعة بينها وبين بغداد - وهي ألف كيلو متر - وكان عدد الركاب أكثر من ستين، ولا يصلي منهم إلا هو ورجل شيعي !! وكان في الركاب أردنيون وعراقيون وكويتيون، وكان ذلك سنة ١٣٨٦/١٩٦٦[3].

وقال:

«بل الأغرب من هذا هو أن الحجاج والمعتمرين كثيرًا مايخرجون من جدة ليلاً متجهين إلى المدينة المنورة فيصادفهم الفجر بالطريق فلا يهتمون بالصلاة، وإذا قام أحدهم يطالب السائق بالوقوف للصلاة نادوه بالامتناع، وربما أنبوا الداعي للصلاة، وقد حصل لي هذا مرارًا بين جدة والمدينة.

أما من غير الحجاج فلا تسأل كم وقع لي من حادث مع الركاب الذين ينتمون إلى الإسلام، فكم مرة طالبت السائق بالوقوف للصلاة فيناديني الركاب من كل جهة: هل أنت وحدك مسلم؟ فدين الله واسع، فهؤلاء هم الأكثرية الساحقة ممن يسمون أنفسهم مسلمين اليوم، ولذلك ضربهم الله - تعالى- وسلط عليهم الأعداء، وأهانهم وأخزاهم على أيدي

---

(١) «مذكرات عبدالله الشامي»: ٢٠.

(٢) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة»: ١٤٦.

(٣) ذكريات من حياتي: ٧٦-٧٧.



الصهاينة أبناء القردة والخنازير[(١)]، وشتت شملهم وفرق صفوفهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون»[(٢)].

والعجيب أنه ذكر عن نفسه أيام صباه أنه كان لايعرف أن تضييع الصلاة عن وقتها محرم، وأنها جريمة تلي في الجرم الشرك بالله عياذًا بالله تعالى؛ ذلك أنه كان يشاهد دائمًا معلميه وحفظة القرآن والعامة يخرجون الصلاة عن وقتها ولا يحافظ عليها في وقتها إلا النادر منهم!! بل الملتزم المتقي منهم مَن يجمع بين الظهرين دائمًا!! أما الباقي فلا يصلون إلا بين العشاءين أو بعد العشاء، فعلى هذه الحالة نشأ[(٣)].

وذكر أنه أوائل شبابه حضر لقاء في طنجة عقده بعض الزعماء والقياديين فجعلوا يخطبون مناوبة مع تناول الشاي والحلوى من الساعة الثانية ظهرًا إلى أن أظلم الليل، وما صلى أحد من الحاضرين لا العصر ولا المغرب ولا وُجد فيهم رجل رشيد ينبههم بالأذان والدعوة إلى أداء فرائض الله تعالى، وكان يتحسر وسط تلك الجموع وما وجد منفذًا للخروج للازدحام الشديد، فلما انصرف الجميع تاب إلى الله - تعالى - مما حصل...

وقد كان أولئك الزعماء أيام الاستعمار يعدون الناس قائلين: إننا سنستقل، ونحكّم الشريعة الإسلامية، ونقضي على الفساد ومظاهره، فلما ذهب الاستعمار بجيوشه فقط خلفه أولئك الحزبيون في مناصبهم وكراسيهم، فطبقوا قوانين العدو المستعمر، وحكّموا أنظمته بين الشعب المسلم في كل ميادين الحياة، وأظهروا من الفساد والبغي والظلم والاستبداد ما لم يكن أيام الاحتلال...»[(٤)].

---

(١) كذا قال والصحيح إخوان القردة كما قال النبي ﷺ في غزوة خيبر، ولما هو معلوم بأن الذين مسخوا منهم لم يكن لهم نسل.

(٢) المصدر السابق: ١١١.

(٣) «ذكريات من حياتي»: ٣٥.

(٤) المصدر السابق: ٤٨.

وهذا الدكتور عبدالمنعم أبوالفتوح يقول في مذكراته:

«كانت النكسة صدمة عنيفة للناس ولدت حالة من الرجوع إلى الله، وجعلت الناس تتجه إلى ارتياد المساجد واللجوء إلى التمسك بالدين، والعودة العميقة إلى الله . . . أتذكر وقتها أن عدد المصلين كان قليلاً، ولكنه بدأ يتزايد بعد النكسة . . . »[١].

- وهذه شهادة أحد البعيدين تمامًا عن الإسلاميين بل هو معاد لهم بفكره وسلوكه، وهو د. جلال أمين الماركسي ثم الليبرالي[٢]؛ إذ قال في المسجد الذي بجوار داره قبل الصحوة وبعدها:

«كان على بعد منزلين من منزلي مسجد صغير، لا يكاد يستخدم إلا في أيام الجمعة، فلم أكن أرى فيه في بقية أيام الأسبوع إلا بعض الجالسين الذين يحتمون في داخله من شدة الحر في الخارج.

لم يكن للمسجد مكبر للصوت بل كان المؤذن يؤذن بصوته المجرد من أعلى المئذنة، كذلك كان قارئ القرآن وخطيب الجمعة يعتمدان على صوتيهما الطبيعيين اللذيْن كانا كافييْن لإسماع الجالسين داخل المسجد دون أن يصل صوتاهما إلى المنازل المجاورة»[٣].

ثم قال في المسجد عقب الصحوة:

«لقد زادت بلا شك أعداد المصلين المواظبين على المجيء إلى الجامع مما يمكن أن يُفسر بسهولة بزيادة عدد سكان المعادي[٤] وارتفاع كثافتهم مع زيادة عدد العمارات العالية، ولكن هذا لا يكفي بالطبع لتفسير تطورات أخرى مهمة؛ فقد أصبح المصلون في الجامع ينتمون أكثر فأكثر إلى مختلف الأعمار، بل زاد أيضًا عدد السيدات اللاتي يقصدن المصلى الصغير المخصص لهن داخل الجامع، وزاد أيضًا عدد القادمين للصلاة في غير أيام الجمعة؛ فبعد أن كان الجامع شبه خاوٍ في تلك الأيام زاد عدد الآتين إليه لأداء الصلوات الخمس في

---

(١) مذكرات منشورة في شبكة المعلومات على الإنترنت.

(٢) وهو ابن الشيخ أحمد أمين صاحب الكتب المشهورة، كفجر الإسلام وضحى الإسلام، وابنه لا يزال حيًا.

(٣) «رحيق العمر»: ٣٢.

(٤) وهي المنطقة التي يسكنها بالقاهرة.



جميع أيام الأسبوع، واستجاب القائمون بخدمة المسجد لهذا الإقبال المتزايد فاستعاضوا عن الصوت المجرد بميكروفون جبار يذاع منه الأذان مرتين لكل صلاة -يقصد الأذان والإقامة- في جميع أيام الأسبوع، كما يذيع كل مراسم صلاة الجمعة»[1].

وأخبرني شيخي الشيخ أيمن سويد - حفظه الله تعالى - أن شيخه الشيخ عبدالعزيز عيون السود[2]، رحمه الله تعالى، أخبره أنه ختم القرآن بالقراءات العشر بالروايات العشرين، يعني أنه قرأ عشرين ختمة في روضة مسجد رسول الله ﷺ وفي أغلب الأوقات كان وحده لم يكن معه أحد!! وكان في بعض الأحيان يريد أن يذهب إلى بيت الخلاء فينتظر حتى يأتي شخص آخر لأنه كان يستحي أن تخلو الروضة من المصلين!!

وإليكم هذه القصة العجيبة في بيان كيفية أداء أول أذان في جامعة صنعاء فقد أخبرني الدكتور أحمد العليمي[3]- رحمه الله تعالى - في بيت د. عبدالوهاب الديلمي[4] وزيد الشامي[5] بأن طالبًا من جامعة صنعاء -واسمه أحمد، فيما أذكر- أراد الأذان، وذلك سنة ١٣٩٤/ ١٩٧٤ فأخذ مسدسًا وحشاه بالرصاص!! ونزل إلى ساحة الجامعة ليؤذن الظهر، فلما بلغ أشهد أن محمدًا رسول الله هجم عليه أربعة من الطلاب الناصريين بالجنبيات - الخناجر- يريدون إسكاته فأخرج مسدسه من جيب صدره وأطلق طلقات منه في الهواء فهربوا كالفئران وأكمل الأذان!!

- ولما غزا الصليبيون العراق سنة ١٤٢٣/ ٢٠٠٣ دعتني الشؤون الدينية في قاعدة خميس مشيط جنوب المملكة لمحاضرة للضباط، فجئتهم وحدثتهم في بعض تفاصيل

---

(١) المصدر السابق: ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) وقد كان أمين الإفتاء في حمص وشيخ قرائها، وأحد مشايخ سوريا الثقات، توفي سنة ١٣٩٩/ ١٩٧٩، رحمه الله تعالى.

(٣) يمني فاضل. تخرج في الجامعة الإسلامية بمدينة رسول الله ﷺ دكتورًا، وسكن رأس الخيمة، ومات من بضع سنين، رحمه الله تعالى.

(٤) وزير العدل اليمني الأسبق، والمدير السابق لجامعة الإيمان في صنعاء، وأحسبه من ثقات المشايخ، وهو اليوم في عشر السبعين ويعيش في الرياض.

(٥) رئيس كتلة حزب الإصلاح اليمني في مجلس النواب.

معركة رمضان سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣ وقارنتها بمعركة النكبة العظيمة سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧، وبعد المحاضرة دعاني نائب رئيس القاعدة - وكان برتبة عقيد - ومعه بعض الضباط الكبار لعشاء صنعوه لي، وقال العقيد: كنت أدرس في قاعدة المنطقة الشرقية في المملكة طالبًا سنة ١٣٩٠/ ١٩٧٠، وكان قائد القاعدة يلبس سلسلة ذهب ولا يصلي، وكنت إذا أردت الصلاة اختبأت!! خلف خزانة الثياب فإذا رآني أحد الضباط يظل يستهزئ بي ويضحك ويقول: يصلي، يصلي!!

ولما عدت إلى قاعدة خميس مشيط سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣ لم يكن في القاعدة مسجد ولا مصلى، وكنت إذا أردت الصلاة صليت في أي مكان كيفما اتفق، ثم قال لي: أتعرف كم في القاعدة من مسجد ومصلى اليوم؟ فيها سبعون مسجدًا ومصلى!! الله أكبر فهذا إنتاج الصحوة وعملها الرائع في ديار الإسلام.

- وأخبرني الدكتور زهير محمود العراقي -رئيس فرع الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية في بلدة شاتو شينو في فرنسا- أن أكثر الناس في العراق لم يكونوا يصلون، وكانت جوامع الموصل غالبية مصليها من كبار السن.

وأخبرني د. عمر الأشقر - رحمه الله تعالى- أن المساجد كانت مهجورة من قبل الشباب تقريبًا.

وفي سنة ١٣٨٦/ ١٩٦٦ ذهب إلى مسجد فوجد فيه ٣ من كبار السن مع الإمام فقط!! فقام ليتكلم فأراد أحدهم أن يقوم فقال: لو قمت لبقى اثنان فاسمع مني، وأنا أريد أن أسألكم سؤالاً: أما لكم أولاد؟! فلماذا لا تأتون بهم إلى المسجد؟

فقالوا: ليس لنا عليهم يد!!

- وفي حدود سنة ١٤٠٠/ ١٩٨٠ تعرفت على أحد إخواني الصالحين، من الموجهين المربين، وهو سعادة الأستاذ وائل جليدان - حفظه الله تعالى - وكان آنذاك قد قطع دراسته في أمريكا وذهب إلى باكستان للإشراف على مركز الهلال الأحمر السعودي في بشاور، وكان له أثر كبير في محاولات ضبط بوصلة الجهاد في أفغانستان وتقييده بقيود الشرع المطهرة.



دعاني هذا الأخ الفاضل ومجموعة معي للذهاب إلى البحر في جدة، فذهبنا إلى منطقة «أبحر» وهي مكان متميز في بحر جدة، فسبحنا حتى وصلنا للطرف الآخر وكان فيه قطعة ممهدة صلينا الظهر عليها، والعجيب أنه مرّ بنا ونحن نصلي مجموعة من الشباب في قارب فصاروا يضحكون بنا ويستهزئون، ويقولون: يصلون، يصلون، فلما سلم الأستاذ وكان إمامنا، تلا ببديهة حاضرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠].

- وقد ذكر الأستاذ حمد الصليفيح أنه كان طالبًا في كلية الشريعة في الرياض أيام المد الناصري والملك سعود، فكان لا يستطيع أن يصلي إلا تخفيًا!! وهذا من أعجب ما وصلني.

أما عقب الصحوة فامتلأ الحرمان والمساجد بالناس - والشباب على وجه الخصوص - وتغير الحال بفضل الله تعالى، فقد أصبح كثير من الناس يصلون بل أستطيع أن أقول واثقًا: إن أكثر الناس عقب الصحوة صاروا يصلون، بينما كان أكثر الناس قبل الصحوة لا يصلون.

- وأما الصيام فقد كان قلة من الناس يصومون، باستثناء الدول التي لم يَجْرِ عليها حكم المستخرب الأجنبي مثل دول الجزيرة العربية، ودول قليلة غيرها، وإليكم شهادة الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى؛ حيث ذكر أنه في مصر تعرض لمشكلة في الجوازات لما دخلها يوم ٢٩ من رمضان في حدود سنة ١٣٦٦/ ١٩٤٧، ثم قال يصف ذلك الموظف في الجوازات:

«حَسُن ظني به، وزاد حسن ظني حيث رأيت شرطيًا جاءه بالسحور فعلمت أنه يصوم رمضان، والصائمون في ذلك الزمان قليلون»[1].

وقال أيضًا في شخص عرفه في مصر اسمه منير القاضي كان يجتمع معه في الحفلات التي تقيمها وزارة المعارف:

«وفي رمضان لم يكن أحد من الحاضرين يصوم إلا أنا وهو، فكنا نفطر جميعًا»[2].

---

(١) «الدعوة إلى الله»: ١٣٦.
(٢) المصدر السابق: ١٤٦.

وقد أخبرني فضيلة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة أنه ذهب إلى مصر في أربعينيات القرن الماضي الميلادي / الستينيات الهجرية، ودخل على مؤلف شهير ينتسب لزمرة المؤلفين الإسلاميين في نهار رمضان وهو يحتسي القهوة، فدهش من صنيعه، وذكّره بأن اليوم من رمضان، فقال له: لا مؤاخذة لأني لست معتاداً على الصيام !! ولولا أنه أكد عليّ ألا أذكر اسمه لذكرته لكم؛ لأنه لا حرمة لمثل هذا.

- وقال جلال أحمد أمين يصف بيت أبيه المؤلف الشهير أحمد أمين، الذي ألف «فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام»، و«ظهر الإسلام»، و«رجال الإصلاح» وغير ذلك:

«في كتاب «حياتي» وصف أبي البيت الذي نشأ فيه بقوله:

إنك إذا فتحت بابه شممت منه رائحة الدين ساطعة زكية.

أما أنا فلا أستطيع بالمرة أن أقول إن هذا الوصف ينطبق على البيت الذي نشأت فيه؛ فأبي على الرغم من نشأته هذه وشدة تدين أبيه وأمه، ونوع التعليم الذي تلقاه في صباه وشبابه، ورغم أن أهم كتاباته كانت تدور حول الإسلام لم يكن متديناً بمعظم المعاني الشائعة اليوم، إني لا أتذكر مثلاً أني رأيته وهو يصلي، ولا أذكر أني رأيته وهو يقرأ في المصحف.

إني أتذكر اعتذاره عن الصوم بسبب مرض أو آخر كان يفرض عليه نظاماً معيناً في الأكل، أو بسبب التدخين، ولكني لا أتذكره وهو ينتظر حلول المغرب ليتناول إفطاره في رمضان...»[1].

إنا لله وإنا إليه راجعون.

الحج:

أما الحج فقد كان من يؤم المشاعر للحج قبل الصحوة قليلين بالنسبة لمن كان يأتي بعد الصحوة، وإليكم هذا الجدول الموضح ويبدأ من خمس سنوات قبل بداية الصحوة إلى خمس سنوات بعد بداية الصحوة:

---

(١) مذكرات جلال أمين: ٣٠٣.

١٩٦٢/١٣٨٢	١٩٩٠٣٨ شخصًا
١٩٦٣/١٣٨٣	٢٦٦٥٥٧ شخصًا
١٩٦٤/١٣٨٤	٢٨٣٣١٩ شخصًا
١٩٦٥/١٣٨٥	٢٩٤١١٨ شخصًا
١٩٦٦/١٣٨٦	٣١٦٢٢٦ شخصًا
١٩٦٧/١٣٨٧	٣١٨٥٠٧ أشخاص
١٩٦٨/١٣٨٨	٣٧٤٧٨٤ شخصًا
١٩٦٩/١٣٨٩	٤٠٦٢٩٥ شخصًا
١٩٧٠/١٣٩٠	٤٣١٢٧٠ شخصًا
١٩٧١/١٣٩١	٤٧٩٣٣٩ شخصًا
١٩٧٢/١٣٩٢	٦٤٥١٨٢ شخصًا
١٩٧٣/١٣٩٣	٦٠٧٧٥٥ شخصًا
١٩٧٤/١٣٩٤	٩١٨٧٧٧ شخصًا
١٩٧٥/١٣٩٥	٨٩٤٥٧٣ شخصًا(١).

ويُلحظ من الجدول الحكومي القفزة الكبيرة التي حدثت بعد الصحوة، فقد كانت الأعداد قبل الصحوة تزيد كل سنة زيادة قليلة، لكنها بعد سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧ قفزت قفزات كبيرة.

وأما بعد سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣ - وهي سنة اتقاد جذوة الصحوة - فقد كانت الزيادة أكثر من ثلاثمائة ألف في سنة واحدة !!

(١) قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز: مطبوعات حكومية من شبكة الإنترنت.

هذا من حيث العدد، أما من حيث الكيفية للعبادات فقد انتشرت عقب الصحوة نداءات تدعو للصلاة كما كان النبي ﷺ يصلي، وأيضًا حصل تصحيح لكيفيات الحج، وضبط لإخراج الزكاة خاصة في الأنصبة التي كانت مهملة أو حولها خلاف.

ولا شك أن لرجال الصحوة أثرًا عظيمًا في تحسين كل هذا الذي ذكرته من النقائص في العبادات، وكان لعمل العلماء والدعاة ومحاضراتهم ودروسهم أكبر الأثر في الانتقال بالعبادات إلى صورة أخرى لم تكن معروفة قبل الصحوة على هذا الوجه من الانتشار والانضباط، ولله الحمد والمنة.

●●●



المبحث الرابع
أثر الصحوة في إحياء عبادة الجهاد

أبدأ المبحث بطرفة حقيقية معبرة عما أريد قوله، فقد أخبرني شيخي الشيخ الأستاذ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد المصري(١) - حفظه الله ومتعنا به وبعلمه - أنه لما قرأ على شيخه الأزهري كتابًا في الفقه ووصل إلى باب الجهاد قال له: اقفز يا بني!!

فقال له: اقفز على ماذا ياسيدي؟

فقال له: اقفز باب الجهاد كله.

فقال له: لكني أريد أن أقرأ باب الجهاد وأعلم ما فيه.

فقال له: اقفز فالجهاد انتهى منذ زمن طويل.

تلك الطرفة كانت قبل الصحوة، وكانت تعبر أفضل تعبير عن يأس كثير من الخواص من العلماء والمثقفين والدعاة من عودة الجهاد من جديد، ولو اطلعنا على التاريخ اطلاعًا جيدًا لعرفنا صدق مقولة الشيخ إن الجهاد قد انتهى منذ زمن طويل، فلقد مَرّ على الأمة -في قسمها العربي المشرقي- مئات من السنين لم يقم فيها جهاد واضح المعالم خاصة جهاد الطلب الذي نُسي فعلاً حتى أنكر تشريعه بعض العلماء المعاصرين!!

وكان للصحوة الأثر العظيم في إحياء عبادة الجهاد وإشاعتها في الأمة، وكان ذلك في مكانين:

١- في فلسطين.

٢- في أفغانستان.

(١) أستاذ علوم القرآن في جامعة الأزهر وجامعة الإمام وجامعة أم القرى سابقًا، وهو من ثقات المشايخ، ومن كبار العلماء، وقد خبرت ذلك بنفسي فقد كان مشرفي في رسالة الدكتوراه، وجالسته سنوات طويلة فوقفت على فضله وجلالة قدره وعزة نفسه، وهو صاحب كرامات حدثني بها، وأحسبه على قانون السلف، حفظه الله تعالى. ولد سنة ١٣٥٠/ ١٩٣١ ومازال حيًا، متع الله به وحفظه.

أما أفغانستان فقد كان فيها جهاد عظيم للسوفييت البلاشفة، وسطر الجهاد الأفغاني هناك أعظم صور الفداء والتضحية والبذل، وكان لوقت طويل وقودًا للصحوة، رافدًا لها، يتناقل شباب الصحوة أخبار الجهاد هنالك فتشتد العزائم، وتقوى الهمم، وتعظم الحماسة، وترتقي الأهداف والأعمال، وصار نشيد الصحوة وحداؤها هو الجهاد الأفغاني، ولم يزل كذلك حتى حَلّ مكانه في القلوب الجهاد الفلسطيني؛ وذلك لأسباب كان على رأسها وفي مقدمتها الخلاف المؤسف الذي جرى بين قادة الجهاد الأفغاني، فعوّض الله -تعالى- الأمة عنه بجهاد فلسطيني جليل على يد أبطال الإخوان، ثم الجهاد الذي بدأه أبطال حماس الذين تعلقت بهم قلوب مئات الملايين من المسلمين، وما ذاك إلا لقيامهم بفريضة جهاد اليهود بعد سبات طويل، واستسلام ذليل، وكان الجهاد على هيئة قوية مرعبة تأثر به المسلمون أيما تأثر، واستجابوا له استجابة عظيمة.

وإليكم بدايات الجهاد في فلسطين إلى نشأة حماس، ذكره أحد الباحثين في الشأن الفلسطيني:

معسكرات الشيوخ:

كانت أولى المشاركات الإسلامية الجهادية الفلسطينية[1] فيما يعرف «بمعسكرات الشيوخ» في الأردن والتي شكلها الإخوان المسلمون تحت مظلة فتح سنة ١٩٦٨، واستمرت في عملها حتى إغلاق معسكرات العمل الفدائي الفلسطيني في الأردن سنة ١٩٧٠م.

وكانت قيادة الإخوان المسلمين قد أصدرت قرارًا بفتح معسكرات لتدريب الإخوان ومؤيديهم؛ حيث استفاد الإخوان من أجواء حرية العمل الفدائي والتأييد الشعبي الهائل له، والذي ظهر خصوصًا بعد هزيمة ١٩٦٧، غير أن الإخوان لم يستطيعوا العمل باستقلالية كاملة نتيجة أجواء العداء ضد الإسلاميين التي كانت لا تزال مستمرة وبالذات من عبدالناصر والقوى اليسارية، فضلاً عن صعوبة التمويل.

---

(١) أي بعد بداية الصحوة، فقد كان للمجاهدين في فلسطين صولات وجولات منذ أن وطئت أقدام إخوان القردة أرض فلسطين.



وقد وافقت حركة فتح على توفير الغطاء لمعسكرات الإخوان، كما التزمت بتقديم التموين والسلاح والذخيرة، فضلاً عن مصاريف الأفراد ١٥ ديناراً للأعزب و٣٠ ديناراً للمتزوج، وكانت العمليات الفدائية تحدث بالتنسيق معها، بينما كان للإخوان حريتهم الكاملة في تصريف أمور التدريب والانتقاء وشؤونهم الخاصة.

افتتح أول معسكر للشيوخ في منطقة العالوك (باتجاه طريق الزرقاء - السخنة)، وتولى التدريب صلاح حسن وإبراهيم حسن (وهما أخوان في الدم) وعبدالعزيز علي، وكان ينسق معهم من جهة إخوان الأردن إسحاق الفرحان وأبو بشير الزميلي، ومن الذين تدربوا في المعسكر أحمد نوفل وعبدالله عزام وإبراهيم المشوخي وذيب أنيس، وشارك في هذه القواعد أفراد من جنسيات عربية مثل فلسطين والأردن وسوريا والسودان (سبعة سودانيين)، ومصر واليمن.

والدفعة الأولى التي تم تدريبها كانت من ٣٠-٤٠ رجلاً ذهبوا جميعًا بعد ذلك إلى منطقة إربد؛ حيث فتحت لهم قاعدة جهادية، وبلغ عدد الذين تم تدريبهم في معسكرات الشيوخ حوالي ٢٥٠-٣٠٠ رجل من الإخوان المسلمين ومؤيديهم، بينما بلغ عدد القواعد التي فتحت سبع قواعد.

ويذكر الشيخ عبدالله عزام (رحمه الله) أن السرية الأولى قدمت نماذج رفيعة، وكان من بينها مجموعة من الإخوة السودانيين على رأسهم الوزير السوداني السابق محمد صالح عمر.

وقال الشيخ عبدالله عزام: «كان القائد الشهيد صلاح حسن يربينا بعمله دون قوله، وكان أخوه أبو خليل يعتبرنا إخوة له ولسنا تلاميذ، وكان قائدنا العام عبدالعزيز علي له في قلوبنا هيبة وأيما هيبة، وحبًا ومودة لا نظير لها»، وأضاف الشيخ عبدالله عزام بأن معسكرات الشيوخ نجحت في كسب ودِّ الناس واحترام الجيش الأردني.

ومن العمليات البارزة التي نفذتها معسكرات الشيوخ عملية «الحزام الأخضر» في ٣١ من آب/ أغسطس ١٩٦٩ بالتعاون مع فتح حيث استهدفت ثلاث مستعمرات متقاربة هي «يارونا» و«بيت يوسف» و«وبيت يور» وتم الهجوم في ليلة واحدة، وكانت أصداؤها مدوية.

وهناك أيضًا عملية «دير ياسين» - المشتركة مع فتح - في الجولان ضد مستعمرة «ناحال هجولان» في ليلة ١٤ من أيلول / سبتمبر ١٩٦٩ حيث تم تدمير نادي الضباط ومحطة للوقود ومستودعات التموين وسيارات عسكرية إسرائيلية، وقد اعترف اليهود بمقتل واحد واثني عشر جريحًا، غير أن المشاركين في العملية قالوا: إنهم أحصوا حوالي ستين قتيلاً إسرائيليًا، وكانت خسائر المجموعة الفدائية شهيدًا واحدًا وثلاثة جرحى.

ويروي الشيخ عبدالله عزام أن أبا عمرو «صلاح حسن» أعد لعملية بالصواريخ يسميها عملية «سيد قطب» ضد دورية من عدة دبابات إسرائيلية، ورتب الخطة، وأشرف على المكان، وزرع الصواريخ التي سيطلقها بالكهرباء، ولكن اليهود كمنوا له قرب الشارع، ودارت بينهم معركة سقط فيها أبو عمرو شهيدًا، واستشهد معه محمود البرقاوي وزهير قيشو، ومن الموافقات أنها حدثت في الذكرى الرابعة لاستشهاد سيد قطب، أي في ٢٨ من آب/ أغسطس ١٩٧٠.

أما عملية ٥ من حزيران / يونيو ١٩٧٠ فقد شارك فيها ستة من المجاهدين حيث تصدوا لدبابتين وكاسحة ألغام، وكان موشيه دايان قد أرسل مراسلاً كنديًا وآخر أمريكيًا ليطوف بهما على الحدود، ويريهما أن العمل الفدائي قد انتهى، ففاجأهم المجاهدون، وجُرح الصحفيان، واعترف اليهود باثني عشر قتيلاً، ولكن القتلى - كما يذكر الشيخ عبدالله عزام - كانوا أكثر من هذا بكثير، وقد ضج الإعلام العربي بهذه العملية، واستشهد من المجاهدين ثلاثة منهم مهدي الإدلبي من قاعدة «بيت المقدس» التي يقودها الشيخ عبدالله عزام، وبلال المقدسي من قاعدة «غزة».

وقد رصدت الاستخبارات الإسرائيلية معسكر العالوك، ثم هاجمته الطائرات الإسرائيلية صباح أحد الأيام، غير أن جميع من فيه كانوا خارج المعسكر في الطابور الرياضي الصباحي، ولم يكن هناك إلا شخص واحد أصيب بشظية، وقد ضربت الخيام «المهاجع» بالصواريخ، ودمرت تمامًا، وتم رش المعسكر بالرصاص، وفي اليوم التالي استشهد اثنان نتيجة انفجار رصاصة (لم تكن قد انفجرت في الغارة) كان يطرق بها أحدهما تسلية فانفجرت واستشهدا فورًا.

وحسب عبدالعزيز علي فإن عدد شهداء معسكرات الشيوخ خلال الفترة ١٩٦٨-١٩٧٠ بلغ أحد عشر شهيدًا، غير أن عبدالله عزام يذكر أن عددهم كان ثلاثة عشر شهيدًا، ومن هؤلاء الشهداء رضوان كريشان، ورضوان بلعه الدمشقي، ومحمد سعيد باعباد الضابط اليمني، وأبو الحسن إبراهيم الغزى.

اتساع التيار الإسلامي:

وفي منتصف السبعينيات بدأ الاتجاه الإسلامي يظهر ويقوى على الساحة الفلسطينية في الداخل والخارج، فبدأ يظهر مع أواخر السبعينيات كأول أو ثاني اتجاه من ناحية القوة في الجامعات الفلسطينية، وأصبحت الفكرة الإسلامية والطرح الجهادي يلقى شعبية متزايدة في الأوساط المختلفة، ومع استمرار الوقت أخذت تتزايد الجمعيات الخيرية الإسلامية ولجان الزكاة والتكافل الاجتماعي، ومن أبرزها المجمع الإسلامي في غزة، كما تضاعفت أعداد المساجد في الضفة وقطاع غزة، وأصبح الكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي هما الأكثر رواجًا.

وقويت الظاهرة الإسلامية في فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨، وأصبحت تحظى بشعبية متزايدة، وفي ١٩٨٠ كشف الكيان الإسرائيلي تنظيم «أسرة الجهاد» في قرى المثلث العربي، واعتقل العشرات من أفراده (أكثر من ٦٠ عنصرًا) من قرى أم الفحم وكفر قاسم وقلنسوة وباقة الغربية، وكان أبرز قياداته فريد أبو مخ والشيخ عبدالله نمر درويش اللذان حكم عليهما وعلى رفاقهما بالسجن مددًا مختلفة، وكان هذا التنظيم قد قام بتدمير العشرات من المرافق الاقتصادية، وإحراق السيارات والمعامل والبساتين الإسرائيلية.

وفي قطاع غزة أصبح الاتجاه الإسلامي أقوى اتجاه منفرد في مؤسسات التعليم، وفي العديد من القطاعات، وبرز دور المجمع الإسلامي والشيخ أحمد ياسين، وأصبحت الجامعة الإسلامية بغزة أحد أهم المعاقل الإسلامية، وتزايدت أعداد المساجد من ٢٠٠ مسجد سنة ١٩٦٧ إلى أكثر من ٦٠٠ مسجد سنة ١٩٨٧م.

وفي سنة ١٩٨٣م كشفت السلطات الإسرائيلية أسلحة داخل قبو في أحد المساجد، وقبضت على الشيخ أحمد ياسين بتهمة انتمائه لتنظيم معادٍ لإسرائيل وحيازة الأسلحة،

وحكمت عليه بالسجن ١٣ عامًا، غير أنه أفرج عنه في عملية تبادل الأسرى التي تمت في ٢٠ من آيار/ مايو ١٩٨٥م، بين المنظمات الفدائية الفلسطينية والكيان الإسرائيلي.

ورغم ضرب أولى المحاولات الجهادية للشيخ أحمد ياسين ورفاقه من أبناء الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون)، والتي كان الشيخ أحد قادتها البارزين، إلا أن فكرة الإعداد الجهادي تعززت لدى قطاعات واسعة من الإسلاميين، وقد ضرب الشيخ ياسين مثلاً طيبًا لإخوانه، فهو من مواليد ١٩٣٧ وأب لأحد عشر طفلاً، يعيش حياة متواضعة بسيطة في حارة جنوبي غزة تسمى (جورة الشمس)، وقد نشط في الدعوة حتى غدا من أشهر خطباء قطاع غزة؛ حيث كان يخطب في مسجد الشاطئ، ثم الكنز، ثم العباس، وعرف بقوة حجته وجرأته في قول الحق، وقد عانى من شلل جزئي منذ صيف ١٩٥٢، غير أنه استمر في العمل والدعوة رغم أن حالة الشلل كانت تزداد انتشارًا حتى أصيب بالشلل الكامل، وفي أوائل السبعينيات تفرغ للعمل الدعوي بعد أن كان يعمل في التدريس بمدارس الحكومة، وكان له اهتمامه بإنشاء صناديق الزكاة وتربية النساء والأطفال، وقد أسس المجمع الإسلامي في غزة حتى ١٩٧٩ كمؤسسة ثقافية صحية اجتماعية، وظل أمينًا عامًا لهذا المجمع حتى ١٩٨٤، وقد كان للشيخ أحمد ياسين ورفاقه تأثير كبير خصوصًا في قطاع غزة في نمو التيار الإسلامي والإعداد للانتفاضة المباركة.

لقد كان من الواضح أن الفكرة الجهادية كانت تشغل بال الإسلاميين على اعتبار أنها ذروة سنام الإسلام، وبسبب ما أخذوا يستشعرون من مسئولية متزايدة تجاه أرض الإسراء بعد استعداد الأنظمة العربية للدخول في تسويات سلمية مع الكيان الإسرائيلي تؤدي إلى الاعتراف بحقه على حوالي ٨٠٪ من أرض فلسطين، فضلاً عن حالة الضعف المتزايد الذي كانت تعاني منه م. ت. ف[1] نتيجة ما تعرضت له من ضربات، وبسبب انجرارها التدريجي نحو الحلول السلمية.

وقد شهدت سنة ١٩٨٠ إنشاء حركة «الجهاد الإسلامي» في فلسطين، والتي قام بتأسيسها عدد من الشباب الفلسطيني الدارس في الجامعات المصرية برئاسة الدكتور فتحي الشقاقي، رحمه الله.

---

(١) منظمة التحرير الفلسطينية.



وكان الدكتور الشقاقى قد انضم لجماعة الإخوان المسلمين في القطاع بزعامة الشيخ أحمد ياسين سنة ١٩٦٨ واستمر في أطر الإخوان إلى أواخر السبعينيات .

وقد بدأ العمل العسكري لحركة الجهاد الإسلامي قبل الانتفاضة ، وتعدُّ الحركة نفسها مسئولة عن عملية «باب المغاربة» التي تضمنت قصف الجنود الإسرائيليين الذين كانوا يُعمَّدون عند حائط المبكى استعداداً للتخرج في ١٦ من تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٦ ، وقد أدت إلى إيقاع ثمانين إسرائيليًا بين قتيل وجريح من لواء «غفجاتي» الإسرائيلي .

مرحلة الانتفاضة المباركة والتسوية السلمية ١٩٨٧-١٩٩٦ :

تكاد المصادر تجمع على أن الحادث الذي أشعل شرارة الانتفاضة قد وقع يوم ٨ من كانون أول / ديسمبر ١٩٨٧ عندما جاءت شاحنة إسرائيلية إلى حاجز «إيرز» - على حدود قطاع غزة مع الأرض المحتلة ١٩٤٨ - حيث انحرف سائق الشاحنة إلى الاتجاه المعاكس ، وحطم سيارتي أجرة تقلان عمالاً عربًا ، مما أدى لاستشهاد أربعة وجرح تسعة آخرين ، وقد هرب السائق بسيارة ذات نمرة صفراء شبيهة بسيارات المخابرات الإسرائيلية ، كانت تقف قرب مكان الحادث ، ويبدو أن هذا الحادث كان ردًا صهيونيًا على طعن ومقتل تاجر يهودي في ميدان فلسطين بمدينة غزة قبيل صلاة العصر من يوم ٦ من كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٧ .

لقد كان لهذا الحادث أثر بالغ أدى لاشتعال انتفاضة شعبية عارمة ، شارك فيها الشباب والشيوخ والنساء والأطفال ، واتسعت لتشمل أراضي قطاع غزة والضفة الغربية لعدة سنوات .

وقد قررت الحركة الإسلامية منذ البداية المشاركة في الانتفاضة وتوجيهها ، وبدأت التظاهرات العارمة بعد صلاة الفجر من يوم الأربعاء ٩ من كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٧ من مسجد مخيم جباليا ، وسقط الشهيد حاتم أبو سيس ، وأصيب ٢٧ آخرون بجراح ، ، وقرب مستشفى الشفاء نظم طلاب الجامعة الإسلامية بغزة مسيرة صاخبة ؛ حيث حدثت مواجهات عنيفة أدت إلى إصابة العديد من الطلاب ، واستشهد رائد شحادة (من أبناء الحركة الإسلامية بالجامعة) متأثرًا بجراحه ، وتوالى سقوط الشهداء ، واتسعت مظاهر الغضب والمقاومة لتعبر عن أقوى مظاهر جهاد الشعب الفلسطيني . . . وقد تميزت هذه

الانتفاضة ببروز العامل الديني ودور التيار الإسلامي ومؤسساته في إذكاء روح المقاومة والاستبسال وحب الاستشهاد في سبيل الله . . »[1].

- وما مجاهدو حماس إلا نتيجة من نتائج الصحوة الإسلامية الرائعة الجليلة، وإليكم هذه القصة الجليلة التي تنبئ عما أريد:

قابلت الشيخ الدكتور الشهيد - بإذن الله - نزار ريان [2] في جدة حيث كان قادمًا للعمرة، فطلبت منه أن يحدثني عن بداية الصحوة في فلسطين التي تُوجت بإنشاء حماس.

فأخذ في حديث مستفيض خلاصته أنه في بدايات التسعينيات الهجرية / السبعينيات الميلادية - وهي سنوات بداية اتقاد جذوة الصحوة - طلبه الشيخ أحمد ياسين، رفع الله قدره في عليين، هو ومجموعة من إخوانه وكانوا شَبَبَة متقاربين، وقال لهم: يجب أن نعمل في فلسطين بجد واجتهاد وندعو إلى الله -تعالى- وهذا الجيل من الشباب الموجود الآن لا سبيل لنا عليه، فقد احتوشتهم التنظيمات الفلسطينية الضالة ولم يبق لنا إلا الصبيان والغلمان في حدود العشر سنوات وأقل قليلاً وأكثر قليلاً وهذا الذي نستطيعه، فأقبل الشيخ أحمد ياسين وأولئك الشباب الذين كانوا لا يتجاوزون أصابع اليدين عددًا على الدعوة والعمل، والتفوا حول شيخهم، وبتواضع نادر عملوا مع الصبيان والغلمان، وصار الشيخ بكرسيه المتحرك ومعه شبابه ينتقلون من مركز إلى مركز، ومن مسجد إلى مسجد، ومن بيت إلى بيت يدعون إلى الله تعالى أولئك الصبيان والغلمان، ثم قال لي الشهيد - بإذن الله تعالى - نصًا: أولئك الصبيان والغلمان هم الذين يحكمون فلسطين الآن، في إشارة إلى الحسم الرائع والجليل الذي فعلته حماس في قطاع غزة.

فانظروا - رعاكم الله - إلى الصحوة وأثرها في بناء المجاهدين في فلسطين.

---

(١) الطريق إلى القدس: ٢٢٨-٢٣٨.

(٢) هو أحد قادة حماس في غزة، وأحد الموجهين الكبار فيها، وكان أستاذًا دكتورًا متخصصًا في الحديث النبوي الشريف، واستشهد هو-إن شاء الله تعالى- وزوجاته الأربع وجل أولاده في الحرب الأولى بين إخوان القردة وأبطال غزة.



معركة العاشر من رمضان:

وأريد أن أبين للقراء والباحثين الفارق الكبير في المعارك التي كان يخوضها العرب المسلمون ضد اليهود في سنوات ١٣٦٧/ ١٩٤٨، ١٣٧٦/ ١٩٥٦، ١٣٨٧/ ١٩٦٧ قبل الصحوة وبين معركة العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣؛ وذلك ليروا أثر الصحوة جليًا ظاهرًا في تلك المعركة التي كانت أثرًا من آثار الصحوة، وفي الوقت نفسه كانت سببًا في اشتداد أمر الصحوة على ما سأبينه، إن شاء الله تعالى.

إن معركة العاشر من رمضان فارق بين زمنين، وبرزخ بين عهدين، ومنعطف بين طريقين: زمن الذل وزمن العزة، عهد الضياع وعهد العثور على الهُوية، طريق الاعتماد على الطاغوت وطريق التوكل على الله تعالى.

ثم إن معركة العاشر من رمضان أوقدت جذوة الصحوة الإسلامية التي كانت قد بدأت - كما ذكرت آنفًا - عقب النكبة الكبرى عام ١٣٨٧/ ١٩٦٧، وساعدت معركة رمضان ١٣٩٣/ ١٩٧٣ على المضيّ بالصحوة قُدُمًا إلى أن عظمت واستعصت على مريدي اقتلاعها.

هذا وإن الذي يدعوني لذكر معركة العاشر من رمضان عدة أمور منها غير ما سبق آنفًا:

١- أهمية المعركة في سياق أحداث العصر، بل أرى - والله تعالى أعلم - أنها أهم معركة وقعت بيننا وبين اليهود في التاريخ الحديث من حيث وقائعها، ومن حيث توقيتها، ومن حيث نتائجها، وستبقى المعركة - إن شاء الله تعالى - خالدة في ذاكرة الأمة ملهمة إياها لبلوغ النصر في معركتنا مع إخوان القردة.

٢- هذه المعركة لا يكاد يعلم عنها شباب الأمة في هذا الوقت إلا النزر اليسير بل إن كثيرًا منهم لم يسمع بها قط!! خاصة ممن لم يدرك المعركة وولد بعدها بزمن قصير أو طويل، وهذا عرفته أثناء حديثي في شأن هذه المعركة في المنتديات والمجامع والمدارس والجامعات، فهذه المعركة ساقطة من ذاكرة الكثيرين، وهذا أعدّه من الخلل المنهجي والثقافي في واقعنا المعاصر، ولا بد من علاجه؛ لأن المعركة - وقائع ونتائج - تعد من

أهم ما يمكن الاستفادة منه في العصر الحديث من الوقائع الحربية بيننا وبين اليهود، وهي مليئة بالعبر والعظات.

٣- كثير من شبابنا اليوم تعتريه حالات يأس وقنوط من إمكان النصر على الأعداء، فأردت أن أبين لهم أننا قادرون على إحداث التغيير في أي وقت - بعون الله تعالى ومشيئته - والدليل على ذلك ما جرى في حرب رمضان؛ ولذلك سأسوق لهم من أحداث المعركة - إن شاء الله تعالى - ما يعظم به أملهم وتشتد به عزيمتهم، وينفي عنهم التشاؤم والوهن.

٤- هذه المعركة ينظر إليها بعض مفكرينا ومثقفينا نظر الارتياب والشك، وأنها حرب تحريك وليست حرب تحرير، ويريدون بالتحريك ما جرى بعدها من مفاوضات السلام المشؤومة مع اليهود، بل يذهب بعض المفكرين والمثقفين أننا هزمنا في العاشر من رمضان!! وهذا غلو في التفكير والنظر أحببت أن أنفيه في هذه السطور، هذا وليُعلم أني لا أريد الحديث عما جرى بعد المعركة بسنوات من الصلح مع أعداء الله فلهذا حديث آخر ليس هذا مجاله وإن كان متعلقًا نوع تعلق بهذه المعركة الجليلة.

٥- والسبب الأهم الذي دعاني للحديث في تلك المعركة هو أن معركتنا مع اليهود لا زالت قائمة على قدم وساق، وأنها لم تتوقف أبدًا بنهاية تلك المعركة وأنها لن تتوقف إلا بالحادث العظيم الذي تنبأ به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله الشريف المنيف: «**لتقاتلن اليهود حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبدالله ورائي يهودي تعال فاقتله**»، وهناك شبه اتفاق بين كثير من المفكرين والمحللين المدنيين والعسكريين على أن هناك معركة قريبة بيننا وبين اليهود تلوح نذرها في الأفق، فكان من المهم أن تبقى في ذاكرة المسلمين أحداث نصر رمضان سنة ١٣٩٣/ أكتوبر ١٩٧٣ حتى تصبح ملهمة لهم ومبشرة في معركتنا القادمة، وليعلموا أن الله - تعالى - إذا أراد أمرًا هيأ أسبابه، وإذا قدر شيئًا أمضاه مهما استبعده البشر، وحكموا بصعوبة حدوثه؛ فقد كانت كل القوى العسكرية العالمية والعربية تحكم بعدم قدرة العرب والمسلمين على هزيمة اليهود في معركة عسكرية أبدًا فإذا بهم يفاجأون بمعركة رمضان التي قلبت كل الموازين.



ونحن اليوم نعيش فرحة كبيرة بالتغيير الذي جرى ويجري في بعض البلاد العربية-وهو ما يعرف بالربيع العربي- وهو مقدمة لتغيير أكبر وأعظم نخلص به ومنه إلى انتصار على اليهود والصلاة في بيت المقدس، إن شاء الله تعالى.

العرب والمسلمون قبل المعركة:

- الناحية العسكرية:

كان هنالك شعور سائد بأن جيش الصهاينة لا يُقهر، وأننا لن نستطيع أن نهزمهم في معركة أبدًا، وقد كان هذا نتيجة حرب ١٣٨٧/ ١٩٦٧ المشؤومة التي سماها الإعلام الناصري الخبيث نكسة تخفيفًا لوقعها وتقليلاً من نتائجها، وقد كانت من أشد نكبات الدهر وقائع ونتائج، لكنها كانت ممهدة لزوال السيطرة العسكرية والثقافية للقوى الناصرية والماركسية والقومية والعروبية للأبد ولله الحمد، وقد سبق تبيان هذا الأمر في مبحث سابق.

قال اللواء أركان حرب جمال الدين محفوظ فيما نقلته عنه مجلة الأزهر في عددها التاسع سنتها الثانية والستين في رمضان سنة / ١٤١٠أبريل ١٩٩٠:

«لقد كانت الروح المعنوية في حالة تدهور شديد لما أحدثته الهزيمة من ضغوط نفسية هائلة على القوات المسلحة والشعب معًا، فقد انتابت الجميعَ صورٌ شتى من الضغط النفسي الذي نشأ في داخلهم وفيما بينهم كالشعور بالإحباط والحزن ولوم النفس والغير، وتبادل الاتهامات، إلى غير ذلك من أساليب التدمير الذاتي التي كانت أخطر عقبة في سبيل إعادة البناء حتى لقد قدر أكثر المتفائلين أننا لن نفيق من تلك الحالة قبل عشر سنوات إن لم يكن أكثر».

ثم قال اللواء:

«وبالإضافة إلى هذه الضغوط النابعة من الداخل كانت هناك الضغوط الخارجية المتمثلة في حملات الدعاية والحرب النفسية الضاربة التي تستهدف توجيه ضربة قاضية إلى روح المقاومة والصمود وإرادة القتال من خلال ما يلي:

١- تعميق الشعور بالإحباط وفقد الثقة بالنفس والسلاح والقادة والقيادة.

٢- إحداث الفُرقة بين الشعب وقواته المسلحة.

٣- غرس الإحساس بالتدني والعجز وتنمية عقدة النقص في مواجهة التفوق التقني «التكنولوجي» للعدو ومصادر إمداده بالسلاح والمعدات.

٤- ترسيخ الاعتقاد بأننا نواجه عدواً لا يُقهر، وأذكر أن جنودنا فتحوا عيونهم ذات صباح على لوحات قد غرست على الضفة الشرقية لقناة السويس تقول:

«إذا كنت تسأل عن أسباب الهزيمة فاتصل برقم ٦٧٥٦٤٨ والرقم يبدو لأول وهلة كرقم هاتف لكن سرعان ما يتضح أنه يتألف من سنوات المعارك ٤٨- ٥٦- ٦٧ أي أنه يقول للمقاتل المصري - وهو في أشد حالات المعاناة النفسية- لماذا تسأل عن أسباب الهزيمة هذه المرة وأنت دائماً مهزوم؟ إن تاريخك كله هزائم؛ فقد هُزمت من قبل في ٤٨ وفي ٥٦ فلماذا تسأل عن سبب هزيمتك في ٦٧؟ إنك أنت رجل الهزائم!! لقد كان ذلك مثالاً لحملات الحرب النفسية الضاربة لتغذية أحاسيس التدمير الذاتي للإجهاز التام على إرادة القتال».

ثم قال اللواء:

«ثم كانت هناك التحصينات والعوائق والموانع التي أقيمت على الضفة الشرقية للقناة وعلى رأسها الساتر الترابي وخط بارليف وقاذفات اللهب، الأمر الذي جعل أكثر الخبراء تفاؤلاً يُقدرون أن العبور واقتحام تلك الموانع سوف يكلفنا عشرات الألوف من الخسائر في الأرواح، فلا بد أن يكون لذلك أثره على الروح المعنوية لمن يستعدون للمعركة المقبلة» اهـ.

وقد كان هناك شعور عام طاغ على اليهود بعد حرب النكبة بالتفوق على سائر العرب، وأنهم هم القوة التي لا تُقهر، وللدلالة على ذلك أسوق قولاً للهالك موشي ديان، وزير الدفاع في الدولة المسخ والكيان الغاصب، قاله بعد النكبة بخمسة أيام في صحيفة هآرتس اليهودية في ١٢ حزيران/ يونيو سنة ١٩٦٧/ ١٣٨٧:

«إنها الحرب التي أنهت كل الحروب، ولم يبق أمام العرب إلا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة سيما وهم يعرفون رقم الهاتف!!».



وقال الرئيس المصري السادات يوضح مدى عِظَم القدرات اليهودية:

«لقد كان عبور القناة واجتياح حصون خط بارليف يعتبر ضربًا من المستحيل، وقد زارنا عدد من القادة وقال لنا بعضهم إن هذا المانع وتلك الحصون تحتاج إلى قنبلة ذرية للتغلب عليها».

حال المسلمين والجيش بين معركة ١٣٨٧/١٩٦٧ ومعركة ١٣٩٣/١٩٧٣:

حالنا في معركة ١٣٨٧/ ١٩٦٧:

كانت أحوال المسلمين في درك من الذل والضعف والبعد عن دينهم ليس بعده درك، وقد قال اللواء أركان حرب جمال الدين محفوظ في لقاء أجرته معه مجلة «المجتمع» الكويتية كلامًا صعبًا جدًا في حال الجيش الذي دخل معركة سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧، وكان مما قاله إن عساكر الجيش كانوا يحملون أعلامًا كبارًا عليها صور تشي جيفارا الأرجنتيني ثم الكوبي، وهوشي منه المقاتل الفيتنامي، وتيتو رئيس يوغوسلافيا، وكل أولئك من الشيوعيين الكبار!!

وكان الجيش قد طبع مئات الآلاف من صور المغنين والمغنيات والممثلين والممثلات ليجعلها الجنود في جيوبهم التي في صدورهم ينظرون فيها أثناء المعركة فيتشجعون[1]!!

وقال: «إن التكبير كان محرمًا في الجبهة!! فاخترعنا للجنود صيحة هي «هاع» عوضًا عن التكبير!!» فكان الجندي يصيح في الجبهة كالبهيمة «هاع» عوضًا عن التكبير الرباني، وما أحسن قوله بعد ذلك: كنا رعاع لذلك صحنا: هاع.

---

(١) قال فضيلة الشيخ محمود فايد في كتابه «صيحة الحق» ص ٨٤: في حرب عام ١٩٦٧ وجدنا مع كل جندي يهودي أسير نسخة من التوراة ليتبركوا بكتابهم، وكان مع كل جندي منا صورة لـ عبد الوهاب وصورة لـ عبد الحليم، وصورة لـ نجاة، كما في آخر صفحة من أهرام أول يونيو عام ١٩٦٧.

وقال أيضًا في كتابه نفسه ص ٦٣١: «وضع مجدي العمروسي مدير صوت الفن جميع الإمكانات تحت تصرف إدارة التوجيه المعنوي في القوات المسلحة، كما بدأ في طبع ٤٠ ألف صورة بوستال عليها صورة عبد الوهاب، ٤٠ ألفًا عليها صورة عبدالحليم حافظ، ٤٠ ألفًا عليها صورة نجاة الصغيرة، ٤٠ ألفًا عليها صورة شادية، على كل منها إهداء من صاحبتها سترسل من الغد إلى جنودنا الرابضين في الجبهة، وفوق هذا الخبر أغنية أم كلثوم وصور مختلفة لها في استوديو ٣٥».

وقد حاضرت جمعًا كريمًا في هذه المعاني فقام رجل فلسطيني من وجهاء أهل فلسطين، وهو الدكتور عبدالرحيم نصر الله - رحمه الله تعالى - قام عقب المحاضرة معقبًا فقال:

كنت طالبًا في جامعة القاهرة منذ سنة ١٣٨٦/ ١٩٦٦، وكنت أركب الحافلة كل صباح إلى الجامعة، ومنذ الأول من حزيران / يونيو ١٩٦٧ إلى الخامس منه كان مذيع صوت العرب أحمد سعيد يصيح بالجنود الذاهبين إلى الجبهة: اذهبوا وأم كلثوم معكم!! اذهبوا وعبد الحليم معكم!! وهكذا يكرُّ أسماء المغنين والمغنيات والممثلين والممثلات الذين قلوبهم مع الجيش!! قال: والله تعالى لا يذكر ألبتة، فلما جاء الخامس من يونيو إذا بذلك المذيع يصيح: الله معنا ولن يهزمنا!! فذهبت إلى الجامعة وناديت الطلاب فتجمعوا حولي، فقلت لهم: أبشروا بالهزيمة.

فقالوا: هل أنت مجنون: الناصرية لا تهزم أبدًا!!

فقال: من أول يونيو إلى ٥ يونيو معنا الممثلون والمغنون واليوم صار الله معنا؟! هزمنا ورب الكعبة، فكانت الهزيمة المشؤومة التي لم يسبق لها مثيل.

الناحية الدينية والاجتماعية:

وفي المقابل لهذا كله تجد أن الإسلام وأهله - منذ النكبة بل قبلها، إلى ما قبل معركة رمضان - في زاوية قصية، ودعاة الإسلام في السجون، والمسيطر على أكثر البلاد العربية والإسلامية الفكر الشيوعي والاشتراكي والماركسي واليساري، وأن الإسلام الكفيل بإنقاذ الشعوب وتحقيق النصر مُغيب عن الأمة، وأن دعاة الإسلام القادرين - بإذن الله - على قيادة الشعوب العربية والإسلامية إلى النصر أكثرهم قد أودع السجون أو منع الاتصال بالجمهور بصورة أو بأخرى.

وأما المجتمعات الإسلامية فأكثرها يفشو فيه المنكرات من ربا وزنا وخمور وسائر الموبقات، وقليل من الناس من يصلي أو يصوم، والمساجد تكاد تكون مهجورة، والتدين في الشباب قليل أو نادر، وشريعة الله - تعالى - مغيبة عن الحكم وفصل الخطاب، وذلك كله بينت كثيرًا منه في هذا الكتاب.

وإنما أردت بهذا البيان لواقع المسلمين قبل معركة رمضان أن أقول إننا لم نكن أهلاً للنصر الذي جرى في رمضان لكن الله - تعالى - أراد أن يُحدث التغيير الكبير الذي قارن المعركة وما بعدها، وأن يمضي قدره في إعزاز هذه الأمة ورفع شأنها وتفضيلها على العالمين، فكان لا بد من حدوث التغيير.

النكبة الكبرى سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧:

تلك كانت معركة ذليلة خسرنا فيها بيت المقدس وسائر فلسطين، وسيناء وهي أربعة أضعاف مساحة فلسطين!! والجولان ووادي الأردن، وكاد إخوان القردة يستولون على كل مصر لكن الله -تعالى- سلم، هذا وقد قال اللواء أركان حرب جمال الدين محفوظ -وهو ممن شارك في المعركتين: ١٣٨٧/ ١٩٦٧، ١٣٩٣/ ١٩٧٣- إن أركان الجيش اجتمعوا بعد المعركة وتساءلوا عن أسباب الهزيمة المذلة، ثم خرجوا بالنتيجة المعروفة: إنه استبعاد الدين عن الجيش، فقرروا أن ينشئوا ما سموه «الوحدة المعنوية»، وأسندوا إليها القيام على رفع الروح المعنوية للجنود؛ فقد كانت في أقل مستوياتها بعد النكبة، ولولا أن السياق سياق أمل واستبشار لأوردت قصصًا عن صنيع اليهود بالجنود المصريين الأسرى تُبكي العيون وتمزق نياط القلوب، وعمد القائمون على هذه الوحدة إلى تعليم الجنود مبادئ الإسلام والتطلع إلى الشهادة، وأدخلوا إلى الجيش مشايخ وطلبة علم ما كان لهم أن يدخلوا زمن الطاغية العبد الخاسر، وكان ممن دخل الجبهة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - وآخرون، وعُبئ الجيش تعبئة إيمانية أهلته للنصر الذي حصل في رمضان، قال اللواء شوقي محمد بدران:

« لقد تحقق نصر الله بعد سنوات طوال من الصراع مع العدو الإسرائيلي الذي كان يكسب كل جولة؛ ذلك لأننا لم نكن نحسن الصلة بالله - سبحانه وتعالى - ولم نكن نأخذ بالأسباب الحقيقية للإعداد والاستعداد الجاد لملاقاة العدو، ولكن عندما غيرنا أحوالنا كما أمرنا الحق - تبارك وتعالى - في قوله الكريم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١].

وحينما أعددنا أنفسنا عقائديًا وماديًا إعدادًا جيدًا كتب الله لنا النصر، وهذا هو الطريق الصحيح للنجاح والفوز . . .

بدأت المعركة يوم العاشر من رمضان، وأُعطي لها الاسم الرمزي «بدر» تيمنًا بمعركة بدر التي كانت فاتحة خير على المسلمين. . .

لقد قرر قادة قواتنا أهمية العقيدة والإيمان، وتولد عن هذا الإيمان العميق روح معنوية عالية تعد من أعظم الأسلحة التي في يد القائد. . .

كانت الروح المعنوية العالية لقواتنا هي السلاح الرهيب الذي أدهش العدو؛ حيث وجد رجالاً يقذفون بأنفسهم إلى الموت، ويستهينون بالنار طلبًا للنصر أو الشهادة. . .

تولد في الجنود والضباط طاقات هائلة لا يمكن وصفها أو تحديدها، فانقلب الرجل منهم يقاتل بقوة عشرة رجال في استبسال منقطع النظير. . .

إن طريق النصر هو تقوية الصلة بالله- جل جلاله- حتى يؤيدنا ويقف بجانبنا، أما القوات التي تبتعد عن الله فإنه يتركها لعدوها: قوة أمام قوة وسلاحًا في مواجهة سلاح، ويتحكم في الصراع العوامل المادية فحسب. . . إن حرب رمضان كانت نصراً من عند الله سبحانه وتعالى»[1].

- وقد أرسل لي الأخ عبدالرحمن مصطفى عبدالرحمن الأعمى المصري رسالة يذكر فيها أن شيخه الدكتور محمد السعيد أحمد كان رئيسًا للجمعيات الشرعية بالوجه البحري بمصر، وكان من المتمسكين بالسنن محاربًا للبدع، عابدًا، خيِّرًا، وكان له مسجد في المحلة الكبرى، وقد أخبره شيخه هذا أنه قد صدر أمر قيادي في الجيش المصري بتدريس سورتي الأنفال ومحمد ﷺ داخل كل وحدات الجيش المصري، ووجوب تعليم آداب الجهاد في الإسلام لأفراد الجيش.

وذكر هذا الأخ في رسالته مما يؤكد هذا شهادة رئيس أركان الجيش المصري في حرب العاشر من رمضان الفريق سعد الدين الشاذلي في شهادته على العصر في قناة الجزيرة حيث قال: «لأول مرة أستحدث طبع كتيب يُسلم لكل ضباط وجنود الجيش لتوعيتهم بأمور القتال والجهاد، ومعرفة واجباتهم، والتعامل وقت الأزمات، والتعامل مع الأسرى، وكل ما يتعلق بالحرب. . .».

---

(١) كلامه هذا نقلته من الشبكة العنكبوتية.



وهكذا كانت تعبئة الجنود قبل معركة رمضان، ولهذا -والله أعلم- حصل النصر، وهُزم اليهود لأول مرة أمام جيش نظامي مسلم في التاريخ الحديث.

إن تلك المعركة الجليلة حوت العديد من مظاهر الإيمان، منها:

- التكبير:

وهو سلاح للمسلمين لا يملكه غيرهم، وهو نداؤهم المعروف، وحداؤهم المشهور، ولم يكن لليهود عهد بالتكبير منذ مدة طويلة، وقد امتلأت بالتكبير جنبات قناة السويس، وانطلقت به حناجر الجنود في مشهد إيماني جليل، قال اللواء شوقي محمد بدران:

« ولقد كان شعار قواتنا المسلحة في حرب رمضان «الله أكبر» مدويًا في آفاق السماء، ورجالنا يهاجمون مواقع العدو فيهزهم هزًا، وقذف الله في قلوب الأعداء الرعب ففروا هاربين، وكان هذا الشعار يقوي عزيمة الرجال، ويبعث فيهم الأمل، ويعطيهم الثقة بأن العدو مهما كان كبيرًا فإن الله أكبر . . . كانت صيحاتهم المدوية «الله أكبر» تزلزل أقدام العدو، فكانت هذه الصيحة طلبًا للمدد من الحق -سبحانه وتعالى- فكتب لهم النصر وحقق الله أمنيتهم».

وذكر الفريق سعد الدين الشاذلي أنه عند وضع خطة حرب العاشر من رمضان قال للمخططين معه: إن أقصر الطرق لمواجهة اليهود وتحقيق النصر هو: «الله أكبر»، وقد تم إعدادهم على هذا النسق الإيماني حتى في التدريبات قبل الحرب بتكرار وذكر نداء الله أكبر.

- المعونة الإلهية للجنود:

شهد كثير من ضباط الجيش وجنوده من مظاهر المعونة الإلهية لهم ما يعجز عنه التعبير، ويقصر عنه الوصف، وإليكم بعض الشهادات في هذا:

اللواء الفاتح كريم قائد اللواء الثاني «مشاة مدرع» وكان في المعركة برتبة عقيد، ومهمته في حرب رمضان السيطرة على جبل المر وسط سيناء وهو جبل صعب، وقد استطاع هو ومن معه السيطرة عليه بعد معركة جليلة، لكنه في الوقت الصعب من المعركة كان



يصيح: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الله أكبر والعزة لله، والنصر لنا، سيروا على بركة الله، وكان يقول لجنوده:

«إني ذاهب لملاقاة الله - عز وجل - ومن يرد أن يلحق بي فليلحق»، وكان هذا اللواء يقول: «يحاسبني الله - عز وجل- على ما أقوله: فقد شاهدت بعيني قوات تحارب في صفنا وأعدادًا غفيرة ليست قليلة وكانت ترتدي ثيابًا بيضاء، ولست وحدي الذي شاهدهم بل كان معي جنودي وعندي الدليل على ذلك... حيث كنا نشاهد جنود العدو يتساقطون قتلى وجرحى ولا نعرف من الذي يضربهم، إنها الملائكة التي حاربت معنا كما حاربت مع نبينا ﷺ في غزوة بدر، وهو الموقف الذي تكرر بعد ذلك أثناء وجودنا في الجبل وقت الثغرة».

وقد ذكر اللواء أن اليهود حفروا آبارًا في المنطقة لكنهم لما لم يجدوا فيها ماءً ردموها، فقام الجنود بحفر كل الآبار التي ردمت فوجدوها ملأى بالماء!!.

وقد أخبرني الأستاذ أحمد جلبط المصري - وهو مسؤول البرامج الدعوية في الندوة العالمية للشباب الإسلامي في جدة وكان أحد الضباط في المعركة - قائلاً:

«في أثناء المعركة صاح بي رئيسي لأنظر إلى جهة أشار إليها، فإذا بجندي يدفع مدفعًا على تَبَّة - تل- من الرمال بمفرده، وهذا المدفع لا يقدر على دفعه على أرض مستوية إلا ثلاثة إلى أربعة من الجنود، فكيف يدفعه هذا الجندي على تلة من الرمال بمفرده؟! وكان القائد غاية في كبيرة من الدهشة».

وقال:

«كنا ندخل على الجنود وهم متحصنون خلف خط بارليف، فننزع الواحد منهم من مكانه مستسلمًا لنا غاية الاستسلام، لا يقدر على عمل شيء».

- **المكافآت الإلهية للضباط والجنود:**

في معركة رمضان كافأ الله - سبحانه وتعالى - الضباط والجنود مكافآت رائعة حيث مكنهم من النصر، وأعاد لهم جزءًا من أرضهم، ومكنهم من رقاب أعدائهم قتلاً



وأسرًا ، وكانت هناك مكافآت أخرى جليلة ، فقد حدثني الأستاذ أحمد جلبط أنه «كان مشاركًا في المعركة ضابط احتياط ، وكانوا يدفنون قتلاهم على عجل ، ويُعَلِّمون على قبورهم بعلائم تدل على بلدانهم التي جاؤوا منها ، وكانوا يدفنون اليهود في مكان قصي ، وبعد المعركة أُغلق الميدان عسكريًا لمدة تقارب خمسة أشهر ، فلما فتحت المنطقة رجع مع أهالي الشهداء لينقلوا الرفات ، فقال لي : لا أدري عدد القبور التي فُتحت وأنا واقف شاهد ، فما إن يُزِح الأهالي شيئًا من التراب إلا ويعم المكان رائحة عطرية رائعة لم نشك أبدًا أنها من الجنة ، وبعض القبور التي أزيح عنها التراب ليس فيها رائحة لكني لم أجد في أي قبر جنديًا واحدًا أو ضابطًا قد تغير ، بل كانوا كلهم كما وضعناهم ، وشاهدت إحدى الجثث التي مازال الدم ينزف منها من موضع رصاصة» الله أكبر ، هكذا يُكرم الله تعالى الضباط والجنود بحفظ أجسادهم ، ثم قال لي : «إنهم كانوا إذا فتحوا بالخطأ قبور اليهود تنبعث رائحة الجيف المنتنة تملأ المكان» .

- **وقال لي الأستاذ مأمون محمد فراج، وهو داعية مصري، خريج قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة، ومتخصص في القراءات، قال:**

«بعد مدة من انتهاء الحرب - أربعة أشهر أو أكثر - عرفت مصر كلها أنباء هذا الحقل الذي كانت فيه أجساد الشهداء ، والرائحة العجيبة التي خرجت آنذاك ، ولم يشم أحد مثلها ، وسارت هذه المقولة كالنار في الهشيم وتذكرنا عهد السلف والشهداء ، وصارت فرحة عامة في مصر ، وبلسمًا لجراح الأهالي ، وكانت هذه المنطقة في القنطرة شرق» .

- وحكى لي الأخ المصري نور الدين موسى -وهو يعمل في جدة إمامًا لمصلى في شركة تويوتا- أن خاله شارك في حرب رمضان وكان صالحًا ، وأصيب إصابة أدت به إلى شلل رباعي وأُخذ إلى مستشفى العجوزة وبقي سنة فيها ومات ، ودفن في محافظة سوهاج ، وبعد قرابة ثلاث سنين فُتح القبر ليدفنوا شخصًا آخر بجواره فوجدوه مثلما وضعوه ، الله أكبر .

هذه بعض أحداث جرت في ساحة معركة العاشر من رمضان نقلتها من مصادر موثوقة - إن شاء الله تعالى- وأنا واثق أن في جعبة الذين حضروا المعركة أحداثًا كثيرة غير هذه التي سطرتها .

الآثار المباشرة:

- **أولاً: عودة الثقة بنصر الله تعالى للمسلمين:**

بينت من قبل أن معنويات الجنود- ومن ورائهم الشعوب- كانت منخفضة للغاية بعد النكبة الكبرى سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧، لكن بعد معركة العاشر من رمضان وما جرى فيها من نصر إلهي جليل عادت الثقة إلى الجنود - ومن ورائهم الشعوب- بأننا يمكن لنا أن ننتصر على اليهود إذا استعنا بالله تعالى، قال الرئيس السادات وهو من وُصف بالرئيس المؤمن واستعان بالعوامل الإيمانية في المعركة على وجه ظاهر(١):

«كانت أهم نتائج حرب رمضان أننا قضينا على أسطورة جيش إسرائيل الذي لا يقهر، وقد أصبحت طريقة اقتحامنا لحصون بارليف موضع الدراسة والتحليل في كافة مدارس العالم العسكرية، كما أدت إلى تغيير النظريات العالمية عن الاستراتيجيات والتكتيك».

وقال أيضًا:

«لقد حققت القوات المسلحة العربية في حرب رمضان معجزة على أي مقياس عسكري، ويستطيع هذا الوطن أن يطمئن إلى أنه أصبح له درع وسيف».

وهذا اللواء محمد عبدالمنعم واصل قائد الجيش الثالث الميداني:

«هؤلاء جنودي البواسل لن يقف في وجههم مانع مهما بلغت وعورته أو حصن مهما اشتدت مناعته، فهم المنصورون بعون الله».

- **ثانيًا: تخبط اليساريين والشيوعيين وأعداء الإسلام:**

عقب الحرب وظهور الآثار لعودة الإيمان إلى الجيش وأثره الواضح في الانتصار جن جنون اليساريين والماركسيين، وانطلقت حناجرهم بمنكر من القول وزور، فقد قال أحدهم: إن هذه الحرب كانت انتصارًا للسلاح الروسي.

---

(١) لا علاقة لي بنيته الباطنة فالله تعالى هو الذي يتولى السرائر.



وقال آخر - وقد غاظه أخبار الكرامات والإيمانيات وحسن التوكل على الله تعالى-:

إن العرب شعب يعيش على الخرافات والغيبيات، هذا وقد كانوا يقولون قبل الحرب إن الشعوب العربية لا تملك من وسائل العلم والتقنية شيئًا ذا بال وعلى ذلك فهي مهزومة لا محالة، وبمثل هذه المقالة كان أولئك المتمركسون يفتون في عضد شعوب المنطقة ويخوفونها من لقاء اليهود، ثم بعد الانتصار - الذي كان للإيمان أثر فاعل فيه لا ينكر- قاموا يشنعون على من يؤمن بالخرافات والغيبيات!!

وقد غضبوا يوم قررت مصر قبل الحرب طرد الخبراء السوفيت، وأعلنوا أن مصر لا يمكن أن تدخل معركة مع اليهود بدون الدولة السوفيتية وخبرائها وأسلحتها، وكانوا يريدون من وراء ذلك إبقاء النفوذ السوفيتي في مصر لتصبح القبضة الشيوعية مسيطرة عليها وعلى من يدور في فلكها من البلاد العربية.

لكن الحقيقة التي ينبغي أن يفهمها أولئك أن الشعوب العربية اهتدت إلى الإسلام بفطرتها، وأن الجنود انطلقت حناجرهم بالتكبير الذي أعلنوا به خلاصهم من الكابوس الشيوعي الماركسي والاشتراكي الذي جثم على صدورهم طويلاً، ولله الحمد والمنة.

- ثالثًا: تضامن المسلمين في المعركة وبعدها:

إن الذي ظهر من تضامن إسلامي في المعركة أمر ينبغي ذكره بمداد الفخار، نعم إنه ليس هو التضامن الذي نرجوه وننتظره، لكن كان - على أي حال - خيرًا من موجات الإلحاد التي سادت المنطقة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي ومزقت أوصال المسلمين، وفي معركة رمضان كانت الشعوب الإسلامية كلها تتابع أخبار المعركة وتترقب النصر، وعدد من دول النفط - على رأسها المملكة - قطعت نفطها عن الغرب، وكانت بعض الحكومات الإسلامية متعاونة مع مطالب المعركة بصورة أو بأخرى، وكل ذلك جرى على وجه غير مسبوق من قبل مهما حاول بعض الناس التقليل من أثره.



أما التضامن الشعبي في مصر فأذكر هاهنا نصًا مهمًا للواء محمد سعد الدين مأمون قائد الجيش الثاني الميداني:

«لقد كانت مشاعر الأهالي المدنيين في أرض المعركة مدعاة للفخر والثناء، فبمجرد أن هدرت نيران المدفعية في الجبهة واستمع المواطنون إلى الجنود وهم يهللون بأعلى صوت: «الله أكبر الله أكبر» هب الشباب والشيوخ والأطفال ذكوراً وإناثًا يقدمون المساعدة قدر طاقتهم، ويشاركون بوجدانهم وأجسامهم في القتال المحتدم».[1] وهذا يدل بوضوح على أن الناس إذا وثقت بإسلامية المعركة ونقائها أقبلت تضحي وتبذل وتعطي على وجه جليل رائع.

وهذا التضامن الإسلامي الذي ظهرت بداياته في المعركة اشتد بعد ذلك وعظم إلى أن صار في أيامنا هذه أمرًا ذا بال، وأصبح هناك أمل بأن يعظم ويكبر بعد عودة مصر وتركيا وتونس إلى شعوبها، وبعد الأحداث الكبيرة في ليبيا واليمن وسوريا بحيث إن المتابع لما يجري يكاد يجزم أن أمر اجتماع المسلمين ضد أعدائهم إنما هو مسألة وقت - كما يقال - وإن ما يجري اليوم إنما هو تمهيد لأحداث سارة قريبة؛ إن شاء الله تعالى.

- **رابعًا: أثر المعركة على إخوان القردة اليهود:**

كان أثر المعركة النفسي على اليهود سيئًا للغاية، وانقلب الأمر عليهم بفضل الله - تعالى- من غرور مطلق كما بينت آنفًا إلى يأس وقنوط وإلى انبهار بالمقاتل المصري، وهذا الجنرال شموئيل جوتين يقول:

«كان الجيش المصري يتقدم في موجات تلو موجات، وكنا نطلق عليه النار وهو يتقدم، ونحيل ما حوله إلى جحيم وهو يتقدم، كان لون القناة قانيًا بلون الدم ورغم ذلك ظل يتقدم».

وقالت جريدة ها آرتس اليهودية:

«ظهر أمامنا جيش عربي يثق في معداته، ويتسم بثقة كبيرة في نفسه وقيادته».

---

(١) نقلته من الشبكة العنكبوتية.

وقال أحد الجنرالات الصهاينة :

«لا بد أن نشهد لجهاز التخطيط المصري بالبراعة ، لقد كانت خططهم دقيقة ، وكان تنفيذها أكثر دقة ، لقد حاولنا بكل جهدنا عرقلة عملية العبور وصدها بالقوة وردها على أعقابها ولكننا ما كدنا نتمثل ما حدث إلا وقد تحققت لهم نتائجه كأننا أغمضنا أعيننا وفتحناها فإذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة إلى شرقها ، وفاجأنا صباح يوم السابع من أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الضفة الشرقية من القناة» .

وإليكم نصًا ثمينًا لمراسل وكالة يونايتد برس انترناشيونال من تل أبيب بتاريخ ١٤ رمضان، ١٠ أكتوبر حيث قال نقلاً عن موشي ديان:

«إن خط بارليف كان مثل قطعة الجبن السويسري به من الثقوب أكثر مما به من الجبن ، ثم قال المراسل : وترتب على هذا العبث بالعقول أن انهارت سمعة ديان نفسه التي أصبح بها من الثقوب أكثر مما بها من الثقة» .

وقد قال موشي ديان نفسه إن «حرب أكتوبر كانت بمثابة زلزال تعرضت له إسرائيل ، وإن ما حدث في هذه الحرب قد أزال الغبار عن العيون ، وأظهر لنا ما لم نكن نراه قبلها ، وأدى كل ذلك إلى تغيير عقلية القادة الإسرائيليين ، إن أشد أيام إسرائيل العصيبة لم تمر بنا بعد ، وعلينا أن نظل صامدين في فترة المحنة التي ما زالت أمامنا» .

وقال وزير الدفاع الأمريكي جيمس شيلزنجر :

«أصبحت هالة دولة إسرائيل التي لا تقهر موضوع تساؤل» .

وقال مراسل لإحدى الوكالات من تل أبيب :

«أصبح الإسرائيليون من الجندي الذي يقف على خط النار إلى الوزير في الحكومة ينظرون إلى العرب نظرة مختلفة» .

وقال عالم الاجتماع الفرنسي الصهيوني ريمون آرون في مقال نشره في الفيجارو بتاريخ ٦/ ١١/ ١٩٧٣ :

«لقد كانت حرب رمضان من أكبر مفاجآت العصر».

وقالت جريدة يديعوت أحرونوت :

«إننا نحس كما لو كنا نعيش بعد زلزال أصاب بلادنا»(١).

الأثر غير المباشر للمعركة (اشتداد الصحوة):

إن معركة رمضان غنية بالعبر والعظات، مليئة بالأحداث الجسيمة، ولا يكاد ينتهي الحديث عنها، لكن هناك أمرًا جليلاً نتج عن تلك الحرب غير التاريخ الحديث كله ألا وهو اشتداد الصحوة الإسلامية المباركة عقب تلك المعركة الجليلة، فقد عانى المسلمون من هزائم عديدة يوم كانت المذاهب الوضعية هي السائدة والحاكمة، فلما اتجه المسلمون إلى إسلامهم شيئًا ما ودوت صيحات التكبير والتهليل في المعركة، ولما ازدانت المعركة بزينة الإيمان، واصطبغت بصبغة الإسلام حصل النصر، فكفر الناس بالطواغيت التي كانوا مبهورين بها، عميانًا عن غيرها، وأقبلوا على الإسلام الذي رأوه سر نصرهم وسبب مجدهم وعزهم الذي عاد إليهم شيء منه بعد المعركة، وتلك كانت بداية اشتداد أمر الصحوة التي بدأ ظهورها عقب النكبة الكبرى سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧ كما بينت في مبحث سابق.

- ومثال ثالث هو الجهاد في جنوب الفلبين، وهو جهاد سني صحوي صحيح لم تشبه شائبة الغلو والتكفير - في الجملة وفيما أعلم - وهو جهاد عظيم قام لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وإعادة البلاد لأهلها.

- ومثال رابع وهو الجهاد في السودان؛ فقد قامت دول صليبية مع دولة المسخ الصهيونية على تحريض فئام من الناس على السودانيين بعد قيام دولة على قواعد إسلامية سنة ١٤٠٩/ ١٩٨٩ فقام جهاد جليل طويل في جنوب السودان بذلت فيه أموال ونفوس في سبيل الله -تعالى- وضُربت فيه أروع الأمثلة.

---

(١) كل ذلك نقلته من الشبكة العنكبوتية.



ثم توالى الجهاد في العالم الإسلامي عقب الربيع العربي خاصة في ليبيا وسوريا، وكل ذلك بفضل الله أولاً وآخرًا ثم بفضل الصحوة الإسلامية.

تقويم هذا الباب:

قامت جماعات من المسلمين عقب الصحوة بمغامرات سمتها جهاداً في سبيل الله، وكان لمغامراتهم تلك أثر سيئ جدًا على الصحوة الإسلامية؛ إذ جلب لها عداء الحكام، والقوانين المضيِّقة، وصار كثير من عامة المسلمين يناصبون الصحوة وأهلها العداء بسبب ذلك.

وممن قام بهذه المغامرات جماعة منهم:

١- جماعة الفنية العسكرية بقيادة صالح سرية:

«يعد هذا التنظيم أول محاولة غير فردية لأفراد يعتنقون فكرة الجهاد، تهدف إلى قلب نظام الحكم القائم في مصر خلال حقبة السبعينيات. . .

أ- نشأة التنظيم وتاريخه: نشأ صالح سرية في مدينة حيفا بفلسطين، وانتمى في سنوات شبابه الأولى إلى حزب التحرير الإسلامي الذي أنشأه تقي الدين النبهاني عام ١٩٥٠.

وعاش سرية بالأردن بعد خروجه من حيفا وعاصر أحداث سبتمبر ١٩٧٠، وجاء إلى القاهرة عام ١٩٧١ وحصل منها على دكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، ثم ما لبث أن غادرها إلى بغداد، وعمل في إحدى جامعاتها، لكنه لم يلبث أن خرج منها هاربًا بعد أن حكم عليه - غيابيًا - بالسجن، وكانت تهمته تكوين خلية لحزب التحرير الإسلامي ومناهضة نظام الحكم.

ومن بغداد جاء إلى القاهرة، وفي القاهرة وجد من يدبر له عملاً في مقر جامعة الدول العربية. . . كون سرية تنظيمًا كان مشابهًا لتنظيم معلمه تقي الدين النبهاني والذي يعتمد على أعضاء يجند كل منهم على انفراد، ويعيشون حياتهم بصورة طبيعية، وقد كان معظم أعضاء التنظيم من طلبة جامعات القاهرة والإسكندرية والأزهر والفنية العسكرية، وبعد أقل من عامين على استقرار صالح سرية في القاهرة كان مستعدًا للعمل المباشر.

كانت الخطة الموضوعة تتضمن هجومًا على الكلية الفنية العسكرية، والحصول على المزيد من الأسلحة والمزيد من المتطوعين، ثم الزحف على قاعة اللجنة المركزية -حيث يلقي السادات خطابًا، وحيث يوجد كل أركان النظام- واحتلالها واغتيال الرئيس والوزراء والقادة، ثم الاستيلاء على السلطة بعد ذلك، وفشلت خطة سرية ولم يكن فشلها يكمن فقط في كونها تحركت في توقيت غير صحيح، وإنما كان يكمن أيضًا في تركيبة الحركة ذاتها وإمكاناتها، فقد كان الأفراد الذين اشتركوا فيها لا يزيدون على المائة، وكان عدد كبير منهم يتسلح بالسلاح الأبيض بالإضافة إلى الوسائل البدائية التي حاولوا بواسطتها السيطرة على الكلية الفنية العسكرية حين اقتحموها بمساعدة بعض طلبة الكلية وفي مقدمتهم كارم الأناضولي الرجل الثاني في العملية والذي أعدم فيما بعد مع صالح سرية.

ب- **مكونات الرؤية السياسية لصالح سرية:** لم تخلف الجماعة التي قادت عملية الفنية العسكرية وثائق فكرية يعتد بها كأول تنظيم موسع يقول بالجهاد المسلح في السبعينيات، إلا أن الدكتور صالح سرية خلف وثيقة فكرية هامة بعنوان (رسالة الإيمان) تشتمل على عدة أحكام بالكفر للنظام الساداتي القائم في مصر وقتذاك وعلى ما يشابهه من الأنظمة بالبلاد الإسلامية الأخرى، ويدعو إلى الجهاد المسلح ويحدد واجبات المسلم ودوره. . .»[(١)].

٢- جماعة الجهاد بقيادة عبدالسلام فرج:

تعود نشأة جماعة الجهاد الإسلامي التي أسس نواتها المهندس/ محمد عبدالسلام فرج إلى عام ١٩٧٩، وهي تعد الحلقة الثانية الهامة في حلقات جماعات الجهاد في مصر خلال حقبة السبعينيات، ولقد مثلت جماعة عبدالسلام فرج نقطة التقاء ثلاث جماعات كانت تعمل متباعدة قبل عام ١٩٨٠ وهي فضلاً عن جماعته، جماعة كرم زهدي بالوجه القبلي (الصعيد) وجماعة سالم الرحال الأردني الجنسية الذي تولى كمال السعيد حبيب قيادتها بعد هروب الرحال إلى الأردن، ومع عام ١٩٨١ تكوَّن مجلس شورى موحد لجماعة الجهاد الإسلامي سُمي بمجلس شورى التنظيم.

---

(١) «الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي»: ١١٠-١١٣ مجموعة من المؤلفين. مركز دراسات الوحدة العربية.



والذي يلاحظ فيه أن مجلس شورى التنظيم يرأسه أمير التنظيم والذي كان محمد عبدالسلام فرج، ثم ينقسم مجلس الشورى إلى ثلاث لجان:

- **اللجنة الأولى**: لجنة الدعوة ومهمتها نشر الدعوة وتجنيد أعضاء جدد، والتثقيف الفقهي والسياسي العام، وكان يرأس هذه اللجنة محمد عبدالسلام فرج بالإضافة لرئاسته للتنظيم.

- **أما اللجنة الثانية**: فهي لجنة العدة، ومهمتها وضع الخطط، وتنظيم حركة العمل وحركة التدريب وتجميع المعلومات تمهيدًا لتغيير النظام السياسي القائم، ويرأسها عبود الزمر.

- **أما اللجنة الثالثة والأخيرة**: فهي اللجنة الاقتصادية وكانت مهمتها دعم التنظيم وتوفير القوة المالية لحركته. . . »[1].

ولقد قامت جماعة الجهاد بعدد من الأعمال «الجهادية»، منها:

١- قتل الرئيس المصري محمد أنور السادات سنة ١٤٠١/ ١٩٨١.

٢- قتل عدد من رموز السياسة المصريين كرفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب.

٣- قتل عدد كبير من السياح الأجانب.

وهذه الأعمال وأمثالها جلبت سوءًا كبيرًا للمسلمين، وأظهرتهم على غير حقيقتهم، وضيقت على العمل الدعوي الإسلامي كثيرًا، وشوهت صورة الصحوة في أذهان العوام الذين يقودهم الإعلام المجرم ويسوقهم سوقًا إلى ما يريد.

ولقد قامت الجماعة بمراجعات في السجون خرج على إثرها عدد من قادتهم وقواعدهم، وعاد كثير من أفراد الجماعة إلى نهج أهل السنة والجماعة ولله الحمد والمنة.

٣- جماعة القاعدة:

وهي جماعة عُرفت باسم «قاعدة الجهاد في أفغانستان» ثم عرفت اختصارًا باسم «القاعدة»، وكانت نتيجة التقاء مجموعة من المصريين بقيادة د. أيمن الظواهري مع الأخ

---

(١) المصدر السابق.



أسامة بن لادن -رحمه الله تعالى- وأسامة نفسه كان على عَقْد صحيح، وفكر ناضج إلى حد كبير لكن أثر عليه المصريون حتى دفعوه إلى متاهة من التكفيرِ ليس له بها عهد من قبل.

وقامت القاعدة بأمور أقل ما يقال فيها إنها أساءت إلى المسلمين، ودفعت حكامهم إلى إصدار قوانين قيدوا بها كثيرًا من جوانب العمل الإسلامي، ونسبت أعمالاً إلى نفسها لا يمكن لها عقلاً ولا منطقًا القيام بها مثل إسقاط برجي أمريكا، وهذا ليس في مقدورهم، وأعظم ما يمكن أن يقال في تلك الحادثة إنهم فعلوها بتوجيه وتسهيل وفتح أبواب من قبل المخابرات الأمريكية، فإن كل من عرف علم الطيران ونظم الأمريكان يقطع باستحالة أن يقوم بتلك « الغزوة » شباب أغرار بمعزل عن كل جهة، فهذا أقرب إلى الاستحالة منه إلى الإمكان، وأقرب إلى المزاح منه إلى الجد.

وعندي أنهم لم يفعلوها، إنما شاركوا فيها مشاركة محدودة، والذي تولى كبرها هم قيادات المخابرات الأمريكية واليهودية، ولتعلمن نبأه بعد حين.

وكم أساء للمسلمين تبني القاعدة لتلك «الغزوة المضحكة» فسقطت دولتان هما العراق وأفغانستان مقابل عمارتين لا قيمة لهما، وحوصر الإسلام وأهله كما لم يحاصروا قط من قبل في التاريخ، وضُيق على المسلمين بما لا مزيد عليه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهكذا لم نر للقاعدة عملاً إلا يكاد يكون مرجوحًا، ولم نر لها تحركًا إلا كاد يكون وبالاً على المسلمين، فهم مجموعة شباب متحمسين يخططون بمعزل عن الأمة: قادتها وعلمائها وشيوخها ودعاتها ومفكريها ومثقفيها، ثم ينفذون، والمصيبة كل المصيبة أن المسلمين كافة ينالهم البلاء الأعظم من وراء تخطيطاتهم وأعمالهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فما أشبه عملهم بعمل الخوارج الذين أفسدوا طويلاً، وأوقفوا مد الفتوحات الإسلامية، وفعلوا بالأمة الأفاعيل المذكورة المشهورة.

ولقد ولدت القاعدة «قواعد»، ونشأ على تنظيمها وفكرها جماعات منها الجماعة الليبية المقاتلة، وجماعة أمراء الجبال الجزائريين، وجبهة النصرة في الشام قبل تعديل منهجها نوعًا ما، وتنظيم داعش، وليس من غرضي في هذا الكتاب التوسع في إيراد مناهج أولئك وطرائق عملهم لكني سأذكر مثالاً فقط تنظيم داعش.



٤- جماعة داعش:

وهي اختصار لـ: الدولة الإسلامية في العراق والشام، وقد نشأت في العراق ثم الشام، وكان لها آثار سيئة جدًا على مسيرة الجهاد في الدولتين، وهناك أسئلة كثيرة حول هذه الجماعة ونشأتها ولكن أصبح من المقطوع به هو التالي:

١- قاعدة هذه الجماعة تحوي آلافًا من الشباب الذين ما التحقوا بها إلا لرغبتهم في الجهاد، وقد أتوا لمبايعتها من أنحاء الأرض.

٢- وفي قاعدتها أيضًا بعض العملاء المندسين.

٣- أما قيادتها السياسية فهي غامضة مجهولة، وكذلك قيادتها العسكرية.

٤- وأما قيادتها الشرعية فتقوم على أشخاص عُرف بعضهم، وجُهل أكثرهم، وتميزوا بقلة العلم الشرعي، وحداثة التجربة، والجرأه على الدماء المعصومة.

وهذه الحالة سمحت ولاشك باختراق هذه الجماعة وتوجيهها إلى ما يرغب أعداء الملة توجيهها إليه.

وقد رأينا من قتلهم أهل الإسلام، وتركهم الطواغيت وأهل الكفر والإشراك والفساد ما يندى له الجبين، ويقود المرء قودًا إلى التساؤل عن منشئهم وصحة توجههم، وليس عندي في هذه المرحلة غير الذي ذكرته مما أنا متيقن منه، والله أعلم بهم وبما هم عليه.

وهناك مجموعات عديدة أخرى غير التي ذكرتها نهجت نهج القتال العسكري وسمته جهادًا، وهي مبثوثة في مناطق من العالم الإسلامي منها المملكة، واليمن، والصومال، وبعض مناطق إفريقيا السوداء، وليبيا (الجماعة الإسلامية المقاتلة وأنصار الشريعة)، وتونس، وأفغانستان وباكستان وإندونيسيا وغيرها، وكل أعمال تلك الجماعات - تقريبًا- كانت وما زالت مرجوحة في الميزان الشرعي، جلبت للمسلمين بلايا كثيرة، ورزايا عديدة، وكان الضرر من وجودها بينًا ظاهرًا.

●●●

المبحث الخامس

أثر الصحوة في تعليم النساء وتوعيتهن والمحافظة على دينهن وإشراكهن في الدعوة

من المعلوم أن أعداء الإسلام عمدوا إلى رمي المرأة بسهام مسمومة عديدة رغبة في إفسادها؛ لأنهم علموا أن السبل لتحطيم المجتمع يأتي على رأسها إفساد النساء زوجات وأمهات وأخوات وبنات، وأزعم أنه لعوامل كثيرة لا مجال لذكرها هاهنا أفلح الأعداء في ذلك، وساعدهم على هذا احتلالهم لأكثر أراضي المسلمين، وتعاونهم مع ضُلاّل المسلمين لإنجاح هذا العمل، وأصبحت النسوة -قبل الصحوة- على أقسام:

١- قسم معاد للإسلام وأهله، فهن في واد والإسلام في واد آخر.

٢- قسم ليس معاديًا للإسلام وأهله لكنه امتلأ عقله وقلبه بالشهوات والشبهات، فما أقرب حاله وعمله للقسم الأول، وأعداد النسوة في هذا القسم كبيرة ونسبتهن غالبة.

٣- قسم ضم النساء الواعيات الداعيات إلى الله -تعالى- الصالحات لكن أعدادهن قليلة نسبيًا.

٤- قسم من النسوة لا يستهان بعددهن محافظات مستقيمات، لكنهن غير واعيات بالخطر الذي يتهددهن، وهن على الفطرة أو قريبًا منها، لا يؤْثر عنهن فساد ولم يعرفن الشبهات ولا الأهواء.

هذا كان حال النسوة إلى مجيء الصحوة، فلما عمت الصحوة بخيرها المجتمعات الإسلامية تراجع القسم الأول كثيرًا، وفقد كثيرًا من مناصبه وتأثيره لكن لم يَزُل بالكلية بل بقي يخطط ويأمل.

وأما القسم الثاني فتراجع عدده أيضًا حتى لم يعد هو العدد الأكبر، بفضل الله تعالى ومَنّه.



وأما القسم الثالث فتعاظم فيه عدد النسوة وكثر كثرة لافتة للنظر، وعم كل البلاد العربية والإسلامية بفضل الله ومنه.

وأما القسم الرابع فتراجع فيه عدد النسوة لكنه لا يزال كبيرًا، وهذا القسم موجود بكثرة في الجزيرة العربية ومناطق من بلاد العجم مثل أفغانستان والهند ومناطق من إفريقيا.

ولا بد أن يقال إن الصحوة وجهت جهدها وعملها إلى الأقسام الأربعة كلها، وأفلحت فلاحًا كبيرًا في الحد من أعمال العداء الموجهة من القسم الأول، وفي توعية وحماية وارتقاء الأقسام الثلاثة الأخرى، وتلك الجهود الجليلة أثمرت التالي:

١- إنشاء المؤسسات النسائية المختلفة:

أنشئت في كثير من بلاد العالم الإسلامي وغيره مئات المؤسسات النسوية الإسلامية التي تُعنى بالمرأة من جميع الجوانب الاجتماعية والإعلامية والسياسية وغيرها، وتقوم عليها نسوة صالحات داعيات جيدات الوعي والفهم غالبًا.

٢- تنحية كثير من الفاسدات عن مواقع التأثير:

أفلحت الصحوة في تنحية كثير من النسوة الفاسدات سلوكيًا أو عقديًا أو فكريًا عن كثير من مواقع المسؤولية النسوية في المؤسسات والهيئات العامة والخاصة، بفضل الله تعالى، وحلت مكانهن نسوة صالحات داعيات فاهمات واعيات في الجملة.

٣- وجود نسوة صالحات مثقفات تولين الرد على المفسدين، وألّفن كتبًا وألقين محاضرات، وسعين إلى تقليص الفساد الفكري والسلوكي النسوي ومحاصرته في أطر ضيقة، وقد كان هذا المجال محصورًا في الرجال فيما مضى وقلما توجد امرأة تفهم دينها وتدفع عنه على هذا النحو الذي وجد بعد ذلك.

وبرزت نسوة داعيات إلى الله تعالى تولين قيادة المجتمع النسوي إلى الصلاح والرشد والهداية.

٤- استطاعت بعض النسوة دخول البرلمانات العلمانية وتولين الدفاع عن الإسلام ورفع رايته ودحض النسوة المفسدات ومشاريعهن التي كُن ينشرنها في البرلمان بلا رادع ولا حياء.

وأمر مشاركة النسوة في البرلمانات ومجالس الشعب اختلفت الأنظار فيه، وتُكلم فيه حلاً وحرمة، وأنا - هنا - لا أتحدث عن الحكم الشرعي الذي أميل إليه وهو بقاء المرأة خَارج تلك المجالس المختلطة، لكني أقول إن وجودها قد يكون مهماً في بعض البلاد الإسلامية، وتلك ضرورة تقدر بقدرها لا يتوسع فيها ولا يقاس عليها، ويقدرها علماء المسلمين الثقات مع دعاتهم في كل بلد، وإنما قلت هذا حتى لا تنفرد النساء المفسدات بتمثيل النساء المسلمات في بعض البلاد العربية والإسلامية، والله أعلم، وحادثة النائبة التركية مروة القاوقجي التي طردت من البرلمان وجردت من جنسيتها بسبب حجابها مثال صالح هاهنا.

٥- ظهرت أنشطة نسائية جيدة تهتم بالبنات المراهقات والبنات والنساء لم تكن ظاهرة من قبل مثل المراكز الصيفية والدائمة، والمهرجانات، والأسواق الخيرية، والمعروضات الخيرية والإغاثية، والأسواق التي تعرض المنتجات التربوية، وغير ذلك من الأنشطة التي كان لها أثر واسع في نشر الخير والهدى والتقى والصلاح.

٦- ظهور الحجاب بعد غياب طويل في أكثر البلاد العربية والإسلامية: لأسباب عديدة تضاءل وجود الحجاب في شوارع أغلب المدن الكبرى قبل الصحوة حتى أن المرء كان يسير في شوارع القاهرة والإسكندرية وبغداد والدار البيضاء وتونس ولا يرى فتاة واحدة ولا امرأة تلبس الحجاب الشرعي!! ثم عقب بداية الصحوة بدأ الحجاب ينتشر إلى أن أصبح الحجاب هو الأصل- ولله الحمد والمنة - في الشارع العربي والإسلامي، على خلل لحقه بعد ذلك، وسأوضحه -إن شاء الله تعالى- بعد قليل، وإليكم بعض الحوادث في هذا الباب:

- حدثني الوزير الفاضل مصطفى الرميد، وزير العدل المغربي الآن، والداعية الفاضل أبو زيد المقرئ الإدريسي عضو البرلمان المغربيّ، حدثاني أنهما كانا طالبين في الجامعة في الرباط سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥، وكان اليسار آنذاك هو المسيطر على ساحة الجامعات المغربية، وأن الجامعات كانت تخلو تماماً من الحجاب، وحدثاني كيف كانت المعارك



تحتدم بين طلاب الصحوة وطلاب اليسار، وكيف حاول طلاب اليسار أن يئدوا المحاولات الأولى للحجاب التي ابتدأت تلك المدة، لكن نور الله انتشر ورغمت أنوفهم.

- وحدثني الشاعر الفلسطيني الحماسي العالم الشرعي الدكتور عبدالرحمن بارود - رحمه الله تعالى - أنه درس في مصر في ثمانينيات القرن الماضي الهجري / الستينيات الميلادي، وكان يرغب في الاقتران بأي امرأة تقبل أن تضع غطاء على رأسها إذا نزل الشارع معها!! وقال لي: لم أجد إلا بصعوبة!!

- ولقد كان في جامعة القاهرة سنة ١٣٨٦/ ١٩٦٦ عشرون ألف فتاة ليس بينهن واحدة محجبة!! اللهم إلا فتاة أبوها من الإخوان المسجونين في سجن الطاغية الخاسر فكانت تضع شيئًا على رأسها يمكن أن يُعد أنه غطاء للرأس!!.

- ولقد حدثني شيخي الفاضل عبدالستار فتح الله سعيد المصري - متعنا الله به وبعلمه - أن تلك الفتاة دخلت قاعة المحاضرات وكان يحاضر فيها وقت دخولها أستاذ مصري فاضل ومصلٍ لكنه ما إن رآها حتى نهرها وأمرها بنزع ذلك الغطاء، وقد أخبرني شيخي أن ذلك كان بسبب الخوف عليها.

- وحدثني شيخي أيضًا أن بنت الشاطئ عائشة بنت عبدالرحمن المؤلفة المصرية الشهيرة دخلت قاعة الأزهر لمحاضرة تريد إلقاءها وشعرها مكشوف!! فقام أحد المشايخ ووضع «شاله» على رأسها فنزعته بغضب ورمته على الأرض وأكملت المحاضرة!!

- وحدثني أحد إخواني الثقات ممن درس في الإسكندرية في جامعتها أنه كان طالبًا فيها سنة ١٣٩٢/ ١٩٧٢، وكان فيها آلاف الفتيات لكن لم تكن فيهن محجبة!!

- وإليكم هذه القصة الرائعة التي أخبرني بها شيخ إسكندري فاضل جدًا طلب مني عدم ذكر اسمه، فقال في محضر من طلبته وكنت حاضرًا معهم:

أول امرأة تحجبت في الإسكندرية!! اسمها حياة محمود حلمي، تحجبت في ١/ أغسطس/ سنة ١٩٦٨/ ١٣٨٨هـ، وكان زوجها ناصريًا ويعمل في الاتحاد الاشتراكي

في منصب عال، ثم بعد هزيمة النكبة سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧ هداه الله تعالى وطلب من زوجه أن تتحجب فصَعب عليها الأمر لكنها استجابت، فكانا يركبان الحافلة من الإسكندرية إلى كفر الدوار يوميًا فكان منظرهما عجيبًا، فهو ملتحٍ وامرأته محجبة وكان ذلك منظرًا غير معهود في الإسكندرية!!

وكانت الفتيات آنذاك يلبسن الميكروجيب فإذا جلسن في الحافلات «الأوتوبيسات» ظهرت سراويلهن الداخلية!! واستمرت المرأة ما بقي من تلك السنة والسنة التي تليها تتحمل الضحك والاستهزاء واللوم والسخرية حتى تبعتها امرأة من صويحباتها، ثم زوجة الشيخ جمعة أمين، حتى بدأ الحجاب ينتشر رويدًا شيئًا بعد شيء إلى أن تسلل!! إلى الجامعات بعد ذلك بمدة وكان ذلك سنة ١٣٩٠/ ١٩٧٠ بتحجب طالبة واحدة في كلية الهندسة في جامعة الإسكندرية واسمها عزيزة التي أصبحت بعد ذلك زوجًا للداعية الشيخ محمد أحمد إسماعيل المقدم، ثم تحجبت امرأة رابعة وهي زينب محمد وتزوجها كمال الهلباوي، وتحجبت خامسة وتزوجها الأستاذ أحمد فريد.

حدثنا الأستاذ بهذه القصة ودموعه تنهمر؛ وذلك لأن تلك المرأة كانت زوجه.

- ولقد حدثني الشيخ العالم الدكتور عمر الأشقر في ٢١/ رجب سنة ١٤٢٩/ ٢٠٠٩ أنه تزوج في عمان سنة ١٣٨٠/ ١٩٦٠، وكانت زوجه محجبة، فقال: مشينا من المسجد الحسيني إلى المهاجرين، فكنا فُرْجةً «أي منظرًا عجيبًا يُنظر إليه» للناس، حتى طلبت منه أن يركبا سيارة أجرة تخلصًا من الحرج!! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأخبرني الشهيد بإذن الله نزار ريان قبيل وفاته بقليل - وكان قد جاء إلى جدة للعمرة - أنه إلى سنة ١٣٩٦/ ١٩٧٦ لم يكن هناك في غزة أي طالبة تلبس حجابًا شرعيًا، ثم إنه في تلك السنة وزع على الطالبات ستين حجابًا فانتشر بعد ذلك الحجاب.

- وقال رحمه الله تعالى:

كانت الطالبات يلبسن «تنورات» فوق الركبة، والطلاب يلبسون سراويل قصيرة، ويعملون معًا تشكيلات هرمية!!

- وأخبرني الشيخ نشأت أحمد، المصري المعروف، بتاريخ ٨/ ٤/ ١٤٣٤-١٨/ ٢/ ٢٠١٣



أنه في الثمانينيات الهجرية/ الستينيات الميلادية لم تكن في مصر امرأة محجبة!![1].
ويعني بمصر: القاهرة.

- وأخبرني الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في بيتي، ولم أره قط من قبل ولا من بعد أنه صدم صدمة بالغة لما ذهب إلى القاهرة، ومما أخبرني به مما له علاقة بهذا المبحث أنه رأى شيخه في الأصول بجبته الأزهرية يمشي في شارع وسط القاهرة وهو يتأبط ذراع زوجه الحاسرة عن شعرها وعنقها وساقيها وذراعيها ونحرها!! فاستحى الشيخ عبدالفتاح منه أن يراه وهو على حالته تلك، فما كان منه إلا أن انتقل إلى الرصيف المقابل حتى لا يحرج شيخه!!
- وأخبرني أنه دق الباب على عالم مشهور - وذكر لي اسمه لكنه طلب مني ألا أذكره لأحد- فخرجت ابنته كاشفة عن شعرها وساقيها ونحرها وذراعيها وقالت: أبي غير موجود فتفضل!! لكنه سارع هاربًا، جزاه الله خيراً.
- وأخبرني الشيخ الفاضل عبدالله العقيل في ٢٢ رجب ١٤٢٩/ ٢٠٠٩ أنه في سنة ١٣٨٦/ ١٩٦٦ لم يكن في جامعة الكويت من المحجبات إلا ست أو سبع!! وهذا غريب على أهل الجزيرة العربية.
- وأخبرني أيضًا أنه قد استمر الحال كذلك إلى سنة ١٣٨٩/ ١٩٦٩، وكانت البنات البحرينيات في جامعة الكويت يلبسن الميكروجيب!! وهو لباس قصير جداً يظهر الملابس الداخلية!!
- وقد أخبرني الأستاذ علي بلهوان؛ مدير المدرسة القرآنية بجمعية قصر الطايع بتونس، أخبرني أن الدكتورة هند شلبي -وهي أستاذة محققة- كانت أول فتاة ترتدي الحجاب الشرعي، وابتدأ انتشار الحجاب بها، جزاها الله تعالى خيراً، وكان ذلك في سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م أو التي بعدها.
- وذكر الأستاذ كمال الهلباوي في الحلقة الثانية من مراجعاته في قناة «الحوار» اللندنية أنه كان طالبًا في الجامعة في مصر سنة ١٣٧٦/ ١٩٥٦-١٣٨٠/ ١٩٦٠ ولم يكن في الجامعة فتاة محجبة إلا فتاة أبوها شيخ وأستاذ في الجامعة فكانت تلبس شيئًا على رأسها مثل «الإيشارب» وهو غطاء لا يستر كل الرأس.

---

(١) في مصر أي القاهرة، وذلك تعبير سائد في المصريين إلى اليوم.

- وأخبرني الطبيب العالم محمد علي البار أنه درس الطب في القاهرة من سنة ١٣٧٨/ ١٩٥٨-١٣٨٥/ ١٩٦٥ فلم يكن في كلية الطب طوال تلك السنوات أي طالبة محجبة، بل كانت الطالبات يلبسن لباسًا فوق الركبة وبلا أكمام!!

- وأخبرني، حفظه الله تعالى، أن فتاة حضرت محاضرة لأستاذ اسمه مصطفى الديواني - وكان من المصلين - فدخلت وعلى رأسها «إيشارب» وتلبس لباسًا فوق الركبة، فعنفها وأمرها بنزع «الإيشارب»!! وأخبرني أنه قيل إن ذلك كان خوفًا عليها لأنه كان زمن الطغيان والخوف في مصر[1].

- وأخبرني أن كثيرًا من زوجات المشايخ لم يكن محجبات بل كن يلبسن لباسًا محتشمًا!!

- وأخبرني د. زهير محمود، العراقي، رئيس الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية ببلدة شاتو شينو في فرنسا، أخبرني أنه عاش في الموصل إلى سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥ وكانت نسبة البنات المحجبات ٥٪ أو أقل!!، أما بغداد فقد كانت أقل من الموصل بكثير!! وقد فشا الحجاب بعد سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥.

- وأخبرني أنه كان يدرس في جامعة الموصل من سنة ١٣٩٠/ ١٩٧٠ إلى سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥ ولم يكن هناك طالبة محجبة!! وأول طالبة رآها تلبس العباءة في الجامعة سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥.

- **وقال الدكتور يوسف القرضاوي:**

«ولازلت أذكر كيف مضت علينا سنوات عجاف في كثير من البلاد العربية والإسلامية كان المرء يمشي في عواصمها، فلا يكاد يرى امرأة محجبة إلا على سبيل الندرة أو الشذوذ، حتى المرأة العجوز التي أكل الدهر عليها وشرب لم تكن تستحي أن تسير في الطرقات بما يسمونه الجابونيز أو الميني أو الميكرو أو غيرها من بدع الأزياء المستوردة التي يصممها لنسائنا في الغرب اليهود وتلامذة اليهود»[2].

---

(١) هذه القصة ذكرها لي الشيخ عبد الستار سعيد -حفظه الله تعالى- وقد ذكرتها قبل قليل لكن بدون أسماء، وفي هذه تفاصيل لم تذكر هنالك.

(٢) «الصحوة الإسلامية»: ٢١.



وفي الجزائر قَلّ عدد المحجبات وتضاءل وإليكم هذه النصوص المهمة التي توضح عمل المستخرب الفرنسي وأذنابه من الجزائريين لتشجيع المرأة على خلع حجابها:

يقول الاستاذ الجزائري: محمد سليم قلالة في كتابه «التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد» (ص ١٣٣-١٣٧):

(حدث هذا في مثل هذا الشهر من سنة ١٩٥٨: يوم الإثنين ٢٧ مايو)..

«سيداتي سادتي أيتها المرأة، اعلمي أن الوقت قد حان لتلعبي دورك في تاريخ الجزائر الجديدة... أيتها الفرنسية[1] اعلمي أنك شريكة الرجل في الحياة، وفي المجتمع الإنساني، أنك تقاسمينه الآلام والأفراح، سعادته وتعاسته.

لقد أقامت الديانة الإسلامية العدالة بينك وبين الرجل، هو أخوك في التكاليف والعلاقات الإنسانية، يقول الله: «للنساء نفس الحقوق ونفس الواجبات». اعلمي يا أختي العزيزة أنك لست سلعة تشترى وتباع، إنك سيدة بيتك وسيدة في الشارع وفي تربية الأجيال، إنك سيدة بالرغم من الذين ينازعونك مكانتك، حطمي أغلالك بمطارق من حديد.

إن هذا الحجاب الخيالي الزائد لا علاقة له بالإسلام، إن العفة والأخلاق الحسنة ليست أبدًا خلف هذا الحجاب الشفاف والمخادع، إن أفضل حجاب هو الصفات الدينية والخلقية الحسنة، إننا نريد يا أختنا العزيزة أن تثوري بشدة ضد مبادئ عصور مضت في إطار الدين، وتشاركي الرجل في الوجود.

وأنتم أيها الرجال اعلموا أن تجديدكم لا يمكن أن يتم إلا إذا ارتكز على المرأة، ساعدوا أنفسكم لإقامة مجتمع مزدهر، إن وراءكم فرنسا تحميكم بديمقراطيتها ومثلها العليا وتساعدكم على بلوغ أهدافكم».

إلى هنا ينتهي قول إمام مسجد[2] سيدي الكتاني آنذاك في مدينة الشيخ ابن باديس أمام نحو ١٠٠ ألف شخص بحضور سوستيل وسالان. (الجنرالان الفرنسيان!).

---

(١) خاطبوها بأنها فرنسية لأن فرنسا كانت تعد الجزائر قسمًا جنوبيًا منها فعلى ذلك ينبغي أن يكون كل من فيها فرنسيًا.
(٢) تخيلوا أن الكلام السابق يقوله إمام مسجد!!.



وبعد قليل تصعد فتاة جزائرية مسلمة إلى الميكروفون لتقول: «لقد سمعنا صوتًا من أكثر الأصوات المأذونة في الإسلام يدعو إلى التجديد الذي يجب أن نحمله في تحررنا الغالي، لا ندع الفرصة تضيع، إنها الفرصة الوحيدة التي تُمنح لنا للسير في طريق التحرير الكامل والمطلق، أرجوكن أن تقمن بعمل رمزي يكون دليلاً على بداية وجودنا الجديد وعلاقتنا الأخوية الكاملة تجاه أخواتنا من جميع الديانات في وطننا المشترك فرنسا، أطلب منكن أن تفعلن مثلي».

وفي حركة رائعة (يقول المعلق) نزعت الآنسة بنت الباشا آغا حائكها الأبيض ثم حجابها، ورمت الكل من الشرفة وسط دوي من التصفيق والصياح:

هورا!! هورا!! برافو!! برافو!!

وتتبعها فتيات أخريات.. تنزعن أحجبتهن وتطلقن الصيحات المدويات وسط دوي آخر من الصياح: هورا! هورا! برافو! برافو!

ويبدأ فصل جديد في سياسة الاستعمار الثقافي لبلادنا... وفي مدينة الشيخ ابن باديس.

وفي الساعة السادسة مساء من يوم الثلاثاء ٢٠ ماي ١٩٥٨ حدث نفس الشيء أيضًا في مدينة وهران بمسرح الاخضرار؛ حيث تجمع أكثر من ٥٠ ألف شخص.. ألقيت الكلمات من طرف السلطات المحلية يتقدمهم الجنرال ماسو، وعُلقت اللافتات ثلاثية اللون وقد كتب عليها: «الجزائر فرنسية، شعب واحد، قلب واحد»، «ديغول في السلطة».. وبعد ذلك فسح المجال للأهم:

توالت على المنصة فتيات مسلمات في عمر الزهور، بلباس أوروبي؛ ليطلبن من أخواتهن التخلي عن أحجبتهن التي تمنعهنَّ من تحرير شخصياتهن.

وفي حماس فياض - يقول المعلق الصحفي - تقوم النساء الموجودات بين صفوف الجماهير وأغلبهن ربات بيوت بنزع أحجبتهن ودوسها بالأقدام في الوقت الذي ارتفعت فيه صيحات عديدة: تحيا الجزائر الفرنسية، وتبعها دوي من التصفيق الحار.



ويستمع الجميع ويرددون (لا مارسايز) النشيد الوطني الفرنسي ثم ينتشرون في شوارع وساحات المدينة يلعبون ويمرحون و . . . إلخ.

وفي الجزائر العاصمة، وهي مركز كل شيء: بدأ المهرجان الشعبي يوم ١٣ ماي يوم استولى العسكريون على السلطة في الجزائر، وأعلنوا لجنة الخلاص العام وطالبوا بصعود ديغول للحكم، ابتداء من هذا التاريخ انتظم مهرجان وطني بالعاصمة الجزائرية؛ لمساندة لجنة الخلاص الوطني، وقبل ذلك لوضع اللبنة الأولى للاستعمار الثقافي الجديد.

كان اللقاء يتم بأهم ساحات المدينة: (ساحة الشهداء والأمير عبدالقادر حاليًا) وكان جنرالات فرنسا في كل يوم يلقون الكلمات والخطب أمام التجمعات العامة، وفي كل يوم كان يزداد العدد ويزداد المرح واللهو ويندمج الجميع في ظل النشوة العارمة ويتحدون في الرقص والغناء والطرب، في الوقت الذي كانت الجبهة[1] توحد نساء ورجالاً آخرين في ميدان المعركة حيث الدم والدموع.

في ظل هذه النشوة قامت نساء جزائريات بالحركة المشهورة التي سُموا على أثرها بنساء ١٣ ماي: لقد قمن بإحراق أحجبتهن أمام الجميع تعبيرًا عن رفضهن للمجتمع الجزائري المسلم، واندماجهن في المجتمع الفرنسي الغربي.

وروجت الصحافة الفرنسية الخبر، ونشرت صور النساء وهن يحرقن جلابيبهن، وعلقت إحدى هذه الصحف (درنيار أور): (آخر ساعة) على صورتين نشرتهما على نصف صفحتها الأولى يوم الإثنين ١٩ ماي ١٩٥٨ «أمامكم وثيقتان نادرتان تنفرد (آخر ساعة) بنشرهما»، «لقد نزعت أمس في المهرجان مجموعة من الشابات الجزائريات المسلمات أحجبتهن وأحرقنها، إنه عمل يؤكد رغبة المرأة المسلمة في التفتح على فرنسا، وبعد هذا العمل العظيم هل يبقى في فرنسا من يرفض سياسة الإدماج؟ ستتجمع النساء الجزائريات اليوم، وستكون هذه التظاهرة الفريدة من نوعها حدثًا بارزًا في هذه الأيام التاريخية التي تعرفها الجزائر، إن وجوه النساء الشابات التي يمكن لقرائنا رؤيتها هي عنوان مستقبل الجزائر».

---

(١) أي جبهة التحرير الجزائرية التي كانت ثائرة آنذاك في وجه فرنسا المغتصبة.

ويحدث التجمع الذي تكلمت عنه الصحيفة بحضور سوستيل والجنرال سالان وتواصل الفتيات الجزائريات نفس العمل وسط دوي من الصياح هورا.. هورا.. برافو! برافو!

وإليكم ما صنعته فرنسا في الجزائر لإجبار النسوة على خلع حجابهن، وإجبار أزواجهن على القبول بذلك:

في كتاب باسم «أشباح فانون: نتغير ونحن نغير العالم»[1] جاء فيه مايلي ملخصًا من قبل د. ثائر دوري:

اعتمد هذا الكتاب على منهجية وصفية للمجتمع الجزائري ليتبصر المرء ماذا حل بالمجتمع الجزائري خلال خمس سنوات من الثورة بين عامي ١٩٥٤ و١٩٥٩. وما هي التغيرات التي طرأت على بنيته بفعل الثورة، لقد رصد الكاتب أغلب جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية في هذا المجتمع قبل وبعد اندلاع الثورة وبيّن حجم التغيرات داخل الأسرة والقرية، كما درس تبدل الموقف من الحجاب، ومن المرأة، ومن التقنية الحديثة، ومن اللغة الفرنسية... إلخ.

قسم المؤلف الكتاب إلى قسمين غير متساويين حجمًا، القسم الأول وهو الأكبر خصصه لعالم المستعمر (بفتح الميم)، و الثاني الأصغر خصصه لعالم المستعمر (بكسره) إن عدم التساوي بالحجم هو منطقي تمامًا فالفعل الثوري غيّر جذريًا عالم المستعمرين (بفتح الميم) في حين أنه فقط نزع الطمأنينة من عالم المستعمرين (بالكسر)، فكتب أربعة فصول تعالج التبدلات التي طرأت على المجتمع الجزائري بفعل الثورة التي أعادت إنتاجه من جديد وضخت به حيوية ودماء جديدة، وأما الفصل الخامس فخص به الأقلية الأوربية في الجزائر.

في الفصل الأول من الكتاب عنوانه «الجزائر تلقي الحجاب» يسرد فانون قصة الحجاب في الجزائر، قصة الحجاب في الجزائر بدأت عام ١٩٣٠- ١٩٣٥ وذلك لتحطيم أصالة الشعب الجزائري، يقول:

---

(١) صدر عن دار الطليعة سنة ١٣٩٠/ ١٩٧٠ باسم «سوسيولوجيا الثورة» ثم صدر بعد ذلك باسم «أشباح فانون: نتغير ونحن نغير العالم» مترجمًا إلى العربية وطبعته دار الفارابي.



«ذلك أن المسـؤولين عن الإدارة الفرنسية في الجزائر، وقد أوكل إليهم تحطيم أصالة الشعب مهما كان الثمن، وزُودوا بالسلطات لممارسة تفتيت أشكال الوجود المؤهلة لإبراز حقيقة وطنية من قريب أو من بعيد، سوف يعملون على بذل أقصى مجهوداتهم ضد ارتداء الحجاب على اعتباره في الحالة الراهنة رمزًا لتمثال المرأة الجزائرية، ولم يكن موقفًا كهذا نتيجة لحدس طارئ إلا أن الأخصائيين في المسائل التي تدعى مسائل السكان الأصليين والمسؤولين في الدوائر المختصة بالعرب قد نسقوا أعمالهم بالاستناد على تحليلات علماء الاجتماع إلى الصيغة المشهورة: «لنعمل على أن تكون النساء معنا وسائر الشعب سوف يتبع»».

ويتابع:

واستطاعت الإدارة الاستعمارية تعريف نظرية سياسية محددة، قائلة: «إذا أردنا أن نضرب المجتمع الجزائري في صميم تلاحم أجزائه، وفي خواص مقاومته، فيجب علينا قبل كل شيء اكتساب النساء، ويجب علينا السعي للبحث عنهن خلف الحجاب حيث يتوارين، وفي المنازل حيث يخفيهن الرجل».

ويشرح فانون كيف بدأت الحملة على الرجل الجزائري لإشعاره بالمهانة لأنه يسجن النساء ويضطهدهن، ويبدأ الحصار الفرنسي للنساء بالنساء الفقيرات الجائعات، فالجمعيات النسائية توزع الدقيق والسخط على الحريم والحجاب، وبعدها يأتي دور النصائح العلمية ويصار إلى حث النساء على التمرد ورفض التبعية للرجل وعلى نزع الحجاب.

ويحاصر الرجل أيضًا في العمل فيصبح موضع انتقاد زملائه الأوروبيين وموضع انتقاد رؤسائه في العمل ويصبح توجيه أسئلة من نوع: «هل زوجتك سافرة؟ لم لا تصطحب زوجتك إلى السينما وألعاب الكرة و المقهى؟».

ويتابع فانون أن الأوروبيين يتبعون أساليب «السيو» في محاصرة الرجل الجزائري، وهكذا فإن المدير يدعو الموظف الجزائريَ وزوجته بمناسبة أحد الأعياد كعيد الميلاد أو رأس السنة أو ببساطة في مناسبة خاصة بأعضاء الدائرة ولا تكون الدعوة جماعية، وإنما يُطلب كل جزائري إلى مكتب الإدارة ويدعى بالاسم للمجيء بصحبة «عائلته الصغيرة» وباعتبار

أن الدائرة هي أسرة كبيرة فلسوف ينظر نظرة سيئة إلى الذين يحضرون بدون زوجاتهم، إنكم تفهمون أليس كذلك؟

ويعاني الجزائري أمام هذا الإنذار الرسمي للقيام بالواجب لحظات صعبة في بعض الأحيان، فإن المجيء بصحبة زوجته معناه الاعتراف باندحاره وهذا معناه، «تعريض زوجته للمهانة» والعمل على عرضها للأنظار والتخلي عن كيفية المقاومة، ويكون الحضور لوحده على العكس امتناعًا عن إرضاء رب العمل وهذا ما يجعل البطالة ممكنة.

إن دراسة أية حالة تؤخذ بالصدفة ودراسة نمو الكمائن التي ينصبها الأوروبي بقصد حصر الجزائري لكي يتميز ويعلن: «زوجتي محجبة ولن تخرج» أو لكي يتخاذل ولسان حاله يقول: «بما أنكم تريدون رؤيتها، فها هي ذي» . . .

لقد أصبحت المرأة محورية في برنامج التدمير الثقافي الذي سنه المستعمر (بكسر الميم) فهي التي ستحول الرجل بعد أن يتمكن من كسبها إلى جانب القيم الغربية، وهي التي ستكون المعول الذي سيفتت الثقافة الجزائرية، يقول فانون عام ١٩٥٩، أي بعد أربع سنوات من بداية الثورة الجزائرية:

إن الحلم بعملية ترويض شاملة للمجتمع الجزائري تجري بمعونة «النساء السافرات المعاونات لرجل الاحتلال» لم ينفك حتى يومنا هذا يراود عقول المسؤولين السياسيين عن عملية الاستعمار.

وقد وصلت جدية البرنامج الاستعماري حول موضوع الحجاب أن تدخل الجنرال ديغول بالأمر وذلك عام ١٩٥٨ في قسنطينة كما يتدخل جاك شيراك اليوم في باريس.

ففي تجمع في قسنطينة لاستقبال الجنرال ديغول في أكتوبر ١٩٥٨ طلبت السلطات الفرنسية من بنت أحد الموظفين في إدارتها أن ترتدي الحجاب وتقف في صفوف المشاهدين الجزائريين؛ حتى إذا صدر أمر التخلص من الحجاب من قبل ديغول ترمي هي بحجابها على أنه استجابة للطلب الفرنسي، وهذه البنت معروفة في قسنطينة ولم تكن قد ارتدت الحجاب في حياتها أصلاً قبل ذلك اليوم، وتجدر الإشارة إلى أن عددًا كبيرًا من الفتيات



الجزائريات كن سافرات آنئذ . . . وأن عددهن كان في تزايد، لكن طريقة نزع الحجاب هذه جعلت عدداً من السافرات يرجعن إلى الحجاب حتى لا يتصور الناس أن سفورهن استجابة لطلب الزعيم الفرنسي» (الجزائر في سنوات التسعينيات - بنيامين سنورا - وجهات نظر العدد ٢٦ يناير ٢٠٠٢).

يقول فانون:

« . . . كل حجاب منزوع يكشف للمستعمرين آفاقًا كانت ممنوعة حتى ذلك الحين، يبرز لهم قطعة فقطعة الجسد الجزائري المعرى، وبعد سفور كل وجه تظهر روح المحتل العدائية وبالتالي آماله، مضاعفة عشرات المرات، وتعلن كل امرأة جزائرية جديدة سافرة إلى المحتل عن مجتمع جزائري تأذن نظمه الدفاعية بالتفسخ، وأنه مجتمع مفتوح وممهد، وكل حجاب يسقط وكل جسم يتحرر من وثاق الحايك التقليدي وكل وجه يبرز لنظر المحتل الوقح الجزع يكشف على نحو سلبي بأن الجزائر قد بدأت بالتنكر لنفسها وتقبل بهتك سترها من قبل المستعمر (بالكسر).

ويبدو للمجتمع الجزائري مع كل حجاب مهجور، أنه يرضى بوضع نفسه في مدرسة السيد وأنه يقرر تغيير عاداته، تحت إدارة وإشراف الاستعمار».

فإذا كان المستعمر ينظر إلى نزع حجاب المرأة الجزائرية على أنه وسيلة لهتك القيم الحضارية والثقافية للمجتمع الجزائري، ويبني استراتيجية الغزو والهيمنة والإلحاق على هذا الأمر فمن المنطقي أن ينظر الشعب الجزائري إلى التمسك بالحجاب على أنه وسيلة من وسائل المقاومة للحفاظ على الشخصية الحضارية ولمقاومة التذويب في الثقافة الفرنسية، وبالتالي مقاومة التلاشي حضاريًا وسياسيًا كما يريد له المستعمر (بكسر الميم) . . .

«ونتيجة لمجمل السياسة الاستعمارية نمت عادة التعلق بالحجاب، وصار من المحرمات التي لا يجوز المساس بها، بل ازداد عدد المحجبات؛ لكن مع اندلاع الثورة الجزائرية تبدل الموقف من الحجاب جذريًا فلم يعد له طابع التابو[1]، بل حلت نظرة لها طابع براغماتي[2]

---

(١) أي طابع التحريم.

(٢) أي عملي واقعي.



خاصة بعد انخراط المرأة في جبهة التحرير، وقيامها بمهام نضالية كالرجل، وبعد أن أصبحت تسير سافرة في المدينة الأوروبية كي لا تلفت الانتباه بحجابها وهي تنقل الرسائل الشفهية للمناضلين، أو عندما تكون كشافة للطريق، أو عندما تكون حقيبتها محشوة بالقنابل والمسدسات التي ستسلمها لمناضل عند الزاوية، وعندما انتبه المستعمر الفرنسي لدور النساء هذا وصار حذراً من النساء السافرات عادت المرأة لاستخدام الحجاب كي تخفي السلاح تحته».

أما اليوم فالحجاب هو الأصل -بحمد الله تعالى- في الشارع الجزائري، وذلك بفضله سبحانه ثم بجهود علماء ودعاة الصحوة الإسلامية.

- **الشيخ محمد أمين سراج، عميد علماء تركيا، قال:**

ظهر أول حجاب في جامعة أنقرة في كلية الأحياء، تحجبت طالبة اسمها خديجة بابا جاد في سنة ١٣٨٨/ ١٩٦٨، وكانت هي الوحيدة التي لبست الحجاب، فلما رآها البروفيسور ذهل وصرخ في وجهها فأغمي على البنت وأُخذت إلى المستشفى!!

ثم بعد ذلك بمدة بدأت بعض البنات بالتزام الحجاب في الجامعة وفي الشارع.

- وذكر الأستاذ الدكتور أحمد توتونجي أنه ألقى محاضرة في جامعة ملايو في ماليزيا، سنة ١٣٩١/ ١٩٧١م وكان عدد الحضور ألفين نصفهم من الذكور ونصفهم من الإناث وأنه لم تكن فيهن فتاة محجبة!! إلا أن حوالي ٥٪ منهن كن يضعن شيئًا على رؤوسهن.

وبعد عشر سنوات حاضر في الجامعة نفسها فلم يجد إلا قلة نادرة من الطالبات غير المتحجبات[١].

- وفي عودة النسوة للحجاب قال الأستاذ محمد قطب، رحمه الله تعالى:

«أرى ظاهرة لها دلالتها الضخمة: ظاهرة الفتيات المحجبات يملأن الجامعات: كلياتها العلمية بصفة خاصة، وهي التي أنشئت في الأصل لتكون معاقل للكفر والإلحاد والانسلاخ من الإسلام، ويتحدين بزيهن الجاهلية العالمية كلها لا الجاهلية المحلية فحسب،

---

(١) «خمسون عامًا بين الشرق والغرب»: أحمد توتونجي: ١٢٢.



رافعات الرأس، مستعليات بالإيمان، لا يصدهن عن الالتزام بالحجاب كل سخرية الجاهلية وحقدها، بل عدوانها عليهن بين الحين والحين بالاعتقال والسجن أو التعذيب والتنكيل...

وبذلت الصليبية الصهيونية كل مافي وسعها، واستخدمت كل وسائلها لجعل عودة المرأة المسلمة إلى الإسلام، وإلى الحجاب الإسلامي مستحيلة بعد أن تعرت بجسدها كله أو معظمه، وبعد أن أصبح العري أصلاً من أصول المجتمع «المتمدن!»، وعلامة على الرقي والتحضر والتطور والانطلاق!

لذلك فإن اقتحام المسلمة للحواجز التي وضعتها الصليبية الصهيونية أمامها، وعودتها للحجاب الإسلامي على هذا النحو - عقيدة لا تقليداً - أمر له دلالته الكبيرة على مدى التحول الذي صار في المجتمع، والتميز الذي بدأ يأخذ سبيله في داخل الكتلة المتميعة السمات»[1].

من نقائص الصحوة النسائية:

ظهرت بعض النقائص في الصحوة الإسلامية النسائية أجملها في التالي:

١- عدم وجود هدف واضح يجمع كثيراً من العاملات للإسلام، فكل واحدة تعمل كأنها في واد والأخريات في واد آخر، وليس بينهن رباط ولا تنسيق إلا القليل، وهذه مشكلة واضحة يراها المراقب بوضوح، وما لم تجتمع النسوة العاملات على كلمة سواء وبأهداف واضحة فإن الصحوة تظل محتاجة إلى لبنة لا يكتمل البناء بدونها، نعم هناك تنظيمات نسائية في بعض البلاد العربية والإسلامية وغير الإسلامية، لكن حديثي عن السواد الأعظم من العاملات للإسلام.

٢- كثرة الاختلافات بين النساء، ولعل ذلك يعود إلى عدم وجود رمز نسائي واضح تهرع النسوة إليه، وهذا لا يمنع وجود نساء عاملات عالمات فاضلات لكني أعني الرموز

(١) «واقعنا المعاصر»: ٤٤٥- ٤٤٦.

النسائية التي تجتمع حولها باقي النسوة ويُطعنها فهذا الذي أزعم أنه قليل الوجود عزيز؛ ولهذا يكثر بين النساء الخلاف وتعدد وجهات النظر التي قد تقلل بركة العمل أو تمحقه لا قدر الله تعالى، ولعل هذه النقيصة ناتجة عن النقيصة الماضية في بعض جوانبها.

٣- نقائص هي من خصائص المجتمع النسائي لا تكاد تنجو منها إلا القليل من النساء ألا وهي كثرة الكلام، وقصَر النفس، واستعجال النتائج، وعدم كمال حسن التصرف، والغلو في العاطِفة والاتكاء عليها، إلخ...

٤- نقائص يقع فيها المجتمع بعامة وتشارك النسوة بطبيعة الحال فيها، وهي تضييع الزمان، وسفول الهمة، والإخلاد إلى الأرض، والرضا بالواقع، وعدم الثبات على أمر واحد، وأنواع كثيرة من العجز ليس المقام مقام استقصائها.

٥- التهاون في الحجاب وظهور ما يسمى بحجاب الموضة:

عقب الصحوة وظهور الحجاب واشتداد أمره، وأصبحت أكثر المسلمات يلبسنه عرف أعداء الإسلام أنه لا سبيل إلى مراودتهن على خلعه، فعمدوا إلى خطة خبيثة فزينوا للمسلمات أن الحجاب لا بد أن يكون جميلاً وأنيقًا وغير ذلك من الصفات، فاستجابت بعض النساء لتلك الخطة الخبيثة، وصار حجابهن يضعف تدريجًا وتنخرم شروطه الشرعية إلى أن لبست كثير من المسلمات السراويل الضيقة، وغطين رؤسهن وزعمن ذلك حجابًا، وحدث في الحجاب مخالفات عديدة وعجيبة إلى أن أصبحت من تتحجب على هذا النحو يوصف حجابها بأنه حجاب موضة.

وما أحسن ما صوره الأستاذ فريد الأنصاري المغربي - رحمه الله تعالى - في حال بعض النسوة الإسلاميات!! المغربيات، وحالهن يشبه حال بعض الإسلاميات في بلدان عدة؛ حيث قال:

«لقد انحطت الأخلاق العامة للإسلاميين انحطاطًا بليغًا، وعلى رأس ذلك خُلُقُ الحياء، في الرجال والنساء على السواء! كانت الفتاة المؤمنة - في المرحلة التربوية للحركة



الإسلامية - لا تكاد ترفع بصرها إلى الشاب حتى يخفضه حياؤها الصادقُ ويرده إلى الأرض! و«**الحياءُ من الإيمان**»(١) و«**الحياء خَيْرٌ كلُّه!**»(٢) ثم ترى الرجل على الرصيف فتنحرف عنه إلى الرصيف الآخر؛ تحاشيًا لفتنة قد تقع منها أو عليها! لله دَرُّهَا! كيف كانت تمشي بوقار، مُتَعَبِّدَةً بلباسها الساتر الوافي، متنزهة عن الألوان الصارخة والأشكال الفاضحة، لا تغنج في صوتها ولا تصنع، تنأى بشرفها عن الشُّبه والشبهات، وتجاهد نفسها لتحصيل منازل التقوى والورع؛ فبارك الله في حركتها وفي سعيها، وكذلك كان أخوها.

أما اليوم، فقد نبت جيل مشوه من هذا المسمى بـ «الأخوات»!.. مُحَجَّبَاتٌ تبرَّجْنَ بـ «حجابهن» أشد من تَبَرُّجِ السافرات بعريهن! وإذا خاطبن الشباب سَمَّرْنَ فيهم أعينًا خائنات! وتصنعن في أصواتهن أنغامًا زائدة، وحروفًا باردة! ولقد عجبت كيف صار أغلبهن في هذا الزمان لا ينطق «الراء» إلا بما تقتضيه قواعد التجويد والترتيل! كأن بألسنتهن علة! وما باللسان من علة، ولكنَّ القلب هو العليل! تقترب منك إحداهن لحاجة فتكاد تدهسك بصدرها! يا ويلها! وأذكر أنني انتقدتُ يومًا هذا الانتكاس الخلقي في لباس الأخوات بلقاء دعوي، داخل أحد مقرات الحركة فردت عليَّ إحدى «الزعيمات» - وهي «الأستاذة» يا حسرةً - عندما ذكرتُ بأن ذلك علامة على اختلال تربوي، فَرَفَعت نحوي وجهًا يكاد يسيل من الطلاء والدهون، وقالت بما يشبه الانتهار: «أو قل: إنهن تَقَدَّمْن!» ثم رجعتُ أندب مصير التدين في التنظيم الإسلامي! فيا لتقدُّمٍ انطلق من فقه (الانحلال) ولم يقف حتى مَرَّغَ الأعراض في التراب!»(٣).

وقال أيضًا:

«**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٤)، وعن ابن

---

(١) رواه البخاري مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

(٣) «الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب»: ٣٨-٣٩ وقد شاهدت بنفسي ما ذكره الأستاذ في بعض الأقطار، وسجلت ذلك في كتابي «حياء المرأة» وكتاب «أهل الإسلام والتفلت في ظاهر الالتزام» فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٤) رواه البخاري.

عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر!**»(١)، ثم عن أنس وابن عباس كليهما أن النبي ﷺ قال: «**إن لكل دين خُلُقًا، وإن خُلُق الإسلام الحياء**»(٢).

ولو كان هؤلاء يتلون القرآن حق تلاوته؛ لكانوا يشاهدون المقام الإيماني العالي للفتاتين المؤمنتين في قصة موسى عليه السلام! وللاحظوا كيف تراجعتا إلى الخلف؛ حفظًا لشرفهما، وصونًا لحشمتهما، ومنعًا لكرامتهما من زحام الرِّعَاء والرَّعَاعَ! ولشهدوا كيف جاءت إحداهما إلى موسى تمشي على استحياء! لا على صلف وكبرياء! ولا بـ«نضال» تدوس حوافره وأظلافه كل قيم الخير والحياء! قال الله جل علاه: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: ٢٣-٢٥].

فيا له من كمال! ويا له من جمال! فعجبًا كيف لم يشاهد هؤلاء ذلك وهم - كما زعموا - أصحاب (المشاهدات)؟!

ثم إنهم لو كانوا يعرفون سنة النبي ﷺ ومنهاجه النبوي الحق لوجدوه - عليه الصلاة والسلام - يؤسس قيم الأخلاق في المسجد؛ بفصل صفوف النساء عن الرجال، ويقول لأصحابه: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها. وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها!**»(٣) . . . وهم في بيت العبادة، وحال التقرب إلى الله! فما بالك بتجمعات اقتضتها عادات ليس فيها من روح العبادة نصيب؟ ولست أدري على أي توراة أم على أي زبور اعتمد هؤلاء لعجن الفتيات بالفتيان، في مسيرات السفه والبهتان!

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه مسلم.



فالله الله على انهيار قيم الدين بأيدي من يفترض فيهم حفظ «عدله وإحسانه»! لقد تحطمت قوارير الأخلاق على صخور تقليد «الرفاق»!

فماذا بقي بعد ذلك لهؤلاء»[1].

التهاون في شروط الحجاب وضوابطه:

وهذا نراه في كثير من النساء اللواتي زعمن أنهن تحجبن؛ وبعضهن في موقع القدوة!! وبعضهن تعد نفسها داعية!! ففي حجابهن المخالفات التالية:

أ- اللباس الضيق:

فتخرج المرأة من بيتها بسراويل «بنطلون» وتلبس قميصًا تسدله على السراويل فبالكاد يغطي شيئًا من أعلى السروايل بحيث إنها لو انثنت أو انحنت ظهرت عورتها بسبب أن سراويلها ضيقة!! فأين الجلباب؟ وأين اللباس الفضفاض، وهذا أمر اشترطه جميع الفقهاء سواء منهم من قال بغطاء الوجه أو بكشفه.

أو أنها تلبس قميصًا ضيقًا وتزرّه زرًا على صدرها فيبرز نهداها على وجه مُخز!!

ب- الألوان الزاهية الجذابة:

من العجب أن المرأة التي تظن أنها محجبة تلبس لباسًا ملونًا ألوانًا زاهية، وربما وضعت على رأسها منديلاً بألوان ثلاثة أو أربعة، ولبست لباسًا ملونًا فصارت تبدو أجمل مما هي عليه، وهل هذا هو مراد الإسلام من الحجاب؟ وهل هذا حجاب يمنع الفتنة بالمرأة أو هو الفتنة بعينها؟!

ومن العجيب أن بعض الممثلات التائبات يظهرن في القنوات وهن على أجمل هيئة وألطف لباس حتى صرن فتنة؛ وذلك لأن هؤلاء النسوة جميلات لكونهن ممثلات سابقًا، فزاد ذلك اللباس أولئك النسوة جمالاً وفتنة، فما هذا؟ ومن يقول من الفقهاء بأن هذا حجاب؟! خاصة مع تسليط الأضواء عليهن وامتلاء الشاشة بوجوههن وابتساماتهن، إن

---

(١) «الأخطاء الستة»: ٤٨ - ٤٩.



الابتسامة من المرأة الجميلة فتنة وأي فتنة، فاتقين الله يا من تردن الإصلاح وترغبن في التوبة.

جـ- وضع المساحيق!!

العجيب أن عددًا ممن يزعمن أنهن محجبات لا يكتفين بكل ما سبق أن ذكرته بل يضعن المساحيق على وجوههن، ولقد سمعت بعض المفتيات تقول: قد قلت مرارًا إن «المكياج» الخفيف لا بأس به!!

أإلى هذا الحد وصل الأمر بالنساء؟!

أإلى هذا الحد بلغ بهن التهاون في شأن الحجاب؟!

والعجيب أن بعض هؤلاء قد صرن قدوة للنساء؛ إذ صارت النساء «المحجبات» في الفضائيات قدوة لغيرهن بزعم أنهن محجبات، وهذا هو الخطر في هذا الحجاب المخالف جملة وتفصيلاً للحجاب الشرعي الصحيح.

د- نمص الحاجبين:

نعم هناك كثيرات ممن يعددن أنفسهن محجبات وهن ينمصن حواجبهن، وهذا تعرض للعنة صريح، فقد لعن النبي ﷺ النامصات والمتنمصات.

هـ- اجتماع كل الشر السابق!!

نعم فقد وُجدت من تزعم أنها محجبة وهي قد جمعت بين اللباس الضيق، والألوان الزاهية الجاذبة، ووضع المساحيق، ونمص الحاجبين، فبالله هل يقول فقيه عاقل بأن هذا هو الحجاب الشرعي الذي أراده الشارع للمرأة؟! أرى والله أعلم أن هذا ليس بحجاب إنما هو لباس مظهر للعورات، جالب للفتنة، مذهب للحياء، مضلل للفتيات اللواتي يرغبن في التحجب الحقيقي، وهذا قد صار فتنة للفتيات الجاهلات بأحكام دينهن فصرن يعملن مثلما تعمل أولئك النسوة ظنًا منهن أن هذا هو الحجاب!!

والحجاب لغة: المنع والحجز.



فهل هذا هو الحجاب المطلوب شرعًا، وهل يمنع هذا الحجاب الفتنة أو يهيجها ويزيدها؟!

- هذا وقد صار هذا النوع من الحجاب سائدًا في طبقات كثيرة من الإناث في عدد من البلاد الإسلامية، بل صارت الفتيات يُشجعن ليتحجبن على هذا النحو، وقد أخبرني بعض إخواني - وهو من بلد عربي - أنه إذا لبست الفتاة السراويل، أي البنطلونات الضيقة، وغطت رأسها بغطاء ذي ألوان، ولبست «البلوزة» التي لا تغطي ضيق سراويلها ولا تكفي في ستر عورتها، إذا لبست ذلك عدوها محجبة!! واحتفلوا بها!! إي والله احتفلوا بها، فصار عند الفتيات رضا وقناعة بهذا الذي يسمونه حجابًا، والعجيب أن ذلك البلد العربي كان مضرب الأمثال في سبوغ الحجاب وجودته فإذا به يرضى من الغنيمة بالإياب!!

ولقد سمى أحد فضلاء العصر[1] هذا الحجاب «التبرج المقنع» فأحسن في تسميته إياه بهذا، ومن ثم قال: (لقد جهد أعداء الصحوة الإسلامية لوأدها في مهدها بالبطش والتنكيل، وأبى الله سبحانه إلا أن يتم نوره، ويظهر كلمته، فصار كيدهم هباء منثورًا . .

فرأوا أن يتعاملوا معها بطريقة خبيثة ترمي إلى الانحراف بها عن طريقها الرباني فراحوا يروجون صورًا مبتدعة للحجاب على أنها «حل وسط» تُرضي بها المسلمة ربها - زعموا - وفي ذات الوقت تساير مجتمعها وتحافظ على أناقتها! وكان أن قذفت بيوت الأزياء التي أشفقت من بوار تجارتها المحرمة بنماذج ممسوخة من الأزياء تحت اسم الحجاب العصري الذي قوبل في البداية بتحفظ واستنكار، وكانت ظاهرة الحجاب الشرعي قد بدأت تفرض نفسها على واقع المجتمع حتى صارت تشكل قوة اجتماعية ضاغطة أحرجت طائفة من المتبرجات اللائي هرولن نحو الحل الوسط تخلصًا من ذلك الحرج الاجتماعي، وبمرور الوقت تفشت ظاهرة التبرج المقنع المسمى بالحجاب العصري أو حجاب التبرج بإزاء ظاهرة الحجاب الشرعي . . . »[2].

---

(١) هو الشيخ محمد أحمد إسماعيل حفظه الله.

(٢) «عودة الحجاب»: ٣/ ١٧٠.

وقال في موضع آخر:

«رأينا حجاب التبرج يكشف الوجه المنمص الحاجبين، وقد اختفى تحت قناع من الألوان الزاهية، وتلطخ وجهها بمساحيق متنوعة كأنها الطيف في تعددها. . .

وترى في الخمار ما شئت من الألوان الصارخة كالأحمر والأصفر، وربما زادت على هذا الخمار ما يزيده زينة على زينة فتضع شريطًا ذهبيًا أو فضيًا أو مزركشًا وقد التف على أعلى الخمار كأنه تاج، ثم تزعم صاحبة هذه الزينة الصارخة أنها محجبة، أي حجاب هذا الذي تزعمين؟!

إن هذا خمار الخداع والتزييف، حجاب الزينة والفتنة، إنه حجاب عار متبرج. . .

فيا صاحبة حجاب التبرج:

حذارِ أن تصدقي أن حجابك هو الذي أمر به القرآن والسنة، وإياك أن تنخدعي بمن يبارك عملك هذا ويكتمك النصيحة، ولا تغتري بأنك أحسن حالاً من صاحبات التبرج الصارخ. . .»(١).

ملحظ مهم بشأن غطاء الوجه:

في بعض البلاد العربية والإسلامية يسود فيها غطاء الوجه بالكامل أو النقاب، وهو الأصل في نسائها مثل أكثر بلاد الجزيرة العربية وباكستان وأفغانستان، وكشف الوجه فيها أمر عارض مستنكر إلى حد كبير، والعجيب أن بعض المشايخ من خارج تلك البلاد - وهو الغالب - أو من داخلها يشغبون على هذا الحجاب المبارك بالآتي:

١ - الزعم بأن غطاء الوجه ليس بفرض بل هو محض تقليد وجزء من التقاليد!!

---

(١) «عودة الحجاب»: ٣/ ١٧٠-١٧٣ بتصرف.

وأقول: إن من غطت رأسها ولبست ما تظنه سابغًا سائغًا لا تتساوى مع من تكشفت ورمت بأوامر الإسلام عرض الحائط، لا يستويان فتلك أحسن من هذه وأخف حالاً، وإن جمعهما معنى التقصير والتهاون فقد فرق بينهما النية الحسنة وشيء من الاحتشام.



٢- دعوة النساء إلى كشف وجوههن، والزعم بأن أشكالهن غير صالحة للحياة المعاصرة[١]!!

وأنهن يبدون كخيمة متنقلة!! في استهزاء غريب وعجيب أن يصدر من مشايخ ودعاة نادوا طويلاً بوجوب احترام الرأي المخالف، وعدم تسفيه من يأخذ به، فإذا هم قد نسوا ما نادوا به طويلاً لما تحدثوا عن غطاء الوجه.

٣- الزعم بأن غطاء الوجه تشدد!!

وهكذا لا نجد هؤلاء المشايخ والدعاة الذين طالبوا طويلاً باحترام الرأي المخالف لا نجدهم يحترمون الرأي القائل بوجوب النقاب، وهذا عجيب منهم؛ إذ غطاء الوجه أفضل باتفاق الفقهاء، وهناك أعداد كبيرة من الفقهاء سلفًا وخلفًا يوجبون غطاء الوجه، وهم زمرة كبيرة وعدد ضخم فلماذا يذهب قولهم أدراج الرياح على يد هؤلاء هداهم الله.

وهناك أمر آخر مهم في هذا الشأن ألا وهو:

من المفهوم أن يأتي المشايخ والدعاة على دولة يكثر فيها السفور والتبرج فينصحون النساء والفتيات بتغطية أجسادهن وكشف وجوههن من باب التدرج بهن في الحجاب، فهذا مما أرجو أنه لا بأس به، وهو من الأخذ بالحكمة في العمل بالشرع.

لكن من غير المفهوم أبدًا أن يطلب الدعاة والمشايخ من النساء في مجتمع توارث نساؤه غطاء الوجه من قرون، وهو إلى الآن منتشر فيهن ولله الحمد، فيطلبون من النساء كشف وجوههن بحجج متهافتة عديدة، فهل يعقل أن نُخرج النساء من الحال الفاضلة إلى الحال المفضولة أو الآثمة عند من يرى وجوب غطاء الوجه؟! ما هذه الطريقة في التفكير؟! ولماذا يصنع هؤلاء الدعاة والمشايخ هذا؟!

- ولئن قيل متى طلب هؤلاء الدعاة والمشايخ من النساء في الجزيرة كشف الوجه؟!

فأقول: إن هذا الأمر قد دعوا إليه صراحة في وسائل الإعلام تارة ودعوا إليه بأساليب غير مباشرة تارة أخرى: بالاستهزاء بالحجاب الكامل، والانتقاص منه، وادعوا أن ذلك

---

(١) ستأتي النصوص قريبًا إن شاء الله.

محض تقليد، وأن هذا تشدد لا مسوغ له إلى آخر هذا الذي يعرض على النساء ويسمعنه فماذا يمكن أن يحدث فيهن من تأثير؟!، ومع استمرار قرع هذا الباب لا بد أن يحدث عندهن نوع تذمر وتمرد عندما يسمعن مثل هذا الخطاب، فليتق الله كل من يلقي القول على عواهنه، ولا يتحدث بحديث يكون فتنة للنساء والفتيات، ولا أدري لماذا التعرض لهؤلاء اللواتي غطين وجوههن؟ ألم يكن الأولى بهؤلاء المشايخ الثناء عليهن وتشجيعهن عوضًا عن الاستهزاء بهن ولمزهن وهمزهن؟

فإن لم يسعهم الثناء أو لم يطيقوه فيسعهم السكوت فهو أولى لهم وأليق بهم وبمكانتهم ومنزلتهم.

وإليكم هذه النصوص العجيبة في قضية غطاء الوجه، والتعليق عليها بإيجاز:

«الآراء الارتجاعية في موضوع الحجاب موجودة، وخاصة في الجزيرة العربية والخليج، وكل ما قد قيل هنا عن جواز كشف الوجه نقد في كتابات في الجزيرة العربية، ليس بالعودة إلى ستر الوجه فقط وإنما في أن تتحول المرأة إلى خيمة متنقلة لا يرى منها شيء، لا من قمة رأسها ولا من أخمص قدميها، ولا تشعر بأن هناك إنسانًا يتحرك اللهم إلا إذا تنفست أو إذا أصابتها كحة، فالآراء الارتجاعية موجودة»[1].

وهذا الكلام ينقصه اللباقة واللياقة، وهو في الوقت نفسه هجوم شديد على من اختارت رأيًا فقهيًا اطمأنت إليه والتزمت به.

وهذا أحد المشايخ الكبار المعتبرين يقول:

«يكاد هؤلاء المتشددون يجعلون حياة المرأة سجنًا لا ينفذ إليه بصيص من نور، فخروجها من البيت لا يجوز، وذهابها إلى المسجد لا يشرع، وكلامها مع الرجال - ولو بالأدب والمعروف - لا يسوغ، فوجهها وكفاها عورة، وصوتها وكلامها عورة...»[2].

---

(١) كلمة أ. د. عز الدين إبراهيم ضمن مجموع «مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام»: ٢١٦.

(٢) مقدمة أ. د. يوسف القرضاوي لكتاب أ. عبدالحليم أبو شقة: «تحرير المرأة».



ففي هذا الكلام مبالغة وتهويل وتعميم - كما سبق في النقطة الثانية - وفيه مصادرة لرأي من يرى أن وجه المرأة عورة على وجه لا ينبغي.

نعم إن هناك من يتشدد لكنهم اليوم قلة قليلة وليسوا على هذا الوجه المذكور.

وكذلك قسا أستاذنا الدكتور محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - على الرأي الآخذ بوجوب الحجاب الكامل فقال:

«أما إخفاء الأيدي في القفازات، وإخفاء الوجوه وراء هذه النُقب، وجعل المرأة شبحًا يمشي في الطريق معزولاً عن الدنيا فذاك ما لم يأمر به دين»[1]!!!.

وقال أيضًا سامحه الله تعالى:

«كان التيار الإسلامي في الجزائر متقدمًا، ناضر المستقبل، يوشك أن يغسل الأرض من أدران الاستعمار القديم: الاحتشام حل محل التبرج، والإطار الإسلامي أحكم الالتفاف حول التطور الحضاري، وقاده نحو الحرية والخير وسائر حقوق الإنسان، فإذا صيحات مجنونة تعلو بضرورة النقاب والجلباب والقشور التي يضيع معها اللباب، وكانت النتيجة أن أوجس أولو الألباب خيفة من الإسلام وصحوته، وهم معذورون، وتقهقرت الصحوة الإسلامية عقب تلك الفوضى»[2]!!.

وإن أعجب فقد عجبت من المقدمة والنتيجة، ومن ربط ما جرى في الجزائر بنقاب المرأة ربطًا عجيبًا كما ترون، سامح الله أستاذنا.

ثم هو لم يعذر المخالف ها هنا، ووصف مطالبته بالنقاب للمرأة سترًا لها بأنه صيحات مجنونة!!

وهذا كله من باب تقييد حرية الرأي المخالف التي نادى الإسلاميون طويلاً بوجوب التحذير منها!!

نعم إنه قد ذاق ويلات تشدد البعض لكن الأمر لا يعالج بهذه الطريقة.

---

(١) «قضايا المرأة»: ٧.

(٢) المصدر السابق: ٩.

وهناك من النصوص في الكتب الدعوية ما يزعم بأن النقاب مقيد لحرية المرأة مانع لها من الحركة الإيجابية، وهذا زعم غريب، فقد رأينا منقبات قد جُلْن في الأرض وذَرَعْنها يدافعن عن الإسلام، في بكين، والقاهرة، وأمريكا، وأوروبا، وهن نساء فُضْليات لم يمنعهن النقاب من الحركة الجيدة الإيجابية الرائعة نصرة لدين الله تعالى، بل رأينا نساءً يدافعن عن الإسلام في بعض القنوات الفضائية وهن منقبات، ولم يحل النقاب بينهن وبين الدعوة والتبليغ، ورأينا أيضًا «سيدات أعمال» عملن واجتهدن واتّجرن فلم يعقهن النقاب، وانظر إلى ما سطره بعض الدعاة الأفاضل متوهمًا أن المنقبة محدودة الحركة، وأن كشف الوجه مما تستوجبه حركة العصر وتغير الزمان:

«قد عمت البلوى في هذا العصر بخروج النساء إلى المدارس والجامعات وأماكن العمل والمستشفيات والأسواق وغيرها، ولم تعد المرأة حبيسة البيت كما كانت من قبل وهذا كله يحوجها إلى أن تكشف عن وجهها وكفيها لضرورة الحركة والتعامل مع الحياة والأحياء في الأخذ والعطاء والبيع والشراء والفهم والإفهام»(١).

ولا أرى رابطًا بين ما ذكره الأستاذ الفاضل وبين النقاب فليس النقاب مانعًا من الحركة ولا مقيدًا.

وقال أيضًا:

«إن إلزام المرأة المسلمة - وخصوصًا في عصرنا - بتغطية وجهها ويديها فيه من الحرج والعسر والتشديد ما فيه، والله تعالى قد نفى عن دينه الحرج والعسر والشدة، وأقامه على السماحة واليسر والتخفيف والرحمة»(٢).

ولا أدري ماذا في النقاب من عسر وحرج وتشديد؟!!

ومعاذ الله أن يكون النقاب مخالفًا للسماحة واليسر والتخفيف والرحمة.

---

(١) «النقاب للمرأة بين القول ببدعيته والقول بوجوبه»: ٦٨.

(٢) المصدر السابق: ٧.



وقال الأستاذ أيضًا -حفظه الله تعالى- زاعمًا أن كشف الوجه ضرورة لتعامل المرأة مع الناس:

«إن ضرورة تعامل المرأة مع الناس في أمور معاشها يوجب أن تكون شخصيتها معروفة للمتعاملين معها بائعة أو مشترية، أو موكلة أو وكيلة، أو شاهدة أو مشهودًا لها أو عليها...»[1].

وهذا لا أعلم بأن أحدًا من الفقهاء قاله، وكيف تعاملت المرأة بنقابها مع الناس منذ قرون، وما زالت تتعامل به مع الناس في عدد من ديار الإسلام بلا حرج.

وخلاصة هذا أن النقاب لم يكن يومًا - ولن يكون - مانعًا للمرأة من الحركة الإيجابية النافعة، ولا مقيدًا لحريتها.

ذلك كان تقويمًا موجزًا لحال المرأة بعد الصحوة الإسلامية، ولا يمنع ما ذكرته من نقائص من القول بأن حال المرأة اليوم في بلاد الإسلام أفضل بكثير من حالها قبل الصحوة كما بينت آنفًا، والله الموفق.

●●●

(١) المصدر السابق: ٤٧.

المبحث السادس
أثر الصحوة في نشأة الإعلام الإسلامي

لم يكن قبل الصحوة إعلام إسلامي بالمفهوم الذي تراه اليوم واستقر عند الناس، بل كان الإعلام بعيدًا - في الجملة - كل البعد عن ثوابت الإسلام، وكانت هناك بعض البرامج الدينية القليلة في بعض وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في ديار الإسلام لكنها كانت ضمن موج هادر ثائر من البرامج التي كانت بعيدة كل البعد عن الالتزام بالإسلام مما أنشأ جيلاً ضعيف الصلة بالدين، مشوه المفاهيم.

لكن عقب الصحوة ظهرت بوادر إعلام إسلامي رصين استطاع أن يتطور كما نراه اليوم بفضل الله تعالى.

ففي مجال الإعلام البصري قامت بعض المؤسسات بإنتاج بعض برامج للأطفال والكبار تداولها الناس على أجهزة الفيديو القديمة.

وفي مجال الإعلام المسموع ظهرت أعداد كبيرة من الأشرطة المسموعة كان لها أثر كبير جدًا في توجيه الصحوة ونمائها.

- وقد ظهرت محلات لبيع الأشرطة الإسلامية بعد أن لم تكن موجودة من قبل، وفي سنة ١٣٩٧/ ١٩٧٧ افتتح أول مكان للتسجيلات الإسلامية في الرياض، «وكان عبارة عن فتحة صغيرة جدًا تبلغ أبعادها ٢×٤م، وكان محل تسجيلات إسلامية وحيدًا بين مجموعة من محلات الأغاني، وكان حدثًا مهمًا بين الإسلاميين...

في تلك الفترة لا يُستغرب أن تسمع صخب الأغاني المنبعثة من محلات تسجيلات الأغاني قبل افتتاح محل التسجيلات الإسلامية «تسجيلات اليمامة»، أما بعد أن افتتح محل تسجيلات اليمامة فكان من الصعب جدًا أن يُسمع صوت مغن واحد»[(١)].

(١) «أيام مع جهيمان»: ١٨-١٩.



وتتابع افتتاح محلات التسجيلات الإسلامية بعد ذلك، بل قامت مؤسسات في الدول العربية والإسلامية لإنتاج وتداول الأشرطة المسموعة والمرئية.

وظهر النشيد الإسلامي على يد المنشد السوري أبي مازن، ثم برز منشدون كُثر كان لهم أثر بارز في إذكاء جذوة الصحوة[(١)].

وبرز كُتاب في الجرائد والمجلات لهم توجه إسلامي لكن كان عددهم قليلاً وتأثيرهم محدودًا.

وظهرت بعض صحف إسلامية خاصة في مصر.

ثم تطور كل ذلك لتظهر قنوات إسلامية وابتدئت بقناة اقرأ سنة ١٤١٧ / ١٩٩٦.

- وإليكم هذه الطرفة التي توضح كيفية تطور الإعلام في ديار الإسلام.

أثناء الانتفاضة الجهادية الفلسطينية سنة ١٤٠٧-١٤٠٨/ ١٩٨٧-١٩٨٨ كان هناك لقاء جمعني ببعض الإخوة في جنوب المملكة في منطقة الباحة، وقد حدثتهم عن الارتقاء الإعلامي في التعامل مع الانتفاضة الجهادية، وأننا صرنا نسمع أخبار فلسطين يوميًا، ونتابع أخبار الانتفاضة بحماسة كبيرة، وقلت لهم إن جدي عقيلاً حدثني أن أهل المدينة كانوا يخرجون إلى محطة القطار لينتظروا القطار القادم من اسطنبول ويسمعوا من ساعي البريد أخبار الدنيا، فقد كان يطل عليهم حاملاً الورق المحتوي على الأخبار ويقرؤه عليهم، ثم إن عليهم أن ينتظروا أسبوعًا على الأقل لمعرفة الأخبار من القطار القادم من اسطنبول مرة أخرى.

وكان في اللقاء رجل معمر من أهل الباحة من قرية من قراها، فقال لي:

احمد ربك ياولدي.

فقلت: لم يا عم؟.

قال: نحن في القرية لم يكن لدينا إعلام، فقد قامت الحرب العالمية الأولى وانتهت، وقامت الحرب العالمية الثانية وانتهت ولم ندر بالحربين !!!

---

(١) سيأتي حديث مستقل في النشيد الإسلامي.



فتصوروا أيها القراء ثلاثون سنة مرت من بداية الحرب الأولى إلى نهاية الحرب الأخرى ولم يدروا بالحربين، فكيف كان اطلاعهم إذن على الأحداث العظام في العالم الإسلامي مثل قضية فلسطين؟!

ولقد أصبح المسلمون عقب الصحوة أكثر وعيًا بكثير من ذي قبل؛ وذلك بفضل الله أولاً ثم بما قامت به الصحوة من جهد إعلامي جليل.

حال الجرايد والمجلات قبل الصحوة وبعدها:

كان إقبال الناس على الجرائد والمجلات كبيراً بخلاف ما عليه حال الناس اليوم في زمن الإعلام الجديد؛ وذلك لأنها كانت الوسيلة الوحيدة -تقريبًا- التي فيها تفصيلات طويلة ودقيقة عن حال المجتمع وأخباره آنذاك.

وإليكم ما كانت عليه الصحافة العربية من جرايد ومجلات، وسآتي بمثال الصحافة في مصر، فقد قال الأستاذ أنور الجندي رحمه الله تعالى:

«إن الصحافة العربية في هذه الفترة ومسئوليتها في (الهزيمة والنكبة والنكسة) ضخمة وعميقة، فقد عملت في تلك السنوات على تغيير أعراف هذه الأمة، ونقلها عن طريق البث اليومي المسموم المنوع إلى أعراف وافدة مهدت لتدمير وجودها الأصيل الذي شكله الدين الحق.

ولقد أولت الصحافة اهتمامها بأشياء كثيرة: فدعت إلى الخمر بالإعلان عنه، وإلى علب الليل، والربا، وحمت القانون الوضعي والنظام الاقتصادي الغربي.

بل إن أنيس منصور (١٠-١-١٩٧٧) الأهرام، علق على قرار شركة مصر للطيران بمنع توزيع وبيع الخمور على متن طائراتها بأنه قرار ضار سيسيء إلى سمعة شركة مصر للطيران في منافستها مع شركات الطيران العالمية.

كما حرصت على تقديم كل المسرحيات وأفلام السينما، وفيها قدر كبير من العبارات المكشوفة والصور الخليعة بكل إعجاب وتقدير، وشجعت كل ما يقدمه التليفزيون من أفلام الجنس وأحاديث اللغو والأغاني المختلفة في محتواها وأدائها دون أن توجه إلى هذه



البرامج كلمة واحدة من الدعوة إلى الخير أو حماية أطفالنا وأبنائنا وفتياتنا من الصور والكلمات المسمومة التي تعرض عليهم كل مساء. . .

وتقف الصحف موقف المعارضة لكل اتجاه سليم، فهي في نفس الوقت الذي ترفض فيه نشر صورة نصف مليون حضروا صلاة العيد في ساحة من الساحات تنشر صور الذين زاروا حديقة الحيوان باحتفاء كبير.

ومن خلال تلك اليوميات التي يكتبها لويس عوض وتوفيق الحكيم ومصطفى بهجت بدوي وحسين فهمي تبدو محاولات لفرض مفاهيم زائفة وأفكار تافهة على الشباب لا توجهه إلى التسامي والمثل الأعلى ولكنها توجهه إلى البحث عن الأمور الصغيرة الحقيرة.

بل إن هناك محاولة لترويج أفكار الباطنية والمجوسية القديمة على أنها أدب، وذلك بالحديث عن شعر ابن الفارض والحلاج.

ولسنا نعجب حين نرى مصطفى أمين وزكي عبدالقادر وإحسان عبدالقدوس ونجيب محفوظ ومن وراءهم يشكلون مفهومًا خطيرًا يبثونه يومًا بعد يوم:

- **أولاً**: نظرية تحديد النسل والتهويل من شأن التفوق البشري في العالم الإسلامي، وهي نظرية صهيونية.
- **ثانيًا**: إطلاق حرية المرأة وهي نظرية صهيونية أيضًا.
- **ثالثًا**: الكتابة عن الجنس والإباحية وتحويل القصة إلى مفهوم عام، وتدهش حين ترى بعضهم وقد بلغ السبعين أو قاربها يكتب قصصًا جنسية مثيرة، ويتطرق إلى جوانب من وحي شيطان الإغراء والفساد.
- **رابعًا**: تكريم الراقصات والمغنيات والممثلات وإعلاء شأنهن.
- **خامسًا**: تقديس المسرح تحت اسم الفن.
- **سادسًا**: تشجيع الكرة.

ولا تدهش حين تجد هناك عبارات موحية جد خطيرة يراد إذاعتها أو إذاعة مضامينها. . .

ولقد خدعت الصحافة الناس حين روجت لنظريات تلمودية ضالة في شأن التربية والشباب، وحين قالت إن المنحرفين ضحايا وليسوا مجرمين، مستهدفة القضاء على أسلوب التربية الذي يقوم على بناء الشباب منذ الطفولة في داخل الأسرة.

وقد عولج الموضوع وفق المخطط الذي فرضته بروتوكولات صهيون، وهو أنه لا تثريب على الشباب؛ لأن المسئولية على المجتمع وأن الأزمة عالمية تجتاح الأمم كلها، وردد هذا توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل ونجيب محفوظ، وفق مخطط منظم يحمل نغمة واحدة، وتجوهلت تمامًا وجهة نظر الإسلام والفكر الإسلامي التي تنظر إلى الأمر من ناحية بناء الأسرة ومسئولية الأب والأم واختلاف البيئة والدوافع والأساليب بين المجتمعات الغربية والمجتمع الإسلامي العربي، وتجوهلت الفقرة التي أوردتها البروتوكولات والتي تقول إنه لا بد من تدمير شباب الأجيال الجديدة في الأمم حتى تستطيع أن تستولي عليها، ونحن نعرف مصدر الانحراف في شباب المجتمعات الغربية وكل ما يتصل به، وهو لا ينطبق على مشكلتنا ولا على شبابنا، ولقد زرعت التلمودية في البيئات الغربية عن طريق القصة والمسرح كراهية الأب والحقد عليه والدعوة إلى مقته، والدعوة إلى عدم توجيه الشباب الجديد وتركه لطبيعته عملاً بنظرية فرويد في الكبت، وقد تبين فساد هذه الوجهة ولكن القوى التلمودية ما تزال قادرة على دفع المجتمعات الغربية في طريق الدمار...

الذين يوكل إليهم حل مشكلات الشباب والرد على خطابات المتسائلين في المجلات الاجتماعية وغيرها هم أناس لهم انتماء وجودي أو ماركسي، فهم لا يستطيعون تقديم وجهة النظر الصحيحة أو الخالصة، وهم يفسرون الأمور من وجهة نظر مظلمة مسمومة هي وجهة نظر فرويد وماركس ودوركايم.

ولقد سقطت الصحافة في تلك السنوات في أيدي اليساريين فانحرفت انحرافًا شديدًا وهزمت فيها القيم هزيمة منكرة، وعورضت كل مفاهيم الدين والأخلاق، ولم يكن الشيوعيون وحدهم ولكن كان معهم الماسون والتلموديون والبعثيون وكل أعداء الإسلام والعرب وقد تجمعوا في صعيد واحد.



ولقد سحق تيار الشيوعيون في هذه الفترة كثيراً من أهل الأصالة وأهملهم ووضعهم في الظل، ولم تستطع الصحف أن تجد مجالاً لكلمة واحدة عن الأخلاق والدين إلا ما كان ينشر تحت رقابة شديدة في مجلة منبر الإسلام يحمل توجيهات الخصوم للدعوة الإسلامية ورجالها وإلى دعوة التضامن الإسلامي.

وفاجأ الناس الدكتور صفي الدين أبو العز وزير الشباب بكلمته المسمومة حين هاجم التراث الإسلامي ووصفه بالجمود والرجعية، وتبعه الدكتور يوسف إدريس فدعا إلى حرق التراث.

وجاءت كتابات لطفي الخولي وأحمد عباس صالح وأحمد عبدالمعطي حجازي وعبدالرحمن الشرقاوي لترسم محاولة ماكرة في أن تجعل للشيوعية والاشتراكية والماركسية جذوراً في الفكر الإسلامي، وفي محاولة لتفسير تاريخ الرسول والصحابة على نحو تقسيمهم بين اليمين واليسار، وجرت محاولات لجمع خيوط والتقاط كلمات وعبارات وإخراجها عن سياقها وواقعها من كتابات عبدالله النديم وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورفاعة الطهطاوي وعبدالرحمن الكواكبي لمركسة مفاهيم الإسلام، كما جرى الاتكاء على تيارات مشبوهة كان أصحابها أولياء للنفوذ الأجنبي والاحتلال والاستعمار أمثال شبلي شميل وأديب إسحق ويعقوب صنوع وفرح أنطون وأمين الريحاني وجبران، وهو تيار مشبوه يجب الكشف عن زيفه وانحرافه.

وجرت المحاولة لجعل كلمة الاشتراكية من مفاهيم الإسلام كما حاول الاستعمار من قبل في كلمة الديمقراطية.

كانت الغاية هي تقديم اليسار على طبق إسلامي، وهي محاولة ضالة ثبت فشلها وسرعان ما هزمت بالرغم من نفوذ الصحافة الماركسية.

أفسحت الصحافة العربية في هذه الفترة صفحاتها للدفاع والدعوة لعدة قضايا مسمومة:

أولا: مفهوم القومية الوافد المفرغ من القيم العربية والإسلامية.

ثانيًا: مفهوم الماركسية والتفسير المادي للتاريخ.

ثالثًا: مفهوم الإباحية والجنس والكشف والإلحاد.

وهكذا صبّت صحافة النكسة السموم عن طريق الأقلام الشيوعية والمادية والوجودية.

ولا ريب أنه كان لهذه الكتابات مسئوليتها الخطيرة في الهزيمة والنكبة والنكسة، وفي الوصول إلى مرحلة التسليم والتقبل والاحتواء للنفوذ الأجنبي ممثلاً في الشيوعية والصهيونية (هذه المرحلة التي عاشتها البلاد العربية قبل العاشر من رمضان).

ولقد دحرت بشدة تلك الأقلام التي حاولت أن تكشف هذه الأخطار ممثلة فيما نشرته مجلة الرسالة عن لويس عوض ودور جريدة الأهرام، وأغلقت تلك المجلات الثقافية لأنها كانت تعمل على طريق الأصالة، وجرت إلى ذلك محاولة إحياء الماضي الفرعوني والإغريقي والجاهلي العربي وتمجيده وبعث الأساطير وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية، والباطنية وإحياء عشتروت وزيوس وباخوس، والهدف هو هدم التصورات الإسلامية وإخراجها من مفاهيمها الأصيلة والتشكيك في هذه التقولات وإخضاعها للمفهوم الماسوني الوثني القديم والحديث الذي يختلف بل يتعارض مع مفهوم التوحيد الإسلامي.

وبالجملة فإن الصحافة العربية في فترة (الهزيمة والنكبة والنكسة): ١٩٤٨-١٩٦٧ التي نؤرخ لها قد حملت كل الأفكار التي طرحها الاستعمار والتغريب وروجت لها وأشادت بها وقطعت أشواطًا طويلة في الدعوة لها والدفاع عنها والإلحاح بها والبث يومًا بعد يوم، وفي مقدمتها الاشتراكية، الديمقراطية، القومية، الوطنية، وكلها مستمدة من مفهوم غربي من شأنه أن يمزق الوحدة الإسلامية الجامعة، وكان أغلب زعماء الصحافة في هذه الفترة ماسونًا ومن غير دين الأغلبية: يهودًا وكاثوليك وموارنة، ثم جاء من بعدهم أتباع الروتاري والليونز وحملة لواء الوجودية والبهائية والقاديانية، وقد دافع هؤلاء وأولئك عن التفرقة بين الاشتراكية والشيوعية وبين الصهيونية واليهودية.



وهي التي والت النفوذ الأجنبي على مختلف جبهاته : فرنسيين مع فرنسا ، وإنجليز مع بريطانيا ، وأمريكيين مع الولايات المتحدة ، وروسًا مع الاتحاد السوفيتي ، وهم من وراء ذلك موالون لما هو أشد خطورة ، للماسونية العالمية التي تربط بين الرأسمالية والشيوعية والصهيونية برباط خفي ، وهي التي حملت على رجال الدين وعلى الأزهر وعلى كل صيحة إسلامية ، وشوهت الأسماء اللامعة بالسخرية منها بالنكتة الفاضحة والكاريكاتير السخيف .

وهي التي أخفت كل الحقائق حتى يظل النفوذ الأجنبي قادرًا على العمل خادعًا للمسلمين ، وكم من وثائق وتصريحات لقادة عالميين كبار ويهود وغيرهم تكشف عن مخططات يراد بها هدم الإسلام أو تدمير المسلمين عملت الصحافة على تجاهلها ثم كشفت عنها الحقائق من بعد .

وقد كانت الشخصيات التي حاربت الإسلام وخدعت العرب والمسلمين موضع تقدير الصحافة العربية من أمثال لطفي السيد وسعد زغلول وساطع الحصري وطه حسين وقاسم أمين ، وعلى العكس من ذلك كان كل المجاهدين العاملين من أجل إعلاء كلمة الله موضع تجاهلها والإغضاء والإنكار» .

ثم تحدث الأستاذ أنور الجندي - رحمه الله تعالى - عن المجلات النسائية في مصر وما تصنعه من فساد فقال:

«ولعل مجلتي حواء والشرقية هي أشد المجلات عنفًا وجرأة في هذا المجال ؛ حيث تشن حملات مستمرة شديدة متصلة على كل قيم الإسلام ، وقد حملت حملات واسعة على حركة العودة إلى الله التي ظهرت في مجال الطالبات الجامعيات والدعوة إلى الزي الإسلامي ، ووصفت هذه الحركة بكل تحقير ، كما أعلنت خصومتها لكل دعوة إلى الملابس المحتشمة أو أخلاقيات الملابس ، وسخرت من القائمين بها ، كما حملت على القائمين على حدود الله في أمور الطلاق وتعدد الزوجات . . .

هذا هو الموقف من الملابس والزي ، فإذا جاءت جماعة من المسلمات لتستجيب للدين الحق وتفضل الملابس المحتشمة ، هوجمت هذه الجماعة بعنف ووصفت بالجمود والتأخر .

قالت أمينة السعيد (١٨ نوفمبر ١٩٧٢ - مجلة حواء):

«إن هذه الثياب الممجوجة قشرة سطحية لا تكفي وحدها لفتح أبواب الجنة أو اكتساب رضا الله: فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها «زي إسلامي» لم أجد ما يعطيني مبررًا منطقيًا معقولاً لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزي هو والكفن سواء».

وهذا الزي اسمه الخيمة عند أنيس منصور والكفن عند أمينة السعيد، ولكن أمينة السعيد نسيت أن الزي الإسلامي هو الأصالة، وأن الزي المتفشي هو الزائف الوافد.

وتستطرد الكاتبة في امتهان هذا الاتجاه الكريم فتقول:

«بعضهم قال إنه تقليعة جديدة تلجأ إليها الفتيات من أجل لفت الأنظار بعد أن استنفد الميني جب أغراضه، والبعض قال إنها الرغبة في الظهور بمظهر التدين سعيًا وراء الزواج والتحايل على أزمة الزواج»...

ولست تجد أغرب من مجلة مثل أكتوبر في اهتمامها بكباريهات شارع الهرم ومجتمع النساء الثرثارات، فهي تفسح العديد من الصفحات للنساء التافهات وحفلاتهن الساطعة، ثم لأحمد عدوية مطرب السكارى والمخمورين والهاربين من وجه العدالة والقطط السمان في كباريهات الهرم، ثم هي توجه النقد والسخرية لمن يرتدين الزي الإسلامي ومن الدكتورة سعاد ماهر لأنها ارتدت هذا الزي الإسلامي المحتشم.

ثم قال، رحمه الله تعالى:

«وفي الختام نحن نتساءل:

هل استطاعت الصحافة العربية أن تقدم للشباب زادًا روحيًا وعقليًا رفيعًا يرده إلى الأصالة ويضعه على الطريق، لقد كانت صفحة الشباب في الصحافة العربية تافهة تهدف إلى تمييع القيم.

هل استطاعت الصحافة العربية أن تضع المرأة في مكانها الطبيعي وتدلها على خير نفسها وعلى رسالتها الطبيعية.



لقد أسرفت الصحافة العربية في النقل عن المنحرفات أو المغاليات في الغرب أمثال سيمون دي بوفوار وفرانسو ساجان، أو عن أصحاب المذاهب الهدامة: أمثال سارتر وألبيرتو مورافيا وكافكا وكامي، مع أن في الغرب كاتبات وكتابًا آخرين يعرفون سر أزمة الإنسان المعاصر وأزمة الحضارة الغربية، ولكن صحافتنا الباحثة عن الإثارة تركت الأصالة وبحثت عن الانحراف.

لقد أسرفت الصحافة العربية في نقل آراء الكاشحين[1] والكارهين للغة العربية والإسلام والقرآن والحضارة الإسلامية، مع أن في الغرب كثيرًا من المنصفين الذين يقدرون عظمة العطاء الإسلامي في مجال الفقه والعلم التجريبي والبحوث الاجتماعية، ولكن صحافتنا تجاهلت هؤلاء وبحثت عن الكارهين والمتعصبين.

لقد كان أخطر ما قدمته الصحافة العربية هو ذلك المفهوم المسموم للفن الذي تهدف به إلى إطلاق الغرائز وفك قيادها واستثارة الشهوات، وقدمت مفاهيم جديدة جعلت منها ممثلات السينما وراقصات الليل وبنات الهوى وفتيات الكباريهات بطلات مكافحات.

كما قدمت أفلام الجنس ومسلسلات الرعب التي تمجد الخيانة الزوجية، وتبنت كل فاسد من الأفلام والمسرحيات المليئة بالمشاهد الفاضحة والمراودات الفاجرة، وخلقت مظاهر الصراع والعداء والبغضاء بين الآباء والأبناء، وشجعت صالات الرقص وهز البطون.

وقد كان نتيجة كل هذا ما حاق بالوطن العربي من هزيمة ونكبة ونكسة خلال هذه السنوات الثلاثين، وكان أخطرها نكسة ١٩٦٧ التي ما تزال آثارها مستمرة حتى الآن بالرغم من كل محاولات التخلص منها»[2].

---

(١) أي المبغضين المعرضين.

(٢) «الصحافة والأقلام المسمومة»: ٢١-٢٤٦ بتصرف كثير.



وقال الشيخ محمود فايد -رحمه الله تعالى-:

«في جمهورية ١٦ سبتمبر ١٩٥٥ نقلت عن سمير صبحي بكلية آداب القاهرة قوله: الدين إيحاء خرافي، والأديان فاشلة، لا أستعملها ولا أتبع تعاليمها، وشعاري: سأعلم ابني كيف يصبح بلطجيًا، وابنتي كيف تصبح فاجرة إن شاءت»[1].

وما جرى في مصر هو مثال على ما جرى في المغرب وتونس والكويت والعراق والشام.

هذا كان حال المجلات والجرايد في ذلك الزمن المظلم، لكن الصحوة جاءت لتغير كثيراً من الأحوال، وتعيد كثيرًا من الأمور إلى الجادة، فمن ذلك الإعلام، فقد نشأت جرائد ومجلات إسلامية رائعة، كان لها أثر بارز في مقارعة الفساد العريض المبثوث في مجلات وجرائد القوم الظالمين، مثل «المجتمع» الكويتية ومجلة «الإصلاح» من الإمارات، وكذلك نشطت مجلة «الدعوة» و«الاعتصام» المصريتين وكان لهما أثر جليل عظيم، ومجلة البيان ومقرها لندن، وهي مجلة رصينة في أبحاثها، ومجلة «الرائد» في ألمانيا، ومجلة «البعث الإسلامي» في الهند، وتصدر باللغة العربية، ومجلة «دعوة الحق» في المغرب، ومجلة «الدعوة» في السعودية، وقد نفع الله -تعالى- بتلك المجلات كثيرًا، وكان لها أثر جيد في مسيرة الصحوة.

وإليكم مثلاً على ماصنعته تلك المجلات، وهي مجلة «المجتمع» الكويتية التي تصدر عن جمعية «الإصلاح» في الكويت، وقد ذكر هذا المثال د. مفيد الزيدي فقال:

«كان التيار الإسلامي في الكويت من أنشط التيارات في مناقشة المشكلات التي يواجهها المجتمع الكويتي، فشغلت أجهزة الإعلام وما تبثه برامج السينما والتلفزيون كتابات التيار الإسلامي، ممثلاً بجمعية الإصلاح الاجتماعي، وتساءل أحد أعضائها البارزين وهو عبدالله العلي المطوع في مقالاته: «دين الدولة الإسلام، فأين التطبيق؟»، وأكد أن «الإذاعة تبث يوميًا أكثر من أغنية، وقلّما نجد بينها كلمة توجيهية هادفة... إننا

---

(١) «صيحة الحق»: ٥١٥.



نناشد المسؤولين أن يرجعوا إلى الله، وأن يصلحوا أنفسهم ومواطنيهم على هدي من كتاب الله ورسوله»[1].

وهاجم كاتب آخر إدارة التلفزيون في الكويت في مقال بعنوان «التلفزيون ومستقبل الإسلام في الكويت»؛ حيث رأى أن المخططات الصهيونية المعادية للإسلام تسعى إلى ترويج البرامج والأفلام الهابطة خلقيًا لإفساد الشباب، وتمزيق المجتمع الإسلامي، ودعا إدارة التلفزيون إلى وعي ذلك، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بالحفاظ على القيم العربية والإسلامية، وصيانة نفوس الشباب والمجتمع بعامة[2].

واستمرت حملة التيار الإسلامي تجاه التلفزيون، فرفعت جمعية الإصلاح الاجتماعي رسالة إلى وزارة الإرشاد عارضت فيها ما يقدمه التلفزيون من برامج وأفلام تفسد عقول الشباب، وما يدخل البلاد من كتب ومجلات تروج للأفكار العلمانية والإلحاد، مثل مجلات الشبكة والأضواء والموعد التي تعمل على ضياع الشباب المسلم في مجتمعه[3]، ودعت الجمعية إلى إصلاح السينما أيضًا، وإنتاج أفلام محلية هادفة تقف أمام الأفلام الأجنبية التي تنشر الجنس والعنف والانحلال بين الشباب، وإذا لم تتوافر تلك الإمكانات فإلغاء السينما أو إصلاحها أمر واجب، أو إخضاعها للرقابة المباشرة ولخطة ثقافية واجتماعية هادفة وثابتة[4].

وحَذرت الجمعية أيضًا مما أسمته مخاطر غزو الكويت في رسالة مفتوحة وجهتها إلى كل مسلم في الكويت، من خلال المدارس التبشيرية، وصالات الحفلات في الفنادق، وبعض الصحف والمجلات العربية والمحلية، والتجارة بالصور الخليعة، وارتداء الأزياء الفاحشة، وإقامة الحفلات الصاخبة في بعض الأندية، ورأت في ذلك خطة صهيونية لغزو الكويت وإفساد الشباب[5].

---

(١) المجتمع (٧ تموز/ يوليو ١٩٧٠)، ص ٨.

(٢) انظر مقال جمال النهري في: المجتمع (٢٨ تموز/ يوليو ١٩٧٠)، ص ٨-١١.

(٣) المصدر السابق (٢١ تموز/ يوليو ١٩٧٠)، ص ٥-٧.

(٤) المصدر السابق (٢٥ نيسان/ أبريل ١٩٧٢)، ص ٨-٩.

(٥) المصدر السابق (١١ نيسان/ أبريل ١٩٧٠)، ص ٧.

وكشفت الجمعية النقاب في أحد أعداد مجلتها عن وجود محافل ماسونية وصهيونية عالمية في الكويت، ونشرت ذلك تحت عنوان «هل يعلم المسؤولون أم لا يعلمون؟ ناد للروتاري في الكويت!»، ونقلت معلومات عن مجلة الروتاري التي تصدر بالقاهرة التي أشارت إلى تأسيس ناد للروتاري بالكويت تابع للجمعية العالمية لأندية الروتاري، ونبهت المسؤولين إلى خطورة مثل هذه الأنباء؛ لما فيها من مفاسد للشباب والمجتمع، والأخلاق الإسلامية، وإبعاد النشء عن تعاليم الإسلام(١).

وتصدى المفكرون الإسلاميون لمسألة انتشار الأفكار العلمانية والشيوعية في الوطن العربي، وشددوا على ضرورة الالتزام بالفكر الإسلامي بديلاً من الأفكار الوضعية، وأن الإسلام طالب المسلم بعدم مهادنة الكفر والشرك والإلحاد، وبيان مخاطرها على المجتمع الإسلامي، والجهاد في سبيل الله عمل المسلم لدفع خطر الإلحاد والكفر، وهاجم هؤلاء الشيوعية كونها تدعو إلى الإلحاد، والعمل على إضعاف المجتمعات، ونشر الأفكار الهدامة، ودعوا إلى منع الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي، وتحصين الشباب فكريًا ودينيًا، وصيانة المجتمع من نشاطاتها وبرامجها(٢).

وكانت من أكبر القضايا التي شغلت الرأي العام في الكويت قضية الاختلاط في الجامعة، فرأى الإسلاميون أن فكرة تأسيس الجامعة من البداية ستؤدي إلى ظهور مشكلات الاختلاط، والسفور، والتبرج؛ لذلك وقفوا ضد هذه الفكرة، وعندما لم يتمكنوا من ذلك تقدموا بأفكارهم من أجل إصلاح جذري لمؤسسة الجامعة، ونظامها الأساس، وسلطتها الإدارية، وفي اختيار الإدارات والأساتذة، وتحولت ساحات الجامعة إلى ميدان للصراع الفكري بين الإسلاميين والليبراليين، ثم انتقل إلى واجهات الصحف والمجلات، كل يطرح أفكاره ويهاجم الطرف الآخر.

وعبرت جمعية الإصلاح الاجتماعي عن رفض التيار الإسلامي بالكويت لمسألة السفور، والاختلاط، ونشرت تعليقًا شديد اللهجة بشأن هذه الظاهرة قالت فيه:

---

(١) رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي (الكويت: منشورات الجمعية، ١٩٧٠)، ص٣.

(٢) المجتمع (٢٨ نيسان/ أبريل ١٩٧٠)، ص ٧-٨.



«إن المرأة الكويتية بالأمس كانت تربي أولادها بينما زوجها في البحر، أو زوجة وفية تنتظر زوجها العائد من الغوص، أو ابنة كريمة صالحة متسترة، واليوم تزاحم الرجال وتعرض جسدها عرضًا مزريًا تشمئز منه الأنفس الأبية، وانساق الشباب بحثًا عن الفاحشة بأي طريق»[1].

وطالبت الجمعية بتنظيم التعليم العالي على أساس منع الاختلاط بين الطلاب والطالبات في الجامعة، وإجراء تصويت في مجلس الأمة لإصدار قرار بمنع الاختلاط[2] وانتقدت من جانب آخر مؤسسة الجامعة وتساءلت بقولها: «هل أصبحت الجامعة منبرًا لليسار ومركزًا لتجمعه المشبوه؟»، ورأت أن دعاة الضلالة أشعلوا الفتنة في الجامعة بسبب تحجرهم، وافتقارهم للرأي والمناقشة، وقصدهم إثارة البغضاء والشقاق في المجتمع.

ثم دخلت الجمعية في مجادلات وصراع مع الاتحاد الوطني لطلبة الكويت بشأن قضية الاختلاط شارك فيها الأساتذة في الجامعة والمفكرون[3]، وتصاعدت الحملات الإعلامية عبر الصحافة بين الطرفين حيث نشر الاتحاد الوطني مقالة جاء فيها: «القردة تغزو الجامعة: القوى الرجعية تخطط، والقوى العمياء تنفذ»، وردت جمعية الإصلاح الإجتماعي بقولها «كافرون في جامعة الكويت»، ورُفعت شكاوى من الجامعة ضد الجمعية بتهمة القذف والسب، ولكنها لم تسفر عن شيء نتيجة لقوة التيار الإسلامي من جهة، والضغوط الرسمية والشعبية التي مورست على الجامعة لسحب شكاواها من ناحية أخرى[4].

وبلغت ذروة المواجهات بين الاتجاهين المتصارعين بشأن قضية المرأة في الأحداث التي شهدتها جامعة الكويت في الثالث عشر من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧١ وعرفت بـ «معركة الاختلاط»، بين أنصار الاتحاد الوطني لطلبة الكويت، وأنصار جمعية الإصلاح الاجتماعي، فدعا أنصار الاتجاه الأول إلى الاختلاط في الجامعة، ودعا إلى الإصلاح

---

(١) المجتمع (٢٨ تموز/ يوليو ١٩٧٠)، ص ١-٢.

(٢) المصدر السابق (٢٠ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٠)، ص ٢-٣.

(٣) السياسة، ١٤/ ١١/ ١٩٧١.

(٤) عبدالله، صحافة الكويت: رؤية عامة بين الدوافع والنتائج، ص ٢٨٨-٢٨٩.

الشامل في المجالات كافة، وخلق مجتمع أفضل، في حين ردت جمعية الإصلاح بأن الجامعة بحد ذاتها «مؤامرة على الإسلام والمجتمع الكويتي»، ونادت بالجهاد ضد الجامعة ونشاطاتها، ورفعت مذكرة إلى الحكومة ومجلس الأمة حملت عنوان «حول جامعة الكويت» جاء فيه:

«إن الغرض من إنشاء الجامعة صياغة أجيال تكون أحسن مستوى، وأقدر على تحمل المسؤولية من جيل الهزيمة وسقوط القدس... وكان من أهدافهم ما يريده البعض اليوم بالجامعة وهو تبني خط الهدم الاجتماعي المستتر وراء الرقص، والاختلاط... إن المجتمع الكويتي في حاجة إلى العلم لا إلى الرقص»[١].

بدأت المواجهة المباشرة بين الاتجاهين في الثاني من تشرين الثاني / نوفمر ١٩٧١ أثناء حفل التعارف بين الطلبة بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد، وحضره مدير الجامعة الدكتور عبدالفتاح إسماعيل والأساتذة وعدد من الضيوف، وفي اليوم التالي نشرت الصحف صورة لفتاة تقرأ الكف لمدير الجامعة، مما أثار غضب جمعية الإصلاح لما وجدت فيه من جرح لمشاعر المسلمين، فردت على ذلك في مجلتها المجتمع قائلة:

«مدير جامعة الكويت يخدع المسؤولين ويقيم حفلاً خليعًا جُرحت فيه أعراض الرجال بينما المسلمون يتأهبون للاحتفال ببدر، ووصفت الحفل بـ«حفل المعاصي»، ومدير الجامعة بـ«كبير العصاة»، وردّت جريدة الرأي العام على هذه الاتهامات مطالبة بإجراء تحقيق فوري في اتهامات مجلة المجتمع للجامعة، وكتب رئيس تحريرها بقوله «الجامعة حرم علمي مقدس»، واحتج بشدة على اتهامات المجتمع للجامعة [٢].

ودخل الاتجاهان في مواجهة عنيفة في الثالث عشر من تشرين الثاني / نوفمبر حينما عُقدت ندوة عن موضوع الاختلاط، دعا اليها الاتحاد الوطني حضرها جمهور كبير من منتسبي الجامعة ومن خارجها، ولكنها تحولت إلى أحداث عنف دامية، ومواجهات بين

(١) محمد جواد رضا، معركة الاختلاط في الكويت: دراسة في الفكر الإجتماعي الكويتي (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٣)، ص ١١-٢٧.

(٢) الرأي العام (الكويت)، ١٣/ ١١/ ١٩٧١.



أنصار الاتجاهين، فخرجت جريدة السياسة في اليوم التالي تنقل صورة ما حدث تحت عنوان «مجزرة فكرية في جامعة الكويت»، وقد بدأت المواجهة عندما تقدم مدير الندوة قائلاً: «الاختلاط ضرورة حتمية، وعدم الاختلاط في الجامعة إلى متى؟»، فجاء رد الفعل غاضبًا من أنصار جمعية الإصلاح وهم يهتفون: «يعيش محمد، يعيش محمد، يعيش الإسلام». ورفعوا لافتات كتب عليها «تعيش جمعية الإصلاح»، ثم ساروا إلى المنصة، وهجموا على أعضاء الندوة، وحدثت اشتباكات عنيفة تدخلت فيها قوات الشرطة [1].

ونقلت بعض الصحف في عناوين بارزة ما حدث في الجامعة حيث أشارت جريدة الأجيال إلى ذلك في قولها: «الضرب بدلاً من الحوار في الجامعة، وندوة الاختلاط تحولت إلى حلبة مصارعة» ونشرت مجلة المجتمع تقول: «دُعاة الانحلال أشعلوا الفتنة بسبب تحجرهم واحتكارهم الرأي والمناقشة»[2].

وكانت جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت من أكثر الجمعيات الإسلامية في الخليج العربي حتى مطلع السبعينيات مبادرة في طرح قضايا إصلاح المجتمع الإسلامي، ودخلت نتيجة لذلك في صراعات مع التيارات الأخرى، فعبّرت الجمعية عن أفكار إسلامية في معالجة قضايا العصر، وتحديات الحضارة الغربية، وتدخل الجناح الإصلاحي في التيار الإسلامي في الكويت الأكثر نشاطًا وانتشاراً في المجتمع، بل في منطقة الخليج العربي إلى حد ما»[3].

- واليوم تقلص نفوذ الجرايد والمجلات كثيراً، وحل محلها وسائل الإعلام الجديدة، لكني إنما أردت أن أبين عمل أهل الصحوة في مقارعة الظالمين بإنشاء مجلات كان لها أثر كبير -في وقتها- في تصحيح مسيرة المجتمع وإنكار المنكر.

(١) رضا، المصدر نفسه، ص ٧٣-٨٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٦-٨٧.
(٣) المصدر السابق.

النشيد الإسلامي:

إن من مظاهر الصحوة القوية الواضحة في باب الإعلام الإسلامي انتشار ما يسمى بـ «الأناشيد الإسلامية» التي كان لها أثر كبير في جذب كثير من المسلمين إلى تيار الصحوة الجارف آنذاك، وغرست فيهم من معاني الحماسة والعزة والفخر ما هو معلوم.

وإن من أهم المؤثرات العاطفية في الشباب المسلم الأناشيد الإسلامية الهادفة، وقد كانت بديلاً رائعًا للغناء السائد قبل الصحوة وبعدها، وكانت ترتقي بمشاعر الناس وعواطفهم إلى منزلة لم يعهدوها في أنفسهم من قبل.

هذا وقد بدأ النشيد الإسلامي في الظهور أواخر الثمانينيات الهجرية/ الستينيات الميلادية، عقب ظهور بدايات الصحوة الإسلامية المباركة، وكان أول منشد عرفه الناس هو أبو مازن السوري، وظهر أول شريط إنشادي له سنة ١٣٨٨/ ١٩٦٨، وقد أصدر تسعة أشرطة.

ثم ظهر الترمذي.

ثم ظهر أبو الجود السوري - أيضًا- وسجل ثمانية أشرطة.

ثم أبو دجانة وسجل أربعة أشرطة.

ثم محمد أمين الترمذي -وهو سوري أيضًا- وقد سجل قرابة ٣٠ شريطًا.

ثم أبو راتب الذي حمل الراية منفردًا لمدة عقد من الزمان لما توقف أبو مازن وأبو الجود وأبو دجانة بسبب أحداث سوريا[١]، وأبو راتب هو الذي أنشأ المؤسسات الفنية التي تصدر الأشرطة وأقام مهرجانات للأناشيد، ودرّب الفرق الإنشادية، وشارك في المسرحيات الإسلامية[٢].

وقد ساهمت إذاعة «صوت بغداد» في نشر الأناشيد الإسلامية لأبي مازن وأبي الجود وأبي راتب[٣].

---

(١) مقالة «نشأة النشيد الإسلامي المعاصر»: مقالة على الإنترنت.

(٢) «مسيرة النشيد الإسلامي»: مقالة على الإنترنت.

(٣) «نشأة النشيد الإسلامي المعاصر».



إذن نشأة النشيد الإسلامي كانت في سوريا على يد أولئك الخمسة: أبي مازن، وأبي الجود، والترمذي، وأبي دجانة، وأبي راتب.

وقد صاحب ظهورهم بدايات الصحوة الإسلامية فانتشرت أشرطتهم واشتد الإقبال عليها، وساهمت في اتقاد جذوة الصحوة وانتشارها بين الشباب.

وقد كان النشيد الإسلامي يوقظ في العقول والقلوب معاني وعواطف جليلة، ويعلو بحماسة الشباب وهممهم، ويذكرهم بعز أمتهم، وجلال تاريخها، ووجوب العمل لإنقاذها وعودتها إلى سيادتها وريادتها.

ثم بعد أكثر من عشر سنين على ظهور النشيد الإسلامي شاركت دول أخرى بمنشدين جيدين من البحرين والكويت والمملكة العربية السعودية فيما عرف بأناشيد الدمام ١، ٢، ثم في عام ١٤٠٩ ظهرت أشرطة نداء وحداء[١]، وكل تلك الأشرطة لاقت قبولاً وانتشاراً.

ثم انتشر النشيد الإسلامي أكثر فأكثر مع اشتداد الصحوة الإسلامية، فبرزت فرق للنشيد في الأردن، واليمن- من خلال المعاهد الإسلامية المنتشرة هنالك - وفي الجزائر وغيرها.

لا يُنسى في هذا المقام فرقة «اليرموك» في الأردن ومنشدها الأول أبو أحمد الذي أتحف الجمهور بأناشيد جهادية رائعة لما ظهرت الانتفاضة الجهادية الأولى في فلسطين وولدت حماس، وإن كان تأسيسها يرجع إلى سنة ١٣٩٩/ ١٩٧٩ لكن ظهورها القوي كان بعد ذلك بسنوات.

وكذلك تأسست في الضفة الغربية في الوقت نفسه فرقة «الغرباء» وكان لها مشاركة جيدة في النشيد الإسلامي، وأقامت الأعراس، والمهرجانات، وكان لها أسلوب مميز[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

تقويم النشيد الإسلامي السائد اليوم:

كان النشيد الإسلامي بديلاً جيداً للأغاني الفاسدة الماجنة، وأقبل عليه الشباب من كل حَدَب وصوب، وأثار فيهم ألوانًا من الحماسة والتعاطف مع قضايا المسلمين.

ثمّ إنه لحقته بعض النقائص التي قللت كثيراً من أثره فمن ذلك:

١- استعمال الموسيقى:

جمهور علماء المسلمين سلفًا وخلفًا على تحريم الموسيقى، بل حكى جماعة من العلماء في تحريمها الإجماع، ومن خالف فخلافه ضعيف لا يُعتد به، ويكفي أن جمهور فقهاء المذاهب الأربعة على التحريم سلفًا وخلفًا، فلما مضى على مسيرة الإنشاد المباركة قرابة عشرين سنة أو أكثر ظهر بعض المنشدين الذين استعملوا الآلات الموسيقية في إنشادهم، وانتشر استعمال الآلات حتى قَلّ من المنشدين اليوم أحد إلا وهو يستعمل الآلات، وبقيت فرق الإنشاد الخليجية - في العموم - بمنأى من ذلك الصنيع المخالف لجمهور الفقهاء سلفًا وخلفًا، ولله الحمد والمنة.

وقد قلل استعمال الآلات من استفادة جمهور كبير من المسلمين - ممن يرى تحريم الموسيقى - من تلك الأناشيد، ومنعت قنوات فضائية إسلامية مهمة ظهور تلك الفرق فيها.

وبسبب ذلك الضغط الحميد عمد عدد من المنشدين إلى إصدار شرائطهم على وجهين: بآلات وبدون آلات.

٢- ما يصدر من النساء في كثير من المهرجانات الإنشادية:

تضم المهرجانات الإنشادية جمهوراً كبيراً من الرجال والنساء، ويُلحظ في تلك المهرجانات بوضوح أن عددا كبيراً من النسوة يقمن فيتمايلن على ألحان الأناشيد، ويخرجن عن طورهن في أحيان كثيرة، فإذا انضاف إلى ذلك استعمال الآلات - وهو حاصل بكثرة- فقد ازداد الطين بِلّةً، ولا أرى هذا العمل سائغًا شرعًا بوجه من الوجوه، بل هو فتح لباب فساد يصعب غلقه بعد ذلك، والله تعالى أعلم.



٣- تميع وضعف كثير من المنشدين:

لوحظ في السنوات الأخيرة ضعف كثير من المنشدين في أدائهم، وضعف كلمات نشيدهم، وتميع بعضهم وهو يؤدي النشيد حتى أنه قد يصبح فتنة لمن يراه أو يتابعه، وقد اشتكى كثير من الناس من هذا الأمر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

هذا وقد بين الأستاذ نجدت لاطة في مقال له بعنوان: «تعقيب على مقال: وقفة مراجعة مع المنشدين الجدد» أن المنشدين القدامى وأعضاء فرقهم كانوا دعاة إلى الله -تعالى- محتسبين في عملهم، مؤثرين بنشيدهم، وبعضهم استشهد في سبيل الله -تعالى- ثم قال في أعضاء فريق المنشدين الجدد ما يلي:

«أما إذا جئنا إلى أعضاء الفرق الإنشادية التابعة للمنشدين الجدد فأرجو أن يعذرني القارئ إن ذكرت له أن معظمهم لا يعرف من العمل الدعوي شيئًا، ولم يسهم فيه أصلاً، أنا أتكلم هنا بشكل عام، وحين كنت ألتقي بالكثيرين منهم وراء الكواليس كنت أشعر أنهم مطبلين ومزمّرين [١] أكثر منهم دعاةً أو منشدين إسلاميين، فكان يعتريني شيء من الخوف على مستقبل النشيد الإسلامي، فكنت - حقيقة - أخشى على النشيد أن يضيّعه المنشدون الجدد وأعضاء فرقهم.

فالمنشدون الرواد القدامى انطلقوا من مفهوم واحد للنشيد وهو أن هذا النشيد هو جهاد بالكلمة واللحن؛ لذا نجدهم يتفانون فيه كما يتفانى المجاهد في سبيل الله في المعارك، فتفاعل الجمهور مع أناشيدهم بشكل كبير...»[٢].

القنوات الفضائية الإسلامية:

ظهرت القنوات الفضائية الإسلامية ابتداء من إنشاء قناة «اقرأ» سنة ١٤١٧/ ١٩٩٧، ثم توالى إنشاء هذه القنوات حتى أصبحت بالعشرات، وصار لها أثر قوي في نشر الصلاح والخير والهدى والرشاد خاصة.

---

(١) كذا جاءت والصواب مطبلون ومزمرون.

(٢) «تعقيب على مقال»: مقالة في الإنترنت.

هذا وقد ذكرت من قبل في المبحث الخاص بالمرأة أن بعض القنوات الفضائية الإسلامية أسهمت في تمييع الحجاب وجعله حجابَ موضة بأن قدمت مقدمات برامج كن ممثلات سابقات ويلبسن لباسًا زاهيًا مخالفًا لضوابط الحجاب الشرعي ويضعن المساحيق، فتأثرت بهن نسوة كثيرات فقلدتهن.

ومن ناحية أخرى استعملت أكثر تلك القنوات الآلات الموسيقية في مخالفة واضحة للحكم الشرعي الذي قرره أكثر فقهاء الملة سلفًا وخلفًا مما حرم كثيراً ممن يرون حرمة الموسيقى من الاستفادة من بعض البرامج المهمة في تلك القنوات بل منعوا من دخولها بيوتهم.

ومما يحزنني حقًا ولا أرى له مسوغًا أبدًا أن القنوات الفلسطينية الإسلامية عمدت إلى استعمال الآلات الموسيقية، وأنا أسألهم: لماذا تحرمون جمهوراً عريضًا من المسلمين من الاستفادة من قنواتكم؟ إن جمهوراً عريضًا من المسلمين يرون حرمة الموسيقى ومِن ثم منعوا دخول هذه القنوات إلى بيوتهم.

ثم إني أقول لكم: لو أنكم لم تدخلوا الموسيقى في قنواتكم هل سينصرف عنكم جمهوركم الذي لم يتابعكم إلا لكونكم قنوات تمثل جهاداً جليلاً رائعًا لا على أنكم قنوات موسيقية.

أرجو أن يراجع القائمون على هذه القنوات قرارهم الذي أضر بمئات الآلاف من العائلات المسلمة التي تريد أن تطهر بيوتها من مزامير الشيطان.

ثم أختم هذا المبحث بذكر وسائل الاتصال الحديثة التي ورثت كل وسائل الإعلام التي ذكرتها آنفًا، وكان لأهل الصحوة قصب السبق في المشاركة فيها وتوجيهها توجيهًا حسنًا نحو الخير والهدى، وليس المقام مقام تفصيل لآثار هذه الوسائل الحديثة، فلذلك حديث آخر لكن سيأتي الحديث في بعض جوانبها لاحقًا، إن شاء الله تعالى.

●●●



المبحث السابع

أثر الصحوة في تحسين الجانب السياسي

من المعلوم أن أكثر الأنظمة السياسية في بلاد العالم الإسلامي كانت بعيدة عن أحكام الشريعة الإسلامية بل تكاد تكون منفصلة تمامًا في كثير من الجوانب عنها، وكانت أكثر الأنظمة تتبع مذاهب لا علاقة لها بالإسلام مثل الشيوعية والاشتراكية والماركسية والناصرية والبعثية إلخ . . .

وكان كثير من الساسة يجهر بعدائه للإسلام ودعاته، وعلى سبيل المثال:

١- الحبيب بورقيبة:

الذي كان عداؤه للإسلام واضحًا وظاهرًا، وصدرت فتوى بتكفيره بسبب إباحته الفطر في رمضان بل تشجيع شعبه عليه وظهوره في التلفاز مفطرًا ويدعو شعبه للإفطار في رمضان[١].

٢- معمر القذافي:

الذي كان نظامه السياسي بعيدًا عن الإسلام بل ألف الكتاب الأخضر ليحاد به القرآن والسنة. وقد أخبرني شيخي الدكتور سليمان الصادق البيرة أنه كان طالبًا في الجامعة الإسلامية التي أنشأها الملك إدريس السنوسي في مدينة البيضاء في ليبيا، وفي سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣ حضر القذافي إلى الجامعة فقال لي الدكتور: كنت حريصًا على أن أكون في الصف الأول لأسمع منه؛ وذلك لأنه قام بثورته وضلل الناس بأقواله المعسولة الخاطئة، قال: فسمعته يقول: محمدكم هذا!!! كان ساعي بريد جاء بالقرآن وذهب، وأشار بيده إشارات احتقار!! والعياذ بالله.

---

(١) مخازي هذا البورقيبة الهالك أكبر من أن تُحصر في هذه العجالة، ولم أجد في تعداد مخازيه أفضل من كتاب مهم بعنوان «تونس: الإسلام الجريح»: لمحمد الهادي مصطفى الزمزمي، فقد أورد فيه عشرات الصفحات من مخازي ذلك الهالك في جوانب كثيرة، أسأل الله العافية.

وله من المخازي الكثيرة ما لا يحسن تتبعه في هذا المقام لكني أشرت إلى حادثة واحدة لأدلل بها على ما أريد الخروج بنتيجة منه لاحقًا.

٣- محمد بو خَرّوبة «هواري بومدين»:

حكم الجزائر طويلاً، وقد تبنى النظام الماركسي اللينيني، والعياذ بالله، هذا وقد درس بمصر بالأزهر!!

٤- سوكارنو ثم سوهارتو في إندونيسيا:

وقد فرضا النظام العلماني، بل أنشأ سوهارتو عقيدة جديدة دعاها «البانشا سيلا» وجمع فيها خمسة أديان منها الإسلام!!

٥- عبدالناصر في مصر:

ومخازيه لا تعد كثرة، وحربه للإسلام ودعاته لا تحتاج إلى سوْق أدلة، ويعنينا في هذا المقام الجانب السياسي فقد تبنى القومية العربية بطريقة خاصة دُعيت بالناصرية لا علاقة لها بالإسلام وشرعه، وفرض على الناس الاشتراكية وأمم أموالهم وثرواتهم، وحرص على حرب الإسلام إلى أن هلك.

٦- حكام ما سُمي باليمن الديمقراطي الجنوبي:

وقد حكمته الجبهة الديمقراطية الشيوعية، وفرضت على الناس العقيدة الشيوعية، وقتلت الآلاف، وأظهرت العداوة الشديدة للإسلام وأهله.

٧- حكام العراق:

حكم العراق الشيوعيون بقيادة عبدالكريم قاسم، ثم البعث بقيادة أحمد حسن البكر ثم صدام، وكل أولئك لم يحكموا بالإسلام وأظهروا العداوة الشديدة للإسلام وأهله، إلا في سنوات قليلة من أواخر حكم صدام.



٨- **حكام سوريا:**

وقد حكمها حزب البعث، ثم تغلب عليها حافظ الأسد وحكمها حكمًا بعيدًا عن الإسلام، بل أظهر البعث عداءً شديدًا للإسلام وأهله، وكانوا يستهزئون بالإسلام أيما استهزاء، وكان شعار البعث:

«العرب أمة واحدة، ذات رسالة خالدة» ولا علاقة لهذه الرسالة بالإسلام، كما هو معلوم بل رسالتهم الخالدة هي العروبة!!

وكان قائلهم يقول، فض الله فاه، وشُلّت يداه:

مرحى بكفر يوحد بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

هذه أمثلة سقتها لنظم حكم لا علاقة لها بالإسلام بل أظهرت عداوة للإسلام وأهله لست بحاجة إلى سوق أدلتها هاهنا لكثرتها ووضوحها عند أهل العصر لكني إنما أريد إظهار أثر الصحوة في إنهاء هذه الأنظمة، أو تخفيف لهجة عداوتها وتقليل أعمالها المضادة للإسلام وأهله، **فمن ذلك:**

١- قضت الصحوة على النظام الشيوعي في اليمن الجنوبي، وذلك بجهاد جليل قام به أهل الصحوة في اليمن الشمالي في مدتين: ١٤٠٠/ ١٩٨٠، ١٤١٤/ ١٩٩٤، وقُبر ذلك النظام للأبد، ولله الحمد والمنة [(١)].

٢- قضت الصحوة عقديًا وفكريًا وثقافيًا على النظام الناصري، وقُبر للأبد ولله الحمد والمنة، فقد أخرج السادات الدعاة من السجون، وأذن لهم بمقارعة الشيوعيين والاشتراكيين الناصريين في المحافل المتنوعة، إضافة إلى حركة الطلاب الجليلة في الجامعات ابتداء من أول التسعينيات الهجرية / السبعينيات الميلادية، ولم تستطع

(١) للأسف لم يدون هذا الجهاد بتفصيلاته التدوين اللائق به إلى الآن، هذا وكثير ممن جاهد وقاد الكتائب مازال حيًا إلى يوم الناس هذا.

جحافل الضلال والظلام أن تستمر أمام الضياء والنور فانهارت، وقُبرت تلك المنظومة السياسية للأبد، ولله الحمد والمنة(١).

٣- بعد وفاة بوخروبة «هواري بومدين» لم يتمكن النظام الجزائري من الاستمرار في أيدولوجيته، وتعاظم التيار الصحوي إلى أن اضطر النظام إلى حكم البلاد حكمًا عسكريًا لا أيدولوجية له.

والمراد هنا أن للصحوة في الجزائر أثرًا كبيرًا في تقويض أيدولوجيات الحكم هنالك واختيار العسكر فرض حكمه على الناس بالقوة.

٤- قضى الذين تربوا على أيدي أهل الصحوة على أنظمة طاغوتية أذاقت المسلمين سوء العذاب؛ وذلك نحو نظام القذافي في ليبيا، ونظام حسني مبارك في مصر.

أثر الصحوة في تحسين بعض الجوانب السياسية:

وقد كان للصحوة عمل جليل في تحسين بعض الجوانب السياسية وردع الحكام الفاسدين وتقليل أخطارهم على الأمة فمن ذلك:

١- عدم جرأة الحكام كما كان قبل الصحوة على إظهار العداوة للإسلام في كلماتهم المسموعة والمرئية لشعوبهم وفي تصريحاتهم لوسائل الإعلام المختلفة.

٢- تضمين الدساتير نصًا أن الدولة إسلامية، وأن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر التشريع أو مصدرًا رئيسًا أو المصدر الرئيسي، وما شابه ذلك من نصوص دستورية(٢)، ومثال على ذلك ما ضُمن في دستور مصر سنة ١٩٧١ بأن الشريعة هي المصدر الرئيس للتشريعات.

٣- إشادة بعض الحكام بالإسلام وحضور المناسبات والاحتفالات المتعلقة به، والحرص على تكريم بعض العاملين في الجوانب الإسلامية المتعددة.

---

(١) سبق بيان ذلك بالتفصيل في مبحث سابق.

(٢) ليس هذا بكاف ولاواف، وإنما يجب أن تكون الشريعة المصدر الوحيد، لكني إنما سقت ذلك لبيان التطور في الجانب السياسي.



٤- غض الطرف عن بعض الأعمال التي يقوم بها الدعاة وذلك نحو بعض مدد حكم صدام وابن علي والقذافي والسادات ثم مبارك.

وقال رتشارد كمجيان في هذه المسألة:

«وقد حاول القادة العرب؛ لمواجهة أزمة الشرعية التي نتجت عن الحرب[(١)]، التوسع في صيغ إضفاء الشرعية على أنفسهم عن طريق اختيار الإسلام طمعًا في تحييد الإسلاميين وزيادة التأييد الشعبي إلى أقصى حد، بدأت أجهزة الإعلام وخطب القادة تُحَلَّى بإشارات إلى الله والرسول والقرآن الكريم، وعلى سبيل المثال تغطية أجهزة الإعلام لحضور الرئيس عبد الناصر الاحتفال بالمولد النبوي في المسجد بعد يومين من حرب يونيه.

أكثر من هذا، استخدام النظام عقيدة القضاء والقدر الإسلامية، في مناورة دعائية ماهرة؛ للتهرب من مسئولية الهزيمة، فقيل إن قدر الله كان وراء الهزيمة كي يستيقظ الشعب المصري، وتبعًا لهذا المنطق قيل: «لقد أخلصت إسرائيل لدينها فانتصرت، وانهزمنا نحن لأن إيماننا لم يكن بهذه القوة»[(٢)]،[(٣)].

وقال أيضًا: «مصر في عهد السادات» - سيطرة الأصولية:

أزال موت عبدالناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ العقبة الرئيسية أمام ظهور الأصولية الإسلامية ظهورًا كليًا، كما كان تولّي السادات الحكم فرصة نادرة أمام «الإخوان» لتأكيد حضورهم في مصر.

واجه السادات، كرئيس، تحدّيين مباشرين: تثبيت قوته ومواجهة إسرائيل في سيناء. كما واجه السادات، في الداخل، أزمة شرعية حيث إنه كانت تعوزه شخصية سلفه الآسرة؛ كما أنه لم يكن لديه أساس آمن في بنية القوة المصرية التي كانت تحت سيطرة منافسيه من الناصريين، ولكي يعادل قوة هؤلاء الأخيرين أطلق السادات سراح الإخوان»[(٤)].

---

(١) أي حرب عام ١٣٨٧/ ١٩٦٧.

(٢) حسن حنفي: «وكانت النكسة نقطة تحوّل»، الوطن (٢٠/ ١١/ ١٩٨٢).

(٣) «الأصولية في العالم العربي»: ١٢٦-١٢٧.

(٤) المصدر السابق.

٥- وكان للصحوة أثر كبير في إقناع أكثر الناس في تلك الدول وغيرها بعدم جدوى الأنظمة السياسية التي حكمت طويلاً ولا الأيدولوجيات التي استعملتها للسيطرة على عقول الناس، بحيث إن الناس كانوا يتطلعون للخلاص من هذه الأنظمة في أول فرصة سانحة، وهذا ما حدث في الربيع العربي.

نعم إن هذه حقائق يجب توضيحها، فقد كانت جل تلك الأنظمة تخدع شعوبها بأيدولوجيات تدغدغ بها مشاعر أتباعها، ومن ثم كان الناس يتبعون حكامهم دون حاجة تذكر لاستعمال القوة العسكرية، لكن لما تعرت تلك الأنظمة بظهور الصحوة اتجهت لحكم شعوبها بالقوة العسكرية القاهرة، والنظام الناصري في مصر والبعثي في العراق وسوريا أكبر مثال على هذا الذي أقوله.

٦- الانتخابات: ظهر جليًا عقب الصحوة أن الدول التي سمحت بنظام تعددي انتخابي -ولو صوريًا- فإن أهل الصحوة كانوا هم الحصان الأسود في تلك الانتخابات ابتداء من مصر ثم الجزائر ثم الكويت ثم اليمن، ثم فلسطين ثم تركيا، ثم إندونيسيا، ثم غيرها من الدول التي أظهرت نتائج الانتخابات فيها بجلاء ووضوح أن الإسلاميين أهل الصحوة هم الرواد في تلك الانتخابات، وأنهم لا يمكن التغلب عليهم إلا بأنواع وألوان من التزوير والقهر والتخويف للناخبين إلى آخر ما مورس من أعمال مخالفة لقانون الانتخابات في تلك الدول وغيرها.

٧- تكوين دول إسلامية: عقب الصحوة امتد التيار الإسلامي وتعاظم مما مكنه من إقامة دول إسلامية في بعض المناطق؛ وذلك في أفغانستان على يد طالبان.

- وفي غزة قامت حماس بحسم عسكري نتج على أثره دولة إسلامية.
- وفي السودان قام الإسلاميون بانقلاب عسكري تسلموا على إثره الحكم.
- وفي الصومال يسيطر على الدولة هناك الإسلاميون.
- وجنح ضياء الحق نحو الإسلام، وغير كثيرًا من القوانين لتتوافق مع الشريعة.



٨- المشاركة في الحكم:

- شارك الإسلاميون أهلُ الصحوة في الحكم في عدة بلاد إسلامية قبل الربيع العربي وبعده، فقبل الربيع العربي شاركت حماس في حكم فلسطين وكان إسماعيل هنية هو رئيس وزراء دولة فلسطين، ثم انفصلت غزة وقام فيها حكم حماس.

- وشارك الإسلاميون في الحكم في اليمن بتكوين مجلس رئاسي ثلاثي كان الشيخ عبدالمجيد الزنداني أحد أعضائه.

- وفي تركيا حكم الإسلاميون منذ سنة ١٤٢٣/ ٢٠٠٣ ولازالوا يحكمون.

- وعقب الربيع العربي حكم أهل الصحوة في مصر سنة واحدة وتمكنوا من رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة ورئاسة البرلمان بقسميه مجلس الشعب والشورى في سياق تاريخي جليل لم يحدث مثله منذ أكثر من مائتي سنة في مصر.

- وفي المغرب رأسوا الحكومة.

- ورأسوا الحكومة في تونس.

- ورأسوا مؤسسات رئاسية في ليبيا.

- وكذلك الحال في أندونيسيا فقد رأسوا البرلمان مراراً وشاركوا في المناصب الرفيعة في الدولة.

٩- تحسن بعض الحكام واتجاههم نحو العمل لنصرة الإسلام وتمكينه:

هناك شواهد تثبت توجه بعض الرؤساء والأمراء في العالم الإسلامي نحو الإسلام، ومراعاتهم للصحوة التي قامت في بلادهم، فمنهم:

*** الملك فيصل بن عبدالعزيز:**

وهو شامة بين رؤساء العالم الإسلامي آنذاك، وقد حاول تصحيح بعض الجوانب المخالفة لتوجهه الإسلامي، وإليكم بعض ما فعله فيصل في نصرة عدد من القضايا

الإسلامية في داخل بلاده وخارجها في سنوات حكمه التي امتدت أحد عشر عامًا، وبعض خصائصه وشمائله التي توضح ما أريد:

١- محاولة جمع كلمة حكام المسلمين:

كان الفيصل يحاول جمع كلمة حكام المسلمين فقام بأمور عديدة في هذا الباب، منها:

أ- الدعوة إلى قمة إسلامية لأول مرة في تاريخ المسلمين، وذلك في الرباط سنة ١٣٨٩/ ١٩٦٩، وكان هذا عقب حادثة حرق المسجد الأقصى، ونتج عنها قيام منظمة المؤتمر الإسلامي «منظمة التعاون الإسلامي الآن»، وكان يرجو من هذه المنظمة أن تكون نواة لاجتماع الدول الإسلامية لكن لم يتحقق لها ذلك لأسباب عديدة ليس هذا مكان سردها.

ب- الرحلات التي قام بها إلى كثير من بلاد المسلمين مثل بعض دول إفريقيا السوداء وإيران، ونتج عنها أن قطع كثير من الحكام المسلمين علاقته بدولة إخوان القردة.

٢- تغيير المناهج الدراسية:

وهذا من أفضل أعماله، فقد كانت المناهج الجامعية والمدرسية السعودية قبل التغيير مكتوبة بأقلام وعقول غير إسلامية التوجه والعاطفة، وقد أخبرني أحد إخواني أنهم كانوا يدرسون في مادة التاريخ أن كارل ماركس من زعماء الإصلاح!!

وقصة تغيير المناهج طويلة أوجزها في التالي:

١- تغيير بعض المناهج الجامعية، وإضافة ساعات للثقافة الإسلامية، وكان القائم على ذلك الدكتور أحمد العسال، والدكتور محمد رشاد سالم، والدكتور محمد فتحي عثمان، وغيرهم.

٢- أما المناهج المدرسية فقد أخبرني الشيخ سعيد الطنطاوي في بيته في ٨ رجب ١٤٢٩/ ٢٠٠٩ أن الشيخ الصواف عرض عليه أن يكون ممن يضع المناهج الجديدة في المملكة، وكان ذلك سنة ١٣٨٥/ ١٩٦٥، وكان فيصل قد اقتنع أن مناهج المملكة



الدراسية غير لائقة، فأسس لجنة على رأسها حسن آل الشيخ والأمير فهد بن عبدالعزيز، وأسسوا لجنة فرعية فيها ناصر الراشد وراشد آل خنين، وعبدالعزيز الرفاعي، ورضا عبيد، وحمزة عابد رئيس التعليم العام، وصالح العلي، ومناع القطان، فأرسل حسن آل الشيخ الصواف إلى سعيد الطنطاوي ليخبره أن الوزير يريده في اللجنة.

ثم استقرت اللجنة على ناصر بن حمد الراشد، وراشد بن خنين، وعبدالعزيز الرفاعي، ومناع القطان، ورضا عبيد، والجندول، وعبدالرحمن الباني، وهو معهم، وقد حدث تناوش في اللجنة التي عقدت اجتماعات متتالية، حتى أسست المناهج على بصيرة ووعي إسلامي في الجملة.

وأخبرني -حفظه الله- أنه طلب من القائمين على المناهج تغيير منهج التاريخ القديم الذي أفاض في الحديث في شأن الأمم الملحدة مثل الآشوريين والكلدانيين والاستعاضة عنه بتاريخ الأنبياء والرسل، ويضاف إليه سيرة النبي صلى اللله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، وقال لهم: إنكم تدرسون الطالب في الأول متوسط -الإعدادي- وعمره ١٢ سنة تدرسونه آلهة الكلدانيين والآشوريين، وفي السنة الثانية تدرسونه كل التاريخ الإسلامي فكيف هذا؟

وذكر لي أيضًا أنه بقي في اللجنة مدة كلما أرادوا الانتقال من هذا الموضوع أوقفهم حتى يستجيبوا له، حتى أنه أوقفهم أربع مرات، فاستجابوا له بعد ذلك، وأنشأوا لجنة مصغرة فيها عبد العزيز الخويطر -وكان مديرًا لجامعة الرياض آنذاك، ثم صار وزيرًا للتعليم- وسعيد الطنطاوي وعبد الرحمن الباني السوري وغيرهم، واستطاعوا بفضل الله تعالى أن يغيروا ما أرادوا تغييره من المناهج.

وأخبرني الأستاذ الدكتور محمد عبيد في منزله بمكة يوم ١٧/ ١١/ ١٤٢٥/ ٢٠٠٥ أن الشيخ مناعًا القطان كان مشاركًا في اللجنة العليا لسياسة التعليم، وأنشأها فيصل، ورئيسها ناصر الراشد، وكان الشيخ مناع هو المحرك لها، وأشرك الدكتور محمد عبيد



في وضع مناهج البنات العلمية : الفيزياء والرياضيات ، وكان الشيخ سعيد الطنطاوي يراجع بعض المواد .

- هذا وقد أخبرني أحد مشايخي الثقات أن الشيخ الدكتور أمين المصري نبه الملك إلى خطورة ابتعاث طلاب الشريعة لإكمال دراساتهم العليا إلى بريطانيا -كما كان السائد آنذاك- فأمر الملك بإنشاء قسم الدراسات العليا في جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة ، وهذا كان فتحًا في مقاييس تلك الأيام .

٣- الاستعانة بمشايخ ودعاة من خارج المملكة:

أنزل فيصل عددًا من المشايخ والدعاة والمثقفين من عدة بلاد عربية ، أنزلهم في بلاده ، وعُني بهم ، وفتح لهم عدة أبواب ، ومكن لهم في عدة مناصب ومسئوليات ، وكان ذلك منه لعدة أسباب :

أ- لرغبته في مقاومة المد البعثي والناصري الذي كان يهدد شباب بلاده ويكاد يستولي عليهم .

ب- لمروءة كانت فيه وشهامة منعته من رد مَن جاءه من المهددين من الإخوان المعارضين لنظام طاغية مصر عبدالناصر .

جـ- لتدينه ؛ فقد كان يرى أن الذين أنزلهم في بلاده متمسكون بالدين ومحافظون عليه .

وقد أخبرني الأخ المحامي مجاهد الصواف أن الأستاذ كان يأتي بلا جواز ولا شهادة فيجد عند فيصل ملاذًا وأمانًا ، وإذا شهد له اثنان أنه صاحب علم عينه .

وقد أخبرني الأستاذ مجاهد أن أباه كان مسؤولاً عن التعاقد مع المدرسين في وزارة المعارف ، وقال لفيصل : سآتي بجماعتي وسيكون الولاء لك ولن يحاربوك ، فكان الصواف يمكث في لبنان ويتعاقد مع مدرسين من العراق ولبنان وفلسطين ، واستمر هكذا ٤-٥ سنوات .



وكـان الشيخ يجتمع بالمدرسين كل سنة في العيـد في المدينة المنورة النبـوية في بستـان عبدالعزيز الناصر، ويأمرهم بالدعوة، وهو يوفر لهم الحماية بإذن الله تعالى.

وكان الصواف قد تحدث مع فيصل بأن شعوب العالم الإسلامي ليست معه، فأرسله فيصل ممثلاً عنه[1]، وممهداً لكنه لم يسافر معه أبدًا، ولما سافر فيصل إلى السنغال استُقبل كأنه خليفة للمسلمين.

ولما جاء المستشار حسن الهضيبي إلى المملكة سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣ للحج مكث في شقة في عمارة الجفالي في مكة، فأخبر الصواف الملك، فقال فيصل: مرحبًا بضيفنا، وهو شيخنا وأستاذنا، وأراد نقله للضيافة الملكية، فقال الهضيبي للصواف: سلم على الأخ فيصل وقل له: الضيافة مقبولة ولكن أنا سياسي، وجئت للحج بنفقتي الخاصة، ولا أريد أن أسيء له ولا أسيء للدعوة بسبب الضيافة، وحج مع الناس، وقال الملك في الهضيبي: رجل ونعم الرجل.

وكان مجاهد يرى أنه لو امتد عمر فيصل في الصحوة لتغير التاريخ.

وحدثني الشيخ عبدالله الزايد في ١٥/ ٨/ ١٤٢٥-٢٠٠٥، أن فيصلاً كان قادمًا من الخارج فدعا عبدالعزيز آل الشيخ - مفتي المملكة الآن - وكان رئيسًا للمعاهد العلمية، ودعا مجموعة من المشايخ للذهاب للسلام على فيصل، وكان هناك مراسلون وبعثات دبلوماسية، فلما حضروا طلب آل الشيخ من فيصل كلمة توجيه للمشايخ فقال: هم يوجهونني ولا أوجههم.

ولما سلموا عليه جاء الزايد وسلم عليه فضحك فيصل هازًا يد الزايد؛ وذلك لأن الزايد قرأ على فيصل في اجتماع سابق صفحتين فيها نصح له وهو منصت ثم سلمه الخطاب، فكان فيصل يذكّره بهذا.

٤- الوقوف بصلابة أمام الناصرية التي اكتسحت كثيرًا من بلاد العرب والإسلام، لكن فيصلاً وقف ضدها بقوة، مع أنه كان مهددًا باحتلال بلاده من قبل المصريين الذين كانت لهم صولة في اليمن وجولة، لكنه دارى بحكمة حتى جاز ببلاده تلك المحنة.

---

(١) وقد كتب الصواف في ذلك كتابًا مطبوعًا، رحمه الله تعالى.



ومن ذلك توزيع الكتب التي تفضح الناصرية وتوجهاتها الخبيثة، وكانت توزع في الحرمين في غرف خشبية يشرف عليها بعض الضباط، وكانت الكتب تطبع بأعداد كبيرة جداً ويتناقلها الحجاج في أنحاء العالم مما غاظ الناصريين كثيراً جداً.

٥- أنشأ الندوة العالمية للشباب الإسلامي سنة ١٣٩٢/ ١٩٧٢ التي كان لها أعمال جليلة في كثير من دول العالم، ومكن فيصل لكثير من الدعاة فيها على رأسهم أحمد توتونجي، ومحمد مهدي عاكف، وتوفيق الشاوي.

٦- أنشأ رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٨٩/ ١٩٦٩ وكان يُراد منها أن تكون مؤسسة جليلة تُعنى بخدمة المسلمين.

٧- أنشأ منظمة المؤتمر الإسلامي سنة ١٣٨٩/ ١٩٦٩ وكان يؤمل منها أن ترتقي لتصبح مثل منظمة الوحدة الأوروبية، وكان إنشاء الرابطة ومنظمة المؤتمر الإسلامي جزءاً من دعوته الشاملة للتضامن الإسلامي.

٨- قوّى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة النبوية، وحضر إليها مراراً وحضر بعض دروس مشايخها.

٩- رحلاته التي قام بها لزعماء الدول الإسلامية خاصة زعماء إفريقيا السوداء، وأثمرت عن قطع علاقات تلك الدول مع دولة المسخ الصهيوني.

١٠- كان له أثر في إخراج الإخوان من سجون مصر أيام السادات، وقد حدثني الدكتور أحمد العسال أنه لما مات الطاغية عبدالناصر ذهب فيصل إلى مصر، فطلب الشيخ مناع القطان من فيصل أن يتوسط لدى السادات ليخرج المسجونين، فلما عاد فيصل قال لمناع: سترى برهان ما تكلمت به ولن أقول شيئًا، وفعلاً خرج بعد ذلك المسجونون.



- **وإليكم هذا النص الملخص الجيد لعمل فيصل، رحمه الله تعالى:**

« سار الملك فيصل في سياسة دعم وتشجيع الحركات الإسلامية، والتجمعات واللقاءات بين الشخصيات والمفكرين من مختلف الدول الإسلامية، ونشطت رابطة العالم الإسلامي في محاربة الأيديولوجيات المعاصرة، والدفاع عن الإسلام، ومحاربة العلمانية، ونشر التعليم والثقافة الإسلامية، ومناقشة قضايا تخص المسلمين في كشمير وباكستان وفلسطين والجزائر وإرتيريا وغيرها، ودعت في أهدافها إلى الجامعة الإسلامية، والوحدة، وإقامة اللقاءات بين المفكرين المسلمين، وأصدرت الرابطة مجلتين هما رابطة العالم الإسلامي، وأخبار العالم الإسلامي [1]، وأسهمت الرابطة بشكل فعال في بث الوعاظ والدعاة المتجولين لنشر الإسلام في بقاع العالم، ونشرت ترجمات القرآن الكريم باللغات الأجنبية، وقدمت دعمًا ماديًا ومعنويًا للجمعيات الإسلامية [2].

ودعا الملك فيصل إلى عقد مؤتمرات إسلامية[3]، أكدت ضرورة إنهاء الخلافات بين المسلمين، والتعاون بين الدول الإسلامية، وإنشاء مصرف إسلامي، وإقامة جامعات إسلامية، وبناء أسس التعاون الاقتصادي الإسلامي المشترك بين الدول الغنية والأخرى الفقيرة.

واستمرت سياسة فيصل في السبعينيات في دعم الجماعات والحركات الإسلامية عن طريق تقديم المنح الدراسية لأعضائها، وقبول الطلاب في الجامعات الإسلامية، وتدريب أعضاء هذه الجماعات على أصول التعليم الإسلامي، واستقبال أعضائها للإقامة في

(١) عبدالله محمد سندي، «الملك فيصل والتضامن الإسلامي» مجلة الدارة، السنة ٥، العدد ٢ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩)، ص ٢٣٤-٢٣٥، وصلاح الدين المنجد، أحاديث عن فيصل والتضامن الإسلامي (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤)، ص ٩٥.

(٢) سجل الآراء حول الوقائع السياسية في البلاد العربية لعام ١٩٦٦: الكويت والخليج العربي (بيروت: نشر سجل العرب، ١٩٦٦)، ص٥٦.

(٣) من المؤتمرات التي عقدها الملك فيصل، المؤتمر الإسلامي في آذار/ مارس ١٩٦٩ بجدة، والمؤتمر الإسلامي عام ١٩٧١، وأنشأ «الندوة العالمية للشباب المسلم»، و «منظمة المؤتمر الإسلامي» في جدة عام ١٩٧٠، انظر: عبدالملك عودة، «التضامن الإسلامي في عالم متغير»، المستقبل العربي، السنة ٥، الأعداد ٤٢-٤٤ (آب/ أغسطس - تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٢)، ص ٦١-٦٩.

الأراضي السعودية، وتقديم الدعم الإعلامي لها، ونشر الكتب والرسائل الخاصة بها، وتقديم الدعم المالي والمعنوي لها أيضًا. . . »[1].

١١- رقته وبكاؤه:

حدثني أحد مشايخي الثقات أن الشيخ أبا الحسن الندوي -رحمه الله تعالى- قال له: هنيئًا لكم بهذا الملك، فقد جئته ووعظته فبكى.

وحدثني الأستاذ مجاهد الصواف ابن الشيخ محمد محمود الصواف[2] العراقي، أنه دخل المسجد الذي كان يصلى فيه فيصل في حي الحمراء في جدة، وكان ذلك عام ١٣٩١ تقريبًا/١٩٧١ فرأى فيصلاً يبكي حتى بلل أطراف غترته «أي ما يضعه على رأسه مثل الشال» فأخبر مجاهد والده، فسأل فيصلاً: لِم تبكي؟

فقال: القدس، ماذا أقول لله تعالى؟

فقال الشيخ: كلنا سنُسأل عن القدس.

فقال فيصل: لا لكني ملك وسيسألني الله عن القدس سؤال ملك!!

وأخبرني الأستاذ مجاهد أن فيصلاً عاش السنوات الخمس الأخيرة من حياته زاهدًا يتمنى الشهادة، وكان يرى أن حياته تغيرت بعد هزيمة ١٣٨٧/ ١٩٦٧.

وقد أخبرني الدكتور عبدالله الزايد في ١٥/٨/ ١٤٢٥/ ٢٠٠٥ أن فيصلاً لما توفي عزّى الشيخ ابن باز زوجه عفت الثنيان، فقالت له: إن فيصلاً كان إذا فرغ من الديوان في وقت متأخر من الليل عاد إلى البيت ليصلي ويقرأ القرآن ويبكي.

---

(١) «التيارات الفكرية في الخليج العربي»: ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) داعية إسلامي مناضل. ولد بالموصل سنة ١٣٣٣ وتعلم بها وبالأزهر، وعمل بالتدريس في كلية الشريعة بجامعة بغداد، وشارك في الجهاد ضد الإنكليز. وأسس جميعة إنقاذ فلسطين بالعراق، وجمعية الأخوة الإسلامية، وكان المراقب العام للإخوان المسلمين بالعراق. هرب من العراق إلى الشام بعد ثورة الشيوعيين الذين هاجموا مقر مجلة لواء الأخوة الإسلامية التي أنشأها، وحطموا المطبعة وبدّدوا المكتبة، ومن الشام خرج إلى السعودية التي عمل فيها في مناصب كان أرفعها ما كان مع الملك فيصل رحمه الله تعالى. له عدد من المصنفات. توفي سنة ١٤١٣ رحمه الله تعالى. انظر «ذيل الأعلام»: ٢٠٠-٢٠١.



وقال الشيخ مناع القطان إن الملك فيصل في آخر حياته كان يتهجد ويبكي.

وذكر لي الشيخ الدكتور عبدالله المصلح في ٢٢/ ٣/ ١٤٣١ أنه كان معيداً في كلية الشريعة في الرياض سنة ١٣٩١/ ١٩٧١، ونُظمت رحلة إلى الحج يرأسها د. عبدالله الزايد وكان هو نائبه ومعهما الطلاب، فدخلا ليسلما على فيصل في منى ولم يكن في مجلسه سوى أربعة أشخاص: فواز أخوه وكان أمير مكة، والشيخ عبدالملك آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورجل مغربي لايعرفه، والشيخ محمد نسيب الرفاعي السوري، وكان يقرأ على الملك قصيدة في أحوال المسلمين في فلسطين، وكان الملك فيصل يبكي بكاء مرّاً، ثم قال بعد ذلك: أنا دعوت إلى التضامن الإسلامي فاتهموني بإعادة حلف بغداد، وأنا أريد إعادة مجد المسلمين وسيادتهم.

١٢- أثره في غير المسلمين:

لقد كان للملك فيصل -رحمه الله تعالى- أثر في بعض ذوي المراكز والوجهاء من غير المسلمين، فمن ذلك أثره في رئيس فرنسا الجنرال ديجول، فقد اجتمع به في باريس سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧ وناقشه حتى استطاع أن يغير رأيه في اليهود بعد أن كان منحازاً لهم أشد الانحياز، في قصة جليلة أوردها مستشاره ورئيس وزراء سوريا الأسبق في مذكراته.

وقد أثر -أيضًا- في الدكتور موريس بوكاي رحمه الله، وذكر ذلك الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى فقال:

«قبل بضع سنين كنت مقيمًا في باريس، عند أحد الإخوان من الموحدين. وكنت قد سمعت أن الطبيب الجراح الشهير الدكتور موريس بوكاي، ألف كتابًا بين فيه أن القرآن العظيم هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع المثقف ثقافة علمية عصرية، أن يعتقد أنه حق منزل من الله -تعالى- ليس فيه حرف زائد، ولا ناقص، وقلت للأخ الذي أنا

مقيم عنده، أريد أن أزور الدكتور موريس بوكاي؛ لأعرف سبب نصرته لكتاب الله، ولرسول الله ﷺ فلم يجبني بل ذهب إلى الهاتف «التليفون»، وتكلم مع الدكتور موريس بوكاي، وقال له: إن عندي الدكتور محمد تقي الدين الهلالي البالغ من العمر سبعًا وثمانين سنة، يريد أن يزورك، ويتحدث معك.

فقال له: أنا أزوره الآن، وبعد قليل طرق الباب، فذهب صاحب البيت وفتح الباب، فإذا الدكتور موريس بوكاي قد جاء، فدخل علينا؛ ففرحنا بزيارته، وقلت له: أرجو من فضلك أن تحدثنا عن سبب تأليفك لكتابك: «التوراة والإنجيل والقرآن، في نظر العلم العصري» فشرع يتكلم، فقال لي: إنه كان من أشد أعداء القرآن والرسول محمد ﷺ وكان كلما جاءه مريض مسلم محتاج إلى علاج جراحي يعالجه، فإذا تم علاجه وشفي يقول له: ماذا تقول في القرآن هل هو من الله -تعالى- أنزله على محمد، أم هو من كلام محمد نسبه إلى الله افتراء عليه؟ قال: فيجيبني هو من الله، ومحمد صادق، قال فأقول له: أنا أعتقد أنه ليس من الله، وأن محمدًا ليس صادقًا، فيسكت، ومضيت على ذلك زمانًا حتى جاءني الملك فيصل بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية. فعالجته علاجًا جراحيًا حتى شفي، فألقيت عليه السؤال المتقدم الذكر، فأجابني: بأن القرآن حق، وأن محمدًا رسول الله ﷺ صادق. قال: فقلت له: أنا لا أعتقد صدقه. فقال لي الملك فيصل: هل قرأت القرآن؟. فقلت: نعم قرأته مرارًا وتأملته.

فقال لي الملك فيصل: هل قرأته بلغته، أم بغير لغته، أي بالترجمة فقلت: أنا ما قرأته بلغته، بل قرأته بالترجمة فقط، فقال لي: إذن أنت تقلد المترجِم، والمقلد لا علم له، إذ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أُخبِر بشيء فصدقه، والمترجِم ليس معصومًا من الخطأ والتحريف عمدًا، فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية، وتقرأه بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطئ.



قال: فتعجبت من جوابه، فقلت له: سألت كثيرًا قبلك من المسلمين، فلم أجد الجواب إلا عندك.

ووضعت يدي في يده، وعاهدته على أن لا أتكلم في القرآن، ولا في محمد إلا إذا تعلمت اللغة العربية، وقرأت القرآن بلغته، وأمعنت النظر فيه؛ حتى تظهر لي النتيجة بالتصديق، أو بالتكذيب.

فذهبت من يومي ذلك إلى الجامعة الكبرى بباريس، إلى قسم اللغة العربية، واتفقت مع أستاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلى بيتي، ويعلمني اللغة العربية ساعة واحدة، كل يوم، حتى يوم الأحد الذي هو يوم الراحة، ومضيت على ذلك سنتين كاملتين لم تفتني ساعة واحدة، فتلقيت منه سبع مئة وثلاثين درسًا، وقرأت القرآن بإمعان، ووجدته هو الكتاب الوحيد، الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله، لا يزيد حرف ولا ينقص، أما التوراة، والأناجيل الأربعة ففيها كذب كثير لا يستطيع علم عصري أن يصدقها[(١)].

- **رئيس باكستان ضياء الحق:**

وقد جاء بانقلاب عسكري ضد حكم ذي الفقار علي بوتو الشيعي الرافضي، وكان له آثار جليلة في دعم الجهاد الأفغاني، وتحكيم الشريعة في جوانب عديدة في بلاده، وقد تحدثت فيما صنعه بالتفصيل في مبحث سابق[(٢)]، ولكن أسوق هاهنا شهادة الأستاذ أحمد صلاح جمجوم رحمه الله تعالى التي تبين بعض أعماله، والصفات التي كان يتحلى بها، رحمه الله تعالى.

- شهادة الأستاذ أحمد صلاح جمجوم - رحمه الله - في عمل ضياء الحق وصفاته، رحمه الله تعالى:

تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان:

وفي عام ١٩٧٧ قام الجنرال محمد ضياء الحق رئيس أركان القوات المسلحة، بانقلاب

(١) «مجلة البحوث الإسلامية»: ١١/ ١١٣- ٣١٥.

(٢) انظر الفصل الثاني: المبحث الثاني: المطلب الثاني: الصحوة خارج البلاد العربية.



حلاً لأزمة سياسية خانقة وخلافات حول نتائج الانتخابات بين الحكومة والمعارضة، ووضع رئيس الوزراء ذو الفقار علي بوتو في السجن، ثم حوكم بتهمة قتل معارضين وأدين وأقيم عليه القصاص عام ١٩٧٩.

وبعد عام من الانقلاب، استلم الجنرال ضياء الحق رئاسة الدولة، عام ١٩٧٨، وأعلن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدلاً من الأنظمة الوضعية المستقاة من الدستور البريطاني التي كانت مطبقة حتى ذلك الحين، وعدّل الدستور المؤقت الذي وضعه علي بوتو عام ١٩٧٣ ثم ألغاه، وأقام محاكم شرعية، وألغى الفوائد الربوية في البنوك، وطبّق الحدود الشرعية.

تضييق غربي على باكستان:

وطبعًا حارب الغرب وأمريكا كل هذه المواقف وقوطعت باكستان وضُيّق على حكومتها الخناق، خصوصًا مع استمرار برنامجها النووي الذي قاد في نهاية المطاف إلى حصول باكستان على أول قنبلة نووية يملكها بلد إسلامي بهدف توازن القوى بينها وبين عدوتها الهند التي فجّرت قنبلتها النووية عام ١٩٧٣، إلا أن علاقتها مع المملكة تقدمت من حسن إلى أحسن، خصوصًا بعد الخطوات التي قام بها الرئيس ضياء الحق لتطبيق الشريعة الإسلامية.

الغزو السوفيتي غيّر الموازين:

وفي عام ١٩٧٩ غزا الاتحاد السوفيتي أفغانستان ولجأ ملايين الأفغان إلى باكستان، وشعرت أمريكا ومعها المعسكر الغربي بالحاجة الماسة للتعاون مع الحكومة الإسلامية في إسلام أباد، ونتج عن المباحثات مع الرئيس ضياء الحق تقديم أمريكا لأكثر من ثلاثة بلايين دولار مساعدات عسكرية واقتصادية في خطة امتدت ست سنوات، وفي المقابل تعاونت باكستان مع الولايات المتحدة وحلفائها في دعم المقاومة الأفغانية للاحتلال السوفيتي، وكانت المملكة معنية بالجهاد الأفغاني فأسهمت في دعمه وزادت من درجة تعاونها مع الحكومة الباكستانية إلى درجة غير مسبوقة في تاريخ البلدين.

رأيت ضياء الحق يبكي:

والحق أن الرئيس ضياء الحق كان مسلمًا شديد التمسك بعقيدته والحماس لقضايا المسلمين، وهو لذلك شجَّع المملكة على إرسال وفد إلى الصين لتفقُّد أحوال المسلمين هناك، كما تعاون في جميع برامج منظمة المؤتمر الإسلامي ومشاريع البنوك الإسلامية، ودعم المجاهدين الأفغان، وعمل على نشر المدارس القرآنية في بلاده، وتطعيم مناهجها الدراسية بالمواد الدينية، وأشهد أنني رأيته يبكي عندما يتحدث عن أحوال المسلمين ومعاناتهم وعن حال الأمة الإسلامية وضعفها وانكسارها، وكان يتردد كثيرًا على المملكة فيعتمر ويزور في كل مرة.

كان نظيف اليد زاهدًا:

كما كان الرئيس ضياء الحق رجلاً نظيف اليد، زاهدًا، حريصًا على المال العام.

وقد عاش في نفس الوحدة السكنية التي كان يسكنها أثناء عمله في الجيش، ولم يعرف عنه أنه أساء استخدام السلطة أو أثرى من ورائها، أو أنه سمح لأحد من أعوانه بذلك، وخلال عهده حققت باكستان العديد من الإنجازات، واستفادت إلى أعلى درجة من المساعدات التي حصلت عليها، سواء من الغرب، أو من البلدان الإسلامية وعلى رأسها المملكة [1].

وقال الشيخ المجاهد عبد الله عزام -رحمه الله-:

وفي العام الماضي مثل هذه الأيام [2] في شهر مارس وقف العالم كله يريد أن يسرق ثمار هذا الجهاد من المجاهدين، مؤامرة جنيف لم تكتب أي سهم للمجاهدين من هذا الجهاد، بل من المضحك المبكي أنها كتبت العفو العام عن مجرمي الحرب سياف، وحكمتيار وما إلى ذلك.. تعتبرهم مجرمي حرب.

قيل لضياء الحق وقع هذه المعاهدة. رفض، وأصر، ودافع، وأخيرًا اجتمع بقادة الجهاد

---

(١) «أحمد صلاح جمجوم يتذكر»: ٨٦- ٨٩.

(٢) أي سنة ١٤٠٨/ مارس: ١٩٨٨.

-رحم الله ضياء الحق، بوقفته المشرفة، هذا الرجل كان هدية من الله إلى المجاهدين وإلى المسلمين- اجتمع بهم، قال لهم: أنا مضطر أن أوقع معاهدة جنيف، وأريد أن تساعدوني وتعذروني، قال له سياف: أأنت مقتنع بهذا؟ الأولى لك ياضياء الحق، وقد سرت معنا مسيرة الرجال هذه الأعوام التسعة، أن تقول لنا اخرجوا من بلدي، ولا أن توقع وثيقة فيها بيع أفغانستان ودماء مليون ونصف شهيد، أن يحفظ التاريخ عنك أنك وقعت وثيقة، وأطرق ضياء الحق وكان وقافًا عند النص، ورجع إلى بيته. ويحدث ابنه، يقول: رجع والدي واجمًا حزينًا، لم يذق الطعام، ولعله في تلك الليلة لم يغمض له جفن ولم يكتحل بنوم، وفي الصباح كان أمره كذلك، واقتحمنا عليه وحشته، وخلوته، ما الذي يقلقك؟ قال لأول مرة أضطر أن أخذل إخواني المجاهدين. ووقع ضياء معاهدة جنيف، لكنه وضع استدراكين على المعاهدة، قال: لا أجبر المهاجرين أن يرجعوا، ولا أضمن بوقف إطلاق النار من خلال حدودي.

رئيس وزرائه جونيجو، ووزير خارجيته نوراني، كانا موعودين من العالم بقطعة ذهبية مكتوب عليها ميدالية السلام، جائزة نوبل، ميدالية السلام، فكانا يريدان بيع الشعب الأفغاني ودينه وعرضه ودمائه بقطعة ذهبية، وكان ضياء الحق لا يريد أن يوقع المعاهدة، وهدد رئيس وزرائه، إنك إن لم تنفذ، سأقدم بك تقريرًا للعالم، للأمم المتحدة ولأمريكا، ولروسيا ولغيرها، وفكر هذا الرجل طويلاً، لم يجد بدًا إلا أن يطيح بالحكومة المدنية، وعندما أعلن قائلاً -بعد الإطاحة بالحكومة المدنية- إني أولاً سأطبق الإسلام ولو كلفني مالي، وأهلي، وعرشي، ثانيًا سأقف مع المجاهدين حتى أودع آخر واحد معززًا مكرمًا راجعًا إلى بلده رافع الرأس، قال له أسْلَمْ خَتَكْ؛ وزير داخليته، سيقتلك العالم، سيقتلك الغرب، قال له: ياخَتَكْ إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض.

هذه النفس لولا معايشتها لأحداث الجهاد، وكم تحمل هذا الرجل، تحمل الكثير والكثير والكثير، الدنيا كلها كانت تقف أمام ضياء الحق، تقول له: أخرج المجاهدين، خمسة عشر حزبًا سياسيًا في باكستان، ثلاثة عشر حزبًا ضد الجهاد، البلد تموج، الشيوعيون واليساريون يفجرون التفجيرات حتى يثبتوا لضياء الحق أن وجود الأفغان هو الذي يقطع حبل الأمن، يقف والدنيا كلها تتزلزل تحت قدميه، يقول: افعلوا ما شئتم، لن



أترك هذا الكرسي حتى أودع آخرهم معززًا مكرمًا إلى بلده، أنتم لا تعرفون معنى الهجرة والجهاد، وأنا الذي أعرفه، لقد مشيت على قدمي ثمانين ميلاً مع أمي مهاجرًا من الهند إلى الباكستان(١).

● **محمد أنور السادات:**

حدث تحول كبير في مصر عقب هلاك الطاغية عبدالناصر، والذي حارب الإسلام والمسلمين بلا هوادة طوال مدة حكمه البغيض، فلما جاء السادات وحكم مصر كانت الصحوة آخذة في الانتشار، فقام بتعديل سياسة الدولة في التعامل مع الإسلام والمسلمين، وظهر بوجه آخر غير وجه سلفه الكالح، وسمى نفسه الرئيس المؤمن.

سعى السادات من أجل الشرعية إلى زيادة الاعتماد على القضايا الإسلامية كبديل جزئي للفراغ المذهبي الذي خلقه بنبذه الحثيث للناصرية، وقرر دستور ١٩٧١ أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، كما أعلن أن الشريعة مصدر من مصادر التشريع . . .

شهد منتصف السبعينيات السادات يتبع سياسة ذات ثلاثة اتجاهات في المجال الإسلامي:

١- استرضاء مؤسسة الإسلام الرسمية المتمركزة في الأزهر والمساجد الحكومية الكبيرة؛ وذلك لدعم تأييد القيادة الإسلامية في مصر.

٢- استرضاء الإخوان لتحييد المعارضة الأصولية واستغلال قوة الجماعة التنظيمية ضد الناصريين.

٣- قمع الجماعات الأصولية النضالية التي تهدد أنشطتها العُنْفية النظام. . . (٢).

- وحاول جماعات من العلماء والدعاة أن يغيروا التشريع المصري ليتوافق مع التشريع الإسلامي، فكان هذا الإعلان الموافق لرغبات الجماهير.

---

(١) «محاضرة الجهاد وحاجة الأمة إليه»: د. عبدالله عزام. مطبوعة ضمن مجموع «محاضرات الموسم الثقافي: ١٤٠٨-١٤٠٩»: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الطبعة الأولى سنة ١٤١٨.

(٢) «الأصولية في العالم العربي»: ١٢٨-١٢٩.

أعلن وزير العدل المصري في أول ربيع الأول سنة ١٣٩٧/ أواسط مارس سنة ١٩٧٧ أمام مجلس الشعب ما يلي:

١- القوانين الجديدة في مصر تصدر طبقًا للشريعة الإسلامية بعد أن تبين أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو الوسيلة الوحيدة لتقويم ما في المجتمع من اعوجاج.

٢- العمل قائم على إعادة صياغة قانون الأحول الشخصية بما يتفق والشريعة الإسلامية نصًا وعملاً بعد أن تبين القصور التام في القانون القائم.

٣- تجري الآن مراجعة شاملة للقانون المدني، وخاصة في نظام الربا والفائدة لمعرفة الضوابط الإسلامية بشأنهما، وإزالة البلبلة من النفوس.

٤- ثم الإعداد التام لكل القوانين المتعلقة بجميع الحدود أي قوانين النظام الجنائي في الإسلام، وأن وزارة العدل تحرص على أن تأتي قوانين الحدود في الإسلام متكاملة ودفعة واحدة؛ إذ إن هناك قواعد عامة ومشتركة تحكم هذه الجرائم.

٥- تم تشكيل لجنة القوانين القائمة والمعمول بها الآن، أما القوانين اللاحقة فستصدر طبقًا للشريعة الإسلامية.

٦- لجنة التعديل تضم رجال الفقه والقانون، وأن الجزء الأكبر فيها يتكون من رجال الفكر الإسلامي وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية[١].

وقد نُص في الدستور المصري سنة ١٣٩١/ ١٩٧١ أن التشريع الإسلامي هو مصدر أساسي للقوانين، وقد قال الأستاذ: أنور الجندي - رحمه الله تعالى - في هذه المسألة ما يلي:

قاد شيخ الإسلام عبدالحليم محمود[٢] جموع المصلين في الأزهر في مسيرة ضخمة إلى

---

(١) مجلة «المجتمع» الكويتية: ٣٤٣: ٩/ ٤/ ١٣٩٧ - ٢٩/ ٣/ ١٩٧٧ ص ١٤.

(٢) شيخ الأزهر وأحد علماء مصر المكثرين من التصنيف. ولد بإحدى قرى الشرقية سنة ١٣٢٨، وحفظ القرآن الكريم، ودرس في الأزهر ونال شهادته العالمية، ثم سافر إلى فرنسا ودرس علم النفس والاجتماع وتاريخ الأديان بالسوربون، ونال الدكتوراه في التصوف ثم عاد إلى مصر مدرسًا بالأزهر، ثم عين عميدًا لكلية أصول الدين فأمينًا عامًا لمجمع البحوث الإسلامية فوكيلاً للأزهر فوزيرًا للأوقاف ثم شيخًا للأزهر وعمل أستاذًا زائرًا في عدة جامعات إسلامية. توفي سنة ١٣٩٨ رحمه الله تعالى. انظر «ذيل الأعلام»: ١١٥-١١٦.

مجلس الأمة، وكان الشعب كله يخفق قلبه ويرفع عقيرته في دعوة صادقة إلى ذلك ويتطلع إليه، وإن كانت المادة قد ظهرت أول الأمر بدون تعميم فأصبحت مصدراً ثم عدلت بعد سنوات طويلة، ولكنها كانت منذ ذلك الوقت علامة على الاتجاه الشعبي العارم لتطبيق الشريعة الإسلامية كمخرج من الأزمة التي وقع فيها العرب والحكومة بنكسة ١٩٦٧، ومن ثمّ فقد بدأت عمليات تقنين الشريعة[١].

- **هذا وقد قال الدكتور وحيد رأفت:**

حققت الجماعات الدينية نصراً ملحوظًا في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية عندما عدلت المادة الثانية من الدستور الحالي الصادر في ١١ سبتمبر ١٩٧١ وذلك للنص فيها في عام ١٩٨٠ على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع وليست مصدراً من مصادره فحسب[٢].

ومن ذلك ما كتبه الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب:

بعد قرن كامل من الزمان تعود مصر إلى تقنين الشريعة الإسلامية:

- **السبب الأول**: أن تُحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى وهذا التزام يقع على عاتقنا، وعلينا أن نوفي به.
- **السبب الثاني**: أن القانون مرآة لحضارة المجتمع. . .
- **السبب الثالث**: إننا اليوم نعيش في عالم لا مكان فيه للتجمعات السياسية الصغيرة، ولا الوحدات الاقتصادية الصغيرة، والشريعة لا يكون لها هذه الفاعلية إلا إذا اعتمدت على قانون موحد. . .
- **السبب الرابع**: مصر ستظل أبد الدهر عربية إسلامية، ولا تكون مصر جديرة بعروبتها وإسلامها إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية. . .[٣].

---

(١) «تاريخ الدعوة الإسلامية»: ١١٥.

(٢) «صيحة الحق»: ٢٩٤.

(٣) «تاريخ الدعوة الإسلامية»: ١٨١.

والسادات له أقوال وأعمال كثيرة مخالفة للإسلام، وله محاسن عملها ولا أخوض في نيته فيها، والله الموعد، لكن الصحوة اشتدت في عهده وبتشجيع منه في بعض أعمالها كما بينت في مبحث سابق، والله أعلم.

- الكويت:

أصدر الديوان الأميري في الكويت في ٦/ ٣/ ١٤٠٠ بيانًا يقضي بتشكيل لجنة لدراسة برامج التلفزيون وإعادة النظر فيها بما يتفق والأهداف الدينية والتربوية، وهذا نص البيان:

بتوجيهات من صاحب السمو أمير البلاد، وحرصًا منه بأن يقدم تلفزيون الكويت أفضل البرامج أمر سموه بتشكيل لجنة لدراسة برامج التلفزيون من النواحي الدينية والتربوية والاجتماعية والثقافية لما لهذه البرامج من أثر فعال على نفسية المواطنين وخاصة النشء الجديد، وتقديم تقرير عنها من أجل إعادة النظر في هذه البرامج على ضوء التقرير المقدم من اللجنة (١).

وتلفزيون الكويت ظل على حاله في البعد عما هو منشود ومطلوب من أكثر المسلمين، لكن السياق هنا في التحول في النظرة السياسية للحكام، وأنها اتجهت إلى مراعاة شعائر الإسلام وقيمه وآدابه.

- منع الاختلاط في المدارس الخاصة في الكويت (٢).

- منع الخمور في فنادق ومطاعم ونوادي الكويت سنة ١٣٩٨/ ١٩٧٨ (٣).

- ومن وجوه التحول إلى الالتزام والصحوة في الكويت ما أوردته مجلة المجتمع الكويتية من أن الخطوط الكويتية منعت الخمر على طائراتها (٤).

وقد كان إسلاميو الكويت من أوائل الإسلاميين المطالبين بالعمل بالشريعة الإسلامية وجعلها المصدر الذي تُستقى منه القوانين، وإليكم مثلاً على ذلك ذكره د. مفيد الزيدي فقال:

---

(١) مجلة «المجتمع» الكويتية: العدد ٤٦٧ سنة ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

(٢) المصدر السابق: العدد ٢١٨ رمضان سنة ١٣٩٤/ ١٩٧٤.

(٣) المصدر السابق: العدد رقم ٤٠٠: ١٤/ رجب سنة/ ١٣٩٨-١٩٧٨.

(٤) المصدر السابق: العدد ٢٤٩ سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥.

أما القضية الثالثة التي نالت اهتمام التيار الإسلامي فهي قضية تطبيق الشريعة الإسلامية، فقد اهتمت الحركات الإسلامية بالدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية. . . ومن بينها الجماعات الإسلامية في الخليج العربي، فيعلق عبدالله المطوع أحد قادة الإخوان المسلمين بالكويت على ذلك بقوله:

هدف الإسلاميين من المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية ينحصر في تلبية أمر الدين الحنيف والله سبحانه يقول: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] [١].

ويرى عبدالله النفيسي أن الشريعة الإسلامية لم تنصّ على نظام محدد حتى لا يفهم بأن الحكم الإسلامي من دون تغيير أو مسايرة مع الزمن، ومستجدات العصر، على الرغم من سعي الحركات الإسلامية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية محل الأنظمة الوضعية في المجتمع الإسلامي، وأشار إلى أن العمل السياسي الإسلامي يجب أن يتلاءم مع التغيرات في النظامين الاقتصادي والاجتماعي [٢].

وأوضحت جمعية الإصلاح الاجتماعي أن تطبيق الشريعة الإسلامية سيقود لحل مشكلات العمل الإسلامي، ويعيد الأمن والاستقرار، وأن الحركات الإسلامية مؤهلة تأهيلاً جيدًا لتسهم في تطبيق الشريعة على الصعد كافة [٣]، وتأملت بأن تتحقق هذه المسألة عاجلاً أو آجلاً من خلال عمل المسلمين على شرع الله في شؤون الحياة كافة، وإقامة نماذج إسلامية صحيحة، وإقناع الحكومات والشعوب بجدوى تطبيق الشريعة الإسلامية [٤].

ولا بد من التوقف عند تجربة التيار الإسلامي في الكويت الذي سمحت له ظروف الانفتاح الديمقراطي، وترشيد الحركة الإسلامية الأصولية بجذبها إلى ساحة العمل

(١) نقلاً عن: مجلة المجتمع (٨ تشرين الثاني/ نوفبر ١٩٨٧)، ص ٢٤-٢٥.
(٢) انظر رأي عبدالله فهد النفيسي في: التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة): بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: المركز، ١٩٨٥).
(٣) المجتمع (١٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٧)، ص ٢٦.
(٤) المجتمع (٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٧)، ص ٢٩.

السياسي، ودفعها إلى انتهاج نهج معتدل، وجعلها جزءًا من القوى السياسية الفاعلة عبر المشاركة في مجلس الأمة، والتشكيلات الوزارية، واتباع خطاب إسلامي سياسي معتدل[١].

الإمارات:

أصدر زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات قانونًا من إحدى عشرة مادة يحظر أي عمل مناهض للإسلام ومبادئه، سواء كان بالقول أو بالفعل، فرديًا أو ضمن جماعة، ويدخل في نصوص هذا القانون منع الدعوة إلى النصرانية أو إلى أي دين أو مذهب مناهض للإسلام، وصدر هذا القانون في ١٨ محرم سنة ١٣٩٩/ ١٨ ديسمر سنة ١٩٧٨[٢].

- وأختم هذا المبحث بأمور منها مقولة مهمة للدكتور يوسف القرضاوي توضح ما أريد:

لو مس أحد العقيدة الإسلامية بأن تجاوز حدوده فيما يتعلق بمقام الله جل جلاله، أو بمكانة الرسول الكريم ﷺ أو بقدسية القرآن العظيم، أو بأي ركن من أركان العقيدة الإسلامية وغيبياتها اليقينية فإن الصحوة في لمح البرق تقيم الدنيا وتقعدها، وتنقلب إلى براكين ثائرة، حتى تعلو كلمة الإيمان، وتنكسر شوكة الكفر[٣].

ولا شك أن حكام المسلمين تغيرت طرائق حكمهم لشعوبهم بعد الصحوة، وقَلّت كثيراً معاداة من يعادي الإسلام منهم، ولم يعودوا يجرءون على الجهر بمعاداة الإسلام -كما كان الحال قبل الصحوة- والله أعلم بسرائرهم وأحوالهم.

هذا وقد قال الشيخ القرضاوي - حفظه الله تعالى - موضحًا بعض ما جرى في الحياة السياسية عقب الصحوة:

من آثار هذه الصحوة التنادي لتطبيق الشريعة الإسلامية؛ أي أن هناك أصواتًا قوية الآن في أنحاء العالم الإسلامي تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية، في البلاد التي لم تطبق

---

(١) «التيارات الفكرية في الخليج العربي»: ٢٨٢-٢٨٤.

(٢) مجلة «المجتمع» الكويتية: العدد ٤٤٨ بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٣٩٩/ ١٩٧٩.

(٣) «الصحوة الإسلامية» ١٦١.



الشريعة الإسلامية، إلا أن بعض البلاد بدأت تمارس هذا التطبيق، وفي البلاد الأخرى بدأت الأصوات تنادي من شرق إلى غرب ومن شمال إلى جنوب بوجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، كان هذا الصوت خافتًا فيما مضى، أصبح صوتًا عاليًا الآن جهوريًا بملء الفم وبأعلى الصوت ينادي المنادي بوجوب التطبيق، وبدأت تشكل لجان في بلاد مختلفة لتقنين الفقه الإسلامي، فهذا ولا شك يمثل الصحوة بعد أن كان الناس قبل ذلك يقولون لا يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية، كقطع يد السارق وجلد شارب الخمر وكان هذا أمرًا مستبعدًا، الآن أصبح هذا شيئًا معترفًا به، وأصبحت الحكومات نفسها تترضى الشعوب بإعلان أن هذه الأشياء ستوضع موضع التنفيذ وأصبحت هذه الأمور تستخدم في المعركة الانتخابية؛ حيث يحاول المرشحون إرضاء الناخبين بأنهم سيعملون على تطبيق الشريعة الإسلامية، فالجانب الإيجابي في الصحوة هو هذا المعنى، التنادي والدعوة لتطبيق الشريعة، إعلاء الصوت بهذا الأمر، الاقتناع الجماهيري بضرورة العودة إلى الشريعة الإسلامية.

أما التطبيق فهو إن شاء الله قادم حينما تتسع هذه الصحوة وتمتد وتتعمق وتصل إلى أكبر قاعدة ممكنة عريضة من جماهير المسلمين[1].

تقويم هذا الجانب:

أثر الصحوة في تكوين الوعي السياسي:

وجد القائمون على الصحوة أنها محاطة بمؤامرات وكيد كموج البحر المتتابع، ورأوا أنهم إن لم يطلعوا على تلك المؤامرات ولم يبحثوا عن الطرق التي تنجيهم منها فإن صحوتهم ستذهب أدراج الرياح، وستصبح أثرًا بعد عين، فمن هاهنا نشأت الحاجة إلى وعي سياسي، لكن الصالحين من أهل الصحوة انقسموا حيال هذا الأمر إلى ثلاث فرق، وما زالوا منقسمين:

١- فريق أوغل في الجانب السياسي حتى أنساه ذلك الإيغال الالتفات إلى تربية نفسه ومن حوله، بل وصل الأمر بهم إلى حد جفاف أعينهم وقسوة قلوبهم بل أصبح بعضهم كآحاد الساسة ذوي الألاعيب والحيل، وهذه الفئة قليلة العدد لكنها مؤثرة.

(١) «قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث»: ١٤- ١٥.

٢- وفريق أعرض بالكلية عن السياسة بدعوى أنها رجس، وأنها من عمل الشيطان، وأنها مقربة إلى التصادم مع ذوي السلطان الحاكمين، فأصبحوا أقرب إلى الدراويش الذين لا يكادون يفقهون ما يدور حولهم، وهذه الفئة هي كثرة كاثرة في عموم أهل الصحوة اليوم.

٣- وفريق توسط بين هؤلاء وأولئك فأخذ من السياسة وعلومها بقدر معقول وجيد بحيث لا تطغى على ما ينبغي أن يطلبه ويحصله المرء العاقل المؤمن في دنياه مما يقربه إلى مولاه، وهذه الفئة اليوم كثيرة ولله الحمد والمنة، بعد أن كانوا قلائل في وقت بروز الصحوة وما بعده.

وفي الفئة الأولى الموغلة في السياسة وفي الفئة الثانية المقصرة في فهم السياسة ووعيها قال الأستاذ محمد قطب -رحمه الله تعالى- بعد كلام في عداوة الجاهلية الحديثة للمسلمين:

المعركة التي تخوضها الجماعة المسلمة - رضيت أم أبت - مع هذه العداوات كلها ليست معركة سهلة ولا قريبة، وتحتاج إلى نوعية خاصة وإعداد خاص، لا ينظر فيه إلى الزمن الذي يمكن أن يستغرقه الإعداد...

بل إن هذه العداوات المحددة المركزة كلها - على ضراوتها وعنف خصومتها - ليست هي العداوات الوحيدة التي تواجهها الصحوة الإسلامية، فهي تواجه - مع هذا كله - عداوة الجاهلية في كل الأرض، بما فيها الأرض الإسلامية ذاتها، التي تسربت إليها الجاهلية ومسخت كيانها، منذ أتاح التخلف العقيدي الذي وقع فيه المسلمون المجال لأعداء الله أن ينفذوا إلى العالم الإسلامي ويسيطروا عليه، فينحوا عنه شريعة الله، ويبثوا فيه أفكار الجاهلية المعادية للدين، وإن هذه الجاهلية لتتخذ نظمًا للحكم، ومناهج للفكر، ومناهج للتعليم، ووسائل للإعلام، وأنماطًا للسلوك الواقعي تقف كلها موقف العداء الشديد من الدين وموقف العداء الأشد من الإسلام.

والصحوة الإسلامية - رضيت أم أبت - تتعرض لعداوة هذه الجاهلية في كل خطوة من خطواتها، وكل تحرك من تحركاتها، إن بالتقتيل والتعذيب والتشريد، وإن بالتسخيف



والترذيل، وإن بالصد والتنفير، وبكل وسيلة من وسائل الصد والتنفير! وهي تحتاج - في مقابل ذلك - إلى نوعية فريدة لتواجه ذلك العداء كله وتصبر عليه، نوعية ذات وعي سياسي فائق، ووعي فكري متعمق، يحيط بما حول المسلمين من عداوات، وبطبيعة المعركة، ووسائل الحرب المتبعة فيها، والأدوات اللازمة لمواجهتها، وتدرك - فوق ذلك - أن المعركة ليست ذات صبغة محلية محدودة، وليست معركة جيل واحد، بل معركة أجيال متعاقبة، سواء بسبب العداوات المرصودة من الخارج، أو بسبب الجهل العميق بحقيقة الإسلام، الذي يعوّق نشأة القاعدة المسلمة، وأنها من أجل ذلك في حاجة إلى النفس الطويل الذي لا يتعب من طول الطريق. . .

ولكن ذلك الجيل - برغم ذلك - كان مفتقراً إلى كثير من الوعي السياسي، الذي يدرك به أن الخوض في القضايا السياسية القائمة في وقته ليس هو مهمة الجماعة المسلمة الأصيلة، إنما مهمتها الأصيلة بيان المنهج الإسلامي الذي يصحح الأمور، وبيان أن الفساد ناجم من عدم اتباع المنهج الرباني في كل أمر من الأمور، ويدرك به أن تغيير حاكم في أي بقعة من بقاع العالم الإسلامي لن يغير شيئًا في الموقف، طالما أنه لم توجد بعد القاعدة الإسلامية التي تقيم الحكم الإسلامي، ثم تحميه حين يقوم؛ لأن كل حاكم يتغير يأتي بعده حاكم جديد، يقوم بذات المهمة الموكلة إليه في حرب الإسلام والمسلمين، وإن تغيرت الأدوات وتغيرت الأساليب.

وكان مفتقراً إلى كثير من الوعي الفكري، الذي يدرك به الوسائل الخفية والظاهرة التي استخدمها الأعداء ويستخدمونها لصرف المسلمين عن الإسلام، في مناهج التعليم مرة، ووسائل الإعلام مرة، وقواعد التفكير مرة، وأنماط السلوك مرة، وأن من بين هذه الوسائل الخفية استدراج الصحوة الإسلامية إلى قضايا فرعية ومعارك فرعية يستنفدون فيها جهدهم، ويستهلكون فيها طاقتهم، وينصرفون بها عن مهمتهم الرئيسية في إنشاء القاعدة المسلمة بالمواصفات المطلوبة، على الزمن المديد، دون استعجال في الزمن ولا استعجال في البناء. . .[1].

---

(1) «واقعنا المعاصر»: ٤٣٢-٤٣٤.



وقال -أيضًا- الدكتور محمد عمارة:

لكنني أعتقد أن قصورًا وتقصيرًا قد حدثا في التربية السياسية لأغلب كوادر هذه الحركات. . إما بدعوى تأجيل ذلك لحين الحاجة إليه يوم أن تكون الدولة والسلطة قاب قوسين أو أدني من قبضة هذه الحركات وإما بسبب فقر هذه الحركات في الفكر وقلة بضاعتها من صناعته وصناعة. . وإما لانغلاق هذه الحركات عن الفكر السياسي ونظرياته وخبراته لدى العلمانية والعلمانيين وهو مزدهر وغني في هذا الميدان. . . وإما لهذه الأسباب مجتمعة مع غيرها مما قد يكون أقل أهمية منها. .

لكن ثمرة هذا الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية قد ظهرت للعيان فقعدت بكثير من كوادر هذه الحركات عن بلوغ مؤهلات وإمكانات البراعة في السياسة وميادينها.

وإذا كان طراز الساسة والسياسة المجردين من قيم الدين وضوابطه الأخلاقية هو مما لا يرضاه الإسلام ولا يصح أن يوجد في الحركات الإسلامية. . . فإن صورة التدين الذي يفقد صاحبه الكياسة والمهارة والحذق والدهاء هي صورة غريبة عن التدين المطلوب لكوادر الحركات الإسلامية. . .

فالتدين الذي لا تصاحبه تربية سياسية وحذق لنظرياتها ومعرفة بتياراتها ودروبها وفنونها قد يثمر غفلة إن ناسبت بعض طيبي القلب فإنها لا تناسب الذين يتحملون مسئوليات مصائر الأمم في هذه الميادين. .

وقديمًا حبذت كل تيارات الفكر السنية إمامة وخلافة المفضول دينيًا إذا كان أفضل في حذق شئون الدنيا وأبرع في الإمكانات التي تعينه على أداء رسالة الخلافة والإمامة، وأقدر على مواجهة ما يفرضه عصره على أمته من تحديات، إن رهبان الليل في الحركات الإسلامية لا بد وأن يكونوا بحق فرسان النهار وأن يكونوا الساسة المهرة أيضًا ![1].

---

(١) «الحركات الإسلامية رؤية نقدية» د. محمد عمارة: ٢٨-٢٩.

وقال في ذلك -أيضًا-الأستاذ أبو الحسن الندوي، رحمه الله تعالى:

ومعذرة إلى لفيف من الإخوان الذين يرون أن لا داعي إلى الوعي، ولا داعي إلى التطبيق بين الصحوة الإسلامية وبين واقع الحياة وقضاياها الشاغلة للعقول والمؤثرة في تشكيل المجتمع ونظام التربية ومنهج التفكير، وقد نشأ في بعض البلاد الإسلامية رجال متحمسون قد أهملوا هذا الجانب، وقالوا لا داعي إلى العناية بالقضايا المحيطة بنا، الشاغلة للعقول والنفوس، وإلى النظر إلى المجتمع، هل يتجه إلى الفساد، ويتجه إلى الانحراف والتحرر والتفسخ، أو يتجه إلى الصلاح والرشاد؟

ما دمنا نحن نصلي ونصوم، فالحمد لله على ما أنعم به علينا من نعمة الإسلام والعمل بأحكامه؛ فليس هذا بالفهم الصحيح للإسلام، فلا بد من تنمية الوعي الصحيح وتربيته، والفهم للحقائق والقضايا، والتمييز بين الصديق والعدو، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر؛ حتى لا تتكرر مآسي وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية والنعرات القومية، أو العصبيات اللغوية والسلالية والإقليمية، ولعبة القيادات الداهية والمؤامرات الأجنبية، فتذهب ضحية سذاجتها وضعفها في الوعي الديني والعقل الإيماني، وتذهب جهود تكوين الجو الإسلامي ومحاولات تطبيق الشريعة والنظام الإسلامي سدى، أو تتعرض لخطر تطبيق النظام العلماني والتحرر والتقدمية الغربية، المقبولة في العصر الحاضر والمطلوبة من الجماهير التي لم تتلق تربية إسلامية، ونشأت في ظلال نظام التربية الغربي، الذي طبقه الحكم الأجنبي الطويل (الذي يسمى الاستعمار) وتحت تأثير وسائل الإبلاغ المسلية الماجنة[1].

---

(1) وقد ظهرت هذه الحقيقة جلية في نتائج الانتخابات والتصويت الحالية [في شهر نوفمبر ١٩٨٨م] في باكستان، البلد الذي قام على اسم الإسلام وتطبيق نظامه، وإثبات نجاح هذه التجربة للعالم، فكانت النتائج بالعكس دليلاً على انتصار التقدميين وهواة التحرر من قيود الشريعة والنظام الإسلامي، على المنادين بالنظام الإسلامي ونفاذه، والمتقيدين بالتعاليم الإسلامية، حتى أفضى ذلك إلى تولية امرأة متحررة على كبرى المملكات الإسلامية لأول مرة في تاريخ الإسلام الطويل، ذلك مع وجود آلاف العلماء، ومئات المدارس الدينية، وعدد كبير من الجماعات الإسلامية الدعوية في باكستان . . .

وقال أيضًا:

ويرافق الصحوة ويقترن بها الوعيُ المدني وفهم القضايا المعاصرة والحركات والتيارات العاملة النشيطة، وموقفها من الإسلام، وأثرها في الحياة، وخطرها على مستقبل هذا الدين والجيل الإسلامي، والاطلاع على أهداف القيادات التي تريد أن تسيطر على هذه البلاد والبيئات، وتتسلم زمام توجيه المجتمع وفق عقائدها وقيمها ومثلها، وسبك الحياة سبكًا جديدًا، فإن التغاضي عن هذه القوات والطاقات، والحركات والقيادات، وانطواء الجماعات الإسلامية على نفسها، معتمدة على تمسكها بالدين والدعوة إليه، والاشتغال بأداء الفرائض والواجبات الدينية، وحياة الطهر والعفاف والعبادات والطاعات، يحول بعد مدة من الزمن بينها وبين حرية العمل بالدين، وتطبيق أحكام الشريعة، ويضيق الخناق حولها، حتى ينطبق عليهم قول الله -تعالى-:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٨].

ويعيشون في المستقبل تحت رحمة هؤلاء المارقين من الدين أو المحاربين له، والتقنين غير الإسلامي، والتدخل في الشريعة الإسلامية، وقانون الأحوال الشخصية الخاص بالمسلمين، وتحت مبدأ المجتمع الغربي المسيحي الذي يقول: إن الدين قضية شخصية وقضية بين الفرد والخالق، لا شأن له بالحياة والتشريع والسياسة(١).

مناقشة حول قضية النص في الدستور على الأخذ بالشريعة في الأحكام:

يلحظ الباحثون أنه عقب الصحوة تغيرت نصوص في دساتير عدد من الدول العربية والإسلامية لكن لم تتغير القوانين تبعًا لذلك إلا قليلاً، وإليكم تقويمًا لما جرى على الدساتير من تغيير:

«لا بد من بيان أن هذا النص الدستوري قد لحقه النقص في ثلاثة أمور:

١- أن أكثر القوانين صيغت في كل الدول العربية -خلا المملكة واليمن- على خلاف هذا النص الدستوري، فتهاونت في شأن الربا والزنى وشرب الخمر وغيرها من الفواحش والموبقات في مخالفة صريحة للنص الدستوري.

---

(١) مجلة البعث الإسلامي: العدد الأول: المجلد ٣٤ رمضان ١٤٠٩.

٢- هنالك نص في المادة الأولى من التقنين المدني ينص على أن القاضي يطبق القانون، فإن لم يجد في نصوصه ما ينطبق على الواقعة طبق العرف، وإن لم يجد طبق أحكام الشريعة الإسلامية!! وهذا النص مناقض كل المناقضة للمادة الدستورية التي بينت أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيس أو المصدر الرئيس للأحكام.

٣- أن هذا النص الدستوري أصبح ذاراً للرماد في العيون، ومقاوماً للجهود المنادية بالعودة للحكم بالشريعة كاملةً، فمن دعا إلى ذلك قيل له: هذا النص الدستوري مضمن في الدستور فماذا تريد بعد ذلك؟

وما أحسن ما قاله القاضي المصري عبد الغفار محمد -وهو الخبير بالنص الدستوري والقوانين التي خالفته- في حكمه في أكبر قضيّة في تاريخ القضاء المصريّ، وأكثرها شهرة، وهي «قضيّة الجهاد الكبرى»؛ حيث ذكر في حيثيّات حكمه: «بخصوص الموضوع الثاني فالذي استقرّ في ضمير المحكمة، أنّ أحكام الشريعة الإسلامية غير مطبقة في جمهورية مصر العربية، وهذه حقيقة مستخلصة من الحقيقة الأولى وهي وجوب تطبيق الشريعة».

ثم راح يسرد الأدلة على غياب الشريعة ومنها:

«وجود مظاهر في المجتمع المصري لا تتفق مع أحكام الشريعة الغرّاء، من ملاهٍ يرتكب فيها الموبقات يرخّص بإدارتها من الدولة، إلى مصانع خمور يرخّص بإنشائها من الدولة، إلى محال لبيع وتقديم الخمور يرخّص بإدارتها من الدولة، إلى وسائل إعلام سمعيّة ومرئيّة ومقروءة تذيع وتنشر ما لا يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، إلى سفورٍ للمرأة يخالف ما نصّ عليه دين الدولة الرسميّ وهو الإسلام».

كما قرر في موضع آخر: «حقيقةً أنّ المادة الثانية من الدستور بعد تعديلها نصّت على أنّ الإسلام دين الدولة الرسميّ، واللغة العربية لغتها الرسميّة، ومبادئ الشريعة الإسلاميّة المصدر الرئيسيّ للتشريع، إلا أنه يكفي المحكمة تدليلاً على أن أحكام الدستور لا تتفق مع

أحكام الشريعة الإسلامية ما قرّره: «عمر أحمد عبد الرحمن» باعتباره من علماء المسلمين أمام المحكمة بجلسة الثالث من سبتمبر سنة (١٩٨٣م) من أنّ الدستور يتصادم مع الشريعة الإسلاميّة، ولا يتحاكم إليها، فالمواد: (٨٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١٨٩)؛ تعطي لمجلس الشعب حقّ التشريع وسنّ القوانين، وهو في الإسلام لله وحده.

كما أنّ المادة (٧٥) من الدستور لا تشترط الإسلام والذكورة في رئيس الدولة، وهو أمر يخالف إجماع الفقهاء.

والمادة (١٦٥) تنصّ على أنّ الحكم في المحاكم بالقانون الذي لا يتفق في أسلوب إصداره ونصوصه مع الشريعة الإسلامية».

كما قرّر -في موضع آخر- في معرض بيان حالة المجتمع المصريّ قبل وقوع أحداث القضيّة: «غياب شرع الله عن أرض جمهورية مصر العربيّة، وهو ما سبق للمحكمة أن دللت عليه بأدلة قاطعة لا ترى حاجة لتكرارها، ولكنّها تُشير إلى أنّ السلطة التشريعيّة لم تنته بعد من تقنين أحكام الشريعة الإسلاميّة، وكانت قد بدأت في هذا العمل منذ عام (١٩٧٩م)، هذا إلى وجود مظاهر في المجتمع المصريّ لا تتفق بأيّ حال مع قواعد الإسلام، فلا يُتَصَوّرُ أنّ دولة دينها الإسلام وتُرخّص لملاه تُرتكَب فيها موبقاتٌ، وتُرخَص لمصانع لإنتاج الخمور، أو محال لبيعها وشربها، أو تَصرح لوسائل الإعلام المرئية أو السمعية أو المقروءة بنشر أو إذاعة ما لا يتفق مع شرع الله، أو سفور المرأة بصورة تخالف ما نصّ عليه الإسلام».

انتهى كلام القاضي عبد الغفار محمد في أكبر قضية في تاريخ القضاء المصريّ وأكثرها شهرة»[1]، فلله دَرُّ هذا القاضي فما أحسن كلامه وما أجرأه، وبيض الله -تعالى- وجهه.

«ويؤكد هذا ما قاله المستشار سعد العيسوي رئيس محكمة استئناف الإسكندرية، وذلك عندما أصدر المستشار محمود غراب رحمه الله حكمًا بالجلد على شارب خمر تنفيذًا لأحكام الشريعة الإسلامية، فقال العيسوي:

---

(١) «تنبيه الجميع لمعنى قولهم مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس التشريع»: للأستاذ أبي عبد القدير القمري.

«إن من قضى بهذا الحكم وإن صح، فقد خالف الدستور وهو نص المادة (٦٦): لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون، ولا يقال في ذلك إن حد السكر شرعًا هو الجلد، وإن الشريعة الإسلامية هي الأولى بالتطبيق؛ ذلك لأن المشرع وحتى الآن يطبق قوانين مكتوبة ومقررة، وليس للقاضي أن يُعمل غيرها من لدنه مهما اختلفت مع معتقده الديني أو السياسي، وأفصح المشرع عن ذلك صراحة في المادة الأولى من التقنين المدني بأن القاضي -أي الوضعي- يطبق القانون، فإن لم يجد في نصوصه ما ينطبق على الواقعة طبق العرف، وإن لم يجد طبق أحكام الشريعة الإسلامية، وإن لم يجد طبق القانون الطبيعي وقواعد العدالة، فجنائيًا لا يجوز ولا يقبل من القاضي أن يجرم فعلاً لا ينص القانون على اعتباره جريمة، ولا يجوز له أو يقبل منه أن يقضي بعقوبة لم ينص عليها القانون (جريدة أخبار اليوم ١٩/ ٤/ ١٩٨٢م) وقد نقل هذا المقال المستشار محمود غراب رحمه الله في كتابه «أحكام إسلامية إدانة للقوانين الوضعية» اهـ[1].

- وهذا كله يدل دلالة واضحة على أن النص الدستوري بأن الشريعة أو مبادئها هي مصدر رئيس أو المصدر الرئيس إنما هو نص لا قيمة له إن لم يسانده قوانين تستقى بوضوح من الشريعة.

- ومن العجائب في باب العمل بالشرع أن بعض قضاة مصر كان يحكم بالشريعة الإسلامية في قضائه، ضاربًا بالقوانين الوضعية عُرض الحائط، فمن ذلك:

«حكم محكمة الاستئناف العالي بالقاهرة في ١٣/ ١٢/ ١٩٨٤م برئاسة المستشار محمود هويدي، الذي رفض الحكم بالفوائد الربوية لمخالفتها لشريعة الله تعالى، وبأفصح عبارة:

«ولما كان القضاة هم الذين يرتكبون إثم الحكم بغير ما أنزل الله، ويتحملون وزره، فإن المحكمة لا تتردد في أن تحكم بما أنزل الله، فتقضي برفض الحكم بالفوائد تأسيسًا على بطلانه لمخالفته للشريعة الإسلامية التي تسمو على كل قانون أرضي، ولو كان دستوراً.

(١) المصدر السابق.

والمحكمة تنقل إلى رئيس الجمهورية ما يعانيه القضاة من اضطرارهم إلى الحكم بغير ما أنزل الله، وتناشده أن يرفع عنهم العناء فتطبق الشريعة حتى ترتاح نفوس القضاة، ونفوس المتقاضين؛ ولما في ذلك من صلاح للحاكم والمحكوم»، بيض الله -تعالى- وجهه.

- حكم محكمة جنح العياط برئاسة المستشار بهاء الجندي بتاريخ ١٩٨١م، والذي تبرأت فيه المحكمة من القوانين الوضعية، وطالبت بفرض الله وتطبيق الشريعة.

- محكمة جنايات بني سويف تحمّل رئيس الدولة والسلطة الحاكمة إثم عدم تطبيق الشريعة.

- حكم محكمة السويس يقضي ببطلان القوانين الوضعية ووجوب الحكم بالشريعة، وذلك في جلسة ١١/ ٥/ ١٩٨١م برئاسة المستشار محمد محمد همام، وجاء في أسباب الحكم:

«وحيث يلزم القول بداية إن القوانين الوضعية المعمول بها في مصر الآن، والمخالفة للشريعة الإسلامية باطلة بطلانًا ينحدر بها إلى درجة الانعدام من الناحيتين القانونية والشرعية. . . ولذلك يجب على جميع المسلمين في جميع مواقعهم، سواء كانوا من رجال السلطة القضائية أم من رجال السلطتين التشريعية والتنفيذية، أم من أفراد الناس أن يمتنعوا عن تطبيق وتنفيذ أو احترام كل حكم وضعي يخالف أحكام الشريعة الإسلامية، والأدلة على ذلك مستمدة من نصوص القرآن الكريم، والسنة الشريفة، ثم من الإجماع، وهي المصادر الأولى للتشريع»(١).

لله درُّ أولئك القضاة، فقد صدعوا بالحق في زمن الجبن والتخاذل.

●●●

(١) «الشريعة الربانية المعجزة»: ٦٤، ٦٥.



المبحث الثامن

أثر الصحوة في إنشاء الاقتصاد الإسلامي

إن قصة ظهور علم الاقتصاد الإسلامي على صورته الحديثة في هذا العصر ومن ثَمّ جعله واقعًا معاشًا يراه الناس بأبصارهم في مصارفَ أنشئت لتكون مصارف إسلامية بعيدةً عن الربا.. إن هذه القصة لهي قصة من أجلّ القصص وأعظمها، وهي تظهر بجلاء ووضوح أن الله إذا أراد أمرًا هيأ أسبابه، وقرب بعيده، وسهل صعابه، ولولا أن هذا الكتاب وضع لتأريخ حدث معين لذكرت قصة عالم الاقتصاد الكبير الدكتور عيسى عبده الجليلة، وكيف أسلم أبوه النصراني القبطي ليأتي الله منه بعمود من أعمدة الاقتصاد الإسلامي وهو الدكتور عيسى عبده الذي بذل جهودًا جليلة في هذا الباب.

ولولا المقصد العلمي المحض لهذا الكتاب لكنت قد أوردت قصصًا عن القلوب التي عطفها الله -تعالى- لتجعل الاقتصاد الإسلامي حقيقة واقعة بعد أن كان خيالاً بعيدًا، وهي قلوب لملوك وأمراء ورؤساء، ورؤساء وزراء، ووزراء ومسؤولين شتى.

وإن ظهور الاقتصاد الإسلامي اليوم على هيئة مصارف ومؤسسات مالية ونجاحه في شق طريقه وسط بحر عباب خِضم من المصارف العالمية التي تمتلك أموالاً هائلة وقدرات عظيمة، إن هذا الظهور على هذه الهيئة الجليلة ونجاحه في المنافسة بل التصدر لهو أكبر دليل على أن الإسلام معجز في تشريعاته الاقتصادية كما هو معجز في جوانبه لكل البشر، وأن هذه الأمة مقبلة على خير عظيم وسيادة وعز وتمكين قريب، إن شاء الله تعالى.

وليس من مقصدي أن أورد حالة الاقتصاد الإسلامي اليوم، ولا تفصيل الأخبار الجليلة التي أنبأت بنجاحه وإقبال دول كبرى مثل بريطانيا وفرنسا على هذا النظام الإسلامي فلهذا موضع آخر، إنما مقصد هذا الكتاب هو تسطير تاريخ بزوغ نجم الاقتصاد الإسلامي، وبدء تأسيس المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية، وأثر الصحوة في كل ذلك أما ما عدا ذلك فليس من مقاصد هذا البحث، والله المستعان.

- شهادة الدكتور الاقتصادي المصري المشهور أحمد النجار على مرحلة إنشاء المصارف الإسلامية:

«لا أحسب أنني رأيت عملا إسلاميًا لقي حربًا، أو صادف مقاومة وتعطيلاً بقدر ما لقيته فكرة البنوك الإسلامية، وبقدر ما تعرضت له التجارب التطبيقية التي قامت لإثبات سلامة هذه الفكرة وقابليتها للتطبيق.

وقد يحسب المتفرجون من بعيد أن هذه الحرب أو تلك المقاومة والتصدي إنما تنشأ من العداء التقليدي لما يجهله الناس.

أو قد يحسبون أن مقاومة بعض المتعلمين لها إنما تنشأ من أن هذه الفكرة تأتي بغير ما تلقوه من نظريات غربية أو شرقية سحرتهم وتأثروا بها امتدادًا لتأثرهم ببريق التقدم المادي الهائل الذي غلف عقولهم بتلك النظريات.

أو قد يحسبون أن هذه المقاومة تنشأ عن تصور قاصر يربط بين أحوال الدول الإسلامية اليوم وبين جوانب معينة في أفكارها الدينية وعقائدها.

غير أن الذين تابعوا هذه المعركة ورأوا كيف كانت المقاومة وكيف تعددت أشكالها وألوانها ومراحلها يدركون أن كل ما مضى من تحسبات ليس إلا قشرة خارجية، وأن حقيقة المعركة لا تخرج عن كونها معركة أيدلوجية بين عقيدة منزلة وبين مذاهب أخرى أو عقائد محرفة، ذلك هو الوجه الحقيقي للمعركة.

لقد أخذت المقاومة التي صادفها هذا النوع من البنوك أشكالاً متعددة، أخذت المقاومة في البداية شكل الشك في النوايا، فلما اجتزنا هذه العقبة أخذت المقاومة شكل الإشفاق والحرص على ألا يستطيع البناء النظري للفكرة أن يثبت نجاحه تجريبيًا، فلما استطعنا الإقناع بسلامة البناء النظري وصحته وأن نجاح التجريب مؤكد - بإذن الله - بدأت المقاومة تتخذ أساليب الالتفاف والطعن من الخلف، ولم أكن كما قلت حتى ذلك الحين بمستطيع أن أتبين الوجه الحقيقي لتلك المعركة حتى سعى إليَّ نفر من قادة الاتجاهات التي تقف من الإسلام موقف الحرب والكيد، فحدثوني في أن فكرة البنوك بلا فوائد تلقى منهم كل



حرص وعناية لأنها تسهم من وجهة نظرهم في العدل الاجتماعي الذي يدعون أن مبادئهم قامت لتحقيقه، ولكنهم يأخذون على البنك أمرين:

- **أولهما**: أنه يعلن دون مواربة أنه مؤسسة إسلامية تقيم نظم عملها على أساس من الشريعة، وليس هذا أوان الإعلان.

- **وثانيهما**: أن البنك يقوم بجمع الزكاة ويشرف على توزيعها، وليس ذلك مما يندرج تحت قائمة الأعمال المصرفية التي ألفوها.

ولا يهمنا كثيرًا في هذا المجال أن أسترسل في سرد تفاصيل هذه المحادثة وما دار فيها ولكن الذي يهمني أن أشير إليه أن هذه هي البداية التي استلفتت نظري إلى أن صراعًا أيدلوجيًا يقف وراء المعركة يغذيها ويقودها ويستغل العاملين فيجندهم- دون أن يدروا - ليكونوا أدوات في التصدي للفكرة ومقاومتها.

ثم وقعت حادثة أخرى أوضحت أن جبهة المواجهة أكثر شمولاً واتساعًا بعد أن نجحت تجربة البنوك الاسلامية في مصر وترددت أصداء نجاحها في عديد من البلاد العربية رغبت إحدى هذه الدول في أن تقيم تجربة مماثلة على أرضها، وبعد المقاومات التقليدية من الأجهزة المصرفية أمكن الاتفاق على تنفيذ التجربة واختير لها المكان وتركت لهم مشروع القانون المطلوب استصداره لكي تبدأ التجربة.

ومرت شهور وإذا بي أفاجأ بأن بلدًا أوربيًا سارع إلى البلد العربي يعرض عليه العون الفني في تنفيذ التجربة ويعرض استعداده للإمداد بالمهمات والمعدات اللازمة وتدريب العاملين، ويعرض في نفس الوقت دعمًا ماديًا في السنوات الأولى للتجربة وهو لا يطلب في مقابل ذلك أكثر من الاشتراك في صياغة القانون اللازم للتجربة وفي صياغة لوائحها الداخلية، وسُمح لهم بالاشتراك في صياغة مواد القانون، ولم يكن يعنيهم من كل ذلك إلا أن تخلو مواد القانون من النص صراحة على أن البنك لا يتعامل بسعر الفائدة، وأن تخلو من النص صراحة على أن البنك يستثمر أمواله في مشروعات مباشرة أو بالمشاركة في مشروعات، وكان لهم ما سعوا إليه، وعندما علمت بذلك سافرت إلى هذا البلد لمحاولة السعي لإبطال ما فعلوه فإذا بهم يرسلون وفدًا في اليوم التالي لوصولي مباشرة يعرض

مزيداً من العون الفني والآلات والمهمات، وكان حجم العون أعلى صوتًا وأنفذ أثرًا، فوجدت أن الحكمة تستلزم الانسحاب إلى حين.

إن الحرب على البنوك الإسلامية والتصدي لانتشارها ووضع العقبات في طريقها وإثارة الغبار حولها . . كل ذلك إذن لم يكن وليد صدفة أو من منطلق معاداة الجديد أو من قبيل ادعاء الحرص والإشفاق على النظام الإسلاميّ من أن ينفذ إذا فشلت تجربة هنا أو هناك، إن خلف هذه الحرب تخطيطًا دقيقًا تضعه وتسهر عليه الماركسية من ناحية والصليبية الغربية من ناحية أخرى، وكلتاها تلتقيان[1] على حرب الإسلام والكيد له والعمل على أن يظل محبوسًا في قمقم معزولاً عن الحياة.

لقد أدرك أعداء الإسلام أن الصحوة الاسلامية الوليدة يمكن أن تسترد للدول الإسلامية شبابها بالارتكاز على عمليتين: التعبئة العاطفية من ناحية والتربية العملية من الناحية الأخرى، وإن كلتا هاتين العمليتين تؤثر في الأخرى وتتأثر بها، وإن الأثر إنما ينتج من تفاعلهما المتبادل، وإن المحصلة لا تتم إلا بتوافر عناصر الحياة والقوة لكل منهما، كما وأن قوة إحداها تمد الأخرى بأسباب القوة والحياة والتأثير. . . »[2].

تاريخ بدايات تدريس مادة الاقتصاد الإسلامي:

قال الدكتور عبدالرزاق بلعباس:

استحدثت جامعة الأزهر في عام ١٩٦١م مادة «الفكر الاقتصادي في الإسلام» لتدرس في كليتين: كلية التجارة (ضمن مواد البكالوريوس) وكلية الشريعة (ضمن مواد دبلوم السياسة الشرعية بقسم الدراسات العليا)، ثم تحولت إلى مسمى مادة «الاقتصاد الإسلامي» ابتداءً من عام ١٩٧٢م[3].

(١) كذا قال والصواب: تلتقي.

(٢) «منهج الصحوة الإسلامية»: ٢٤٣-٢٤٦.

(٣) محمد شوقي الفنجري (١٩٧٨م) «ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية وأهمية الاقتصاد الإسلامي»، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، ص ١١.



وفي مؤتمر علماء المسلمين السابع، المنعقد بالقاهرة في سبتمبر ١٩٧٢، صدرت توصية بضرورة تدريس مادة الاقتصاد الإسلامي بمختلف معاهد وجامعات العالم الإسلامي[١]، ولم تجد هذه التوصية سبيلها إلى التنفيذ إلا عقب المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي الذي نظمته جامعة الملك عبدالعزيز من ٢١ إلى ٢٦ فبراير ١٩٧٦م...»[٢].

المؤسسات التي تعمل بالنظام الإسلامي وسبقت المصارف الإسلامية:

١- بنوك الادخار المحلية:

كان هناك مؤسسة مالية في مصر في الثمانينيات الهجرية/ الستينيات الميلادية تعمل بما يشبه النظام الاقتصادي الإسلامي، قائمة على الفائدة «صفر»، وتسمى «بنك الادخار المحلي» لكن هذه المؤسسة لم ترفع لافتة الإسلام، ولم تذكر أنها قامت لتكون مصرفًا إسلاميًا، ثم سقطت هذه التجربة سريعًا، وما كان لها أن تنجح في زمن النظام الاشتراكي في مصر وطغيان عبدالناصر ومحاربته لكل ما هو إسلامي، كما هو معلوم.

٢- بنك ناصر الاجتماعي:

التجربة الثانية لبنك لا ربوي بدأت في مصر عام١٣٩١/ ١٩٧١ عندما أعلن الرئيس المصري أنور السادات عن عزمه على إنشاء بنك لا يعمل بسعر الفائدة، وتم بالفعل تحضير الإطار التشريعي للبنك في نفس السنة، والذي ينص صراحة على عدم التعامل بالفائدة أخذًا وعطاءً، وسمي هذا البنك باسم الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر، وعرف بـ«بنك ناصر الاجتماعي»، وكان الهدف الرئيسي لهذا البنك هو تقديم القروض بدون فائدة للأفراد خاصة الذين لا يتبعون لنظام التأمين الاجتماعي[٣].

البدايات الأولى للاقتصاد الإسلامي:

قد ذكر الأستاذ توفيق الشاوي -رحمه الله تعالى- ما يشبه أن يكون مقدمة لعصر المصارف الإسلامية فقال:

---

(١) محمد شوقي الفنجري (١٩٨١م) «المذهب الاقتصادي في الإسلام»، الرياض: دار عكاظ، الهامش١، ص ١٣٠.

(٢) «أضواء جديدة على نشأة مصطلح الاقتصاد الإسلامي»: ٣١١.

(٣) «البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق»: ٨-٩.



«قصة البنوك الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي، هي نموذج رائع لمسيرة النهضة الذاتية لهذه الأمة على أساس مقوماتها الأصيلة وقيمها الإسلامية في هذا العصر؛ ولذلك حرصت على أن أعرض جانبًا واحدًا منها عرفته أثناء مساهمتي المتواضعة في هذه الظاهرة الرائعة من ظواهر الصحوة الإسلامية.

لا شك أن هناك جوانب أخرى شارك فيها كثيرون غيري وأسهموا بها في هذا التيار الفكري أو في الخطوات العملية الكبيرة التي أدت إلى قيام هذه المشروعات ونجاحها، ومن حقهم أن يسجلوها ويقدموها كأدلة قاطعة على أن ظاهرة الاقتصاد الإسلامي كانت وما زالت ثمرة طيبة لصحوة إسلامية شاملة شاركت فيها جميع طبقات الأمة وطوائفها وأصحاب الفكر والرأي والأمر فيها...

عرضت على شومان[1] وبعض أصدقائي في الجزائر أن نفكر في بناء مؤسسة اقتصاد إسلامي ذات مضمون عقيدي مستمد من شريعة التكافل والمشاركة والتضامن الذي فرضه الإسلام، لكن هذا الخاطر كان مجرد أمل يحتاج إلى تجارب عملية تُمكننا من إنشاء مؤسسات مالية عديدة تلتزم بمبادئ الشريعة التي تحرم الاكتناز والربا، وغيرها من الانحرافات الخلقية والاجتماعية، كما تجسد مبدأ التضامن والتكافل والوحدة الإسلامية التي تتجاوز ضيق القومية العربية ومخاطر السيطرة الاشتراكية الماركسية معًا.

لكن الظروف السياسية وقفت مرة أخرى في طريق هذه التجربة العملية، كما عطلت من قبل شركات الإخوان في مصر..»[2].

---

(١) هو رئيس البنك العربي وصاحبه.

وقد ذكر الأستاذ توفيق الشاوي -رحمه الله تعالى- أنه عرض على عبدالحميد شومان أسلمة البنك العربي لكنه تردد طويلاً، ثم أحال الأمر على موافقة مجلس الإدارة، والموفق من وفقه الله تعالى، والقصة طويلة، وإيرادها هاهنا يخالف مقصد الكتاب فمن أرادها فليطلبها في كتب الأستاذ توفيق الشاوي في الاقتصاد الإسلامي، أو ليطالع كتابي «أثر المرء في دنياه» فقد أوردتها هنالك.

(٢) «اقتصاد المستقبل: تجربتي في الاقتصاد الإسلامي وقصص عن البنوك الإسلامية»: أ-و.

بدايات العمل الحقيقي لإنشاء مصارف إسلامية:

ذكر الأستاذ توفيق الشاوي -رحمه الله تعالى- البدايات الأولى الحقيقية لقصة إنشاء البنوك الإسلامية عامة والبنك الإسلامي للتنمية خاصة الذي أسس في جدة، فذكر أن هناك دراسة أعدتها لجنة مصرية لبحث هذا الأمر، ومن ثَم صارت هذه الدراسة هي الأساس الذي اتكأت عليه فكرة إنشاء البنك الإسلامي للتنمية، فقال:

«هذه الدراسة أعدتها لجنة من رجال الفقه الإسلامي والقانون والاقتصاد، وكان على رأسهم شيخ الأزهر في ذلك الوقت الشيخ عبدالحليم محمود، ومفتي الديار المصرية في ذلك الوقت الشيخ محمد خاطر، ومن الاقتصاديين الدكتور/ أحمد النجار، وعدد من القانونيين والاقتصاديين المتحمسين لفكرة البنوك الإسلامية، وهم الأساتذة غريب الجمال وشوقي إسماعيل وحسن بلبول ومحمد سمير إبراهيم ومحمد صلاح الدين عوض ومحمود نعمان الأنصاري، وتحمل اسم «الدراسة المصرية لإنشاء نظام مصرفي إسلامي» وقدمت إلى المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عقد بمدينة جدة في ١٤ محرم ١٣٩٢هـ الموافق ٢٩/ ٢/ ١٩٧٢م بعد أن نوقشت في اجتماع لجنة تحضيرية موسعة عقدت بالقاهرة من ٢٢ إلى ٢٤ ذي الحجة ١٣٩١هـ (٧/ ٩ فبراير ١٩٧٢م)...

وعندما عرضت هذه المذكرة على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في اجتماعه الثالث بجدة ١٩٧٢م أدرك المؤتمر أنها ليست مقصورة على مشروع بإنشاء بنك إسلامي، بل إن أهدافها أعم وأشمل لتغيير أسس النظام المصرفي والاقتصادي في العالم الإسلامي، الأمر الذي يستدعي دعوة مؤتمر خاص يُعقد لذلك، وصدر القرار بدعوة أول مؤتمر لوزراء المالية في جميع الدول الأعضاء، كما قرر المؤتمر إنشاء إدارة للشؤون الاقتصادية والمالية في الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي...

تنفيذًا لذلك القرار أنشئت الإدارة الاقتصادية بالأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي، وكان أول مدير لها هو الدكتور أحمد النجار، وكان يأمل أن ينطلق منها للدعوة لتعميم نظام البنوك الإسلامية، وجرت اتصالات مع الدول الأعضاء، ودعي إلى أول مؤتمر لوزراء

مالية الدول الإسلامية بمدينة جدة الذي عقد في ١٥ و ١٦ ديسمبر ١٩٧٣م وحضره مندوبو خمس وعشرين من الدول الأعضاء في المنظمة.

وقبل انعقاد هذا المؤتمر أجرى تنكو عبدالرحمن[١] عدة اتصالات كشفت له أن هناك اعتراضات كثيرة على المشروع الشامل الذي تضمنته المذكرة المصرية، وأنه سوف يصعب على وزراء المالية إقراره، وقد نصحه البعض بالتدرج بأن يقتصر في هذه المرحلة على إنشاء بنك إسلامي دولي للتنمية.

فكرة بنك التنمية الإسلامي -ورقة عمل ومذكرة تفسيرية-:

لم يكن تنكو عبدالرحمن يتوقع الاعتراضات العنيفة والعديدة من جانب الإدارات المختصة في الدول الأعضاء التي عُنيت بدراسة المشروع المصري، وعرفت أهدافه التي تتلخص في تغيير النظام المصرفي في البلاد التي توافق عليه، وكانوا يعرفون أن السير في هذا الاتجاه هو اختياري للدول الأعضاء، وأن من حق أي دولة أن ترفض السير في هذا الاتجاه؛ لكنهم كانوا يشعرون بأن مجرد موافقة دولة واحدة أو عدة دول على هذا المشروع وسيرها في تنفيذه سوف يؤثر على الدول الأخرى التي تحتفظ بالنظام المصرفي التقليدي القائم على الفائدة؛ إذ إن الشعوب ستوجه لها الاتهام بأنها ترفض تطبيق الشريعة الإسلامية، أو ترفض مبدأ تحريم الربا، أو ترفض إقامة نظام اقتصادي إسلامي وتعارض في أن يكون نظامها المصرفي إسلاميًا، وهو اتهام خطير لا تستطيع كثير من الدول مواجهته.

قال لي تنكو عبدالرحمن إنه لا يعرف كثيراً عن الشؤون المالية والاقتصادية، ولكن اتصالاته مع المختصين في حكومات الدول الأعضاء أقنعته بأن مؤتمر وزراء المالية لا يمكن أن يقر هذا المشروع المصري أو يوافق عليه، وأن هناك اتجاهًا كبيرًا لرفضه أو استبعاده أو تعطيله أو المماطلة في اتخاذ قرار بشأنه بقرار إجرائي مثل إحالته إلى لجنة خبراء، أو لجنة فنية أو ما شابه ذلك من الأساليب التي تنتهي بخنق الفكرة وتجميدها.

قلت للأمين العام إنني مثلك لست خبيراً في الشؤون الاقتصادية والمالية؛ ولذلك أقترح أن تستقدم الدكتور أحمد النجار ليتولى هذا الموضوع، وحبذا لو أمكن أن تعينه مستشاراً

(١) رئيس وزراء ماليزيا الأسبق.



لك أو للأمانة العامة، واقتنع بذلك، ولما حضر الدكتور النجار أقنعه بأن يكون مديراً للإدارة الاقتصادية بالأمانة العامة وكتب للحكومة المصرية، فوافقت على إعارته لمدة سنة باعتبار أن ذلك خطوة لنجاح مشروعها أمام مؤتمر وزراء المالية.

في لقاءاتنا معه بعد ذلك عرض تنكو عبدالرحمن اقتراحًا عمليًا للخروج من هذا المأزق، وقال للدكتور النجار: أنا أعرف أنك صاحب هذا المشروع الشامل كما صورته المذكرة المصرية وكان لك الدور الأكبر في إعداد هذه المذكرة، وإذا كان الهدف منها هو إقامة نظام مصرفي إسلامي شامل فإن كثيرين يرون أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا بالتدرج، ولا يمكن أن تقبل الدول الأعضاء تغيير نظامها المصرفي دفعة واحدة؛ ولذلك يقترح البعض أن نعد مشروعًا بإنشاء بنك دولي إسلامي للتنمية مثل البنك الآسيوي للتنمية، ولكن يكون نظامه إسلاميًا موافقًا للشريعة على الأسس التي اقترحتها الحكومة المصرية، وبهذا نقدم حلاً وسطًا بين المشروع الباكستاني والماليزي والمشروع المصري، ونرضي الطرفين إلى حد كبير، ونستطيع أن نحصل على موافقة المؤتمر بإنشاء هذا البنك، ومتى وافقوا على ذلك وأنشئ البنك ونجح فإن هذا سيكون خطوة كبرى لإقناع الدول المختلفة لإنشاء بنوك وطنية مماثلة له في نظامه، ويمكن لكل دولة أن تفعل ذلك دون حاجة لتدخل منظمة المؤتمر الإسلامي، أو مؤتمر وزراء المالية، وسيكون عملاً تلقائيًا، وبذلك ينتشر نظام البنوك الإسلامية ويمكن تعميمه بعد ذلك.

ولما كنت أنا والدكتور النجار على اتصال دائم بالأمير محمد الفيصل، كان عندنا أمل كبير في أن تكون المملكة العربية السعودية هي الدولة الرائدة في إنشاء بنك إسلامي وطني أو محلي بمجرد نجاحنا في إنشاء بنك دولي للتنمية على الأسس الإسلامية بقرار من مؤتمر وزراء المالية في جميع الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، وقال الدكتور النجار: إن مصر قد بدأت فعلاً بإنشاء البنك الاجتماعي الذي لا يتعامل بالفائدة (بنك ناصر) وسيكون من السهل بعد ذلك إنشاء بنوك محلية أو وطنية إسلامية في مصر، وإذا سارت السعودية ومصر في هذا الاتجاه، فإن هذا يكفي لإقناع الدول الأخرى بنجاح هذه البنوك الإسلامية وفائدتها.

لذلك اقتنعنا بفكرة الأمين العام ووافقنا عليها، وتعهد هو بأن يلتقي بالملك فيصل ويقنعه بالفكرة، ومتى اقتنع فإنه يمكن بسهولة عرض الاقتراح على وزراء المالية والاقتصاد الوطني إلى جانب المشروع المصري، وسنفتح بذلك الباب أمام الدول التي تخشى المشروع المصري لكي تسارع إلى تأييد هذا الاقتراح، وخصوصًا أنني أستطيع أن أضمن من الآن موافقة السعودية وباكستان وماليزيا؛ لأنني متأكد أن تقارير الخبراء المختصين في تلك الدول تتجه إلى معارضة المشروع المصري، وقال تنكو عبدالرحمن: إنه ليس مطلوبًا الآن أن نعد نظامًا أساسيًا، وإنما نكتفي بأن نقترح على المؤتمر تفويض اللجنة التحضيرية (برئاستي) لمواصلة عملها بإعداد مشروع البنك الإسلامي للتنمية، واتفقنا على أن نرفق بالاقتراح ورقة عمل ومذكرة تفسيرية لهذا الاقتراح أعدها الدكتور النجار، وأرى من المصلحة أن نسجل هنا ما ورد فيها؛ لأنها كانت سببًا في معركة قاسية بين تنكو عبدالرحمن، ووفد الأمانة العامة من ناحية، والسيد حسن التهامي والوفد الممثل لجمهورية مصر العربية من ناحية أخرى في اجتماعات المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء المالية والاقتصاد... [1].

وانتهى المؤتمر بأن أُقر الاقتراح الذي قدمه تنكو عبدالرحمن لإنشاء بنك التنمية بعد أن بين عدد كبير من الأعضاء -بمن فيهم رئيس الوفد المصري- أن هذا المشروع ليس إلا خطوة للتوسع في إنشاء البنوك الإسلامية الوطنية والمحلية في الدول الأعضاء، وأن أول مهمة لهذا البنك ستكون تشجيع إنشاء البنوك الإسلامية ودعمها، وبناء على ذلك أصدر المؤتمر إعلان العزم على إنشاء البنك.

على أثر ذلك دعا تنكو عبدالرحمن اللجنة التحضيرية للاجتماع فورًا فأصدرت قرارًا توصيه فيه بتشكيل لجنة من الخبراء والمختصين لإعداد مسودة اتفاقية التأسيس ومعها جميع الوثائق المتعلقة بتأسيس البنك ونظامه الأساسي.

كنت في الرياض عندما جاء تنكو عبدالرحمن لمقابلة الملك فيصل، وخرج من المقابلة

(١) لم أذكرها مراعاة للإيجاز، وانظرها مع هذا الذي أوردته في كتاب «من قصص البنوك الإسلامية»: ٣٢ وما بعدها.



منشرح الصدر متفائلاً؛ لأن الملك فيصل وعده بالتأييد الكامل للمشروع ومساهمة المملكة في رأس ماله بأكبر قدر ممكن، وقد عرض عليه تنكو عبدالرحمن أن يكون رأس المال مليارين من الدولارات وأن تسهم الدول المنتجة للنفط بالنصيب الأكبر في رأس المال فوافقه على ذلك، وبمجرد خروجه من هذا اللقاء أعلن ذلك في مؤتمر صحفي كان له صدى كبير لدى مؤيدي المشروع، وكان رد الفعل لدى المعارضين أشد وأعنف، وقد توالت الاستفسارات من عدة جهات وخصوصًا من ممثلي الدول الأجنبية عن المشروع، كما بدأت فيما أعتقد الضغوط الأجنبية على الحكومات المختلفة لتثبيط همتها وتخويفها من هذه «المغامرة» كما كانوا يسمونها.

كانت هذه الضغوط تصدر من بعض الأوساط المالية والسياسية الأجنبية وتجد آذانًا صاغية في الدوائر التي يتولاها المثقفون «التكنوقراط» الذين لا يعرفون إلا الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي، وبعضهم لا يترددون في السخرية والاستهزاء والهجوم على دعاة الاقتصاد الإسلامي والبنوك الإسلامية بصفة خاصة بحجة أن هؤلاء لا يعرفون علوم الاقتصاد ولا «الأصول المصرفية»، وأنهم يستغلون العواطف الدينية لدى الجماهير ليبرروا بها محاولاتهم لإقحام أنفسهم في ميدان العمل المصرفي أو الاقتصادي الذي هو اختصاص السادة «الدكاترة» أو رؤساء الإدارات الذين لهم كلمة مسموعة لدى الوزارات والحكومات بصفة عامة.

أعد تنكو عبدالرحمن جدولاً بزياراته إلى دول الخليج المختلفة وإيران كمرحلة أولى واتصل بالسفارات المختلفة لإبلاغ حكوماتها بذلك، وبدأ بدول الخليج العربية، وكان له أمل كبير في تأييد إيران للمشروع، وكان واثقًا من ذلك لأنه قال لنا: إن الشاه صديق له شخصيًا، وفعلاً أرسل للشاه عن طريق سفيره في جدة يطلب تحديد موعد المقابلة، لكن أثناء وجوده في جولته الخليجية اتصل السفير الإيراني بالأمانة العامة واستدعى أحد المسؤولين بها إلى السفارة وطلب منه أن يتصل فورًا بتنكو عبدالرحمن في المكان الذي يوجد به ويبلغه بأنه لا داعي لزيارة إيران في الوقت الحاضر وبُلغ تنكو بذلك فعلاً.

كان الدكتور النجار مرافقًا له في هذه الجولة، وعقب انتهائها عاد للقاهرة مباشرة وكتب لي مساعده في الأمانة العامة الدكتور محمود الأنصاري خطابًا ما زلت أحتفظ به قال فيه ما يلي:



«تلقيت اليوم خطابًا من الدكتور أحمد النجار يطلب فيه أن يبلغكم أنهم وجدوا في كل المناطق التي زاروها حماسًا كبيرًا، ولكنهم جميعًا يقولون إنهم سيفعلون ما تفعله السعودية، ثم أضاف: وعلمت من تنكو أن الكويت لم تستجب، كما وأن سفير إيران طلبني إلى مكتبه وأخبرني كذلك أن أنقل إلى تنكو وإلى الدكتور النجار (أثناء رحلتهما بالخليج) أن إيران غير متحمسة لفكرة بنك إسلامي للتنمية».

لقد التقيت مع تنكو عبدالرحمن بعد عودته وأخبرني أن رسالة السفير الإيراني كان لها عنده وقع الصاعقة، وإن كان لا يعتبر ذلك أمرًا نهائيًا، ولا بد أن هناك سوء فهم لا بد أن يسعى لتبديده، وخاصة أن الشاه صديقه شخصيًا.

وقال لي: إن الصدمة الكبرى كانت من الكويت فقد حكى لي شخصيًا وهو يشكو قائلاً: إنني أتولى رئاسة اللجنة الأولمبية الآسيوية، ويشترك معي في هذه اللجنة أصدقاء كويتيون أعتز بصداقتهم، وقد انتهزت فرصة زيارتي الكويت للالتقاء بهم، واتصلت تليفونيًا بأحدهم وعرفته بموعد وصولي كما أبلغت السفير ليبلغ حكومته بأنني أرغب في مقابلة سمو الأمير ورئيس وزرائه، وقد فوجئت عندما وصلت إلى المطار بأن هذا الصديق الذي اتصلت به تلفونيًا هو الوحيد الذي استقبلني في المطار واحتفى بي وأخذني إلى أحد الفنادق وأحاطني هو وزملاؤه بكثير من العناية والتكريم، ودهشت بأن أحدًا من المسؤولين في الحكومة لم يتصل بي وطلبت إبلاغهم ولكن لم يتصل بي أحد منهم، فقررت العودة دون أن أقابل الأمير أو أحد المسؤولين.

لا شك أن شكوى تنكو عبدالرحمن مما حدث من إيران والكويت قد بلغت الملك فيصل بطريقة من الطرق، وأن تدخله شخصيًا كان العامل الأول في إقناع الكويت بالمساهمة في رأس المال، أما إيران فلا علم لي بأن «الشاه» قد غير موقفه.

بعد ذلك بدأ الدكتور النجار في إعداد ملفات المشروع لتبدأ لجنة الخبراء اجتماعاتها في يونيو لتعد على أساسها مسودة اتفاقية التأسيس وما يتفرع عنها، وكان في مقدمة الوثائق الذي تضمنها هذا الملف هو المذكرة المصرية المطولة التي أشرت إليها بنصها العربي والإنجليزي، وقرر تنكو عبدالرحمن أن يحمل الملف إلى ماليزيا لكي تبدأ اللجنة عملها



هناك، وقد طلب من الحكومة الباكستانية انتداب من يمثلها في هذه اللجنة فاختارت الدكتور ميناي، واختارت الحكومة الماليزية أحد مديري البنوك هو الدكتور ريس بن سانيمن، واختار تنكو عبدالرحمن صديقًا له من رجال القانون الماليزيين هو تانسري عبدالعزيز بن زين، وكان الدكتور النجار قد اقترح عليه أن يبعث برسالة إلى الحكومة المصرية للموافقة على انتدابه لهذه اللجنة، وفوجئ الدكتور النجار بأن المسؤولين في مصر رفضوا التصريح له بالاشتراك في هذا العمل، وكان هذا تصرفًا خطيرًا؛ لأن غيابه كان يمكن أن يؤدي إلى أن يأخذ المشروع اتجاهًا مخالفًا للفكرة الأساسية التي تضمنتها المذكرة المصرية والتي كان يدافع عنها وهي التزام البنك بالعمل على أساس المشاركة وعدم التعامل بالفائدة أخذًا وعطاءً؛ ولذلك ألح عليّ في أن أقبل دعوة تنكو عبدالرحمن للمشاركة في لجنة الخبراء بخطاب رسمي قدمته للمسؤولين في الحكومة السعودية فصرحوا لي بذلك.

بالنسبة لي شخصيًا كانت لديّ التزامات حالت دون سفري إلى كوالالمبور، وبناء على مساعدة النجار استطعت أن أتغلب على كل العقبات وأشارك في لجنة الخبراء، وكان هدفي الأول هو أن تكون الاتفاقية قائمة على الأسس التي تضمنتها المذكرة المصرية والمذكرات الأخرى الموجودة في الملف.

قبل أن أغادر المملكة توجهت إلى الملك فيصل رحمه الله أستأذنه للسفر فشجعني على ذلك، ولكني حرصت على أن أعرف منه مدى تأييده للفكرة الأساسية الخاصة بمنع الفائدة، وذكرته بأن الموضوع كان محل نقاش عندما التقيت به لأول مرة مع الوفد الجزائري الذي زار المملكة في عام ١٩٦٤م.

قلت له: إنني فهمت من تنكو عبدالرحمن أن المملكة سوف تكون أكبر مساهم في رأس مال البنك.

قال: بلا شك.

قلت له: هل تعتقد جلالتكم أن ما تدفعونه في رأس المال سوف تستردونه في يوم من الأيام؟

قال: لا يهمنا ذلك طالما أنها ستوجه لخدمة الإسلام والمسلمين.

قلت: إذا كنتم لا تفكرون في رأس المال ولا في الربح فمعنى ذلك أنكم تريدون وجه الله وثوابه، أي أن يكون عمل البنك في حدود الأصول الشرعية التي لا تشوبها شائبة الربا.

قال: بكل تأكيد.

فقلت له: لقد عرفت الآن مهمتي، وأرجو أن أوفق فيها.

وفي أول اجتماع عقدته لجنة الخبراء في كوالالمبور تناقشنا فيمن يعد المسودة لعرضها على اللجنة، واخترنا الدكتور ميناي ليكون سكرتير اللجنة باعتباره نائب محافظ البنك المركزي الباكستاني، ولما كنت أعتقد أنه هو الذي أعد المشروع الذي قدمته حكومة باكستان لتنكو عبدالرحمن فإنني طلبت أن نتفق أولاً على الأسس التي يتضمنها المشروع، وقلت لهم أول شيء أقترحه هو استبعاد الأسس التقليدية التي بني عليها المشروعان اللذان قدمتهما باكستان وماليزيا الموجودان بالملف.

قال أحدهم: وما هي الأسس التي تريد أن يقوم عليها المشروع.

قلت: إنه يجب أن يقوم على أساس المذكرة المصرية المقدمة لمؤتمر وزراء المالية.

اعترض أحدهم وقال: إن قرار مؤتمر وزراء المالية لا يشير إلى هذه المذكرة، وأن النقاش كان يدور حولها ومعنى ذلك أنها قد رفضت.

فقلت لهم: إن ما عرفته من تنكو عبدالرحمن هو أن مشروعه إنما يختلف عن المذكرة المصرية فيما يتعلق باشتماله على إنشاء عدة بنوك وطنية، وبنك مركزي إسلامي، أي إيجاد جهاز كامل للبنوك الإسلامية، يغطي جميع أقطار الدول الأعضاء في المنظمة، ولكن فهمت منه أن البنك لن يكون بنكًا تقليديًا، وإنما سيكون نموذجًا جديدًا لمصرف يقوم على الأسس الإسلامية التي تجعل المشاركة بدلاً من الفائدة.

طال النقاش حول هذه النقطة ولم أجد منهم اقتناعًا.



وفي الجلسة التالية تكلم تنكو عبدالرحمن وقال: إنني أعتقد أن البنك يمكن أن يتبنى الأسس الإسلامية التي تقوم على المشاركة، ولكن ذلك لا يمنع من أن يوجد به إلى جانب ذلك قسم يقوم على الأسس التقليدية وذلك زيادة في الاحتياط؛ لأن النظام الإسلامي ما زال في بدايته، ولا نعرف ما تؤدي إليه هذه المشاركات، فالاعتماد عليها وحدها مغامرة غير مأمونة الجانب، وقد تهدد البنك، وفضلاً عن ذلك فإن هذا الاقتراح يسهل على البنك التعامل مع البنوك القائمة حاليًا سواء كانت بنوكًا وطنية أو دولية، وكلها بنوك تتعامل بالفائدة.

فهمت من اقتراحه أنه قد حصلت لقاءات جانبية بين تنكو عبدالرحمن وأعضاء اللجنة الآخرين، وأنهم اتفقوا على هذا الحل؛ ولذلك وجدت منهم إصرارًا عليه عندما عارضته بشدة، وقلت: إن نظام المشاركة قد جرب فعلاً عندنا في مصر، ونجح في بنوك الادخار المحلية نجاحًا عظيمًا، ولا يمكن أن يكون البنك إسلاميًا إذا كانت له علاقة بالتعامل بالفائدة بأي وجه من الوجوه، ونحن دافعنا عن المشروع على هذا الأساس وأعتقد أن المؤتمر أقره، وأن الوفود التي صوتت لصالح المشروع في مؤتمر وزراء المالية قد تبنت فعلاً الأسس الواردة في المذكرة المقدمة من الأمين العام، وليس بها أي إشارة للتعامل بالفائدة.

حاول تنكو عبدالرحمن إقناعي بقبول هذه الاقتراح، ولكني قلت له بكل صراحة: إنك تعرف ما هي الدولة التي ستقدم رأس المال، وأنا مفوض من الملك فيصل بالمساهمة في إنشاء بنك إسلامي على الأصول التي اتفقنا عليها، فإذا كان عندكم أي اتجاه آخر فإنني مضطر أن أرجع إلى الملك فيصل ليفصل في الأمر، ويمكنك أنت أن ترجع إليه؛ لأنني أؤكد لك أنه لو وافق الملك على اقتراحكم فلا بد أن يرسل لكم شخصًا آخر غيري لأنني لست مستعدًا للمساهمة في المشروع على هذا الأساس.

عند ذلك تدخل تنكو عبدالرحمن وقال: إنني أعرف جيدًا ما يريده الملك فيصل، وسوف نبذل جهدنا لتحقيق رغبته، وطلب من الدكتور ميناي أن يجعل المبادئ الواردة في المذكرة المصرية أساسًا للمسودة التي يعدها، وطلب مني أن أكون معه كلما احتاج إليّ في هذا الأمر.



ولاحظت بعد ذلك حماس الدكتور ميناي نفسه في العمل في هذا الاتجاه وحرصه الواضح على الطابع الإسلامي للبنك، وصرح لي مرة بأنه يجد متعة كبيرة في كل جهد يبذله من أجل إعطاء البنك طابعه الإسلامي الذي يميزه عن البنوك التقليدية؛ ولهذا سار العمل بسهولة ويسر، وكانت المناقشات في جميع المواد تسير بمنتهى الحكمة والتفاهم بين الجميع حتى أتممنا المسودة الأولى في كوالالمبور، وقرر تنكو عبدالرحمن أن ننتقل إلى جدة لوضع الصيغة النهائية فيما يتعلق بالموضوعات الأساسية التي يحتاج فيها إلى مراجعة المسؤولين في المملكة السعودية وخاصة الملك فيصل، وكذلك الخبراء الذين يمثلون الدول الخليجية بصفة خاصة، وأهمها مسألة المساهمات والدينار الإسلامي. . .

كان تنكو عبدالرحمن قد ترك الأمانة العامة وتفرغ للجنة التحضيرية المكلفة بإعداد وثائق تأسيس بنك التنمية، وقد اقتضى ذلك إعداد مكتب خاص لهذه اللجنة، وتأكيداً لاهتمامه بالمشروع وتبنيه له أمر الملك فيصل بأن يسلم إلى تنكو عبدالرحمن القصر الذي كان فيه مكتب النيابة الذي كان يزاول فيه مسؤولياته بصفته نائب الملك في المنطقة الغربية وهو أمير قبل أن يتولى عرش المملكة، وبقي هذا القصر مقراً للجنة التحضيرية إلى أن تم إنشاء البنك وبدأ عمله وخصص له مكان آخر.

عقدت اللجنة التحضيرية اجتماعها الأخير في جدة في فندق جدة بالاس، وقد اعتمد عليّ تنكو عبدالرحمن في جميع الإجراءات الخاصة بتلك اللجنة، وخصوصًا أعمال الترجمة والطباعة، فضلاً عن الشؤون القانونية؛ وزيادة في الاحتياط طلب من البنك الدولي والبنك الآسيوي للتنمية بعض الخبراء القانونيين ليطلع على المسودة ويبدي رأيه فيها، وقد حضر فعلاً اثنان من كبار القانونيين وعقدوا معنا جلسات عديدة لمراجعة النص، وسعدت كثيرًا بالحوار معهم، وكان أحدهم مصريًا هو الأستاذ الفيشاوي والآخر كنديًا، هو المستر شوستر M.H Shuster من البنك الآسيوي للتنمية الذي صرح لي بعد مراجعة المسودة قائلاً:

إنكم تسبقون بنوك التنمية الأوروبية التي نعرفها؛ لأن تلك البنوك تتجه الآن إلى تخفيض سعر الفائدة إلى أدنى حد؛ لأنهم لا يريدون تحقيق ربح وكل ما يهمهم هو إتمام

المشروعات التي يشجعونها أو يساهمون فيها، وإذا استطاعوا استرداد رأسمالهم فإن ذلك يكون نجاحًا كبيرًا، أما الحصول على فوائد فلم يعد هدفًا لهذه البنوك؛ لأن هدفهم هو نجاح المشروعات التي يسهمون فيها وليس تحقيق فائدة من ورائها، وإذا كان ولا بد من عائد فيكفي ما يلزم للنفقات الإدارية؛ ولكن لأنهم يعتقدون أن الفوائد مبدأ مقدس لا يمكن التجاوز عنه فإنهم يسمونها قروضًا ميسرة، وأنا أفضل ما ذهبتم إليه من اعتبارها قرضًا حسنًا»(١)(٢).

وإنما سقت هذا النص الطويل -بعد إيجازه- من أجل ثلاثة أمور:

- **أحدها:** لتُعلم كثرة العوائق التي كانت توضع في وجه المشروع الاقتصادي الإسلامي من قبَل أناس من المسلمين لكنهم ربُّوا على غير منهج الإسلام.

- **وثانيها:** لتُعلم التضحيات التي بُذلت من أجل إتمام المشروع في زمن كانت فيه الصحوة في بداياتها، ولم يكن أهل الحق يجدون على الخير أعوانًا إلا قليلاً، والله المستعان.

- **وثالثها:** بيان ما للملك فيصل وبعض دعاة الإسلام من فضل في إنشاء هذا المصرف اللاربوي.

---

(١) كما قال لي إن اللورد جون مايزد كينز الذي أصبح فيما بعد عميد الاقتصاديين المعاصرين خرج على التعاليم التقليدية وتبرأ من نظام الفائدة، وشن هجومًا عنيفًا عليها، وبينما كان يرى الكلاسيكيون أن سعر الفائدة هو العامل الحاسم في الادخار، (فكلما ارتفع سعر الفائدة زادت المدخرات) راح كينز يسخف من آرائهم ويقول بأن سعر الفائدة لا علاقة له بالادخار، فالادخار يعتمد أولاً على مستوى الدخل، وعلى العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع، وأن حوافز الادخار مستقلة عن سعر الفائدة، إلى أن قال إن السياسة النقدية يجب أن تتجه دومًا إلى تخفيض سعر الفائدة وأن المجتمع النامي بصورة مثالية سيصل إلى حالة تصبح فيها الفائدة صفرًا، ثم جاء تلميذه: سير/ روي هارود ونشر كتابًا بعنوان: «نحو اقتصاد حركي ديناميكي» وتبنى في الكتاب وجهة نظر كينز، بل طورها بوضوح إذ يقول بأن النظام الحر لا يمكن له البقاء إذا ما استمرت فئة من أصحاب رؤوس الأموال تجلس خاملة وتقوم بإقراض النقود عن طريق البنوك وتحصل على دخل يسمى بسعر الفائدة دون أن تتعرض لمخاطرة أو تبذل جهدًا مبدعًا، إنها تعيش عالة على جهد المقترضين الذين يخاطرون ويبدعون ولا بد من تخليص المجتمع من شرورها بتحريم سعر الفائدة نهائيًا.

(٢) «من قصص البنوك الإسلامية»: البنك الإسلامي للتنمية: ٣٢-٦٩ بتصرف.

شهادة الأستاذ أحمد صلاح جمجوم على تجربة البنوك الإسلامية في المملكة:

«في مؤتمر القمة الإسلامية في كراتشي باكستان عام ١٩٧٢ قدمت دراستان مصرية وباكستانية لإنشاء بنك إسلامي للتنمية، واختيرت الدراسة المصرية، وكان الأمير محمد الفيصل أحد المشاركين فيها، واهتمام الأمير محمد بهذا الموضوع قديم، فقد كان الاقتصاد الإسلامي محور اهتمامه، كما كانت التحلية خلال فترة دراسته وعمله في الولايات المتحدة في الخمسينيات والستينيات الميلادية، وقبل المؤتمر بسنوات تقدم سموه بطلب للملك فيصل بإقامة بنك إسلامي على أسس تجارية.

وأصرَّ الأمير على فكرته وواصل الدراسات مستعينًا بخبيرين في مجال الاقتصاد، عملا معه في مشروع دراسة بنك التنمية، هما توفيق الشاوي وكان لاجئًا إخوانيًا سبق أن عمل مستشارًا لأحمد زكي يماني في البترول، ثم قانونيًا في ديوان مجلس الوزراء، وأحمد النجار، وهو من مجموعة الاقتصاديين الذين خططوا لإنشاء بنوك ناصر الريفية في مصر لتمويل مشاريع القرى والأرياف.

لكن مشروع الأمير محمد وُوجه بمعارضة شديدة من مؤسسة النقد ووزارة المالية التي كانت عضوًا في اللجنة السعودية الأمريكية، وكان موقف اللجنة نفسها معارضًا بنفس القدر، كما كانت هناك ضغوط من صندوق النقد الدولي ضد فكرة المشروع.

تحفظ الفيصل بسبب ابنه:

طلب مني الأمير محمد مساعدته في هذا الشأن، ولأنني كنت مقتنعًا بالفكرة، متحمسًا لها فقد ذهبت للملك فيصل وحاولت إقناعه بدعم المشروع، لكنه قال لي: ماذا سيقول الناس؟ إنني أمرت بتنفيذ هذا المشروع رغمًا عن كل المسؤولين المختصين من أجل ابني.

قلت له: لا، ليس من أجل ابنك ولكن من أجل الإسلام.

فقال لي: تابع الموضوع وأخبرني.

كان - رحمه الله - لا يريد أن يخطو خطوة في هذا الاتجاه قبل أن يقتنع المسؤولون في المالية والمؤسسة بها؛ لذلك فقد أحال الموضوع إليهم للدراسة والإفادة، وقد كان من

خصال فيصل أن يحترم التخصصات ولا يتجاوز المسؤولين، ويحرص على أن لا يستفيد أحد من أبنائه والمقربين له من علاقتهم به.

تقرير المؤسسة لم يكن محايداً:

علمت أن المعاملة في مؤسسة النقد، فذهبت إلى محافظ المؤسسة وكان وقتها عبدالعزيز القريشي وقلت له: علمت بأن الموضوع أحيل إليك وكل ما أطلبه منك هو أن تقدم تقريرك من الناحية المالية الصرفة فحسب، بغض النظر عن كون المشروع إسلاميًا، وأن لا تدخل الجوانب السياسية أو الحسابات الدولية في التقرير، فتلكأ واعتذر لأنني قلت له بأن رأيه إذا كان إيجابيًا سيكون دليلي الذي سأجادل به من أجل الترخيص للمشروع، آلمني هذا الموقف منه، وخرجت من عنده بعد أن أنذرته أنني سأخاصمه أمام الله في هذا الأمر يوم الدين، وعندي قناعة بأن تقريره لن يكون محايداً أو بعيداً عن التأثيرات الخارجية، وهذا ماحدث فعلاً.

انتهى الأمر إلى الحفظ:

عدت للملك فيصل وقلت له: إن الجماعة مصرون على المعارضة وشرحت له موقفهم وأسبابه، وقلت له: ليس هناك من حل إلا أن يصدر قراره ويفرضه عليهم، فتحفظ لنفس السبب، وهو أن المشروع يحمل اسم ابنه، ولم يرد أن يقال إنه فرضه من أجله، وتوفي - رحمه الله - قبل أن نتمكن من إقناع المسؤولين في المالية والنقد، وانتهى الأمر إلى الحفظ.

لماذا لم تصرح لكم بلادكم؟

كان الأمر محبطًا للأمير محمد ولكل من سار معه في هذا المشروع، وكنت منهم، المشكلة أننا كنا نواجه بنفس السؤال الصعب في كل بلد نطلب فيه ترخيصًا، وعند كل من كنا نطلب مشاركتهم ودعمهم: إذا كان المشروع مجديًا وإسلاميًا حقيقيًا فلماذا لم توافق بلادكم على الترخيص له؟ وطبعًا لم يكن عندنا إجابة غير أن السلطات المالية لم تسمح لأسبابها الخاصة، ولكن الأمير محمد أصر على المضي في هذا الطريق، واستعان بكل أصدقائه من رجال الأعمال وأقنعهم بإنشاء البنك رغم كل شيء.

شجعتنا مقابلة الفهد:

وبعد وفاة الملك فيصل كررنا المحاولة مرة أخرى مع الملك خالد - رحمه الله - واقترحت على الأمير أن نجمع عددًا من العلماء لمناقشة الأمر مع ولي العهد الأمير (الملك) فهد، وطلب توجيهه ودعمه قبل التقدم بطلب ترخيص للملك خالد، وذهبنا بوفد فيه الشيخ محمد متولي الشعراوي والشيخ محمد الغزالي والشيخ القرضاوي وغيرهم، وقابلنا ولي العهد الأمير فهد في الطائف، فأخذ يسأل أسئلة عميقة وهامة حول فكرة البنك وأدائه، وشعرنا بأنه على استعداد لدعمنا، وبعد نهاية اللقاء طلب وقتًا لدراسة الأمر.

بنك دبي الإسلامي يطلب فرعًا:

عدنا في اليوم التالي للسلام على الملك خالد، وقد جاء من الإمارات الشيخ محمد سعيد لوتاه، أول من أنشأ بنكًا إسلاميًا في بلده، بنك دبي الإسلامي، وفاجأنا بأنه طلب من الملك أن يسمح بفتح فرع لبنكه في المملكة، فلما علم الأمير فهد بذلك، قال: كيف نسمح له ونحن لم ننشئ بنكًا إسلاميًا في المملكة؟

قلت له: الأمر متروك لكم، فكان الموقف صعبًا، ومحرجًا، فطلب مني الأمير فهد أن أبلغ الشيخ لوتاه بعدم إمكانية تحقيق طلبه في الوقت الراهن، وأرسلت له بالفعل من أبلغه بهذا الرد، أما مشروعنا فلم يكتب له النجاح أيضًا، فقد دخلت الدراسة إلى ردهات المالية والمؤسسة ولم تخرج، أو ربما خرجت ولكن بموقف سلبي لم نبلغ به[1].

تأسيس المصارف الإسلامية:

- تأسيس البنك الإسلامي في دبي:

وإنما بدأت به لأنه أول مصرف إسلامي افتتح في الأرض، وتوالت بعده تأسيس المصارف الإسلامية، ولله الحمد والمنة.

وقد افتتح في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٥ الموافق ١٥ سبتمبر ١٩٧٥، وحضر حفل

---

(١) «أحمد صلاح جمجوم يتذكر»: ١٠٩-١١١.



الافتتاح شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود -رحمه الله- الذي تحدث عن أسس النظام المالي في الإسلام، وتكلم أيضًا الدكتور عيسى عبده وهو المستشار العام للمصرف.

- هذا وقد اجتمعت بالأخ سعيد لوتاه في دبي، وحدثني في شأن المشروع وبداياته، وجهد الدكتور عيسى عبده -رحمه الله- في إنشائه، وهي قصة جليلة تستحق أن تكتب بماء الذهب؛ وذلك لأن مصرفه هذا هو أول مصرف إسلامي مطلقًا، وفتح الباب لإنشاء مصارف إسلامية عديدة بعد ذلك في الأرض، وكذلك للجهد الجليل الذي بذله د. عيسى عبده الذي كان ينادي في مصر بإنشاء المصرف لكن لم يسمح له، وفي المملكة التي انتقل إليها أستاذًا في جامعة الملك عبد العزيز لكن لم يوفق، وفي الكويت ولم ينجح حتى أثمرت جهوده في دبي، ولله الحمد والمنة.

مصر:

في سنة ١٩٧٧ أنشئ بنك فيصل الإسلامي المصري بالقانون رقم ٤٨/ ١٩٧٧ المعدل بقانون رقم ٤٢/ ١٩٨١، وأخذ شكل شركة مساهمة مصرية، وسجل كبنك تجاري خاص تحت رقم ٨٨ بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٧٩، وباشر أعماله في شهر يوليو ١٩٧٩، وصدر نظامه الأساسي في أكتوبر ١٩٧٧ بقرار من وزير الأوقاف رقم ٧٧ لسنة ١٩ وبعد استشارة وزير الاقتصاد طبقًا للفصل ٢٠ من القانون المنشئ له[١].

وتعمل الآن في مصر بنوك إسلامية أخرى إلى جانب بنك فيصل الإسلامي.

البحرين:

تعمل «البنوك الإسلامية» في دولة البحرين في ظل إطار قانوني يمتاز بالمرونة، مكنها هي وغيرها من البنوك والمؤسسات المالية التقليدية من العمل في هذا البلد، ويعد بنك البحرين الإسلامي أول بنك أنشئ في هذه الدولة طبقًا للمرسوم رقم ٢ لسنة ١٩٧٩، وباشر أعماله في نوفمبر ١٩٧٩، وهو شركة مساهمة بحرينية ألزمه المرسوم المؤسس له بكل القوانين الموجودة في الدولة ولكن بالنسبة لما لا يتعارض منها مع أحكام الشريعة

---

(١) سقت هذا المطلب بتصرف من كتاب «البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق»: ٦٨ وما بعدها. وكل الذي سيأتي بعدُ في هذا المطلب إنما هو من هذا الكتاب.

الإسلامية، وهذا ما أكده نظامه الأساسي، الذي نص على الامتناع الكامل عن التعامل بالربا جليًا كان أم خفيًا.

وفي ١٤ يوليو ١٩٨٣، تأسس «بنك فيصل الإسلامي: البحرين» في شكل شركة مساهمة، وبترخيص خاص منح له من طرف مؤسسة النقد في الدولة؛ ليعمل «كوحدة مصرفية خارجية».

وتوالى بعد ذلك إنشاء «البنوك الإسلامية»، ومنها بنك البركة، والبنك العربي الإسلامي.

قطر:

وعرفت دولة قطر أول بنك إسلامي سنة ١٩٨٢، وهو مصرف قطر الإسلامي، ثم بعده بنك قطر الدولي الذي بدأ أعماله في أكتوبر ١٩٩٠ وهي السنة التي فتح فيها مصرف قطر الإسلامي فرعًا له.

الكويت:

أما أول مؤسسة مالية إسلامية تأسست في دولة الكويت، فهي «بيت التمويل الكويتي» وذلك سنة ١٩٧٧ والذي بدأ مزاولة نشاطه في ٣١/ ٣/ ١٩٧٨.

ويعد البنك الإسلامي الوحيد في الكويت وهو شركة مساهمة كويتية، رخص بتأسيسها بقانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٧٧، لكل من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزارة العدل ووزارة المالية.

وقد كان يُرجى أن يكون هذا المصرف أول مصرف إسلامي مطلقًا لولا ممانعة التيار الناصري في الكويت وصدهم للدكتور عيسى عبده -رحمه الله- الذي زار الكويت لإقناع المسؤولين بجدوى إنشاء المصرف منذ أوائل التسعينيات الهجرية/ السبعينيات الميلادية.

المملكة العربية السعودية:

يمكن اعتبار «شركة الراجحي المصرفية للاستثمار»، أول بنك تجاري خاص إسلامي تعرفه الدولة، ولكنها لم تتأسس في الأصل بنكًا، وإنما جاءت نتيجة تحول الشركة الأصلية



أي «شركة الصرافة السعودية» إلى «بنك إسلامي» في فبراير ١٩٨٨، وبموافقة السلطات النقدية، التي رخصت للأَخَوان الراجحي سنة ١٩٨٧ بتحويل شركتهم إلى بنك تجاري عادي تحت اسم «شركة الراجحي المصرفية للاستثمار» وبعد ذلك جاءت «أسلمة» هذا البنك وفروعه.

علمًا بأنه كان للشركة قبل التحول «فرع إسلامي» قُدرت الصفقات التي أبرمها قبل سنة ١٩٨٨ مثلاً بحوالي مليار دولار، ويعد هذا البنك ثالث بنك في الدولة من حيث حجم الودائع؛ إذ استطاع تجميع حوالي ٣ ملايير دولار بفضل ٢٨٨ وكالة محلية، ويملك شركات تابعة في عدة عواصم عربية وغربية، واكتتب الجمهور في رأس ماله بنسبة: ٤٣٪، مما يدل على نجاحه وإقبال الناس عليه[١].

الأردن:

تأسست في المملكة الأردنية «بنوك إسلامية» على رأسها البنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار، والبنك الوطني الإسلامي الأردني؛ الأول تأسس بموجب قانون خاص تحت رقم ١٣ لسنة ١٩٧٨.

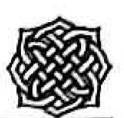
أما الثاني وهو البنك الوطني الإسلامي الأردني، فليس في الواقع مؤسسة جديدة، وإنما هو «شركة استثمار إسلامية» تحولت إلى «بنك إسلامي» بكل ممتلكاتها وديونها، وكان اسمها «شركة بيت الاستثمار الإسلامي»، ولقد تم التحول والعمل برخصة من الحكومة.

تركيا:

وإذا انتقلنا إلى التجربة التركية، وجدنا أن المعروف عن هذه الدولة تأرجحها بين الدول

---

(١) تعد شركة الراجحي المصرفية، ثالث أكبر مجموعة مالية إسلامية على المستوى المحلي والدولي، فهي تدير أموال ما يزيد على ٣ ملايين من المهاجرين العاملين في السعودية، واحتلت المرتبة الأولى في سنة ١٩٩٤-١٩٩٥ على كل البنوك الإسلامية العاملة داخل الوطن العربي من حيث الموجودات والتمويلات وحقوق المساهمين، واحتلت المرتبة الأولى عن نفس السنتين على كل البنوك العاملة في السعودية من حيث العائد على الموجودات:
انظر: «المصارف السعودية: تطور رغم الصعوبات» مجلة الاقتصاد والأعمال. عدد خاص أكتوبر ١٩٩٦. ص٦. بدون اسم الكاتب.



الغربية والدول الإسلامية، ورغم أن نسبة ٩٩٪ من الأتراك مسلمون، فإن اتجاه الدولة علماني بصفة شبه كاملة.

ويؤكد المسؤولون فيها على عدم وجود نظام اقتصادي يمكن اعتباره إسلاميًا بشكل قاطع، ومع ذلك قررت الحكومة الإذن «للمؤسسات المالية الإسلامية» بالاستقرار في الدولة والعمل بعيدًا عن نظام الفوائد.

وصدرت من أجل ذلك ما بين سنة ١٩٨٣ و١٩٨٥ تنظيمات أدت إلى تأسيس أول «بنك إسلامي» في تركيا، هو بنك فيصل الإسلامي، ومقره في العاصمة أنقرة، ثم بيت البركة التركي للتمويل ومقره في أنقرة أيضًا وذلك سنة ١٩٨٥، وفتح فرع له في إسطنبول، وبعدها بنك الأوقاف الكويتي التركي سنة ١٩٨٩، وقد بلغت فروع هذه البنوك الثلاثة ١٥ فرعًا، مما يدل على النتائج الجيدة التي حققتها رغم أنها لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من حجم الجهاز البنكي في الدولة.

وتعمل «البنوك الإسلامية» في تركيا، في إطار قانوني مخفف من بعض الالتزامات والقيود المفروضة على البنوك التقليدية، مما أثر إيجابيًا على أصحاب الودائع فيها.

ولقد طالب كل من بيت التمويل الكويتي والمجموعة المصرية (الهدى) من الحكومة التركية رخصة إقامة فروع تابعة لهما في مدينة اسطنبول، ولكن الطلب قوبل بمعارضة العديد من الشخصيات في الدولة، التي تخوفت من التطور السريع لهذا القطاع، وأيضًا لانهم رأوا أن مؤسساته تخالف الدستور التركي لأنها تعمل طبقًا لمبادئ دينية وليست علمانية[1].

ماليزيا:

ومن الدول الإسلامية الآسيوية التي لها تجربة مع «البنوك الإسلامية» ماليزيا، التي تأسست فيها لجنة وطنية «للبنك الإسلامي».

في بداية الثمانينيات، طالبت الحكومة في تقرير لها، بالترخيص بإنشاء هذه البنوك،

---

(١) تحول الأمر اليوم في تركيا إلى الأفضل، وهناك عدة مصارف إسلامية غير التي ذكرت في الدراسة.



في شكل شركة محدودة حسب قانون الشركات لسنة ١٩٦٥، مع ضرورة إعطاء «البنوك الإسلامية» قانونًا خاصًا ينظم تأسيسها والرقابة عليها، وإدخال تغييرات على قانون الشركات لسنة ١٩٦٥ ما عدا ما يتعلق بالشكل، وعلى القانون المصرفي لسنة ١٩٧٣، وقانون المؤسسات المالية لسنة ١٩٧٩، والمرسوم المتعلق بالبنك المركزي الماليزي لسنة ١٩٥٨؛ حتى يتمكن من الرقابة على نشاطها، مع وجوب إقامة هيئة للرقابة الشرعية للتأكد من تطابق الأعمال المصرفية مع قواعد الشريعة الإسلامية، وأضافت لهذا التقرير مشروع قانون لإقامة «البنك الإسلامي» وآخر متعلق بالاستثمارات. . .

وبعد هذه الاستعدادات، عرفت ماليزيا في بداية شهر يوليوز ١٩٨٧ أول «بنك إسلامي» هو «البنك الإسلامي الماليزي بيرهاد» وهو أول بنك من نوعه في هذه المنطقة من العالم، ومركزه الاجتماعي في كوالالمبور.

ويعد هيئة مالية حاصلة على دعم حكومي، ولقد وقع تأويل تدخل السلطة السياسية في هذا المشروع تأويلين مختلفين؛ الأول: ذهب إلى أن ذلك ليس إلا جزءًا من استراتيجتها السياسية التي تهدف إلى إشغال الناس به عوض المطالبة بالإصلاحات التقويمية للحياة الاقتصادية والمالية في البلاد.

والثاني: ذهب إلى أن الحكومة تريد من ورائه الحد من سيطرة الصينيين على عالم الاقتصاد والمال في الدولة، وبالتالي إعطاء فرصة جديدة للممولين الوطنيين فقط، وأن هذا البنك «وإن حقق نجاحًا اقتصاديًا، فإن ذلك لا يعد دليلاً على مقدرته، ولا يبرر وصايته وهيمنته على نظام الاقتصاد الماليزي».

تأسيس البنوك الإسلامية في الدول غير الإسلامية:

سآتي في هذا المبحث بإيجاز على قصة تأسيس البنوك الإسلامية في الدول غير الإسلامية، مستلاً إياه من كلام الأستاذ حسن بن منصور[1] الذي قال فيه:

---

(١) «البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق»: ٧٩ وما بعدها.

«منذ أن ظهرت «البنوك الإسلامية»، وأصحابها يبحثون لها عن التجديد والتنوع، من أجل اجتذاب أقصى ما يمكن من المدخرين والمستثمرين، فعملوا كل جهدهم لكي تتأسس هذه البنوك في مختلف أنحاء العالم، وتعمل في كل الأسواق المالية الكبرى، وللوقوف على حقيقة ذلك سنتحدث أولاً عن «البنوك الإسلامية» في الدول الأوروبية، وثانيًا عنها في آسيا وأمريكا.

تأسيس البنوك الإسلامية في الدول الأوروبية:

امتد العمل المصرفي الإسلامي إلى الدول الأوروبية منذ نهاية السبعينيات، وتمركز بالأساس في كل من سويسرا والدنمارك وبريطانيا، ولعبت اللوكسمبورغ وقبرص دورًا لا بأس به في عملية استقرار «البنوك الإسلامية» في هذا الجزء من العالم...

البنوك الإسلامية في بريطانيا(١):

استفادت «مجموعة البركة» من الأزمة المالية التي عاشتها دار المال الإسلامي سنة ١٩٨٣-١٩٨٤، فنشرت نشاطها في مختلف أنحاء العالم بواسطة تأسيس وتسيير العديد من البنوك التجارية وشركات الاستثمارات الإسلامية، فأنشأت في بريطانيا «بنك البركة الدولي المحدود» وهو «بنك إسلامي» مر تأسيسه بمراحل عدة، بدأت في ١١/ ٥/ ١٩٨١.

ولقد اتخذ البنك المركزي البريطاني موقفًا حذرًا من العمل المصرفي الإسلامي إذ لم يسمح «للبنك الإسلامي» هذا بالتمتع بالقواعد السارية على الهيئات المرخص لها، أو التي تتلقى الأموال من الجمهور.

كما رفض تسجيل أية مؤسسة مالية إسلامية في صنف البنوك، وبذلك ظلت «البنوك الإسلامية» في هذه الدولة خاضعة للقواعد الاستثمارية والتمويلية الموازية للقوانين البنكية.

ورغم الصعوبات التي واجهها «بنك البركة الدولي المحدود» من أجل فرض وجوده فإن نتائجه تؤكد التعاون بينه وبين الممولين والمستثمرين البريطانيين من أجل التوفيق بين نظامين

(١) اكتفيت بذكر بعض الدول تخفيفًا وإيجازًا.



تمويليين مختلفين، بدليل الفروع المهمة التي فتحها في مختلف أنحاء الدولة، والتي تتولى مهمة توظيف الأموال التي يتم جمعها من العالم الإسلامي، ولكن هذا البنك تم إغلاقه من طرف البنك المركزي البريطاني في سنة ١٩٩٣، لاحتجاجه على «ملكية البنك وإدارته وتركيبة المجموعة المالكة» وهي أسباب إدارية بحتة لم تقترن بأسباب عملية أو فنية في ذلك الوقت(١).

التجربة في الدول غير الإسلامية الأخرى:

تضم هذه المجموعة عدداً من الدول الآسيوية والأمريكية، والتي يعرف بعضها في الواقع العمل التمويلي الإسلامي وليس «البنوك الإسلامية»، مثل الهند التي ظهرت فيها «المؤسسات المالية الإسلامية» في شكل شركات تجارية وليس في صورة «بنوك إسلامية». . .

ومن بين بلدان الشرق الأقصى التي فتحت أبوابها في وجه العمل المصرفي الإسلامي، هناك الصين التي دخلت المؤسسات المالية الإسلامية الكبرى في مفاوضات مع حكومتها، من أجل الترخيص لها بالعمل في أقاليمها التي تتوفر على أغلبية مسلمة، ولكن بطرقها الخاصة، وفعلاً تأسست في نهاية سنة ١٩٨٥ شركة في شكل «ترست استثماري» برؤوس أموال عربية وصينية، وانطلقت بمشروعين؛ الأول: خاص بالاستيراد. والثاني: بالصناعة، وهناك مشروعات أخرى لخلق بنوك وشركات استثمار إسلامية.

والملاحظ أن تيار «البنوك الإسلامية» امتد إلى العالم الجديد؛ حيث تأسس في جزر الباهاماس وبمبادرة من بعض رجال الأعمال المسلمين، و«المؤسسات المالية الإسلامية» كل من «البنك الإسلامي العربي الإفريقي» و«مصرف فيصل الإسلامي» بالباهاماس وذلك في أوائل الثمانينيات.

---

(١) افتتح في بريطانيا بعد ذلك البنك الإسلامي البريطاني، وهو قائم إلى يوم الناس هذا. وافتتح في فرنسا أخيراً وبعد تعديل قوانينها المصرفية مصرفان إسلاميان، ولله الحمد والمنة.

تأسيس البنوك في الدول التي أسلمت نظامها المصرفي:

ذكر الأستاذ حسن بن منصور هذا الأمر موجزاً فقال[1]:

تضم هذه البنوك كلا من إيران والباكستان والسودان، وإذا كانت الدولتان الأولى والثانية لا تطرح تجربتهما أي مشكل، فإن تعرضنا للسودان معها قد يثير نقاشًا على أساس أن هذه الدولة تصنف لدى البعض مع المجموعة ذات الازدواجية المصرفية؛ لاستمرارية وجود العمل المصرفي التقليدي فيها، ولكننا ونظرًا لحركة «الأسلمة» التي عرفتها الدولة على المستوى القانوني ككل، فضلنا الحديث عن تأسيس البنوك الإسلامية فيها ضمن هذه المجموعة، التي قد تعطينا مؤشرات عن فعالية «العمل المصرفي الإسلامي» باعتبار أنه يطبق فيها في إطار متكامل، وإن لم يكن بنفس الدرجة؛ نظرًا لاختلاف الأرضية الفكرية، والظرفية السياسية، والاقتصادية، بين هذه الدول وبناء عليه سنتحدث في هذا الفرع عن الدول الإسلامية غير العربية ثم عن الدول الإسلامية العربية.

تأسيس البنوك في جمهورية الباكستان:

تعتبر الباكستان من الدول الإسلامية الأولى التي خاضت محاولة إخضاع قطاعها الاقتصادي والمالي للمبادئ الإسلامية، وذلك على مراحل عدة، بدأت في العقد الخامس من هذا القرن[2]، في محاولة لم يكتب لها النجاح.

وفي سنة ١٩٧٤ اتخذت الحكومة محاولة أخرى لأسلمة النظام المالي والبنكي وبدأت بعملية تأميم البنوك التجارية.

وفي سنة ١٩٧٧ أنجز «مجلس الفكر الإسلامي» -وهو لجنة عليا مكونة من فقهاء واقتصاديين- دراسة عن اقتصاد اسلامي لا ربوي، قدمها للسطات المختصة، طالب فيها بوجوب إلغاء التعامل بالفوائد المصرفية، وبناء على هذه الدراسة وغيرها من الدراسات الفقهية والاقتصادية، وحسب تخطيط محدد، قررت السلطات الباكستانية إلغاء نظام الفوائد وتعويضه بالنظام «البنكي الإسلامي»، ولكن بشكل تدريجي، فجعلت الهيئات

(١) «البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق»: ٨٦ وما بعدها.
(٢) أي القرن العشرين الفائت.



المالية تتخلى عن استخدام الفوائد على عملياتها منذ أواخر السبعينيات، وبعدها بدأت البنوك تتلقى الودائع بناء على نظام المشاركة في الأرباح والخسائر.

واستمرت هذه المرحلة التمهيدية وتدابيرها إلى سنة ١٩٨٥، التي عرفت الإعلان الرسمي عن إحلال النظام الإسلامي محل نظام الفوائد، مع استثناء الودائع بالعملات الأجنبية والقروض من الخارج، كما ما زالت الفائدة مطبقة على القروض للدولة.

والملاحظ أن الإعلان عن قيام البنوك بالعمليات والخدمات المصرفية طبقًا للنظام الإسلامي، كان من الضروري أن يتزامن معه وبنفس النسق التدريجي، تغيير وتطوير في القواعد القانونية على مختلف المستويات العادية والدستورية، سواء بخلق قوانين جديدة، أو تعديل الموجودة، بكيفية تتلاءم مع التوجه الجديد، وأيضًا إعادة هيكلة الأجهزة الإدارية والفنية، وإعادة تنظيم السوق المالي، وتعديل قواعد الإشراف والرقابة على القطاع المالي، وتعزيز ذلك كله بنظام قضائي قادر على تسوية النزاعات الجديدة التي قد تحدث بين مختلف الأطراف.

وتلبية لهذه التوقعات صدر في شهر يونيو ١٩٨٨ مرسوم يقر الشريعة الإسلامية كقانون أعلى للدولة، ويطالب بتعديل كل القوانين بشكل يتوافق معها في المستقبل، ونص على أنه رغم نفاذه الفوري فإن «معظم قرارات المحاكم العليا التي تطبق الشريعة لن تكون نافذة إلا بعد ثلاثة أشهر على الأقل من الانتخابات العامة المقررة في ٢٦ أغسطس».

ومكنت القوانين الجديدة البنك المركزي من تكييف أعماله بناء على نظام المشاركة في الربح والخسارة. . .

ولقد أشرف مجلس الفكر الإسلامي الباكستاني، على مختلف المراحل التي أدت إلى إحلال «النظام الإسلامي» محل نظام الفوائد، فضلاً على استمرارية احتضانه للأبحاث التي ما زالت قائمة لإيجاد حلول للنقط العالقة، والتي لم تخضع بعد للقواعد الإسلامية.

قال الأستاذ حسن بن منصور:

«نكتفي هنا بهذه الأمثلة عن بعض البنوك الإسلامية لأن عددها كبير جدًا، بلغ حاليًا ١٠٠ بنك إسلامي تقريبًا»[1].

وبعد هذا العرض الشامل الموجز لقصة إنشاء الاقتصاد الإسلامي يتضح بجلاء أن الصحوة لها الأثر الأكبر في إنشاء المصارف الإسلامية وتأسيس مبادئ الاقتصاد الإسلامي، هذا الحدث الجليل الرائع الذي يُعد من أبرز أحداث القرن الرابع عشر / العشرين الميلادي.

رواد الاقتصاد الإسلامي:

أخبرني د. منذر قحف - وهو سوري فاضل يعيش الآن في قطر، وهو من الجيل الثاني من رواد الاقتصاد الإسلامي - أخبرني أن رواد الاقتصاد الإسلامي هم:

١- **نجاة الله صديقي:** وقد درس في مدرسة لندن للاقتصاد، وكان له مقالات وأبحاث مهمة.

٢- **د. عيسى عبده:** من الرواد الكبار، وكتاباته الأولى أقوى وأضبط من كتاباته المتأخرة.

٣- **د. أحمد النجار:** رئيس اتحاد البنوك الإسلامية.

٤- **محمود أبو السعود،** وله كتاب «خطوط رئيسة في الاقتصاد الإسلامي».

٥- **د. خورشيد أحمد.**

٦- **توفيق الشاوي:** وهو رائد في الناحية القانونية للاقتصاد الإسلامي.

---

(١) وقد ذكر الأستاذ أن البنوك الإسلامية بلغت ١٠٠ مصرف، وكان هذا قبل عشرين سنة، أما اليوم فهي تزيد على ثلاثمائة بفضل الله ورحمته.



تقويم عمل أهل الصحوة في قضية الاقتصاد الإسلامي:

قد اختلفت الأنظار وتباينت في قضية «الاقتصاد الإسلامي»، ولا أريد أن أخوض عباب هذا البحر الآن لكن حسبي إشارات في هذا الباب، فمن ذلك:

نقد: الأستاذ عبدالرزاق بلعباس حيث قال:

«إيجابيات عبارة «الاقتصاد الإسلامي» وسلبياتها:

لكل شيء مصلحة ومفسدة، فلا يوجد مصلحة بحتة، ولا مفسدة بحتة، وهذا ينطبق أيضًا على الألفاظ والمصطلحات حتى تلك التي تتضمن النعت الإسلامي أو تستمد شرعيتها الرمزية منه؛ لأن العبرة ليست في ذات اللفظ ولكن في ما يُربط به، ومدى استخدامه في الموضع اللائق به، لا سيما عندما أضحت كلمة الإسلام تُستغل أحيانًا لترويج السلع والخدمات، فبالرغم من شيوعها النسبي تبقى تسمية «الاقتصاد الإسلامي» اجتهادًا دلاليًا معاصرًا، مرتبط بظروف معينة، له إيجابياته وسلبياته، وإذا تجاوزت سلبيات استخدام المصطلحات إيجابياتها يتحتم ضبطها، بل وحتى أحيانًا الاستغناء عنها، مما يُبيِّن أن القاعدة المشهورة «لا مشاحة في الاصطلاح» ليست على إطلاقها وبالأخص إذا أدى ذلك إلى تنزيل كلام فقهاء السلف وتفسير معاني عباراتهم وفق مصطلحات حادثة أو محاكمتهم ومحاجتهم بموجبها، أو التزهيد في مصطلحات درجوا عليها.

من إيجابيات تسمية الاقتصاد الإسلامي - على حد تصور بعض رواد هذه المدرسة - إطلاع المسلمين على تراثهم الاقتصادي والاعتزاز به لبناء نظام اقتصادي إسلامي بديل يتوافق مع قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم.

ومن إيجابياتها التميّز عن الأنظمة الاقتصادية المعاصرة، وقد أدى ذلك إلى اتخاذ النظرية التقليدية الركيزة الأساسية لبلورة التصور الإسلامي للاقتصاد...

ومن سلبياتها حصر التأصيل الإسلامي للاقتصاد منذ الخمسينيات بالتمحور بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي، وهذه مرحلة ظرفية ظهرت لإبراز الذات من الضروري تجاوزها.



ولا زال الجيل الجديد من الباحثين يردد الخطاب التقليدي أن الاقتصاد الإسلامي وسط بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي، وهو مع تفرده فيه أفضل ما في النظامين، ومن المفروض أن يتأثر السابق باللاحق وليس العكس!

ومن السلبيات تصنيف الكتابات بناء على استخدام التسمية الإنجليزية من قبل الجيل الأول من الاقتصاديين المسلمين الذين تخرجوا من جامعات أوروبية وأمريكية، فمن لم يلجأ إليها يُصنَّف بأنه يكتب بطريقة تقليدية وأن خلفيته الاقتصادية ضعيفة بحكم افتقاده القدرة على مواكبة التطورات التي يشهدها عالم الاقتصاد من الناحية العلمية والتطبيقية.

ومن السلبيات أيضًا الإيحاء بوجود كلية متجانسة اسمها الاقتصاد الإسلامي في مقابل كلية متجانسة اسمها الاقتصاد غير الإسلامي، وهذا خطأ منهجي يرجع إلى إهمال دراسة الوقائع الاقتصادية التي عاشها المسلمون في ظروف زمانية ومكانية...

ذلك كان نقدًا تخصصيًا لمصطلح الاقتصاد الإسلامي، ولا أستطيع الفصل في هذا لأني غير متخصص وأترك تقويم هذا الكلام للمتخصصين.

-وهناك كلام طويل آخر في نقد عمل المصارف الإسلامية، وأنها لا تكاد تختلف عن المصارف التقليدية لكني آثرت طَيّه لما فيه من التهويل والمبالغة؛ ولأني لا أرى التطويل في هذا المبحث بإيراد قضايا أخرى لا يستطيع معظم قراء هذا الكتاب غير المتخصصين في الاقتصاد الفصل فيها، والله أعلم.

●●●



المبحث التاسع
أثر الصحوة في بيان مساوئ الحضارة الغربية وإضعاف الانبهار بها

قصة الحضارة الغربية بشقيها المعنويّ والماديّ قصة طويلة، وألخصها بأن الغرب لما صنع حضارته المدهشة في جانبها المادي ابتداء من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي فُتن بها طوائف كثيرة من المسلمين، وعجزوا أن يفرقوا بين شقيها المادي والمعنوي، وخلط جماعة من مكَرة الغرب وتبعهم تلامذتهم -ممن يعدون من المسلمين- خلطوا عمداً بين الشق المادي من الحضارة الغربية الذي لا حرج على المسلمين من الاستفادة منه، وبين الشق المعنوي الذي يحوي ثقافة الغرب وطرائق عيشه وبعده عن الدين بل انقطاع صلته به على الحقيقة.

وقام جماعة من علماء المسلمين ومفكريهم ابتداء من أواخر القرن الثالث عشر/ التاسع عشر الميلادي بالدعوة إلى الاستفادة من الحضارة الغربية في شقها المادي، ونبذ الشق الآخر الذي لا يصلح للمسلمين لكن كان في دعوتهم تلك علل، منها:

١- أن جماعة منهم صدموا بالحضارة الغربية الوافدة وانبهروا بها فكانت دعوتهم في الفصل بين ما يقبل وما لا يُقبل على استحياء، وفيها خلط وتعميم في كثير من الأحيان، وليس في أكثر ما جاؤوا به جودة واضحة.

٢- أن عموم المسلمين كانوا في واد بعيد عن العلماء والمشايخ فلم يستفد أكثرهم مما صنع أولئك.

٣- ظهور طائفة من المفكرين والمثقفين كان لها النصيب الأكبر من التضخيم والتعظيم في قلوب عامة الناس مثل طه حسين، وأحمد لطفي السيد، وزكي نجيب محمود، وتوفيق الحكيم، ولويس عوض، وغيرهم ممن تسنموا المناصب والمراكز التوجيهية، ووسائل الإعلام فأضلوا عشرات بل مئات الملايين من المسلمين، وخلطوا عمداً بين شقي الحضارة.

- فلما جاء -الله تعالى- بالصحوة تكلم العلماء والمفكرون كلامًا حسنًا جدًا فيه فصل نهائي بين ما يقبل من حضارة القوم وما لا يقبل، ووجدوا آذانًا صاغية وقلوبًا مقبلة وأعينًا مفتوحة من ملايين المسلمين مما لم يكن متوافرًا لأسلافهم من العلماء والمفكرين، وهذا ما عرّى الحضارة الغربية - على الحقيقة - وأظهر مساوئها أمام جمهور المسلمين.

ثم لا يُنسى أثر وسائل الإعلام الإسلامية الحديثة وانتشارها في المساعدة على تعرية تلك الحضارة الشوهاء وبيان مساوئها التي لا تكاد تنتهي.

وأيضًا توارى أعلام الفكر الضال سواء الغربي المادي أو الماركسي الملحد، ولم يعد جمهور المسلمين يسمع منهم ولا يقبل ما يجيئون به، ولا يسلم به تسليم الأعمى لقائده كما كان أسلافهم يصنعون.

وفي بعض ذلك قال الأستاذ أنور الجندي، رحمه الله تعالى:

«كشفت حروب النكبة والهزيمة والنكسة جميعها فساد دعوى هذه المدرسة الضالة المضلة، لقد خدعهم المستشرقون والمبشرون بالنظرية وأغروهم بالقيادة الفكرية للأمة.

وجاء بعد الجيل الرائد[1] طه حسين - لطفي السيد - سلامة موسى- علي عبدالرازق جيل آخر: زكي نجيب محمود، توفيق الحكيم، لويس عوض، نجيب محفوظ.

وجاء جيل ثالث مغرب ولكنه ماركسي: الجيل الحائر، جيل الستينيات اللعين وأخذ الفرويدية، وأخذ الوجودية، وكان يغير نقطة بدء أصيلة؛ حيث تبدأ نقطة البدء الأصيلة من الإسلام نفسه، من كلمة التوحيد، من الإيمان برسالة الإنسان في الحياة، أعادوا كل الفكر الوثني القديم: إخوان الصفا والباطنية والشعوبية والحلول والاتحاد وجروا وراء أوهام الفكر الغنوصي والإغريقي والفارسي القديم.

كانوا قناطر تنقل سموم الفكر البشري إلى آفاق الفكر الإسلامي، ولم يكن أحد منهم زعيم فكر ولا صاحب أيديولوجية ولا يمكن أن يضاف اسمه إلى قائمة العلماء.

---

(١) يعني الذي جعله الاستخراب رائدًا.

وكان يغمر نفوس هذه الجماعة شعور النقص ومحاولة الاستعلاء بالتقليد، وكان مصدر ذلك عقدة التخلف التي كان حلها لديهم هو تقليد الأجنبي صاحب عقدة التفوق وعجزوا عن أن يفهموا أبعاد المسائل وخلفيات الأشياء. . .

ولكن هل تبين لهم حقًا فساد المنهج وفساد الحضارة مصدر المنهج، لقد حاولوا أن يتصدروا حقل الفكر الإسلامي بالكتابة عن حياة محمد، وفلسفة القرآن وعبقرية محمد وهامش السيرة وكانوا في كل هذا ضالين عن الحقائق، فقد اصطنعوا مذاهب الفكر المادي في تفسير التاريخ والسيرة فعجزوا واضطربوا، لم يكونوا راغبين في معرفة الحق ولكن كانوا يعمدون إلى تزييف الحق لتظل لهم قيادة الفكر الإسلامي كما قادوا من بعد الفكر الوافد.

لقد هزت نفوسهم ماديًا الحضارة، كانوا يكتبون عن باريس وعن المتاحف والقصور ودور الأوبرا والتماثيل العارية في الميادين، وكأنها كل شيء في الحضارة نحتاج إليه، كانوا مبهورين بهذه الصورة المادية، كان مفهوم التقدم الصناعي يُلهب عقولهم ويسيطر على نفوسهم فينظرون إلى أوطانهم المتخلفة على أنها فقر يعاب ولا يرون إلا بابًا واحدًا لتقدمها هو أن تقبل الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب، ولكن أصحاب الحضارة كانوا مكرة متآمرين، لم يقدموا لنا العلم الذي يصنع التقدم، وإنما قدموا لنا الفلسفة التي تفسد العقول والقلوب، قدموا مزيجًا غريبًا من الدعوات والنِحَل والأيديولوجيات والمذاهب المادية والباطنية والإلحادية والإباحية وتركونا يصارعنا هذا الركام المسموم، ونصارعه.

ومن وراء ذلك فكر الصهيونية التلمودية في تحويل مفاهيمها إلى مذاهب وعلوم تدرس بجامعات الأمة الإسلامية، واستطاعوا أن يبهروا الناس ثمة، ولكن انظر الآن تجد أن كل ما تركوه قد احترق وأصبح حصاد الهشيم[1] . . .

---

(١) أي بعد الصحوة.

تقويم هذا الجانب:

صحيح أن الصحوة كان لها أثر عظيم في بيان مساوئ الحضارة الغربية وإضعاف الانبهار بها، لكن بقي من أساتذة الصحوة ومرشديها عدد قليل -لكنه مؤثر- ممن يأتي بالأقوال الضعيفة والمرجوحة، والتقريرات المميّعة لأحكام الإسلام من أجل أن يساير أوضاع ومجريات العصر وتحكّم الغرب بمقاليد الأمور وفرض نظرته في الحياة علينا؛ ولئلا يقال في الإسلام إنه دين جمود، وهؤلاء القلة كانوا كثرة قبل الصحوة فقللت الصحوة عددهم، بفضل الله تعالى، وانفض جمهورها عنهم، لكن بقيت تلك القلة المؤثرة، فعسى أن يهديها ربي سواء السبيل.

●●●



المبحث العاشر
أثر الصحوة في ضبط المفاهيم والمصطلحات الدينيـــة والثـــقـــافـيـــة والفكرية

من المعلوم أن العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر والرابع عشر / التاسع عشر والعشرين فوجئ بسيل عارم من المخترعات والمكتشفات المادية، وفوجئ كذلك بسيل عارم من المصطلحات والمفاهيم الفكرية والثقافية والدينية لم يكن له بها عهد من قبل، ولقد ساعد الاحتلال الأجنبي لأكثر مناطق العالم الإسلامي في تعميق الفجوة بين المسلمين والكفار، وازدياد عدم الفهم لكثير من المفاهيم والمصطلحات الجديدة؛ وذلك بسبب تعنت الاحتلال ومحاولته إبقاء المسلمين في دائرة الجهل والتخلف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ولقد حاول بعض المصلحين والمفكرين التوفيق بين الوضع الجديد وبين ما علموه من دينهم من ثوابت فجاؤوا بشيء لا بأس به بادي الرأي، لكن بقي هناك شد وجذب في قضايا، وبقيت قضايا أخرى عديدة معلقة لم يبت فيها آنذاك، وممن حاول صنع شيء في هذا الباب رفاعة رافع الطهطاوي وطنطاوي جوهري، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وخير الدين التونسي، ومحمد رشيد رضا، وجماعة غيرهم، ولكن بقي هناك غبش كبير في توضيح كثير من المفاهيم والمصطلحات، وبقيت هناك مجموعة كبيرة من تلك المفاهيم والمصطلحات لم يُبت فيها، حتى إذا جاءت الصحوة روجعت كثير من تلك المفاهيم والمصطلحات في مصنفات تميزت بالتحرر من الانبهار بحضارة الغرب في النظر والفهم، وتميزت أيضًا بالضبط العلمي في النتائج التي توصلت إليها، وحُلت كثير من المشكلات في هذا الباب.

ولقد قامت عقب الصحوة مجموعات وأفراد بالاضطلاع بهذه المسؤولية العلمية والفكرية الجسيمة، ففي الجانب الاقتصادي عولجت قضايا لم تحسم من قبل في تفصيلات ودقائق في التعاملات المصرفية.

وفي الجانب الفكري عولجت عدة مفاهيم كانت قد ران عليها غبش كبير من قبل مثل حقوق الإنسان عامة وحقوق المرأة خاصة، والحريات العامة والخاصة، ومفاهيم الجهاد.

وكذلك في الجانب السياسي وإدارة الدولة والأفراد في مجال الديمقراطية -مثلاً- وعلاقتها بالشورى، والانتخابات، وتحرير قضية حقوق الحاكم وواجباته، وحقوق الأفراد وواجباتهم.

قال الأستاذ أنور الجندي، رحمه الله تعالى، ضاربًا المثل ببعض التصورات والمفاهيم التي صححتها الصحوة وضبطتها، وجعلتها تستند إلى الإسلام:

«لقد صححت حركة اليقظة[1] مفاهيم كثيرة أعادت لها مضمونها الأصيل بعد أن عمل التغريب على تحريفها وضربها:

- **أولاً:** تكامل القيم في الإسلام وتلاقي الجوانب: الروح والمادة، والعقل والقلب، الدنيا والآخرة، العروبة والإسلام، العلم والدين، البشريّ والإلهيّ.
- **ثانيًا:** الكشف عن أن مفاهيم العلوم الإنسانية في الغرب تختلف عن مفهوم الإسلام لقيامها على التصور المادي.
- **ثالثًا:** رفض التفسير المادي للتاريخ والتصور الغربيّ القائم على إطفاء أنوار التاريخ، والقضاء على روحه الإسلامية المليئة بالحماسة والإيمان والتضحية والفداء.
- **رابعًا:** التخلص من المصطلحات الأجنبية المعبرة عن تصورات ومصالح أجنبية غريبة عن كيان الأمة الإسلامية وعقائدها ومصالحها، مع تأكيد أهمية الالتزام بمصطلحات نابعة من عقائد الأمة وتاريخها وتراثها وجوهر فكرها وشخصيتها الإسلامية.
- **خامسًا:** الكشف عن محاذير مفاهيم الباطنية والشعوبية والفلسفات، وتحرير الفكر الإسلاميّ القرآني المصدر من سمومها.

---

(١) الأستاذ كان يعبر عن نهضة المسلمين تارة بالصحوة وأخرى باليقظة لكن مقصوده هو الصحوة.



- **سادسًا:** أن تعرض كل ما يقدم إليها من نظريات لامعة أو مفاهيم براقة قد تخدع العقل أو تُعجب البسطاء على مفهومنا الأصيل القائم على التوحيد الخالص، ونحن نحترم العقل ونراه أساس التكليف ولكننا لا نؤمن بأنه قادر وحده على أن يفصل في كل الأمور؛ لأن هناك أمورًا أكبر منه كالوحي والنبوة والغيب وإنما هو - أي العقل - مصباح زيته الوحي، فالوحي في الأساس ضوء كاشف أمام العقل.

- **سابعًا:** أن نؤمن إيمانًا أكيدًا وثيقًا بأن هناك تباينًا في النظرة والحكم على الأمور بيننا وبين الغرب مصدره اختلاف الثقافة والعقيدة والذاتية والقيم والمزاج.

وأن كل الأمم تتعرض للموجات الأجنبية ولا تخرج منها إلا بالإصرار على الذاتية الخاصة، وأن هناك فارقًا واسعًا بين التحديث والتغريب وبين الاقتباس والتبعية.

وأن للإسلام مواقف حاسمة من جميع قضايا المجتمعات والحضارات والحياة والكون والوجود.

- **ثامنًا:** أن نكون على ثقة كاملة بأن للإسلام مفاهيمه في مختلف مجالات الاقتصاد والسياسة والتربية، وأن كلا التجربتين الليبرالية والماركسية قد هُزمتا[1] في أفق عالم الإسلام، وأن الديمقراطية ليست هي الشورى، وأن الاشتراكية ليست هي العدل الاجتماعي، وأن على المسلمين الوقوف في وجه انحراف حضارة الغرب، وعدم الانصهار فيها إيمانًا بأن للمسلمين أسلوبًا للعيش ومفهومًا للحضارة والمجتمع مختلف.

- **تاسعًا:** العمل على تصحيح المفاهيم المنحرفة التي يبثها الغرب في فكرنا الإسلامي، وفي مقدمتها تصحيح موقف السلطان عبدالحميد والدولة العثمانية، وتصحيح موقف الفكر الإسلامي من الفلسفة اليونانية والتصوف الفلسفي والاعتزال والفكر الباطني، والكشف عن فساد منهج الربا والقانون الوضعي والعلمانية والتعليم المغرب والفرعونية والعلمية، والكشف عن الانقطاع الحضاري بين عصر الإسلام وما سبقه من عصور، والكشف عن فساد ما يسمى التلقيح الثقافي.

---

(١) الصواب أن يقول: وأن كلتا التجربتين. . . قد هزمت.

- **عاشراً**: الكشف عن فساد الفصل بين العروبة والإسلام، أو إعلاء مفهوم القومية الغربي الذي أدخله النفوذ الأجنبي عالم الإسلام لتحطيم الوحدة الإسلامية، والقضاء على تماسك المسلمين والتحامهم، وفصم عرى وحدته وإضعاف قوته. . .

- **حادي عشر**: ليس صحيحًا أن البشرية مهددة بالمجاعة، وإنما هي مهددة بالظلم بسبب احتكار الأقوياء للأقوات وحرمان الضعفاء منها، وأن الإسلام قدم قانون الوفرة، لقد انحسرت تلك الموجة الضالة التي حاولت أن تلتقط النصوص من السنة أو التراث لدعم وجهة الغزو الثقافي»[1].

وإن لم تصنع الصحوة إلا هذا الذي بينه الأستاذ أنور الجندي -رحمه الله تعالى- لكان كافيًا في بيان فضلها وعوائدها على الأمة، فكيف وصنيعها بالأمة أعظم وأكبر من هذا بكثير، فرحم الله تعالى مشايخ الصحوة ودعاتها العظماء.

التقويم:

هناك بعض الخلل في هذا الباب يتجلى في الآتي:

- قلة عدد المفكرين والمثقفين الإسلاميين الذين ينفذون إلى معانٍ عميقة، ويأتون بأفكار جليلة، ويستخرجون اللآلئ الفريدة مقارنة بالمفكرين والمثقفين زمن انبعاث الصحوة وقُبيلها، والناظر لكتابات الأستاذ سيد وأخيه محمد - على سبيل المثال - لا يجد لها نظيرًا مقاربًا اليوم.

- ثم إنه تبعًا لهذا الذي ذكرته آنفًا قد بقيت جملة من القضايا كانت ومازالت مفتقرة إلى حسم فكري ثقافي بمنظور دعوي إسلامي ليجتمع عليها بعد حسمها طلائع جيل الصحوة الجديد، لكن ذلك لم يحصل في بضع قضايا مهمة منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الموقف الجلي الواضح من القاعدة في بواكير قيامها على يد أسامة بن لادن - رحمه الله تعالى - ومن كان معه من المصريين الموجهين له، فقد ظل جيل الصحوة زمانًا طويلاً

(١) «من اليقظة إلى الصحوة»: ١٤٠-١٤١.



لا يعرف الموقف الصحيح من فكر أسامة ومن معه، بل أزعم أن جيل الصحوة لم يعرف ذلك - في مجمله- إلى يوم الناس هذا، والسبب هو عدم التصدي بوضوح لتوضيح هذه المسألة، وكذلك الحكم على أعمال القاعدة التي تاجر بها الغرب، فإلى اليوم لم تدرس دراسة فكرية واضحة، والتخبط فيها كثير ومتشعب في عقول وقلوب جيل الصحوة.

وهذا التردد في الحكم على القاعدة من قِبَل كثير من العلماء وطلبة العلم والدعاة أدى إلى ظهور داعش وعملياتها المجرمة، وجَذْبها الشباب بدعوى أنها دولة الخلافة، هذا وإلى وقت ظهور هذا الكتاب مازال جملة من المشايخ مترددين في شأن الحكم على داعش يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، لكن الأمر أفضل بكثير من زمن ظهور القاعدة وتمددها، فقد زالت الغشاوة عن أعين كثير من المشايخ والدعاة، ولله الحمد والمنة.

٢- الموقف من أحداث الربيع العربي وما جاءت به من تغيير كبير، وإلى يوم الناس هذا ليس هنالك دراسات جادة قوية منشورة يقرأها الناس ويحكموا بها على تلك الأحداث التي اختلفت في تقويمها الأنظار اختلافًا يصل إلى حد التناقض في بعض الأحيان، واستغل ذلك المغرضون لمهاجمة الربيع العربي الجليل كله، وهدم كل تلك التضحيات، خاصة الجامية الذين أثّموا كل القائمين على إنجاح حركات الربيع العربي بدعوى خروجها على ولي الأمر الشرعي كما زعموا!!

٣- تقويم ما يجري اليوم في مصر واليمن وتونس من تغول العلمانيين على المصلحين بل محاربتهم لهم والوقوف في طريق تمكينهم، وما هو الموقف الصحيح منه، وما الذي يمكن قبوله وما لا يمكن قبوله من التنازلات للعلمانيين والمفسدين.

وهناك قضايا فكرية ثقافية أخرى مازالت لم يبت فيها ولم يظهر للصحوة القول الراجح بدراسات فكرية عميقة، وهذه مشكلة تجعل الجيل الجديد من الصحوة أقرب إلى الحيرة والتخبط منه في هذه القضايا إلى الفهم الصحيح.

●●●

المبحث الحادي عشر:
أثر الصحوة في ضبط السلوك والأخلاق وأعمال القلوب والمحافظة على السمت الإسلامي العام

للصحوة أثر لا ينكر في ضبط سلوك الملايين من الشباب والشابات، وتقويم أخلاقهم، والمحافظة على السمت الإسلامي العام، ويتجلى ذلك في التالي:

١- إحياء الخلق الكريم:

حيث شاع فيهم حسن الخلق، والتسامح، وغض البصر، ومراعاة آداب التعامل بين الأهل والأقارب والأرحام وسائر الناس، واستفادوا من نصوص الشريعة المطهرة التي كانت توجههم في هذا الباب.

٢- إحياء سنة النبي ﷺ:

في الملبس والمأكل والمشرب والخروج من البيت والدخول إليه، وفي ذكر الله تعالى.

٣- تعظيم العبادات القلبية:

أصبح مئات الآلاف من الشباب والشابات يسألون عن الأعمال القلبية بلهف ظاهر، ويطلبون تزكية نفوسهم بها، وذلك نحو الإخلاص والتقوى والمراقبة والثبات واليقين إلى آخر هذه العبادات التي لم تُعرف قبل الصحوة إلا على نحو ضيق وفي فئات من الناس قليلة.

٤- المحافظة على السمت الإسلامي:

ومن ذلك اللحى:

وإليكم هذه الشواهد على غربة اللحية قبل الصحوة، وعلى صعوبة إعفاء اللحى زمن بدايات الصحوة:



- د. محمد عبدالرحمن العمودي، دكتوراه في الإعلام، ولد في مدينة رسول الله ﷺ سنة ١٣٥٧/ ١٩٣٦ قال لي إنه درس في المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٧٩/ ١٩٥٩ فجاءهم موجه مصري فرآه ملتحيًا فصار يستهزئ بلحيته. فقال له: هذه سنة النبي ﷺ فقال: ألم يبق في السنة إلا هذه !!

- حدثني الشيخ الفاضل الداعية محمد حسين الإسكندريّ في ٢١/ ٤/ ٢٠٠٩/ ١٤٢٩هـ أنه هداه الله تعالى والتزم الإسلام عقب الهزيمة العظمى عام ١٣٨٧/ ١٩٦٧، وكان يتردد على جماعة «أنصار السنة» في الإسكندرية ثم صار رئيسًا لأحد فرعيها في الإسكندرية سنة ١٣٨٩/ ١٩٦٩، وكان «أنصار السنة» آنذاك حليقي اللحى !! فقرأ حديث خصال الفطرة في صحيح مسلم ومنها اللحية فالتحى، وكان محاميًا فكان عجبًا في الإسكندرية آنذاك!!

- حدثني أحد إخواني أنه لما أراد الزواج قالت له أمه: كيف ستدخل على عروسك بلحيتك؟ !

- شهادة الشيخ نشأت أحمد المصري؛ حيث قال لي:

«لم يكن في مصر[1] شاب ملتحٍ، وكنت الوحيد في منشية البكري[2] ممن أطلق لحيته، فذهب إلى «مكوجي» فطلب منه إرسال الثياب بعد كَيِّها، إلى البيت، وقال له: اكتب عنواني، فقال: لا أحتاج؛ فأنا أحفظه: شقة السُني في بيت السُني في شارع السني!!».

وقد أصبحت اللحية بفضل الله تعالى ثم بفضل أهل الصحوة أمرًا شائعًا في المسلمين اليوم بعد غربة طويلة.

وأما حجاب النساء فقد سبق الحديث فيه في مواضع متعددة من هذا الكتاب فلا أعيده ها هنا.

---

(١) أي القاهرة.

(٢) منطقة في القاهرة.



تقويم هذا الجانب:

وإن كان لي من حديث في تقويم هذا الجانب من الصحوة فهو في تراجع التزام عدد كبير من أهل الصحوة بالسمت الإسلامي، وقلة عنايتهم بمراجعة السلوك والخلق وضبطهما على ما يحب الله تعالى ورسوله ﷺ.

- وكذلك عدم التزام كثير من الدعاة في البلاد الإسلامية وغيرها باللحية بدعوى أنها سنة وعلى فَرض أنها سنة -والأئمة الأربعة على وجوب توفيرها وعدم حلقها- من سيلتزم بالسنة إن لم يلتزم بها الدعاة؟!

ثم ما هي حجتهم في حلقها في البلاد الآمنة التي لا تتعرض لمن أطلق لحيته؟!

- وهناك ملحظ مهم وهو اندفاع عدد كبير من قادة الصحوة وشيوخها إلى التصدر في وسائل الإعلام الجديد[1]، وصار التويتر والفيس بوك هو مفزع الصالحين وعمدة المصلحين، وصار الدعاة والمصلحون هم المسيطرين على هذه الوسائل ولله الحمد والمنة، ولكن وُجد من بعضهم حرص وتلهف واضحان على كسب الأتباع وزيادة عدد المتابعين لهم في تلك الوسائل على وجه مزعج وخادش للإخلاص الذي هو سر النجاح والانتصار، فليتنبه لذلك فإنه قاصم للظهور، مفسد للنيات، والله المستعان.

●●●

(١) كنت أريد إفراد حديث مطول في وسائل الإعلام الجديد في مبحث الإعلام الإسلامي لكني رأيته ليس من موضوع كتابي الذي خصصته في حوادث الصحوة وما كان ناتجًا مباشرًا عنها أو بُعيد انتشارها، أما وسائل الإعلام الجديد فهذه حديثة جدًا فلم أر إقحامها في موضوع الكتاب.



المبحث الثاني عشر:
أثر الصحوة في تأليف ونشر الكتب الشرعية والدعوية والثقافية

استيقظت الأمة في بدايات القرن الرابع عشر / العشرين الميلادي على واقع مرير، فالتخلف عن الركب هو الأساس في كل شيء، والأمر فوق الوصف، وكان هنالك مصلحون وحركات إصلاح عملوا ما استطاعوا من أجل تلافي النقص وسد الثغرة لكن الأمر كان أكبر منهم، ولقد ذكرت تفصيل بعض ذلك في مبحث سابق.

وكانت الكتب التي تعين المسلمين على معرفة طريقهم وتلمس خطواتهم في ذلك الليل الطويل قليلة ومحدودة، سواء الكتب الشرعية المناسبة لحالهم أو الكتب الدعوية والثقافية.

فلما قامت الصحوة عالجت هذا الأمر معالجة أزعم أنها أتت على كثير من أسباب النقص اجتثاثًا وتعديلاً، وكان ذلك في عدة جوانب، منها:

١- الكتب الشرعية:

ظهر في زمن الصحوة كثير من الكتب الشرعية في ثوب قشيب، وحُلة بهيجة من التحقيق الحسن وضبط النص.

وحقق كثير جدًا من الكتب الشرعية التي كانت مخطوطات حبيسة المكتبات، وقد تحقق كل ذلك بسبب أن أعدادًا كبيرة من الشباب درسوا العلوم الشرعية، واجتهد قسم منهم في إحياء التراث الإسلامي على وجه جليل.

٢- الكتب الدعوية:

عقب الصحوة ظهرت مئات الكتب المتخصصة في علوم وطرائق وفنون الدعوة إلى الله تعالى، واستقى كثير منها مادته من ماجريات زمن الصحوة وأحوالها، وأصبحت هذه الكتب علامات مضيئة على الطريق، فمن ذلك كتابات الأستاذ محمد الغزالي

والأستاذ محمد قطب والدكتور يوسف القرضاوي، والأستاذ فتحي يكن، والأستاذ محمد أحمد الراشد، والشيخ سعيد حوى، وغيرهم من أساتذة الفكر والدعوة.

٣- كتب الثقافة الإسلامية:

كذلك ظهر عقب الصحوة جملة كتابات في الثقافة الإسلامية وضحت كثيراً من معالم العلاقة بين الماديات والروحانيات، وبين الدنيا والآخرة، وبين المسلمين والكافرين، وطرائق الحكم في الإسلام، وشرحت أثر حركات الإصلاح ورجاله إلى غير ذلك من الفوائد الجليلة التي وردت في تلك الكتب.

وقُررت هذه المادة في عدد من جامعات العالم الإسلامي ومدارسه العليا، وهذا أمر يعود الفضل فيه - بعد الله تعالى - لمشايخ الصحوة ودعاتها.

٤- الإقبال على شراء الكتب:

ولا يختلف اثنان ولا ينتطح عنزان في أن للصحوة الفضل الأكبر في انتشار الكتب والإقبال المنقطع النظير على شرائها، حتى أنه يكاد يكون إجماع بين الناشرين على أن الكتب المتعلقة بالإسلام شريعة ودعوة وثقافة هي الكتب الأكثر مبيعًا، وأن معارض الكتب - التي ازدهرت أيما ازدهار في زمن الصحوة- امتلأت بالشباب الباحثين عن الكتب الإسلامية، والمتعطشين لها أيما تعطش، وهذا من فضل الله تعالى، فامتلأت كثير من بيوت المسلمين بالكتب الإسلامية بعد هجران طويل، وعقوق امتد جيلاً بعد جيل.

٥- ترجمة الكتب:

ثم إن كل تلك الجهود الجليلة تُوجت بترجمة تلك الكتب إلى اللغات الأجنبية المختلفة - وعلى رأسها القرآن العظيم - في حركة تاريخية لم تُعهد من قبل ولم يعرفها المسلمون في تاريخهم الطويل، فترجمت آلاف الكتب، إلى عشرات اللغات الحيّة، وأقبل عليها المسلمون وغير المسلمين، وكان لها أثر كبير في تثبيت إسلام ملايين المسلمين، وفي دخول عدد كبير من غير المسلمين في دين الله تعالى.



ولقد أخبرني سعادة الدكتور أحمد توتونجي أن أول كتابين دعويين تُرجما في أوروبا في بدايات الصحوة الإسلامية هما كتابا الأستاذ الكبير سيد قطب رحمه الله تعالى: «هذا الدين» و«المستقبل لهذا الدين».

التقويم:

هناك مشكلات عديدة في مسألة الكتاب الإسلامي، منها:

- عزوف كبير من شباب الصحوة عن اقتناء الكتب وقراءتها، حتى أن بعض دور النشر المشهورة أغلقت أبوابها، وكثرت الشكاوى من دور نشر عديدة من قلة الإقبال على شراء الكتب.

- أما المكتبات العامة فقلّ من يؤمها، وهذه مشكلة في شباب الصحوة لا بد من معالجتها والتقليل من آثارها السيئة.

- انصراف جيل الصحوة المتأخر عن الكتب الفكرية والثقافية العميقة، وهذه مشكلة كبيرة تحتاج إلى نظر طويل؛ إذ يقبل هؤلاء على الكتب السهلة وما تُسمى بـ«السطحية» ويتركون الكتب التي أثرت الصحوة الأولى وساهمت في انطلاقها وإذكاء جذوتها، ولقد سألت أحد الناشرين المعروفين عن كتب الأستاذ سيد قطب وأخيه محمد ومدى انتشارها اليوم، فقال لي: لا أحد يسأل عنها!! وهذا أمر يدعو للأسف وللمراجعة حتى لا يظهر جيل قليل الفهم والثقافة، عليل الفكر.

- ثم إنه إذا نُظر إلى تلك الكتب الخفيفة والسهلة نجد أن أكثر جيل الصحوة الآن منصرف عن قراءتها، ففي الشباب والشابات عزوف كبير عن القراءة بقسميها: القراءة الجادة والقراءة التي يمكن أن تسمى بـ العابرة والخفيفة والسطحية، وأصبحت وسائل الإعلام القديمة والجديدة هي خيار الشباب وملجأهم، وابتعدوا عن القراءة إلى حد مُريع، ويشكو كثير من الناشرين اليوم من هذا الأمر الذي تحول إلى ظاهرة، وأصبح من يشتري الكتب اليوم يعمد إلى الكتب الشرعية ليشتريها وينصرف عن الكتب الثقافية والدعوية

والفكرية - في الجملة- وبسؤال الناشرين والسماع المتكرر لشكواهم في هذا الباب يُتبين مدى خطورة هذه المشكلة وتفشيها.

- وقد رأيت ورأى كثير غيري عزوف الشباب الملتزم اليوم عن قراءة كتب من هم ثمرة من ثمارهم، وزهرة من بستانهم، وفي هذا عقوق واضح.

- ولا بد من تضافر جهود عديدة لإحياء القراءة الجادة في شباب الصحوة من جديد والله المستعان.

●●●



المبحث الثالث عشر:
أثر الصحوة في إنشاء المؤسسات التي تستوعب جهود الشباب

قد كان للصحوة عمل جليل رائع في استيعاب جهود كثير من الشباب ممن لم يكن يعرف كيف يخدم دينه قبلها، وذلك بإنشاء المؤسسات والهيئات المختلفة، وكل ذلك -تقريبًا- لم يكن قبل الصحوة، فمن ذلك:

١- إنشاء المؤسسات الاقتصادية الإسلامية:

ولقد تحدثت عن نشأة الاقتصاد الإسلامي باستفاضة في مبحث خاص في هذا الكتاب، لكني إنما أذكر هاهنا أن هنالك مؤسسات عديدة أنشئت- تبعًا لإنشاء الاقتصاد الإسلامي وتأسيسه- كان لها أثر كبير في استيعاب جهود الشباب المبدعة في جانب الاقتصاد الإسلامي، فأنشئت معاهد للاقتصاد الإسلامي في مصر والمملكة، وأنشئت هيئات متعددة نظرية تخدم الاقتصاد الإسلامي وترتقي به، وأنشئت أقسام للاقتصاد الإسلامي في كثير من الجامعات.

٢- إنشاء الهيئة العالمية للإعجاز:

قد أنشئت هذه الهيئة زمن الصحوة الأول سنة ١٣٩٦/ ١٩٧٦، وليس الحديث التفصيلي الآن مناسبًا عن هذه الهيئة لكن لا بد من القول إنه كان لها أثر كبير جدًا في استيعاب آلاف الأساتذة وطلبة العلم العلمي «الطبيعي» الذين صار مئات منهم ملء السمع والبصر في بلادهم وجامعاتهم ومراكزهم، وألفت كتب وأبحاث ودراسات أستطيع أن أقول باطمئنان إنها بلغت الآلاف واشتغل بها ثلة من الأساتذة والطلبة، ومازالوا إلى يومنا هذا يدأبون ويجتهدون.

ومن الذي أنشأ الهيئة العالمية للإعجاز وقام عليها سوى مشايخ الصحوة وأساتذتها؟

٣- إنشاء المؤسسات الإغاثية والدعوية والخيرية:

أنشئت عقب الصحوة مؤسسات إغاثية وخيرية استوعبت جهود كثير جدًا من الشباب، فأنشئت هيئة الإغاثة العالمية سنة ١٣٩٨/ ١٩٧٨ وكان لها عمل جليل في استيعاب أعمال وجهود كثير من الشباب.

وأنشئت «هيئة الإغاثة الإسلامية عبر العالم» في بريطانيا سنة ١٤٠٤/ ١٩٨٤. وأنشئت «هيئة الإغاثة التركية» سنة ١٤١٥/ ١٩٩٥.

وأنشئت مؤسسات دعوية مهمة منها:

- «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» سنة ١٣٩٢/ ١٩٧٢، وقام على إنشائها ورعايتها مشايخ ودعاة الصحوة الإسلامية.

وأنشئت مؤسسات خيرية منها:

- مؤسسة مكة الخيرية سنة ١٤٠٧/ ١٩٨٧.
- وأنشئت مؤسسة الحرمين الخيرية ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

وهذه أمثلة فقط على المؤسسات وإلا فهي أكبر من أن تُحصر.

٤- إنشاء المؤسسات الإعلامية:

وهي بالمئات اليوم، ولا يمكن حصرها، وأنتجت مئات الآلاف من المواد الإعلامية، وكان على رأسها الشريط الإسلامي الذي كان له سوق عظيمة في بدايات الصحوة ومن ثَمّ في زمن اشتدادها.

وهذه المؤسسات تستوعب جهودًا وأعمالاً عظيمة اليوم في عشرات القنوات الإسلامية المرئية التي انتشرت انتشارًا كبيرًا بفضل الله تعالى.

٥- إنشاء المؤسسات النسْوية المختلفة:

وهذه أيضًا تُعد بالمئات اليوم، ولا يمكن حصرها، إلا أنه يمكن القول بأنها استوعبت جهود وأعمال مئات الآلاف بل ملايين من النساء في العالم الإسلامي.



هذا وقد ذكرت سابقًا مبحثًا خاصًا بالجهاد، وكيف استوعب الملايين من أبناء هذه الأمة المعطاءة.

٦-إنشاء المؤسسات الطلابية:

ومن ذلك إنشاء الاتحادات الطلابية في أوروبا وأمريكا مثل: منظمة الطلبة المسلمين (MSA)، ومنظمة الطلبة العرب المسلمين (MAYA)، وتوالى إنشاء هذه المنظمات والاتحادات في أوروبا وأمريكا، وحلت محل الاتحادات القائمة على مبادئ عروبية وقومية هدامة، وفي تلك التطورات المهمة عقب الصحوة تحدث الدكتور أحمد توتونجي فقال واصفًا الشباب العرب في بريطانيا ومنظمتهم قبل الصحوة:

«ما كان مستغربًا من منظمة الطلبة العرب -وكانت من أنشط التنظيمات الطلابية آنئذ- أن تنهض بجميع أنواع الأنشطة ما عدا الأنشطة الإسلامية، وبإمكانك أن تتعرف إلى اليساري والقومي والبعثي غير أنك لن تجد بينهم إسلاميًا ملتزمًا بدينه وثوابته»[(١)].

وقال أيضًا في تلك المنظمة:

«بعض الطلاب العرب اجتمعوا على الناصرية، وآخرون على الشيوعية، ومثلهم على القومية والاشتراكية، وعلى الرغم من تشرذمهم واختلافاتهم إلا أنهم اجتمعوا على مناصبة الإسلام العداء... لم يكونوا يقبلون الإسلام مشروع حياة، لم يكن ثمة مانع أن يكون الإسلام لديهم صلاة وصيامًا، أما أن يكون مشروع حياة تُصبغ به فهذا ما ناصبونا العداء من أجله...

قد يصبح أحدنا يومًا فيتلقى خطابًا تهديديًا بالبريد يحذره من حضور مؤتمرات الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وإلا فعليه أن ينتظر العقاب، ومن بين الذين تولوا كِبْر هذا العمل الناصريون والملحقية الثقافية المصرية...»[(٢)].

---

(١) «خمسون عامًا بين الشرق والغرب»: أحمد توتونجي: ٣٦.

(٢) المصدر السابق: ١١١.

وقد ذكر الدكتور أن منظمة الطلبة هذه كانت من أبرز المنظمات الطلابية وأنشطها قبل الصحوة، ثم بين حالهم بعد هزيمة ١٣٨٧/ ١٩٦٧م وبداية الصحوة فقال:

«صرخت هزيمة ١٩٦٧م في أركاننا، واستبانت بها السبل، وتجلت القلاع التي طالما تغنى بها الطلاب القوميون والناصريون، وانكشفت على حقيقتها، انهارت القلاع الرملية، وبدا أنه لم يكن ثمة قلاع، وبدأ تجمع الطلاب العرب يتفكك، وارتد بعضهم عن قوميته...»[(١)].

وقال أيضًا موضحًا عدم وجود منظمات تُعنى بالشباب قبل الصحوة، وقبل إنشاء «الندوة العالمية للشباب الإسلامي»:

«حينما ينظر المتأمل كان يرى مشهدًا يضم منظمات للعمل الشبابي في أنحاء العالم تتنوع توجهاتها بين يسارية ويمينية، وشيوعية وليبرالية، فإذا بحثت عن مؤسسة إسلامية تسد هذه الثغرة على مستوى العالم الإسلامي فلن تظفر بشيء»[(٢)].

وقد ذكر الدكتور في ذكرياته بالتفصيل كيفية تأسيس المنظمات الطلابية الإسلامية في بريطانيا وأمريكا، وكيف أزالت -بفضل الله تعالى- كل الآثار الفاسدة للمنظمات العروبية الضالة.

التقويم:

١- إن العلة الكبرى -في تقديري- في عمل تلك المؤسسات أن أكثرها يأتي عليه النقص ويستولي على أعماله من قبل قصور التدريب وسوء التوجيه، فالذي يتصدر لأعمال تلك المؤسسات هو -في الأغلب- مخلص لدينه راغب في التمكين له في الأرض لكن يُعْوِزه التدريب الكافي، والكثرة الكاثرة منهم إنما تتدرب أثناء العمل، وتكون خبرتها به وفيه، وليسوا مدربين قبل دخولهم تلك المؤسسات على أعمالها، والأدهى من ذلك أنهم غير متخصصين في تلك الأعمال، فاجتمع عليهم عدم التخصص وعدم التدريب -إلا في حالات قليلة لا تكاد تذكر- أما القاعدة فهي ما ذكرته.

---

(١) المصدر السابق: ١١٢.

(٢) المصدر السابق: ١٩٨.



٢- ثم إن هنالك مشكلة كبرى تقف في وجه القائمين على تلك المؤسسات ألا وهي قلة المال اللازم لتحقيق مشاريعها، وهذا صداع دائم لم يعالج المعالجة الكافية إلى الآن.

٣- ضعف التنسيق أو عدمه بين تلك المؤسسات حتى ما كان منها مشتركًا مع غيره في أكثر الأهداف والوسائل مما يؤدي إلى تضييع الجهود والأموال، والقصور في بلوغ الأهداف التي يطمح في بلوغها القائمون على تلك المؤسسات.

ولو كان الأمر مقتصرًا على عدم التنسيق لهان، لكن المشكلة أنه يحدث بين تلك المؤسسات تنافر وتنافس لا داعي له، وقد أدى إلى خصومة وتقاطع وتنابز في بعض الأحوال، وهذا كله مما يُضعف العمل المؤسسي الإسلامي، والله المستعان.

●●●

المبحث الرابع عشر:
أثر الصحوة في توعية المسلمين بالمكايد والمؤامرات

كاد أعداء الأمة طويلاً، وتآمروا على المسلمين كثيراً، وكانت الكثرة الكاثرة من المسلمين لا تعي ما يصنع أعداؤها بها، ولا تلتفت إليه، بل الأصح أن يقال: إنها لم تعرفه ولم تطلع عليه، فالناظر في أحوال الأمة في القرنين الأخيرين يعلم هذا تمام العلم.

فلما جاءت الصحوة كان أحد ثمارها الجليلة توعية عموم المسلمين بما يوجهه إليهم أعداؤهم من سهام، وبما يكيدون لهم ويتآمرون عليهم، وذلك بعدة طرق:

١- المحاضرات التي كانت تعقد في الجوامع الكبار والمساجد العظام ويحضرها آلاف من المسلمين في ظاهرة لم تكن معروفة قبل الصحوة، وكان يتكلم على رؤوس الناس علماء كبار ودعاة ثقات عُرفوا بالوعي والفهم والتجرد لفضح مؤامرات الكافرين.

٢- الأشرطة التسجيلية التي انتشرت انتشاراً لا مثيل له من قبل، وكان فيها من التوعية شيء كثير.

٣- القنوات الفضائية التي ارتقت بوعي المسلمين ارتقاء غير منكور، فقفزت بهم سنوات إلى الأمام ما كان لهم أن يقفزوها لولا أن الله -تعالى- سخر هذه الوسائل الحديثة، وعلى رأس تلك القنوات قناة الجزيرة [1].

٤- الكتب الفاضحة لمؤامرات الأعداء وكيدهم، وكتبها كبار رجال الصحوة مثل الشيخ القرضاوي، والأستاذ فتحي يكن - رحمه الله تعالى - والشيخ محمد الغزالي، رحمه

(١) لا أنقم على هذه القناة إلا إخراج النساء في حلة فاتنة كشفت ما حرم الله تعالى عليهن إظهاره، والأمر الآخر كثرة استضافة إخوان القردة بدعوى الرأي والرأي الآخر.



الله تعالى، وغيرهم، وقد فضحت هذه الكتب أعداء الإسلام والمتآمرين عليه بما لا مزيد عليه.

٥- المناظرات الضخمة، ومن أشهرها مناظرة فرج فودة على يد الشيخين القرضاوي والغزالي في معرض الكتاب بالقاهرة وكان لها أثر كبير في فضح مكايد العلمانية ومؤامراتها على الإسلام والمسلمين.

●●●

المبحث الخامس عشر:
أثر الصحوة في دعوة غير المسلمين

إن الله - تعالى - جعل أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، وجعلها أمة الدعوة إليه سبحانه، وكلفها ذلك وطوقها مسؤوليته بكل وضوح، ولقد قام الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم التابعون، رحمهم الله تعالى بهذا الواجب الشريف، ونشروا الإسلام ونور القرآن والسنة في ربوع أكثر أرجاء الأرض المعروفة آنذاك.

لكن المسلمين اليوم قصروا تقصيراً بيناً في هذا الباب، وحجبوا بفعالهم ثم بتقصيرهم نور الإسلام عن غير المسلمين الذين هم بأمسّ الحاجة لهذا الدين.

وقد قامت جماعات من المسلمين عقب الصحوة بهذا الواجب الشريف، سواء على يد أفراد استشعروا مسؤولياتهم تجاه هذا الأمر الجلل، أو عن طريق إنشاء مؤسسات عديدة لدعوة غير المسلمين إلى رب العالمين[1]، وقامت بعض الجماعات الإسلامية - مثل جماعة التبليغ - ببعض هذا الواجب، ولهؤلاء وأولئك جهود مشكورة غير منكورة، ودخل مئات الآلاف من أهل الغرب والشرق في دين الله أفواجًا، فما أحسن ما صنع أولئك على قلة ذات اليد، وقصور في جوانب عديدة ليس هذا مكان مناقشتها، وقد قال الأستاذ محمد قطب في هذا الواجب الدعوي:

«إن من تكريم الله لهذه الأمة التي جعلها أمة وسطًا لتكون شاهدة على الناس ويكون الرسول شهيداً عليها، أن جعل أحوال البشرية كلها مرتبطة بحال هذه الأمة. فإن رشدت ومُكِّن لها في الأرض يعمها الخير، ويمتد منها إلى ربوع الأرض، كما كانت أوربا تستمد منها بداية نهضتها بعد أن خرجت من قرونها الوسطى المظلمة نتيجة احتكاكها بالمسلمين في

---

(١) آثار هذه المؤسسات في الغرب والشرق ظاهرة وجيدة، وذلك نحو «الهيئة العالمية للإعجاز» التي نشأت عقب الصحوة ١٣٩٦/١٩٧٦، وكذلك «الهيئة العالمية للمسلمين الجدد» و «والهيئة العالمية للتعريف بالإسلام»، وعدد كبير من الهيئات العاملة في أوروبا وأمريكا واليابان، ولله الحمد والمنة.



المشرق والمغرب، وإن شردت عن دينها ونسيت ربها شقيت وشقيت معها البشرية فإن أوربا الجاهلية التي تحكم البشرية اليوم ما انتفشت وصار لها هذا الوجود الطاغي في الأرض إلا نتيجة انحسار الأمة الإسلامية عن رسالتها، وكل انتفاش انتفشته أوربا فقد كان على حساب الأمة الإسلامية في صورة استعمار وعدوان وطغيان.

ومن الثغرات التي وجدت في حياة الجاهلية الأوربية نفذ اليهود وسيطروا على البشرية كلها كما بينا في غير هذا المكان[1]، وازداد شقاء البشرية كلها بهذه السيطرة الحاقدة المجنونة التي تعتبر البشر كلهم حميراً خلقهم الله ليركبهم شعب الشيطان.

وحين تعود الأمة الإسلامية إلى إسلامها الحق، ويمكّن الله لها في الأرض حسب صادق وعده تتغير ملامح كثيرة في الأرض.

لقد جاء الإسلام أول مرة والبشرية على حافة الهاوية، كما عبر «ج. هـ دينيسون» في كتابه «العواطف كأساس للحضارة «Emotions as the basis of civilization»:

«ففي القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدين على شفا جرف هارٍ من الفوضى؛ لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت، ولم يك ثَم ما يعتد به مما يقوم مقامها، وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية؛ إذ القبائل تتحارب وتتناحر، لا قانون ولا نظام. أما النظم التي خلقتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام، وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله، واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب، وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحّد العالم جميعه»[2] ﷺ.

واليوم تشرف البشرية على التحلل والانهيار مرة أخرى بقيادة الجاهلية المعاصرة كما يشهد عقلاؤها في صيحات متوالية يطلقونها بين الحين والحين، ولكنها تضيع في الدوامة

(١) في كتاب «مذاهب فكرية معاصرة».
(٢) عن كتاب «الإسلام والنظام العالمي الجديد» تأليف مولاي محمد علي، وترجمة أحمد جودة السحار.

المجنونة التي تلفّ البشرية، ولن ينقذها من الدمار إلا الإسلام تمامًا كما حدث أول مرة، مع فارق واحد: أن العداوة المرصودة في طريق الإسلام اليوم أشد مما كانت أول مرة، والجاهلية القائمة اليوم أخبث مما كانت أول مرة.

ومع ذلك فإن الضياع الذي تعيشه البشرية في أزمتها الحاضرة يدفع ألوفًا من البشر كل عام ممن يبحثون عن طريق الخلاص أن يدخلوا في الإسلام في أوروبا وأمريكا واستراليا وآسيا(1) وأفريقيا.

ولو كان الإسلام حاضرًا في هذه اللحظة، ممثلاً في مجتمع إسلامي حقيقي، لكانت هذه الألوف قد أصبحت ملايين! فالإسلام هو الحل الحقيقي لكل مشكلات البشرية.

إن المشكلة الأولى للبشرية اليوم - في ظل الحضارة الغربية - أنها تستكبر على الهدى الرباني؛ لأن «الدين» مُثّلَ لها على يد الكنيسة الأوربية غولاً بشعًا يأكل أموال الناس وأرواحهم وعقولهم، ويمنعهم من ارتياد العلم، ويمنعهم من تعمير الأرض، ويصرف همهم إلى الآخرة بنبذ الحياة الدنيا(2).

ومن هذه النقطة الرئيسية المبدئية جاء الشقاء كله، حين تحكمت عقول البشر، أو بالأحرى أهواؤهم وشهواتهم في رسم منهج الحياة، فوقع الذل والظلم سواء في الرأسمالية أو الشيوعية، سواء في الفردية أو الجماعية، سواء في الأخلاقية النفعية أو اللاأخلاقية، وتردت البشرية فيما تردت فيه من فوضى الجنس والتحلل الخلقي والسعار المادي والصراع الوحشي في غياب الشريعة الربانية والمنهج الرباني.

والذي يحل هذه المشكلة الرئيسية المبدئية هو الإسلام؛ لأنه الدين الذي يعطي الألوهية قدرها الحق، ويكرّم البشرية في ذات الوقت بتكريم الله: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٠].

---

(١) في اليابان وكوريا اليوم جماعات كبيرة دخلت في الإسلام.

(٢) راجع فصل «العلمانية» في كتاب «مذاهب فكرية معاصرة».



- الدين الذي يربط قلب الكائن البشري بالله بالحب العميق إلى جانب التوقير والخشية، ولا يجعل العبادة قهراً للعباد بل تكريمًا لهم ورفعة ونوراً وشفافية.
- الدين الذي يصفي النفس من كدرها الحيواني، وفي الوقت ذاته لا يكبت دوافع النفس التي خلقها الله لكي تعمل لا لكي تكبت ولكن تعمل في أفقها العالي الجدير «بالإنسان».
- الدين الذي لا يفصل بين النزعة الفطرية للعبادة، والنزعة الفطرية للعلم، ولا يقيم بينهما الخصومة والعداوة وهما توأمان أصيلان في بنية الفطرة، يعملان معًا، فيتوازن كيان الإنسان.
- وهو الدين الذي يحوي المنهج الرباني لتوجيه الحياة البشرية في كل اتجاهاتها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية والخلقية والفنية، المنهج الذي أنزله اللطيف الخبير، العليم الحكيم، الذي خلق النفس البشرية وهو أعلم بما يصلحها وما يصلح لها، وأعلم بأدوائها وبطريقة شفائها.

والذي يصد البشرية عن هذا الدين عوامل كثيرة في آن واحد:

- الروح الصليبية التي نشرتها الكنيسة الأوربية تجاه الإسلام عامل من هذه العوامل.
- والعداوة اليهودية للإسلام عامل من هذه العوامل.
- وإفساد مفهوم الدين على يد الكنيسة عامل من العوامل.
- والهبوط الذي أحدثته الجاهلية المعاصرة في نفوس البشرية عامل من العوامل.
- والجهل بحقيقة الإسلام عامل من العوامل.
- ولكن واقع المسلمين اليوم، وبعدهم الشديد عن حقيقة الإسلام سواء في التصور أو السلوك لهو من أشد العوامل التي تصد الناس عن الإسلام.
- وكما كان سلوك المسلمين الأوائل الملتزمين بالإسلام عاملاً من عوامل نشر الإسلام في

ربوع فسيحة من الأرض، فكذلك نجد سلوك من ينتسبون إلى الإسلام اليوم من أكبر عوامل الصد عن الإسلام، بكل ما يحملون من التخلف في جميع الميادين، وسوء الأخلاق في جميع المعاملات.

وليس المطلوب من المسلمين أن يسبقوا أوربا في المخترعات والعلوم لكي تقبل أوربا على الإسلام! فليس الذي ينقص الغرب هو العلوم والمخترعات!

إنما الذي ينقصهم هو المنهج الصحيح للحياة، المنهج الذي يأخذ الإنسان كله - في شموله وتكامله- لا جانبًا واحدًا من جوانبه، ويطلق الطاقات البشرية تعمل، ولكن في توازن واتساق. . .

وهذا المنهج القائم على عبادة الله وحده، والمستمد من عبادة الله وحده هو الذي يقدمه الإسلام، وهو الذي يملك المسلمون أن يُهْدوه للبشرية ويَهْدوها إليه، حين يستقيمون هم على الطريق.

والمأمول في الصحوة الإسلامية أن تصل إلى تحقيق هذه الاستقامة التي تنير للبشرية الطريق.

ولن يكون هذا جهدًا هينًا كما قلنا من قبل، بالنظر إلى العداوات الضخمة المرصودة للإسلام، والحرب الضارية المعلنة عليه، وجهل الأمة بحقيقة دينها، وبعدها عن حقيقته، سواء في التصور أو السلوك.

ولكن المبشرات كما قلنا أثقل بكثير من المعوقات.

إن المعوقات تمثل الحاضر القائم في هذه اللحظة، كما تمثل المستقبل القريب الذي يحاك للمسلمين على يد الصليبية الصهيونية الحاقدة.

ولكن المبشرات تمثل المستقبل الكبير الذي ينتظر الأمة الإسلامية وينتظر البشرية كذلك.

والمبشرات أثقل من المعوقات لأنها هي المتمشية مع الدلالة التاريخية؛ دلالة بروز الصحوة الإسلامية في الوقت الذي تؤذن فيه الحضارة الغربية بالانهيار.



والمعوقات قائمة اليوم؛ وفي المستقبل القريب؛ لأنه لا الحضارة الغربية قد انهارت انهيارها الكامل، ولا الصحوة الإسلامية قد استكملت كيانها الكامل؛ وحين يقع الصراع بين قوتين على هذه الصورة تكون الغلبة في الجولات الأولى للكيان الذي يملك أسباب القوة المادية وإن كان آيلاً للسقوط؛ لأن الكيان الذي يملك الحق يكون ما يزال بعدُ في مرحلة الاستضعاف والابتلاء»[1].

تقويم صنيع أهل الصحوة في هذا الباب:

قام أهل الصحوة بأعمال جليلة كثيرة في باب دعوة غير المسلمين خاصة في القسم الغربي من العالم، لكن قد شاب هذا العمل بعض القصور الذي رأيته وأُخبرت به، فمن ذلك:

١- قلة العناية بالمسلم الجديد؛ إذ في كثير من الأحوال يؤتى به إلى المسجد ليتشهد الشهادتين أمام الناس ثم يكون آخر العهد به، أو تقل العناية به وهو في مرحلة صعبة من النزاع النفسي ومواجهة الأهل والمجتمع، فينشأ عن ذلك ردته -والعياذ بالله- أو ضعف تمسكه بإسلامه؛ إذ هو لا يزال -على التحقيق- يجهل جوانب كثيرة من عظمة الإسلام، وهذا التقرير لا ينافي أن بعض الهيئات تُعنى بالمسلم الجديد وتنظم له دروسًا ولقاءات لكن جهدها لا يستطيع أن يستوعب أكثر المهتدين الجدد.

٢- إدخال المهتدين في دوامة صعبة من الخلافات الفقهية أو الخلافات بين الجماعات مما يحدث له صدمة نفسية تتراوح معها ردة فعله بين المشاركة في الخلافات وتعميقها أو الانصراف الكلي الذي قد يؤدي إلى ضعف الصلة بدينه الجديد أو الردة عنه والعياذ بالله تعالى.

٣- ضعف أكثر القائمين على العناية بالمهتدين الجدد من حيث قلة الأموال اللازمة لمثل تلك العناية، أو لقلة وعيهم بالأولويات التي ينبغي أخذ المهتدين الجدد بها، أو لغير ذلك من الأسباب.

---

(١) «واقعنا المعاصر»: ٥٤٤- ٥٤٨.

- كانت تلك بعض آثار الصحوة في بلاد الإسلام، ومن سردها يتبين بجلاء الأمور التالية:

١- عظم منة الله -تعالى- على عباده بأن جاء لهم بهذه الصحوة في وقت بلغت فيه القلوب الحَناجر، وظن أكثر الناس أنه ليس هنالك عودة لمجد الإسلام وعزه من جديد، فأتاهم الله -تعالى- بهذه الصحوة التي قلبت الأوضاع وغيرت التاريخ.

٢- عظم الجهود التي بذلها أهل الصحوة خاصة المتقدمين منهم، وجلالة تضحياتهم، وقوة بذلهم وعطائهم مما أثمر تلك الأعمال الجليلة التي أوردتها في الكتاب.

٣- سخافة العلمانيين والليبراليين وأعداء الإسلام كافة الذين ينبزون الصحوة وأهلها، ويَدّعون أنها جاءت على غفلة من الزمن، وأنها فلتة لا داعي لها، ومرة لا ثاني لها، وأنها أسست الإرهاب، وأضلت الشباب إلى آخر تلك الاتهامات الباطلة والادعاءات الجائرة التي تثبت أن أهل الصحوة منها براء.

٤- إن الصحوة تعاظمت حتى جاءت بالربيع العربي الجليل الذي خلص الله -تعالى- به الأمة من جملة من الطواغيت، وسيتعاظم مد الصحوة أكثر حتى تكون لأهلها خاتمة الحسنى، والصلاة في المسجد الأقصى عما قريب، إن شاء الله تعالى.

●●●

الفصل الرابع:

تقويم عام للصحوة الإسلامية



قد ذكرت في ثنايا الكتاب جملة أمور تساعد على تقويم الصحوة، فذكرت تقويم الصحوة النسائية، وتقويم الاقتصاد الإسلامي، وتقويم الجهاد، وتقويم الإعلام الإسلامي، وغير ذلك من التقويمات كلٌّ في مكانها، لكن بقيت أمور عامة يحسن المجيء بها دفعة واحدة في مكان واحد، ألا وهو هذا الفصل.

وقد اعترى الصحوة أمراض عديدة، يحسن بيانها والإتيان بها على هيئة من المصارحة النافعة، والنقد البنّاء هو أولى خطوات التحسين والتراجع عن الخطأ، ولا يعني هذا النقد وتلك المصارحة أن الصحوة تسير في المسار الذي لا يوصلها إلى أهدافها وما ينبغي أن تكون عليه، كلا بل أجزم - والله تعالى أعلم - أن هذه الصحوة سائرة إلى هدفها مهما أبطأ مسيرتَها هذه الأخطاء، وأنها قدر الله - تعالى - الغالب الذي لا مرد له.

وبعض ما أورده على أنه خطأ هو وجهة نظر قد يخالفني فيها بعض القائمين على الصحوة والمتابعين لها، فلا بأس بذلك فهو اجتهاد قابل للتخطئة كأي عمل أو فكر بشري.

فمن هذه الأخطاء:

أولاً: العجلة:

والعجلة شيء والحماسة والجد والمسارعة للوصول إلى ما يريده المرء شيء آخر، وأنا أتحدث هنا في العجلة المذمومة التي أدت بالصحوة إلى التأخر في بلوغ أهدافها، والعجلة التي تؤدي إلى ضعف النظر في العواقب، وإهمال الإعداد الجيد لما يُستقبل من أحداث، ولأمثل على ما أريد بالصحوة الإسلامية في الجزائر، فقد سُمح لأهل الجزائر بالعمل الإسلامي بعد حرمان طويل، ومحاصرة لكل صور العمل الإسلامي، فلما فتحت لهم نافذة لا بأس بسعتها فوجئنا أن القوم كونوا «جبهة الإنقاذ» التي اشترك في القيام عليها وإدارة شؤونها جماعات غير متجانسة في أكثرها، ودخلت الانتخابات بشعارات هائلة، وهددت الجيش وفرنسا بعبارات غريبة عجيبة، فوافقت هذه العجلة وتلك الشعارات الهجومية هوى في نفوس أعداء الصحوة، فقاموا بهدم جبهة الإنقاذ كلها، فعطلوا الانتخابات التي فازت

بها، وسجنوا القائمين عليها، وشردوا أتباعها الذين بقوا معها؛ إذ انفض كثير من الجماهير العَجِلَة عنها، وانتهى الأمر بمأساة في الجزائر دامت عشر سنين سوداء قُتل فيها مئات الآلاف من النَفوس، وتأخرت الصحوة في بلوغ مرادها مدة الله أعلم بها.

والعجيب أنه لم يكن بين أن صُرّح لهم بالعمل ١٤٠٩/ ١٩٨٩ وبين سجن قادتهم وإنهاء جبهتهم سوى أقل من ثلاث سنوات.

وهذا الذي جرى في الجزائر جرى في مصر مثله أيضًا على يد الجماعات التي انتهجت المقاومة المسلحة في وقت لم يكن هناك حاجة لها فأدى ذلك إلى حصول مآس بمصر كثيرة.

ولأهمية هذا الموضوع، ولأني أعتقد أنه أخر الصحوة كثيراً عن بلوغ أهدافها فإني سأورد تفصيلاً في المآخذ على جبهة الإنقاذ ذكره د. علاء سعيد[1]، ولأني أرى أن هذا التفصيل يصلح أن يعمم في بعض الجماعات الإسلامية اليوم التي هي ممتلئة حماسة لكن على قدر كبير من الجهل بأصول وفروع هذا الدين العظيم، فقد قال الدكتور حفظه الله تعالى:

«وقعت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في عدة أخطاء فادحة بأيدي أبنائها وبتدبير أعدائها في الداخل والخارج، مما جعل تجربة الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر من أكثر تجارب الإسلاميين مرارة في العالم العربي والإسلامي، وأهم هذه الأخطاء:

١- عدم فهم الواقع الداخلي والخارجي:

فالواقع الجزائري نفسه وإن تعاطف مع الجبهة بشكل كبير، إلا أنه لم ينضج بعد النضج الذي يؤهله أن يفوت الفرصة على أعدائه أن يمكروا به، فالمؤسسة العسكرية لا زالت تحكمها العقلية الاستبدادية التي تعتبر نفسها وصية على البلاد بما فيها، والعسكر في العالم العربي كله أيديهم على السلطة بشكل واضح، وبينهم وبين الإسلاميين عداء مصنوع لوقف أي تقدم للإسلاميين نحو الحكم والسلطة.

---

(١) رئيس اتحاد الأئمة في إسبانيا، وهو دكتور في الشريعة متخرج في جامعة الأزهر.

والجزائر فيها من العلمانيين والأحزاب العلمانية ما ليس في غيرها من البلاد العربية والإسلامية، ومقاليد السلطة في البلاد بأيديهم، وبينهم وبين الإسلام قطيعة شديدة، وكذلك بينهم وبين أصحاب الاتجاه الإسلامي عداء مستحكم.

وهذه القوى موالية للغرب ولفرنسا على وجه الخصوص، وتدعمهم فرنسا والقوى الأخرى في سبيل الحفاظ على مصالحها، وتحركهم في الوقت المناسب للانقضاض على أصحاب الاتجاه الإسلامي.

هذا فضلاً عن القضايا الأخرى التي تعاني منها الجزائر مثل قضية إثارة النعرات القومية بين العرب والبربر.

كل هذه الأمور كانت تحتاج إلى عملية معالجة كبيرة وهادئة، وذلك لن يكون في سنوات قصيرة، أو يتم حسمها أبدًا عن طريق صناديق الانتخابات.

ففترة الحرية التي كانت مع نشأة الجبهة لو استغلتها في عملية التربية والتعليم والتوعية، ونشر الدعوة، ومعالجة السلبيات التي يعاني منها المجتمع الجزائري قبل أن تخوض المعترك السياسي وتصطدم بمشكلات الواقع الداخلي، لكان ذلك أفضل بكثير مما آل إليه الحال بعد ذلك.

ولم يكن الواقع الخارجي بأفضل من الواقع الداخلي، بل على العكس من ذلك، فالقوى الإقليمية العربية خاصة في دول الجوار للجزائر كانت تعتبر ما حدث في الجزائر كارثة كونية تهدد العالم بالانهيار خوفًا منهم على عروشهم التي لا يهددها إلا شبح الإسلاميين، ولو كانوا في غياهب السجون أو حتى في ظلمات القبور. . . فسارعت كل تلك الدول تعمل على وأد جبهة الإنقاذ بكل ما أوتيت من قوة، وتساند القوى الأخرى في الجزائر بكافة ألوان المساندة والدعم.

كذلك لم يكن واقع القوى الغربية التي تتوجس خيفة من الإسلام والإسلاميين بأحسن حالاً من الدول العربية، ولم تدرك جبهة الإنقاذ حقيقة الاستكبار العالمي الراهن المعادي للإسلام والمسلمين، وأن هذه القوى تدير تلك اللعبة القذرة داخل بلاد العرب والمسلمين،

وأن لها مصالح في بلادنا لا تفرط فيها، وأنها ستبذل قصارى جهدها لوأد تلك الحركة، بل ستجعل منها مادة للتشهير بالإسلام والمسلمين، وستجعل منها نموذجًا يُضرب به المثل في فشل الحركات الإسلامية وما يترتب على أعمالها من تخريب وتدمير.

من أجل ذلك سارعت فرنسا والقوى الدولية العربية لمساعدة الحكومة الجزائرية للقضاء بشدة على الجبهة الإسلامية:

- ففي الحادي والعشرين من شهر مايو ١٩٩١م وقعت شركة توتال الفرنسية اتفاقًا مع الحكومة الجزائرية في مجال النفط والتعدين تجاوزت قيمته سبعة مليارات ومائتي مليون دولار تعهدت الشركة بدفعها.
- وفي الخامس والعشرين من يونيو وقعت الحكومة اتفاقًا مع تكتل يمثل ١٢ مصرفًا إيطاليًا حصلت بمقتضاه على قروض وتسهيلات بمبلغ سبعة مليارات ومائتي مليون دولار وضعت تحت تصرف الحكومة على الفور.
- وقدم صندوق النقد الدولي ٤٠٥ ملايين دولار، ثم أضيف إليها ٢٨٥ مليون دولار بعد انفجار الوضع ونزول الجيش إلى شوارع العاصمة.
- ثم عقدت مجموعة من الدول الأوربية اجتماعًا في لكسمبورج، وقدمت مساعدة طارئة إلى الجزائر بقيمة ١٢٠ مليون دولار[(١)].

وكل ذلك من أجل وأد تلك المحاولة ولو كانت عبر صناديق الاقتراع الشفافة التي يزعمون أنها طريق التعبير الصحيح، أو كانت باختيار الشعب وإرادته التي يقولون إنها يجب أن تحترم.

والتجارب التي سبقت تجربة الإنقاذ والتي كان عليهم أن يأخذوا منها هذا الدرس، كثيرة في مصر، وسوريا، والسودان، وغيرهم من دول العالم العربي والإسلامي بضرورة الالتفات للواقع الداخلي والخارجي والتعامل معهما بطريقة جيدة.

---

(١) الجزائر تعود لمحمد ﷺ، ص ١٧٥.



٢- اعتماد طريق العمل السياسي طريقًا وحيدًا للإصلاح والتغيير:

فالجبهة الإسلامية بمجرد إنشائها وإعلانها لبرنامجها الإصلاحي لم تضع وسيلة لتحقيق برنامجها في الإصلاح والتغيير إلا طريق العمل السياسي من خلال المؤتمرات والندوات والمسيرات والبيانات، ثم خوض الانتخابات، ولم يكن لديها البدائل الواضحة التي تستطيع بها أن تواصل مسيرتها في ظل الواقع الجزائري والدولي الذي لن يترك لأي حركة إسلامية العمل بحرية مطلقة.

كذلك فإن طريق العمل السياسي يتصور البعض أنه أيسر السبل لتحقيق المقصود، ولكنه في الحقيقة أصعب السبل وأكثرها وعورة؛ لأن فيه اصطدامًا صريحًا بأصحاب السلطة التي لا يتخلون عنها في عالمنا العربي إلا بالانقلابات العسكرية أو بملك الموت.

كما أن طريق العمل السياسي كثيرة منزلقاته بالنسبة للحركات التي لم يكتمل نضجها وقوتها بعد، فيتأثر أفرادها بالمغانم والمغارم وحب المناصب والشهرة وغيرها مما يوجد في العمل السياسي، ولعل البعض ممن انضم لجبهة الإنقاذ بعد الانتخابات البلدية كان يضع في حسبانه التيار القوي الذي تمثله الجبهة في ذلك الوقت، والذي يمكن أن يطفو على سطحه.

كذلك فإن الحركات التي تعتمد العمل السياسي خيارًا وحيدًا للعمل الإصلاحي، وتغفل الجانب التربوي والدعوي أو تهملهما تُخدَع بتأييد الجماهير وهتافاتها في الفترات الانتخابية، أو في المؤتمرات والمسيرات، وكل ذلك ربما يكون انفعالاً عاطفيًا يعبر عنه أي شعب مسلم تتاح له الفرصة أن يعبر عنه.

ولكن المشكلة أن هذه الشعوب أيضًا لم تتعلم، أو لم تجد من يعلمها حقيقة كيف تحول هذا الانفعال العاطفي إلى سلوك عملي متواصل، حتى يكون أمرها بيدها وتسلم زمام السلطة إلى من تراه جديرًا للقيام بخدمتها.

وهنا يجب ألا ننخدع بالحماسة والانفعال الذي لا نشك في صدقهما بقدر ما ينبغي أن تتعلم الشعوب كيف تقوم بدورها، فبدون ذلك يذهب العمل السياسي سدى، ويكون كالزبد الذي يطفو على سطح الماء سرعان ما يذهب ويزول.

ولو نظرنا إلى النبي ﷺ نجد أنه أوجد الأمة التي تكونت من المهاجرين والأنصار قبل أن يوجد الدولة، فاعتمد على طريق بناء الأمة قبل قيام الدولة.

ومما يجدر ذكره أيضًا أن الجبهة بعد الانتخابات، ثم الاصطدام بالسلطة، وما تلا ذلك، لم يعد لها وجود قوي داخل الشارع الجزائري؛ لأنها لم تقم إلا بدور الأحزاب السياسية.

٣- الصدام مع السلطة:

وهذه من أخطر الأمور التي انزلقت إليها جبهة الإنقاذ واعترف مدني نفسه بأنه يتحمل جزءًا كبيرًا مما حدث، خاصة قبل سجنه، وأنه أدرك قبل أن يسجن ما يمكن أن تؤول إليه الأمور، فكان يدعو إلى عدم الصدام لكن بعد فوات الأوان.

فهذا الشباب المتحمس المتعطش أن يحقق نصرًا، أو يحرز تقدمًا، أو يخرج من حالة الكبت والقهر والفقر والانفصام التي يعاني منها الشباب في المجتمعات العربية، قد رأى تلك الأحلام قد أصبحت وشيكة التحقق، ثم يجد بعد ذلك من يخطفها منه.

وهذا الشباب لم يخضع بعد لنصيب من التوجيه السليم والتربية السديدة والإعداد المناسب- قبل أن يخوض به مدني وبلحاج غمار السياسة- الذي يؤهله لمواجهة الصعاب، وتحمل الشدائد والصبر على ما يلقاه في سبيل الله، ولم يعلم قسطًا كافيًا من الحفاظ على دم المسلم وحرمته مهما كان الأمر، وألا يجر البلاد إلى محنة خطيرة وكبيرة وغير مأمونة العواقب.

ولكن للأسف فإن الذي حدث هو المواجهات والصدامات وتدخل الجيش وقوات الأمن على نفس الطريقة المعهودة في كل البلاد العربية؛ حيث لا تُظهر الجيوش وقوات الأمن العربية قوتها إلا على أبناء شعبها، خاصة إذا كانوا أصحاب توجه إسلامي.

وحمل الشباب السلاح، وتكوّن ما عرف بجيش الإنقاذ، وسالت أنهار الدماء وهرب الكثير من شباب الجزائر إلى خارج البلاد خوفًا من تلك المعارك الضارية، واشتعلت نار الفتنة التي أصبح فيها الحليم حيرانًا.

ومما زاد الطين بلة أيضًا هو سجن قيادات الجبهة، وقتل بعضهم، وعزلهم عن الشباب،



فكان هذا الشباب يتصرف بطبيعته الانفعالية، وفي نفس الوقت لم تكن تمهله الأجهزة الأمنية فترة ليفكر أو ليبصر ماذا يفعل.

ومما زاد الطين بلة أيضًا دخول أطراف أخرى معروفة بالغلو والتشدد ساحة المعركة، وزادتها اشتعالاً كبعض الجماعات التي تكفر المجتمع كله، وتوجب الخروج عليه، وتستبيح دمه وماله وحرمته.

وكان الأولى بقادة الجبهة أن يحذروا من هذه الأمور، وأن يتجنبوا الوقوع في الصدام مهما يكن الأمر.

٤- عدم الاستفادة من التجارب السابقة:

فجبهة الإنقاذ لم تعتبر بما كان للحركات والجماعات الإسلامية في البلاد العربية وغيرها التي تعرضت لنفس المواقف، وعاشت نفس الظروف، وعانت وشعوبها من نفس الأحداث، وتعرضت لمثل المخاطر التي واجهتها.

ولو درست الجبهة أحوال تلك الحركات السابقة، واعتبرت بما حدث لها، لما وصلت الأحوال ما وصلت إليه»(١).

٥-رفض النصائح في هذا الباب:

قد نصح الجبهة عدد من المشايخ والدعاة، فقد نصحهم الشيخ محفوظ النحناح - رحمه الله تعالى- طالبًا من الشيخ عباسي مدني التنسيق فرفض معتذرًا بكثرة الناس حوله فبين له وجوب عدم الاغترار بالعدد فرفض أيضًا.

وقد حدثني الشيخ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد -وهو من هو جلالة ونصحًا- أنه حدث الشيخ عباسي مدني في مسئلة الاندفاع وعدم التريث، وأنه ينبغي عليهم في الجبهة فهم ما يحاك لهم من مكائد، فرفض معتذرًا بطبيعة الشعب الجزائري مقارنة بالشعب المصري!!!

---

(١) «محاولات الإصلاح والتغيير»: ٧٠٠-٧٠٤.

فكان عاقبة عدم سماعهم للنصائح هو تضييع تجربة إسلامية وليدة ناشئة كان يمكن لها بشيء من التريث والحكمة أن تغير تاريخ المنطقة.

ثانيًا: اختلاف الجماعات وكيد بعضها لبعض:

العمل الإسلامي في جماعة أصبح أمرًا لا غنى عنه في ضوء تكتل أعداء الإسلام ضد الإسلام وأهله، لكن انتهى الأمر بأكثر هذه الجماعات إلى معاداة بعضها بعضًا، وأن يكيد بعضهم لبعض في صور مخجلة لا أريد ذكرها هاهنا؛ لأني لا أريد أن أخرج إلى مهاترات أو أمثلة تضيق الصدر، وهي معلومة لجماهير المسلمين، لكن لا بد من ذكر مثال واحد معبر كل التعبير عما أريد أن آتي به هاهنا ألا وهو الجماعات الجهادية الأفغانية، فقد تعلقت بها قلوب مئات الملايين من المسلمين، ونصروها نصرة لا مزيد عليها بالرجال والمال والإعلام وغير ذلك، وفعلوا كثيرًا لنصرتها، وصار الجهاد الأفغاني معقد الآمال - بعد الله تعالى- في دحر الشيوعيين الذين احتلوا البلاد، ومن ثم إقامته الحكم الإسلامي، ومن ثم مساعدة المسلمين من حولهم وغيرهم على استعادة استقلالهم وردع أعدائهم، وفعلاً دخل المجاهدون كابل، وانتصروا انتصارًا بينًا واضحًا على أعداء الله الشيوعيين، لكن ماذا كان بعد هذا؟

اختلفت جماعات المجاهدين، وصار يكيد بعضهم لبعض، بل وصل الأمر إلى قتال بينهم مرير، رميت فيه الصواريخ على كابول، وقتل من قتل، فكانت النتيجة أن سلط الله عليهم من بدل عزهم ذلاً، واجتماعهم تفرقًا، وقوتهم ضعفًا، وأذاقهم الله تعالى ألوانًا من الهوان ما كان يدور بخلدهم أن يذوقوها، وكل ذلك بسبب اختلافهم وكيد بعضهم بعضًا.

والمصيبة كل المصيبة أن الخلاف لم يكن نتيجة تأول بل هو مخالفة صريحة، فكم ذهب إليهم من علماء ودعاة أجلاء لردعهم عن غيهم لكن لم يكن بهم حياة أو حياء يردعهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولئن ذهبت آتي بأمثلة أخرى لامتلأ الكتاب بها لكن حسبي ما أوردته.

وأما الخلاف بين الأفراد والتعصب بين الأحزاب والجماعات فهو علة قديمة في الصحوة الإسلامية، وقد كتب في أسبابها وعلاجها جماعةٌ من العلماء والمفكرين والدعاة، وأزعم

أن هناك تحسنًا ملموسًا في علاج هذه المشكلة، لكنه ليس كافيًا، وبقيت مشكلة التفرق والاختلاف المذموم تهددان مكاسب الصحوة الإسلامية، وتؤخرها عن بلوغ أهدافها التي تريدها، ولا بد من القول إنه لا يمكن إذهاب الاختلاف والتفرق من أصله، لكن لا بد في الوقت نفسه من تخفيف حدته وتقليل آثاره حتى لا يكون له أثر كبير في تعويق الصحوة وإضعاف آثارها.

ثالثًا: إحسان الظن بالطغاة:

إن الذي يحسن الظن بالطغاة الظالمين لهو أحد اثنين: غافل لا يدري ما السنن، أو متغافل يرجو الخير ممن لا خير فيه؛ فإن أولئك الطغاة جبلوا على الطغيان، واستمرأوا الفساد والجبروت، واستغلوا من قِبَل أعداء الإسلام، بل إن كثيراً منهم من العملاء للغرب أو للشرق.

ومن أعجب العجب أن يحسن الظن بالطغاة أرباب الحركة الإسلامية الذين يُرجى منهم الوعي والفهم وحسن قيادة الجماهير بمعزل عن سطوة الطغاة الظالمين، والفَسَدة الكارهين للإسلام أو لأهل الإسلام الصالحين العاملين، وإن أوضح مثال على إحسان الظن في غير موضعه ما جرى في مصر؛ فقد استطاع العبد الخاسر «عبدالناصر» أن يستغفل بعض القائمين على الحركة الإسلامية سنة ١٣٧٤/ ١٩٥٤ بعد أن كادت تطيح به في مظاهرات عارمة، حتى إذا انفضت الجماهير بإشارة أحد قادة الحركة انقض عليه وعليهم العبد الخاسر فقتل الذي أنقذ ملكه، وقتل عدداً من صحبه وأودع الآلاف في السجون.

ثم أحسنت الحركة الإسلامية في زماننا هذا الظن بوزير الدفاع المصري والجيش من ورائه في زمن تمكنها القصير، فانقلب عليها وقتل من المسلمين آلافًا، وسجن أكثر من أربعين ألفًا من العاملين والصالحين، وعمد إلى إطفاء نور الإسلام في مصر على كل صعيد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والعجب العجاب أن كثيراً من الجهات حذرت الرئيس الصالح المستغفل محسن الظن بالطاغية، حذرته مرارًا وتكرارًا لكنه أمعن في حسن الظن إلى درجة تجعل الحليم حيران، ووقع ما كان يخشاه الصالحون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا الذي جرى في مصر جرى مثله في بعض البلاد العربية والإسلامية فيما عرف بسرقة الثورة كما حدث من انخداع كثير من أهل تونس بالطاغية بورقيبة ومِن بعده بالطاغية ابن علي.

وأُحسن الظن بصدام الذي قتل مئات الآلاف من العراقيين بعد أن زج بهم في حرب تلو حرب، هذا عدا عن عشرات الآلاف قتلهم في سجونه أو في قراهم وبلادهم، ثم تُقبل جماعات من القائمين على الصحوة إلى بلاده مؤيدين وناصرين في مهزلة عجيبة في مؤتمرات عقدت ببغداد، لا داعي لذكر تفاصيلها المؤلمة، لكن كل ذلك يدور على إحسان الظن بالطغاة الظالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأُحسن الظن بالخميني الطاغية الفاسد العقيدة، وأقبل على نصرته كثير من قادة الصحوة في بلاد العرب والإسلام وأوروبا وأمريكا في غفلة عجيبة عن السنن، وضعف واضح في الوعي والفهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولا يزال بعض قادة الصحوة إلى يوم الناس هذا يحسنون الظن بالروافض، ولا أرى هذا إلا جهلاً من مدعي العلم، وغفلة من مدعي الوعي، وفساداً في النظر والاستدلال، والله المستعان.

رابعاً: النقص في القيادات الواعية:

إن جمهور الصحوة اليوم يبلغ عشرات الملايين من الشباب المسلم الصالح المنتشر في قارات الدنيا الست، وهناك قيادات تقود جزءاً يسيراً من هذه الصحوة، ومعظم هذه القيادات جيدة، وبعضها فيه شيء من النقص والعِوَج.

لكن المشكلة هي: من يقود سائر جماهير الصحوة التي تفتقد القائد الصالح الرشيد؛ إذ يكاد يكون وجود بعض القادة الجيدين محصوراً في بعض الجماعات الإسلامية بينما يعاني جمهور الصحوة الأعظم من قلة أو ندرة القيادات التي تقوده إلى الخير والرشد؛ ولهذا السبب تضيع قدرات جيدة كثيرة، وتحصل أخطاء عديدة.

ولا بد للصحوة من تدارك أمرها في مسألة تكوين القيادات الرشيدة بأعداد وفيرة وإلا طال أمد التمكين.



ولقد رأيت في زياراتي المتكررة للجزائر جماهير متعطشة جداً للإسلام وللعلماء وللمحاضرات على وجه لم أره في أي بلد زرته في العالم، وقد فصلته في حلقات بعنوان «أيام في الجزائر» منشورة في كتاب ذكرياتي: القسم الأول، وموجودة في الشبكة العنكبوتية لمن أراد الرجوع إليها حتى لا يطول بذكر تفاصيلها هذا الكتاب، لكني لما رأيت ذلك الإقبال العظيم منقطع النظير وليس له قيادات توجهه قلت لمن استضافني: إن لم تسارعوا لاحتواء الشباب وقيادتهم وتوجيههم فسيعود الأمر في الجزائر إلى ما كان عليه زمان العشرية السوداء، وسيعود أمراء الجبال من جديد، وستعود الفوضى من جديد، ولا تظنوا أن في هذا الكلام مبالغة، فمن زار الجزائر وعرف أهلها أدرك بوضوح ما قلته وما حذرت منه.

خامساً: ضعف استيعاب قدرات الشباب وأعمالهم:

وهذه المشكلة من أعظم ما يواجه الصحوة من عقبات، ومما يؤخر سيرها تأخيراً بيناً ظاهراً؛ ذلك أن العمل الإسلامي اليوم قائمٌ عليه رؤوس وقيادات عاملة منتجة، ويعاونها في ذلك قيادات شابة في شتى المجالات، أما البقية الباقية من الملتزمين بالدين وهم جمهور الصحوة فعطاؤهم محدود أو قليل، وربما معدوم، وبعبارة أخرى إن الذي يعمل وينتج، ويقدم ويبذل، ويضحي ويعطي هم صفوة الصحوة، والباقون لا يكادون يقدمون شيئاً ذا بال، وفي هذا تأخير لاكتمال نتائج الصحوة بل قد تمنع الصحوة من أن تؤتي أكلها وترتقي بالأمة إلى ما تطمح إليه.

إن رسول الله ﷺ كان قد اعتمد على قيادات من الصحابة كانوا نجوماً وأعطوا عطاء متميزاً، وأبلوا بلاء حسناً، نعم هذا صحيح، لكن جمهور الصحابة وسائرهم لم يكونوا من القاعدين أو محدودي العطاء بل كانوا مادة الجيش الإسلامي، وضربوا أروع المثل في التضحيات، وكان لكل منهم - تقريباً - مهمته، وبذا بلغت الأمة المبلغ الذي بلغت إليه وسادت في العالمين وقادت.

إن كل الجهود التي يقدمها ويبذلها قادة الصحوة ومعاونوهم اليوم لا يمكن أن توصل الأمة إلى مبتغاها ما لم يساندهم في ذلك جمهور غفير من الصالحين والملتزمين المقتنعين بفكرتهم والساعين إليها.

وإن الناظر للتاريخ ليعلم هذا تمام العلم؛ إذ وراء نجاح كل نظام أو دولة جاءت لتغير السائد المألوف جمهور يعاون ويؤازر مقتنعًا مؤيدًا ومن أمثلة ذلك: الثورة الفرنسية، والثورة الشيوعية، وهتلر ونظامه النازي؛ إذ التقت القيادات بالشعب في هذه الأنظمة الثلاثة لتكون دولاً بقيت زمنًا مسيطرة متسلطة.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى إهمال القيادات ومن يعاونهم أمر عامة الملتزمين ما يلي:

١- الانشغال بأعباء العمل اليومي؛ مما لا يكاد يترك وقتًا للتفكير بشأن هؤلاء المتروكين أو متابعتهم المتابعة الدقيقة المنتجة.

٢- سلم الأولويات وضع هؤلاء المتروكين في ذيل القائمة.

٣- عدم وجود فرص عمل لهؤلاء، أو دعنا نقل بعبارة أدق: عدم خلق فرص عمل لهؤلاء مناسبة لهم.

٤- إعراض هؤلاء المتروكين عن أعباء العمل الدعوي لكسل أو لتخوف أو لغير ذلك من الأسباب.

٥- مناوأة هؤلاء لمنهج العمل الدعوي، أو صعوبة تلاؤمهم معه.

لكن أقول:

مهما كان من سبب فإنه لا بد من بذل الجهود الكبيرة لاستيعاب هذه القدرات المضيعة، بل أذهب إلى حد القول إن الدعاة الذين يستطيعون استيعاب عامة الملتزمين هؤلاء هم الذين سيكونون الأقدر على التغيير والأجدر به، وهم الذين سيتولون مقاليد الأمور في الساحة الإسلامية إذا شاء الله تعالى، والله أعلم.

سادسًا: ضعف الهمة وقلة العزيمة:

وهذا مرض خطير، غزا طبقات من الفضلاء والعلماء والمشايخ والدعاة، فترى الواحد منهم ضعيفًا عزمه، ساقطة همته، لا يطمح في المعالي، قد رضي بما هو عليه، ليس له نشاط ظاهر، ولا عمل كامل، إنما هي شذرات من أوقات يقتطعها مرة أو مرتين في الأسبوع، ثم يحسب أنه قد قضى ما عليه، وفعل ما يتوجب عليه فعله، ثم -ويا للعجب-



يريدون النصر والعز والتمكين، ويسألون عن ذلك، ويطرحونه في مناقشاتهم وأسمارهم، هيهات!! إن للنصر ثمنًا وأي ثمن، ورحم الله شوقي إذ يقول:

وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق

فهؤلاء - على أحسن الأحوال - يعطون سويعات من أوقاتهم كل أسبوع، ثم يتمنون على الله الأماني، والناظر في تاريخ الصدر الأول ومن بعدهم رضي الله عنهم يرى خلاف ذلك، يرى جدًا ونشاطًا ومثابرة ومواصلة، يرى قومًا كانوا يقدمون جل أوقاتهم وأكثر ساعات حياتهم لله تعالى، ثم بعد ذلك يبتهلون في تحقيق النصر، هذا والزمان كان مواتيًا لهم، والوقت مسعفًا، والسعد مقبلاً، أما نحن اليوم فأعداؤنا كثر، والوقت صعب، ونحن بين إقبال وإدبار، ومع كل ذلك تجد أن الجهود المبذولة من قبل أكثر الصفوة والخصوص لا توازي عشر معشار - أي واحدًا بالمائة - ما بذل أولئك العظماء من الصدر الأول فمن بعدهم، وهذا مثار عجب ودهشة.

وهذه الصحوة قد ابتدأت في البلاد العربية منذ خمسين سنة تقريبًا، بكّرت في بلاد وتأخرت في أخرى، والسؤال المهم: لماذا لم تبلغ الصحوة مرادها وأهدافها إلى الآن وقد عاش في ظلها جيل كامل، وها هو جيل آخر يتنعم بها بل جيل ثالث؟

إن السبب الأول الذي منع الصحوة من الوصول لهدفها وكمال امتدادها ليس الأمريكان ولا الغرب ولا اليهود ولا مراكز الأبحاث وخططها ومكرها، إنما السبب الأول هو تقاعسنا عن مواصلة العمل، وقلة الجد والاجتهاد، والرضا بالحياة الدنيا والإخلاد إليها، وتشبهنا بأهل الدنيا في ملاذنا وأعمالنا وأحوالنا ومراداتنا وآمالنا وآلامنا.

هذا هو السبب الحقيقي لأن المسلمين الصالحين والصفوة المخلصين اليوم ليسوا بالقليل، بل أزعم أنهم بضعة ملايين، وهؤلاء لو أرادوا وعزموا وبذلوا حق البذل، وأعطوا العطاء القوي، وتكاتفوا على ذلك، واجتمعوا لغيروا التاريخ، ولبدلوا وجه الأرض، لكن الناظر إليهم وإلى عللهم بعين الناقد البصير، ونظر المتتبع الحكيم يدرك ويعلم ويتأكد أن سبب التأخر هو منا، وأن الخلل منبعث من صفوتنا، فكفانا رميًا لمشكلاتنا على الآخرين، ولنترك كثرة الاعتذار، ولنخلع عنا الوهن إن شئنا العز، وطلبنا الريادة والسيادة:

ومـــا نيل المطالب بالتـــمني ولكن تؤخــذ الدنيـــا غـــلابا

فهذه حماس - بفضل الله عليها ثم بهمتها وجدها واجتهادها - قد صنعت ما يشبه المستحيل في دنيا الناس، وحازت على الأغلبية في الانتخابات، وهي اليوم تحكم وصارت القوة الأولى، وحجر العثرة أمام كل مخططات إخوان القردة وأهدافهم ومن يعاونهم، هذا وقد كانت قبل ثلاثين سنة قوة مغمورة، والكلمة العليا لغيرها، فاجتهد أبناؤها وأعطوا، وعلم الله من قلوبهم خيراً فمكنهم في الأرض، بعد أن كانوا قليلين مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس، ولله الحمد.

أرأيتم إلى الجهود إذا بُذلت، والقلوب إذا أخلصت، والأوقات إذا مُنحت، والأموال إذا أعطيت، أرأيتم إذا حصل هذا كله كيف يقلب الله الموازين، وكيف يفعل بعبيده الصالحين، وكيف يخذل العاصين والكافرين والمعاندين، وأنا أقول لكل الحركات والجماعات والهيئات والمنظمات: إنكم لن تستطيعوا أن تحققوا من أهدافكم ما تأملون، ولا أن تصلوا لشيء جليل من مراداتكم وأنتم تبذلون القليل وتعطون القليل وترضون بالقليل، فما لم تربوا أتباعكم كافة على البذل والجد والاجتهاد والعطاء فأعمالكم مباركة لكنها لن تؤتي ثمارها المرجوة، وعطاؤكم طيب لكنه لن يوصلكم إلى ما تريدون، وما لم نفهم هذا وندركه سنظل ندور في حلقة مفرغة، ونحن نزعم أننا على خير، ونخطط ونعمل، ناسين أو متناسين هذا الذي بينته.

يقول الأستاذ المودودي مخاطبًا جماعته منذ أكثر من نصف قرن، وهذا الخطاب صالح لكل العاملين اليوم:

«إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نار متقدة تكون في ضرامها - على الأقل - مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندما يجد ابنًا له مريضًا ولا تدعه حتى تجره إلى الطبيب، أو عندما لا يجد في بيته شيئًا يسد به رمق حياة أولاده فتقلقه وتضطره إلى بذل الجهد والسعي.

إنه من الواجب أن تكون في صدوركم عاطفة صادقة تشغلكم في كل حين من أحيانكم بالسعي في سبيل غايتكم، وتعمر قلوبكم بالطمأنينة وتكسب لعقولكم الإخلاص والتجرد، وتستقطب عليها جهودكم وأفكاركم بحيث إن شؤونكم الشخصية وقضاياكم العائلية إذا استرعت اهتماماتكم فلا تلتفتون إليها إلا مكرهين!!



وعليكم بالسعي ألا تنفقوا لمصالحكم وشؤونكم الشخصية إلا أقل ما يمكن من أوقاتكم وجهودكم وأفكاركم فإنكم لا تقدرون أن تحركوا ساكنًا بمجرد أقوالكم.

الحقيقة أن الإنسان إذا كان قلبه مربوطًا بغايته وفكره متطلعًا إليها فإنه لا يحتاج إلى تحريض أو دفع.

واسمحوا لي أن أقول لكم: إنكم إذا خطوتم على طريق هذه الدعوة بعاطفة أبرد من تلك العاطفة القلبية التي تجدونها في قلوبكم نحو أزواجكم وأبنائكم وأمهاتكم فإنكم لا بد أن تبوؤا بالفشل الذريع»[1].

نعم إنه ليس من سنن الله تعالى أن تنقلب الصفوة كلها إلى عاملين، ولا أن يصبح أفرادها جميعًا مجتهدين باذلين كل ما يستطيعونه لكن على الأقل أن يكون منهم جمهور كبير عامل باذل معطاء أقدره بستين إلى سبعين في المائة، أما أن تنعكس النسبة أو أقل ثم نريد أن نصل ونتمكن في الأرض، ويخزي الله الكافرين على أيدينا فأرى والله أعلم أن هذا من تسويل الشيطان، ومكره وكيده، فهذا رسول الله ﷺ لم ينشئ دولة الإسلام في المدينة إلا عندما كانت جمهرة الصحابة عاملة مجتهدة باذلة، وكذلك كل عمل ناجح ومشروع عظيم قبله وبعده بأبي هو وأمي ﷺ.

وعلاج قصور الهمة إنما يكون بالالتجاء إلى الله ودعائه والمجاهدة، وقراءة سير سلف الأمة وعظماء خلفها، ومصاحبة أهل الهمة العالية، ومراجعة جدول الأعمال اليومي ومراعاة الأولويات فيه، والابتعاد عن كل ما من شأنه الهبوط بالهمة وتضييعها.

تلك كانت خواطر خطرت في هذا الموضوع المهم، وهي تذكرة للمبتدي، ومراجعة للسائر المهتدي، وعبرة للمنتهى، ولم أرد أن أدخل في تفصيل كيفيات العلاج، ولا طرائق العمل فالصفوة يعرفونها، وقد درسوها مرارًا ودرّسوها، وذُكروا بها كثيرًا بل حفظوها، وبقي عليهم الإرادة والتصميم، والعمل المتواصل الطويل، ومن ثم قطف الثمار بإذن الله تعالى، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) «تذكرة دعاة الإسلام»: ٥٨.

سابعًا: ضعف التربية:

الله تعالى بيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير، والصفوة العاملة اليوم إنما تريد ما عند الله تعالى، وتريد تحقيق سلطانه في الأرض وتحكيم كتابه، وتريد رفع رايته وإعلاء كلمته، فلا بد إذن من أن تكون الصلة بينها وبينه حسنة جليلة، فيقبلون على الله تعالى، ويرغبون فيما عنده، ويناجونه طويلاً، ويسألونه كثيرًا، ويطيعونه فيما أمر، وينتهون عما نهى عنه وزجر، ويتقربون إليه بأنواع النوافل والقرب؛ لأن جملة ما يريدونه هو قلوب الناس لتصغي إليهم، ولتقبل عليهم، والله تعالى هو مالك هذه القلوب، والتي هي بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. فإذا كان الأمر كذلك فحق للمراقب والمخالط أن يعجب مما يرى ويلامس من تقصير بيِّن في جنب الله تعالى، وضعف في صلة الصفوة به إلا قليلاً، وضعف في التربية. ومظاهر هذا الضعف متعددة، أذكرها على وجه الإجمال حتى تكون منبِّهة ومذكرة، أما طرائق العلاج فظاهرة واضحة، أكثر في بحثها المربون، ووعظ بها المذكرون، حتى صارت كأنها محفوظة منقوشة في الصدور والعقول، لكن بقي العزم على العمل وتلافي القصور، ومن مظاهر الضعف:

١ - التهاون في أداء الصلوات الفرائض:

كتضييع الصبح في جماعة، وربما صُلِّيت بعد الشروق، وذلك عجيب؛ لأن من شأن هؤلاء الصفوة أن يقوموا قبل الفجر فيتهجدوا ويدعوا، ثم يكونوا في مقدمة الصفوف في المسجد لا أن تفوتهم الصلاة، وبعض هؤلاء تفوتهم الصلاة أيامًا كثيرة فلا يستطيع أن يؤديها جماعة في المسجد، وغيره من العوام في مقدمة الصفوف، وهذا كله من التهاون والضعف الذي يعود على صاحبه بآثار خطيرة في دينه ودنياه.

٢ - التهاون في سنن الصلوات التطوع:

والسنن سور الفرائض، فمن ضيعها أو تهاون بها أوشك أن يضيع الفرائض، وأجرها عظيم، وهي من محسنات الصلة بين العبد وربه.

وهي والتطوعات مما تبارى فيه عبّاد السلف وزهادهم ومقدموهم ورؤساؤهم، فلم



يكونوا يكتفون بالسنن الرواتب، بل كان لهم تطوعات كثيرة، وصلوات عديدة، وتهجد وقيام، ونوافل عظام يؤدونها آناء الليل وأطراف النهار، أما اليوم فغاية المقدم منا أن يحافظ على ثنتي عشرة ركعة من السنن القبلية والبعدية، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣- التهاون في صيام الأيام المستحب صيامها:

هذا وقد وصى النبي ﷺ أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه بقوله: «**عليك بالصيام فإنه لا مثل له**».

٤- قلة قراءة القرآن، وقلة مرات ختمه:

وهذا ظاهر منتشر، فتجد الواحد من الصفوة لا يكاد يختم إلا في رمضان، وربما لا يختم فيه أيضًا.

٥- التهاون في غض البصر:

وكنت أرى عددًا كبيرًا جدًا في بلدان كثيرة يسرح النظر في النساء والفتيات ويكلمهن وينظر إليهن بلا حرج، بدعوى أن كشف الوجه جائز، ونسي أنه مأمور بغض البصر، وأنه أزكى له وأطهر، وهذا من المصائب المحدثة، ألا يعلمون أن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، وأنها تفعل بصاحبها ما تفعل؟!

وارجع أخي القارئ إلى الكتاب القيم لابن القيم رحمه الله: «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ففيه تفصيل لهذا الأمر الذي استسهله الكثيرون وأقدموا عليه بلا تحرج.

٦- قلة الدعاء وضعف الانكسار بين يدي الله تعالى:

ومن قسوة القلوب أنك تجد كثيرًا من الصفوة قليلاً دعاؤهم، ضعيفًا انكسارهم وتذللهم، جافة أعينهم، وما كان هكذا رسولنا الأعظم ﷺ ولا صحابته الكرام رضي الله عنهم، وأخبارهم مستفيضة في تعلقهم بالدعاء وتضرعهم وانكسارهم.

والعجيب أن الصفوة اليوم محاصرون، وأن أعداءهم كثر، وحالهم صعب، فالدعاء في حقهم أوجب، والانكسار أولى، والدعاء سلاحهم. وحسبهم حديث رسول الله ﷺ: «**الدعاء سلاح المؤمن**»، وما أحوجنا اليوم إلى سلاح.

٧- الإكثار من الرخص وترك العزائم:

وهذا ظاهر منتشر، وليت شعري! إن لم يأخذ الصفوة بالعزائم أيأخذ بها العوام؟! ولمن العزائم إن لم تكن لهم؟ والترخص الكثير مدعاة إلى رقة الدين والعياذ بالله، وعدم المبالاة بالعزائم من كيد الشيطان ومكره وتضليله لهؤلاء.

٨- قسوة القلوب وضعف العاطفة الإيمانية:

العاطفة الإيمانية وقود العبادات، وأساس اليقين والإخلاص، والأمة اليوم قد ابتليت -فيما ابتليت به- بضعف شامل في هذه العواطف الإيمانية، وأصاب هذا الضعف الطوائف الصالحة من الأمة والتي عليها المعوّل في الإصلاح والتغيير، فأصبح المرء يرى أشخاصًا يعملون لكنهم لا يملكون من العاطفة الإيمانية ما يؤثر في المقابل أو حتى يؤثر في أنفسهم فصاروا يعملون كقوالب جامدة لا تكاد تدبّ فيها الروح، وأصبحت دعوتهم وعباداتهم أشبه بوظيفة رسمية منها بشعائر إيمانية تؤدى رغبة ورهبة، وانعكس ذلك كله على حالهم وتأثيرهم فأصبحوا غير مؤثرين فيمن يدعونهم إلا قليلاً، وليس أمام المربين والدعاة سبيل للنجاح والنصر إلا بناء هذه العاطفة الإيمانية القوية في النفوس، وتربيتها على كثرة الذكر والخشوع، والانكسار والخضوع بين يدي الله تبارك وتعالى، والاهتمام الشديد بأحوال المسلمين، هذا عَقد لا مفر منه، وعِقد جميل لا بد من التحلي به.

وهذا الذي ذكرته لم أرد منه بيان علاج هذه الأمور فهذا أمر يطول وتكفلت مناهج الدعوة به، لكني أردت التنبيه على كثرة وقوعه، وأنه من جملة الأمراض التي تعوق الصفوة عن الوصول إلى أهدافها، والله المستعان.

هذا وقال الأستاذ محمد قطب -رحمه الله تعالى- موضحًا أهمية التربية في ضبط الصحوة ووصولها إلى أهدافها وتجنيبها مخاطر ومصائب عديدة:

«وأما الواجب التربوي فهو أخطر ما تقوم به الدعوة في الحقيقة؛ لأنه هو طريق الخلاص، وهو عمل دائب مستمر لا يتوقف مهما كانت الأحوال، في الشدة وفي الرخاء سواء، في السعة وفي الضيق سواء.



والتربية المطلوبة -لإقامة القاعدة الإسلامية- تهدف إلى إخراج نماذج فذة لا إلى مجرد إخراج مسلمين عاديين، نماذج تكون كالأعمدة الرأسية في البناء؛ لتحمل ثقل البناء فيما بعد.

وهذا يحتاج أولا إلى عقيدة صافية لا غبش فيها ولا بدع ولا انحرافات، عقيدة كعقيدة السلف الأول، خالية من كل ما علق بها خلال الأجيال من إضافات وانحرافات خرجت بها عن عقيدة التوحيد الخالصة الصافية وكادت تردها وثنية جاهلية.

ويحتاج ثانيًا إلى إدراك واعٍ لمقتضيات هذه العقيدة، ومقتضياتها هي كل التكاليف وكل التوجيهات التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، ومن عظمة هذه التكاليف وكل التوجيهات، ومن شمولها لكل جوانب النفس وكل جوانب الحياة كانت عظمة هذا الدين، وعظمة الأمة التي حملت هذا الدين وأنشأت به ذلك الواقع الضخم الذي شهده التاريخ.

ويحتاج ثالثًا إلى تربية تحول هذه العقيدة إلى حقيقة سلوكية قائمة في عالم الواقع.

وهذه التربية تحتاج إلى ترسيخ معاني الألوهية وتعميقها حتى تصبح يقينًا قلبيًا ينبني عليه سلوك واقعي، يقينًا لا يزلزله الابتلاء والشدة، ولا يزلزله الرخاء والسعة.

وتحتاج إلى ترسيخ أخلاقيات لا إله إلا الله؛ حتى تصبح حقيقة سلوكية، تنبثق انبثاقًا ذاتيًا من داخل النفس، وأخلاقيات لا إله إلا الله من السعة والشمول بحيث تشمل كل سلوك يقوم به الإنسان، فالأخوة من أخلاقيات لا إله إلا الله، والتكافل من أخلاقيات لا إله إلا الله، والجلد والصبر من أخلاقيات لا إله إلا الله، والشجاعة في الحق من أخلاقيات لا إله إلا الله، والنظام والانضباط من أخلاقيات لا إله إلا الله، ومعرفة الحق واتباعه من أخلاقيات لا إله إلا الله.

وتحتاج إلى الوعي السياسي بأحوال العالم المعاصرة، وأحوال المسلمين في ظروفهم الراهنة، ومكايد الأعداء ومؤامراتهم الدائمة ضد الإسلام، وتدسسهم[1] إلى حياة المسلمين بالغزو الفكري وغيره من وسائل الحرب.

---

(١) أي دخولهم الخفي.

وتحتاج إلى الوعي الحركي الذي لا يتعجل الخطى قبل أوانها، وفي الوقت نفسه لا يدع الفرص تفلت منه دون أن يستفيد منها.

وتحتاج إلى موازنة في داخل الفرد وفي داخل الجماعة بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، بحيث لا يكون الفرد مستبدًا ولا ناشزًا، ولا يكون في الوقت ذاته إمعة يساير المجموع إن أخطأ أو أصاب، ولا تكون الجماعة مستبدة طاغية تسحق شخصية الفرد، ولا مفككة لا رابط لها ولا اتحاد.

وتحتاج إلى وعي فقهي يعرف به الفرد ماذا يأتي وماذا يدع، ومتى يسمع ويطيع ومتى يفضي به السمع والطاعة إلى الهلاك.

ومن أجل متطلبات هذه التربية -وهي كثيرة وشاقة، وخاصة في أمة كادت تنسلخ من كل مقومات الإسلام- فلا ينبغي التعجل في خطواتها، ولا ينبغي التعجل في إدخال الجماهير في الدعوة على النطاق الواسع قبل أن يتيسر العدد الكافي من الدعاة والمربين، الذين تربوا هم أنفسهم على المنهج الصحيح، والذين يستطيعون بدورهم أن يربوا على المنهج الصحيح، فهذا التعجل لا يخدم الدعوة في شيء، إنما يعوّقها في الحقيقة عن المسير.

ويجب أن يكون واضحًا في أذهاننا أن «القاعدة الإسلامية» غير موجودة في الحقيقة، برغم كل عواطف الجماهير، وكل حماستهم التي يبدونها حين يذكر الإسلام؛ فهي حماسة عاطفية لا تقيم بناءً حقيقيًا ولا حركة حقيقية، إنما تحتاج القاعدة إلى الإنشاء من جديد، فردًا فردًا[1] حتى يكتمل منها بناء متماسك كبناء الجماعة الأولى على يد الرسول ﷺ، إلا يكن في الدرجة فعلى نفس المنهج، الذي هو مجال الأسوة في رسول الله ﷺ وفي الجماعة التي رباها ليقوم عليها البناء.

ويجب أن يكون واضحًا في أذهاننا كذلك أن المعركة بين الإسلام وأعدائه ليست معركة سريعة خاطفة، ولكنها معركة طويلة شاقة قد تستغرق عدة أجيال، فينبغي للقاعدة التي

(١) هذا الكلام فيه مثالية ومبالغة، وحسب العاملين أن يصلوا بالصالحين في المجتمع الإسلامي إلى أكثرية نسبية ينصر الله بهم دينه.



تنشأ للقيام بهذا العبء الضخم أن تربى لتكون طويلة النفَس، شديدة الصبر، عميقة الإيمان بالله، عميقة التوكل عليه، مستعدة لما يتطلبه أمرها من المعاناة، قادرة على أن تبذل من نفسها: من جهدها ومالها ودمها وفكرها، ما يحتاج إليه إزالة الغربة التي ألمت بالإسلام اليوم، واستنقاذ «الغثاء» من دوامة السيل، واستنباته مرة أخرى رأسيًا في الأرض عميق الجذور.

وحين تقوم القاعدة بالمواصفات المطلوبة، بالحجم المناسب سيغير الله للناس؛ لأنهم يكونون قد غيروا ما بأنفسهم، ويمكِّن لهم مرة أخرى في الأرض، لأنهم يكونون قد وفوا بالشرط: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور: ٥٥][١].

وقد كتب الدكتور عبدالكريم بكار كلامًا في تراجع التربية في أهل الصحوة، وفي درجة فاعلية المحاضن التربوية اليوم قياسًا على الأمس فقال:

«حين أعود بذاكرتي إلى السبعينيات من القرن الميلادي المنصرم أشعر بقوة بذلك، فقد كان هناك ما يشبه الرهان غير المكتوب على أنه يمكن للجهود التربوية المكثفة أن تغير مزاج المجتمع وتحدث فيه انقلابًا سليمًا؛ ولذلك فقد كانت المساجد تعج بالأنشطة التعليمية المحمّلة بأشكال من العناية التربوية، كما أن ما لا يحصى من اللقاءات الأخوية كان يتم في البيوت، وكان لذلك كله أثر كبير في إعداد نماذج رفيعة من الشباب المستقيم الملتزم في سلوكه الخاص، لكن هذا كله قد تراجع لدى كثير من الجماعات والتيارات الإسلامية، وأعتقد أن ذلك التراجع يعود إلى عدد من الأسباب، منها:

١- عند بدايات الصحوة كان كثير من الشباب يشعرون وكأنهم في بدايات ثورة نبيلة، فترى الحماسة للعطاء، والألفة بين أفراد مجموعات تشعر بضغوط الغربة عن المجتمع، إنهم يرون أن لديهم شيئاً فريداً وقيّمًا يستحق التضحية، وكان من الطبيعي أن لا تستمر هذه الفورة المشاعرية بعد أن كثر المهتدون والملتزمون بما تدعو إليه الصحوة، وقد كان الفتور أحد النتائج السلبية التي ترتبت على نجاح الصحوة؛ فتور المشاعر يؤدي قطعًا إلى تراجع

---

(١) «واقعنا المعاصر»: ٥٢٣-٥٢٥.

الجهد التربوي الذي يحتاج إلى الكثير من الحماسة والصبر وذلك لأن التربية مثل الحرب تحتاج إلى الرجل المكيث[1].

كانت الجماعات الإسلامية على اختلاف مشاربها هي التي تتولى تربية الشباب، ويشاركها في ذلك طبعًا مشايخ وطلاب علم وأئمة مساجد ودعاة لا ينتمون إلى أي جماعة، وكان من السائد الاعتقاد بأهمية تلقي العلم والتربية عن شيخ أو مربٍ، وكانت هذه الفكرة -ومازالت- أصلية لدى الجماعات الصوفية، لكن المصادمات التي وقعت بين بعض الجماعات الإسلامية وبين حكوماتها جعلت الانتماء إلى جماعة أو التردد على مسجد بعينه أو حضور دروس منتظمة فيه شيئًا مكلفًا أو خطيرًا، وهذا قلّص الحماسة للانتماء إلى الجماعات والتتلمذ على المشايخ، مع أن تغيير الأخلاق والعادات يحتاج إلى احتكاك ومعايشة، ويحتاج إلى بيئة وجو تربوي، وهذه هي أزمة التربية على مدار التاريخ؛ لأن التربية تحتاج إلى أعداد هائلة من المربين بخلاف التعليم، وعلى كل حال فقد صار لدينا أعداد هائلة من الشباب المتعلم الملتزم بالإسلام والمحب له، لكنهم لم يتعرضوا لأي تربية روحية أو دعوية، ولا يخفى أيضًا أن كثيرًا من الجماعات فقدت لأسباب مختلفة جاذبيتها التنظيمية[2] مما أدى إلى عدم مواكبة نموها للزيادة السكانية في بلادها.

٢- لدينا معاناة قديمة لا علاقة لها بالصحوة، وتلك المعاناة أننا إذا نفرنا من اتجاه أو علم نفرنا منه بالكلية غير مهتمين بالبحث عما قد يكون فيه من خير وصواب، ونحن نعرف -على سبيل المثال- أن الوعي الإسلامي جفل من الفلسفة في وقت مبكر من تاريخ الأمة بسبب تجاوز بعض الفلاسفة المسلمين لبعض الأصول والعقائد، وقد كان الجفول عامًا، وقد فاتنا بذلك الكثير من الخير حيث صارت رؤانا لكثير من الأمور تميل إلى السطحية، كما صارت تحليلاتنا فجة ومستعجلة؛ وذلك لأن من الفلسفة فهم السنن الربانية في الخلق وفهم طبائع الأشياء وخفايا النفس البشرية وفهم العلاقات بين الأسباب والمسببات والتفكر

---

(١) أي غير المتعجل.

(٢) هذا الكلام الأخير فيه تعميم لا ينبغي.



في فقه المآلات، وهذه أمور ضرورية جداً للتنظير وتحليل أسباب المشكلات وبلورة الرؤى الجديدة[1].

وهذا ما حدث مع الاتجاه السلفي بالنسبة إلى (التصوف) حيث إن السلفية قامت على تمحيص الأدلة وتخليص الأمة من البدع والخرافات والشوائب وقد قدمت بهذا وغيره للأمة والمنهج الإسلامي شيئًا كبيراً ومهمًا، لكن يلاحظ جفول الوعي السلفي من (التصوف) بقضّه وقضيضه؛ حيث صارت هذه الكلمة لدى كثير من شباب السلفية من الكلمات التي لا ينبغي ذكرها إلا في مقام الذم، ومع أن لدى كثير من الجماعات الصوفية شيئًا من الانحراف على مستوى العقيدة والتصور وعلى مستوى السلوك- بدرجات متباينة جداً- إلا أن من المهم ألا ننسى أن للصوفية عناية فائقة بأمور جوهرية تتصل بالتربية الروحية والتي تكتسب اليوم أهمية إضافية بسبب ما تحدثه العولمة من تخريب للقيم، وبسبب التيار الشهواني الهائل الذي يجتاح كل شيء، إن الصوفية يهتمون بأمور مثل محاسبة النفس والتوبة والإكثار من ذكر الله تعالى وترسيخ الحب والشوق إليه والخوف والحياء منه، كما يهتمون بمعان مهمة مثل التوكل والرضا عامة إلا أننا نجد اليوم درجة عالية من الجفاف الروحي لدى كثير من شباب الصحوة ذوي النزعة السلفية، وهذا الجفاف على خطورته يؤدي إلى شيء آخر أيضًا خطير وهو الحرص على المظهر في أمور التدين وإهمال الباطن والجوهر، مع أن كل العبادات في الإسلام تهدف إلى تقوية الصلة بالله تعالى وإجلاله والفرح بقربه، ولا ننسى إلى جانب هذا أن أكبر عالمين نالت أقوالهما وأدبياتهما رضا السلفية المعاصرة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، كان موقفهما من الصوفية موقفًا تفصيليًا وليس مجملاً، كما أن كلا الرجلين كان على مستوى السلوك الشخصي شديد الاهتمام بالمعاني التي يهتم بها المتصوفة.

وقد حدث لكثير من الصوفية مثل ما حدث لجمهور السلفيين، لكن على نحو معاكس

---

(١) كأن الدكتور -حفظه الله- بالغ قليلاً في مسألة أهمية الفلسفة، التي عادت على كثير من المسلمين بالاضطراب في المنهج والفهم؛ ولهذا حذر منها كثير من علماء الإسلام قديماً وحديثًا.

حيث صار ذم السلفية أو ما يطلقون عليه «الوهابية» لديهم جملة وتفصيلاً وإلحاق شتى التهم بها شيئًا معتادًا ومألوفًا، وقد حرموا أنفسهم بذلك من أمور جوهرية جدًا في التدين واتباع المنهج الرباني القويم، وأعتقد أنه قد آن الأوان لأن يقوم أولو البصيرة والرؤية النافذة من كلا الاتجاهين بمراجعة تامة لذلك؛ كي تستعيد السلفية ما فقده كثير من شبابها من الألق الروحي والاهتمام بتزكية النفس، وكي يستفيد الصوفية من الإضافات الكبيرة التي قدمتها السلفية للأمة على مستوى العقيدة وتمحيص الأدلة والالتزام بالأصول واحترام قول الفقيه.

٣- إذا عدنا إلى الوراء عشرين سنة، فسنرى أن النشاط التربوي كان هو النشاط الفطري والمباشر الذي يمكن لأبناء الصحوة القيام به إلى جانب النشاط المسجدي، أما النشاط الإعلامي فقد كان محدودًا بسبب قلة المتخصصين فيه من الإسلاميين وبسبب تكلفته العالية، والأهم من هذا وذاك صعوبة الحصول على أذونات بإنشاء جرائد أو مجلات، وقد تغير هذا اليوم، فقد صار النشاط الإعلامي على (النت) شبه مجاني، وهناك إمكانية كبيرة لإنشاء إذاعات وقنوات فضائية بتكاليف ليست باهظة، وهذا - في نظري - أثّر كثيرًا في الأنشطة التربوية؛ حيث إن من الملاحظ انصراف أعداد كبيرة من مشاهير الدعاة إلى الاهتمام بالخروج في الفضائيات، كما نرى كثيرًا من مشاهير الصحويين اتجهوا إلى العمل في المؤسسات الإعلامية الإسلامية الناشئة، وصرنا نسمع في بعض أوساط الصحوة عن (صناعة النجوم) فالذين يظهرون في الفضائيات، ويتحدثون في الإذاعات يحصلون على شهرة سريعة وواسعة، ولا يملك العمل في المجال التربوي ذلك، كما أن ثمار الجهد التربوي قد لا تظهر إلا بعد حين على خلاف ما يتم في المجال الإعلامي.

إنني لا أخفي ابتهاجي بالتقدم الذي يحدث في مجال الإعلام الإسلامي والمحافظ، لكن علينا أن نتذكر أن الإعلام ينشر المعرفة ويحسّن وعي الجماهير، لكنه لا يحسّن السلوكيات، ولا يغير العادات، ومن ثم فإن ازدهار الإعلام لا يجوز أن يكون على حساب التربية في حال من الأحوال.



٤- يلاحظ على نحو عام تراجع الاحتساب في الجهد المبذول من أجل الدعوة والتربية والتعليم، فقد نحتاج إلى من يشرف على تربية عشرة من أطفال الحي، ويكون لدينا طلاب في الجامعات ومدرسون ومتعلمون ممن يصلحون لذلك، ثم لا يتقدم منهم أحد لذلك مع أهميته وعظم المثوبة عليه، وهذا قد يعود إلى ضغوط العيش المتزايدة، وحاجة معظم الناس إلى الوقت كي يعملوا في شيء يوفرون من خلاله مصروفات لأسرهم، وهذا تعليل جزئي في الحقيقة، إذ ينبغي أن نعترف أن العولمة قد زادت في طموحاتنا، وجعلتنا بالتالي أكثر دنيوية، وحين تصبح الطموحات واسعة جدًا، فإن الفقراء والأغنياء يستوون في شدة طلب المال والعزوف عن التطوع!

الخلاصة: نحن الصحويين مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالاهتمام بالتربية الروحية والاجتماعية، وإعداد الجيل الجديد للحياة من أفق رؤيتنا الجديدة للفرص المتاحة والتحديات الماثلة»[١].

ثامنًا: ضعف الثقافة:

إن من أركان شخصية المرء المتطلع إلى التغيير، والشخص الطامح إلى تبديل ما القوم عليه إلى الأفضل والأحسن في كل سبيل، إن من أركان شخصية من يريد هذا الأمر النبيل ويرومه أن يكون حسن الثقافة، كثير القراءة، واسع الاطلاع؛ وذلك حتى يفهم دينه، ويفقه إسلامه، وفي هذا العصر تنوعت وسائل إيصال المعلومات إلى الحد المدهش والغاية القصوى فلم يبق إلا الاطلاع والتناول، ومع ذلك تجد أعدادًا كبيرة جدًا من الصفوة التي عليها الأمل بعد الله تعالى لا تقرأ ولا تطلع، والعجيب أن عددًا منهم يقول: أنا لا أحب القراءة، وكأن القراءة خيار يؤخذ أو يترك، يحب أو يكره!! بل القراءة والاطلاع أمران لا يمكن الاستغناء عنهما بحال لطلاب المعالي، وبعضهم يتعذر بانشغاله، وكأن القراءة أمر جانبي لا يؤخذ في الحسبان وليس له شأن!!

ويقولون في تعريف الثقافة: معرفة شيء عن كل شيء، وفي الفرق بينها وبين العلم: إن العالم من يعرف كل شيء عن شيء، فإن أردت أن تكون مثقفًا فعليك أن تعرف شيئًا

---

(١) «الصحوة الإسلامية»: ٦٦-٧١.

عن كل شيء، وهذه الكلية هنا مبالغ فيها لكن المقصود الحقيقي هو أن تحيط علمًا بمسائل أصلية وفرعية في شؤون الدين والدنيا تؤهلك للمضي قدمًا فيما تطلبه وتريده من التغيير والتحسين.

واليوم يبث أعداء الإسلام فينا شبهات كثيرة عن الإسلام وعلاقته بالإرهاب، والإسلام وانتشاره بالسيف، والإسلام والديمقراطية، والإسلام والمرأة، والإسلام وحقوق الإنسان، والإسلام والرق، والإسلام والميراث إلى آخره، ولو سألت جل الصفوة عن هذه المسائل لما استطاعوا الإجابة عن أكثرها، ولضعفوا عن تبيين الشبهة وردها، وهذا مثال على ضعف الثقافة وقلة الاطلاع.

ومثال آخر: لو سألت جل الصفوة عن حسنات النظام الإسلامي في الشورى والحكم، وفي التشريع، وفي شؤون المجتمع، وفي إدارة أمور الدنيا لعجز أكثرهم عن الإجابة الشافية.

ومثال آخر: لو أردت أن تعرف اطلاع جمهور الصفوة على الجديد من الكتب، والمفيد من المقالات، والنافع من الأفلام الوثائقية والتاريخية والعلمية لوجدت العجب العجاب من الجهل شبه التام بهذا الذي ذكرته وأمثاله.

ومثال رابع: ولو سألت جل جمهور الصحوة عن الشخصيات المؤثرة في العالم الإسلامي قديمًا وحديثًا، وتفاصيل جهادها، وثنايا سيرتها لما وجدت إلا القليل ممن يعرف ذلك ويستضيء به.

ولو سألتهم عن التاريخ الإسلامي، وتجارب الأشخاص والدول، والعبر والعظات الكثيرة الجليلة المصاحبة لأحداث التاريخ لما وجدت إلا القليل ممن يحيط بأغلبها علمًا، ويدرك فائدتها، ويستفيد من ذلك في حياته وخططه وأهدافه.

ولو سألتهم عن مائة كتاب مؤثر منذ بداية التدوين إلى الآن -يعني ما يقارب ألفًا وثلاثمائة سنة- لعجز أكثرهم عن الإتيان بعشرها!!

ولو ولو ولو...

وهذا كله يؤول بنا إلى سؤال مهم: كيف يطمح هؤلاء أن يغيروا؟!

وكيف يريدون أن يبدلوا الأوضاع وهم على ما هم عليه من ضحالة فكرية وضعف ثقافي؟! نعم إنه ليس من المطلوب أن تكون الصفوة كلها مفكرة ومثقفة لكن الذي وصلنا إليه من قَصْر الفكر والثقافة على عدد محدود جداً من أفراد الصفوة لهو أمر مقلق، وظاهرة خطيرة.

كنت سألت عدداً من الموجهين ومقدمي الصفوة عن المجلات الإسلامية التي اطلعوا عليها وعرفوها، وعن كتب مفكري الإسلام ومثقفيه التي قرؤوها، وعن الشخصيات المؤثرة وعملها وجهادها التي عرفوها فكانت الإجابة فاجعة من الفواجع؛ ولهذا سقت هذا الحديث ضمن أمراض الصفوة، فهو مرض مؤثر وداء عضال يجب على أهل الرأي في هذه الصفوة معالجته والقيام عليه، نعم الأمة الإسلامية في مجملها لا زالت تعاني من أمية فعلية وأمية ثقافية لكن هذا لا يجوز بحال أن يكون شأن صفوة الأمة ومقدميها والعاملين فيها.

هذا وقد أعجبني كلام للدكتور عبدالكريم بكار -حفظه الله تعالى- إذ قال:

«لدى جمهور الصحويين ولع بالعمل والحركة، وولع بكثرة الكلام، ولديهم زهد واضح في الأعمال العقلية والثقافية الراقية، ولديهم زهد في التحليل: تحليل الأحداث التاريخية، وتحليل الواقع وتداعياته وتشابكاته، ولديهم القليل من الاحتفاء بالكتب والبحوث العميقة....

النظر المدقق يفضي بنا إلى أن معظم الكتاب الصحفيين، ومعظم الروائيين الكبار، كما أن معظم الذين ينظرون للنهضة والتقدم الاجتماعي ليسوا من الصحويين، مع أن حصة الصحوة بين طلاب الجامعات وبين الشرائح الثقافية الدنيا أكبر من حصة أي اتجاه آخر، وهذا حمل بعض المناوئين للصحوة على القول: إن الصحويين غير مثقفين بالقدر الكافي، بل إنهم يضمرون نوعاً من العداء للثقافة الراقية... ادخل إلى المكتبات الإسلامية وانظر إلى ما تقدمه دور النشر الإسلامية وقارنه بما تمت ترجمته من كتابات المستشرقين وغيرهم من الغربيين لترى صدق ما أقول...»[1].

(١) «الصحوة الإسلامية»: ٥٩-٦٠.

تاسعًا: تفاهة الأهداف:

إن الأخطار المحيطة بالعالم الإسلامي كثيرة، والثغرات التي يعاني منها عديدة، والأمراض والعلل متعددة، والأمة بحاجة لمن يأخذ بيدها ليسد تلك الثغرات، ويعالج تلك الأمراض، ويبرئها من العلل، ويحميها من الأخطار؛ ولصنع ذلك فلا بد من أن توضع أهداف عظام يعيش من أجلها الصفوة من الناس ويموتون من أجلها، وكلما عظم هدف المرء زاد الجهد الذي يبذله من أجل الوصول إليه، ويعظم الأجر إن شاء الله تعالى تبعًا لذلك، والمشاهد المتابع لحال الصفوة يجد أن معظمهم ليس له إلا هدف الجماعة أو الهيئة أو المنظمة التي ينتسبون إليها، وهذا أمر حسن لكنه لا يكفي؛ إذ لا بد من وضع هدف عظيم لكل أحد من الصفوة على حدة؛ وذلك لأن الجماعات والهيئات يقوم على تنفيذ أهدافها عدد كبير فربما قام بمعظم العبء أفراد ورضي آخرون بشيء قليل من ذلك؛ لذا فإن الميزان الحقيقي لعظم هدف المرء هو ما يضعه لنفسه، ويرتضيه ويظل إلى آخر حياته ساعيًا في تحقيقه، لا ما يضعه غيره له فقط، وهذا يعود عليه بفوائد جمة منها:

١- إدراك أهمية الوقت، والمحافظة عليه وعدم تضييعه، وهذا مكسب جليل.

٢- مجاهدة نفسه بالتقليل من شهواتها وكبح جماحها حتى يستطيع الوصول إلى هدفه الذي يريد.

٣- دعاء الله تعالى والانكسار بين يديه والتضرع إليه أن يحقق له ما يصبو إليه من هدف عظيم، وهذا يجعله عبدًا ربانيًا موصولاً بالله تعالى على هيئة حسنة.

٤- تسخير كل طاقاته وقدراته وملكاته ومواهبه في سبيل تحقيق هدفه الذي يريد، وهذا يفجر فيها قدرات لم يكن يعهدها من نفسه قبل ذلك، وهذا مهم؛ إذ كم من الناس من لم يستغل ما أنعم الله عليه به من مواهب وملكات فدفنت معه.

٥- العمل الدائب المتصل في سبيل الوصول إلى هدفه، وفي هذا من الحسنات ما فيه إن شاء الله تعالى.

٦- البعد عن دنايا الأمور وسفسافها؛ إذ يستحيل أن يصل إلى هدف عظيم وهو مشغول



بدنايا الأمور، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (قال لي شيخ الإسلام يومًا في شيء من المباح: إن هذا ينافي المراتب العالية!!) ولك أن تتخيل هذا المباح الذي كان قد تناوله ابن القيم قبل سبعة قرون وقارنه بما نتناوله اليوم من المباحات الشاغلات لنا عن الوصول لأهدافنا.

٧- ترك الأثر العظيم بعد الموت، وهذا ما يسعى إليه أكثر الصالحين ويتمنونه، ودونه صعاب جمة ومتاعب عظيمة لكن إن وصل إليه المرء وصل إلى شيء عظيم، وليس أعظم من أن يكون العبد في قبره وتكتب له حسنات آثاره التي تركها في الأرض، فما أحسن هذا.

ولئن سألت أكثر الصفوة من أهل الصحوة اليوم عن أهدافهم التي وضعوها لأنفسهم لوجدت أن أكثرهم ليس له هدف محدد!!

وبعضهم هدفه هو هدف الهيئة أو الجماعة التي انتسب إليها فقط.

وبعضهم له هدف لكنه محدود وصغير، والهدف المحدود الصغير لا يصلح لأن المرء سرعان ما يصل إليه فإذا وصل برد وهدأ.

وبعضهم يمني النفس بهدف جليل عظيم لكن قعدت به همته، وعجز عنه عمله القليل الذي يعمله للوصول إلى هدفه؛ إذ كلما عظم الهدف عظم العمل الموصل إليه والجهد المبذول لتحقيقه، فهذا الطبيب الفاضل عبدالرحمن السميط وضع لنفسه هدفًا عظيمًا وصعبًا جدًا ألا وهو مقاومة المد النصراني في إفريقيا السوداء وإنقاذ أهلها من براثين الجهل والجوع فهو لأجل هذا عمل أكثر من خمس وثلاثين سنة -رحمه الله تعالى- وأحسب أنه قد وصل إلى تحقيق جزء كبير من هدفه العظيم هذا الذي سقاه بعرقه وتعبه مدة طويلة.

وهذه حماس وضعت لنفسها هدفًا جليلاً منذ قرابة ثلاثين سنة فوصلت إلى جزء كبير منه بتضحيات عظيمة ودماء غزيرة عزيزة، وآلام ودموع، وآمال كانت هي الشموع، وهناك شخصيات كثيرة في التاريخ الإسلامي وغير الإسلامي وصلت إلى أهداف عظيمة وضعتها لأنفسها لكن كان وصولها ذاك بعد جهد كبير وعمل متواصل وارتفاع عن الدنايا

والتصاق بالمعالي، وإن أشأ عددت الفاروق عمر رضي الله عنه، وعمر بن عبدالعزيز، وعبدالرحمن الداخل، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، ومحمد الفاتح، وأورانك زيب عالم كير، وعثمان بن فودي، وحسن البنا، ومحموداً الغزنوي، ومحمد محمود الزبيري، ومحمد بن عبدالوهاب، وعز الدين القسام، وعبدالكريم الخطابي، وعدداً كبيراً آخر كلهم قد عمل طويلاً وربما وصل إلى هدفه أو إلى جزء منه لكنه قد عمل عملاً عظيماً.

فلو أن الصفوة من الناس اليوم وضعوا لأنفسهم أهدافًا جليلة عظيمة يسعون لتحقيقها لتغير وجه الأرض ولتحول مسار التاريخ المعاصر لصالحهم بعد توفيق الله تعالى لهم، وأزعم لو أن عشر معشارهم - أي واحداً بالمائة - منهم صنع ذلك لتغير التاريخ، وهل نستهين بالواحد بالمائة وعدد الصفوة اليوم يقدر ببضعة ملايين؟ !

وأزعم أن غفلة صفوة الناس عن هذا لهو مرض وأي مرض، وعائق وأي عائق عن الوصول إلى ما يرومون ويأملون، والله المستعان.

عاشراً: قلة مداراة الأنظمة الحاكمة:

إن المداراة مطلوبة في كل وقت، وهي تدل على حسن تقدير لعواقب الأمور، ووزن دقيق لما يجري، والصحوة - في كثير من البلدان - لم تدار الأنظمة الحاكمة، ولم تقدر قوتها التقدير المناسب، وإن أريد التمثيل فالجزائر حيث نشأت فيها صحوة مباركة جليلة لكن قادة الجمهور الأكبر من هذه الصحوة لم يحسنوا مداراة النظام الحاكم هناك، وذكروا أقوالاً غريبة لم يوفقوا فيها، واستعدوا عليهم الشرق والغرب، واستعدوا عليهم أركان النظام، وانظر في المقابل الصحوة في تركيا واليمن كيف دارت النظام الحاكم واستطاعت أن تحصل على مكاسب كبيرة كان من أعظمها حماية الأجيال الإسلامية من البطش والتنكيل، ولئن ذهبت لأضرب أمثلة أخرى فسيطول الأمر لكن حسبي ما ذكرت.

حادي عشر: الخلل في العلاقة مع الآخر:

انكفأت الصحوة على ذاتها ومشكلاتها وأفرادها في أكثر الأحيان، فأهملت كثيرًا من الناس ممن كان يمكن استيعابهم في برامج خاصة بهم، وهذا الإهمال ليس ناشئًا -غالبًا- عن جهل بأهمية هذا الأمر ولكنه قصورٌ في القدرات والإمكانات.

ومثال مهم على ذلك الآخر العلمانيون المغرر بهم، الذين هم ليسوا من غلاة العلمانيين، فقد عُد العلمانيون كلهم شيئًا واحدًا في أدبيات الصحوة وطرائق تعاملها معهم في كثير من الأحيان، وفي ذلك قال الدكتور محمد عمارة:

في صفوف «الآخر العلماني» كثرة سلكت سبيل التغرب والعلمانية لأسباب كثيرة منها طبيعة النشأة والتكوين الفكري..

ومنها رجحان كفة «الخيار الغربي» عندما قارنوه بصورة «الخيار الإسلامي» على النحو الذي كان سائدًا في عصر التراجع والجمود ولقد حسبوه هو الإسلام وظنوا أنه «الخيار الإسلامي» الوحيد.. ومنها ذلك «الاجتهاد الخاطئ» الذي اعتقد أصحابه أن استعارة «النموذج الغربي» هو السلاح لمواجهة الغرب ولاستخلاص الوطن والأمة من استعماره.

وهذا القطاع من العلمانيين المسلمين هو الذي نقول إن علاقة الحركات الإسلامية المعاصرة به يسودها «خلل» كبير وأكيد.

إن الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية قد أسقطت هذا القطاع من العلمانيين من حساب «الإمكانيات» التي عليها أن تتعامل معها وأن تجتذبها إلى صفوفها.. أو على الأقل الانتقال بهم من صفوف «الأعداء» إلى صفوف «الأصدقاء- المتفهمين» أو «المحايدين»!...

لقد وقفت أغلب الحركات الإسلامية من هؤلاء العلمانيين القابضين على أغلب وسائل التأثير والتوجيه في الواقع الإسلامي موقف الجهل بدوافعهم إلى العلمانية والتجاهل للإضافات الهامة التي يمكن أن يضيفوها إلى المشروع الإسلامي إن هم فهموا حقيقته... فكان الانصراف عن الجهد المطلوب لاكتشاف نقاط الاتفاق. وتنميتها محاصرة وتقليصًا لنقاط الخلاف مع هذا «الآخر العلماني»[1].

---

(١) «الحركات الإسلامية رؤية نقدية» د. محمد عمارة: ١٤.



ثاني عشر: الغلو في مسألة طاعة أمراء الدعوة:

كان للصحوة الإسلامية أثر كبير في تنظيم الشباب المسلم وتدريبه على مفاهيم إسلامية عديدة في ما يتعلق بالعمل الإسلامي، من ذلك مفهوم الطاعة لأساتذة الدعوة ومسؤولي البرامج والأنشطة، وهذا مفهوم إسلامي جليل مستقى من عدة أحاديث وآثار، لكن المشاهد بعد أحداث الربيع العربي، أن مفهوم الطاعة هذا قد بولغ فيه كثيرًا حتى ترك آثارًا سيئة أدت إلى تدمير كثير من مكتسبات هذا الربيع الجليل، وفي ذلك أحداث ووقائع يضيق عن إيرادها هذا المختصر الموجز، لكني أسوق نصًا للدكتور محمد عمارة يفهم منه القارئ ما أريد:

«إن الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة قد بالغت في ترويض أعضائها على طاعة القيادات أكثر مما دربتهم على محاسبة ونقد وتقويم هذه القيادات، وليس يكفي أن يقال إنها طاعة في غير معصية ذلك أن الخلل في علاقة «الطاعة» بـ «الحرية» على النحو الذي لا ينمي في الأعضاء ملكات النقد والفحص وشجاعة الاعتراض عند توفر دواعيه، إن هذا النمط في تربية أعضاء هذه الحركات هو بالقطع معصية من معاصي التربية في هذه الحركات لأنها تثمر -ولقد أثمرت- وحدانية الرأي: رأي المرشد والأمير والإمام، بل أثمرت العديد من ألوان التفكك والقصور والتشرذم التي أصابت العديد من هذه الحركات عندما غاب المرشد فغاب عنها الرشد لافتقارها إلى قيادات مدربة وحكيمة وحصيفة في صفوفها التي تقف وراء المرشد والأمير والإمام: الصفوف الثانية والمتوسطة والقاعدية...

إن هذا الخلل الذي يغلب «الطاعة» على «الحرية» قد غدا في الحركات الإسلامية المعاصرة السبيل إلى فقرها الشديد في القيادات المشاركة لأمرائها ومرشديها والمؤهلة لملء الفراغ الناشئ عن غيبة هؤلاء الأمراء والمرشدين، كما غدا السبيل الذي يدفع رافضيه والمتمردين عليه إلى الانشقاق على هذه الحركات، الأمر الذي أشاع ظاهرة الانقسام والتشرذم في كثير من هذه الحركات»[1].

---

(١) «الحركات الإسلامية رؤية نقدية» د. محمد عمارة: ٣١-٣٣.



ثالث عشر: الجمود:

ابتليت الصحوة الإسلامية في بعض قطاعاتها بجمود ظاهر، بحيث أدى إلى خسائر جسيمة لحقت بالصحوة بسبب وقوف قادتها على منهج محدد لا يتجاوزونه بدعوى عدم تغيير ما قعّده المؤسسون، فمن ذلك جماعة التبليغ التي يتبعها الملايين من شباب الصحوة، فقد وضع مؤسسها قاعدة للعمل والدعوة بناها على عدم الحديث في المسائل السياسية التي تهم الأمة، وكان ذلك مفهومًا زمن تأسيسها بسبب سطوة الإنجليز في الهند آنذاك، أما بعد تحرر الحركة من السطوة الإنجليزية، وانتشارها في الأرض لم يعد مقبولاً البقاء على هذا الجمود المخالف لما استقر في الأفهام من شمول الإسلام.

وما توصف به جماعة التبليغ توصف به أيضًا جماعات من شباب الصحوة وقياداتها، وفي بعض ذلك قال الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى:

«كيف تقع حركات إصلاحية جذرية فريسة الجمود الذي تنشأ لإزالته، وتفقد الحيوية والحركية؟

ومن عبر التاريخ المتكررة ودروسه التي يجب أن ينتفع بها، أن حركات إصلاحية جذرية قامت لإزالة الجمود الطارئ على العقول والتفكير والحياة، وإزالة الطحلب[1] عن سطح ماء النهر الإسلامي الجاري، والقضاء على التقيد ببعض التقاليد العرفية، ومقاييسها ومطالبها التي ما أنزل الله بها من سلطان، قامت لتحريك العقول والطاقات في المجتمع الإسلامي لفهم قضايا العصر وتحقيق متطلباته الصحيحة المقبولة، ومسايرة العصر، بل قيادته قيادة صالحة رشيدة، والبرهنة على صلاحية الإسلام لقيادة كل عصر وحل مشكلاته وقدرته على إجابة كل سؤال، ومواجهة كل تحد.

مِن عبر التاريخ أن كثيرًا من هذه الحركات الإصلاحية الجذرية -ولا أقول الثورية- وقعت على مر الزمن فريسة الجمود والركود اللذَين نشأت لمحاربتهما، وأصبحت أسيرة منهجها الأول الذي كان مطابقًا لوضع العصر الذي نشأت فيه، محققًا لمتطلبات

---

(١) الطحلب خضرة تعلو الماء المزمن.

حركة إصلاحية في إطار خاص محدود، وتمسكت بالخطوط والحدود التي رسمها قادة هذه الحركة في الماضي عن إخلاص ووعي، إجابة لنداء العصر، وتطبيقًا لما أنبأ به الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».

وتمسكت بهذه الخطوط والحدود، تمسك الناس بالمنصوص القطعي الذي لا يقبل حذفًا ولا زيادة، ولا مرونة ولا توسعًا، وسيطر على العاملين في مجال هذه الدعوة والحركة الركود الفكري والتطرف في بعض الأحيان، وألحوا على منهجهم كنصوص الشريعة القطعية، والآيات القرآنية.

*** السبب في ذلك:**

وقد كان ذلك لأن هذه الحركة قد فقدت عنصر النمو والقدرة على استعراض المحيط، وطبيعة العصر وقضاياه الطريفة المتجددة، والقدرة على التطبيق بين المنهج الإصلاحي وواقع الحياة ومتطلباته، ومن الحقائق أن الإسلام استطاع أن يساير كل زمن ويثبت جدارته لقيادة المجتمع البشري والتطبيق بين تعاليمه وحاجات العصر؛ لوجود العلماء والقادة الذين لم يفقدوا -قط- النمو الفكري، والذكاء الممتاز والقدرة على الاجتهاد واستنباط الأحكام من الأصول الدينية ومصادر الشريعة الأولى في كل زمان، ومواجهة كل تحد في عصرهم ومصرهم، وتحقيق كل ما يطلبه الزمان وتحتاج إليه الأمة، بقدرة فائقة، وعبقرية باهرة، ولم يغمضوا عيونهم عن واقع الحياة، ولم يصموا آذانهم على نداء العصر وطلبه، فبقي هذا الدين حيًا خالدًا، مقبولا سائغًا، قادرًا على قيادة المجتمع وترشيده وتسييره في دائرة الإسلام على الخط السليم، والصراط المستقيم»[1].

(١) «مجلة البعث الإسلامي»: العدد الأول: المجلد ٣٤ رمضان ١٤٠٩.



رابع عشر: التعلق الشديد بالتخطيط الاستراتيجي، ووسائل الإدارة الحديثة، ودورات التنمية البشرية مما يؤدي إلى هضم الجوانب العملية التربوية:

من المعلوم لكل عاقل أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، وأن الاستفادة من تراث الأمم وحضاراتها وثقافاتها - فيما لا يخالف شرعنا- أمر محمود خاصة في زمن تخلفنا وضعفنا، والصحوة وأهلها والقائمون عليها هم المخاطبون بهذا ولا شك؛ فهم - بعد الله تعالى - معقد الأمل، وأهل العمل، لكن المتابع لشؤون الصحوة يرى أن هناك إقبالاً لم يكن له فيما سبق نظير على تلك الاستفادة وهذا الاقتباس إلى الحد الذي كاد يكون معيبًا، وجرى فيه الحيف على أعمال أهم وأعظم، وأصبح التخطيط الاستراتيجي ووسائل الإدارة الحديثة ودورات التنمية البشرية أشبه بغاية منها بوسيلة، وأقرب إلى أن تكون معقد الأمل ودلالة النجاح منها إلى كونها ميسرة ومسهلة لأسباب الفلاح.

والذي يعجب من هذا الكلام فلينظر إلى دورات التنمية البشرية وتعلق كثير من أهل الصحوة بها، بل يكاد ينحصر المهتمون بها والحاضرون لدوراتها في أهل الصحوة فهم يتقلبون من دورة إلى دورة، ومن تدريب إلى تدريب ثم إنك في نهاية الأمر لا تكاد تقنع بما يقدمه من حضر تلك الدورات لدينه وأمته، بل هو مسرور أشد السرور لحضور تلك الدورات ثم إن العمل المرجوّ منه لا يكاد يظهر واقعًا في دنيا الناس.

ثم انظر إلى المدربين لترى أن الأكثرية الكاثرة منهم كانوا هم من العاملين لدين الله، الساعين للتمكين له في الأرض، الباذلين له الغالي والنفيس من أوقاتهم وأعمالهم، ولهم آثار حميدة، وأعمال جليلة، ثم زُين لهم سلوك طريق التدريب والتنمية البشرية فانقلب حال كثير منهم ليصبح التدريب هو مناط العمل ومعقد الأمل، وصار الأمر يدور في حلقة مفرغة لا يُدرى أين طرفاها، فمدرب يدرب وجمهور يحضر وهو راغب -في أكثره- أن يصبح مدربًا ويحصل على أعلى شهادات التدريب وهلم جرّا في دورة ودَوْر لا ينتهي.

ولقد عرفت شبابًا كانوا زهرة الصحوة، وجمالها، وجلالها، فإذا بهم يسلكون المسلك الذي ذكرت، وينتظمون في العِقد الذي إليه أشرت فخسرت الصحوة جهودهم وهي

أحوج ما تكون إليها، وخاصة أن وظائفهم التي كانوا فيها قبل استقالتهم للتفرغ للتدريب لا نظير لها ولا يمكن تعويض أثر فقدهم فيها.

ثم إني رأيت مؤسسات وجمعيات وهيئات شاركت في عضويتها جعلت أكبر همها في التخطيط الاستراتيجي، ومؤشرات الأداء، وبطاقات الأداء المتوازن، والتخطيط الرباعي (swot analysis) وقضت في ذلك سنوات غاليات جدًا، ثم إنها شغفت بها شغفًا لا مزيد عليه حتى لم تعد تقدم عليه شيئًا، ولا تلتفت فيه لنصح ناصح ولا لتذكير مذكر، ثم بعد بضع سنين ظهر لكل منصف ذي عينين أن ذلك التخطيط الاستراتيجي وتلك البطاقات الإدارية صارت أشبه بهدف منها بوسيلة، وأن أعمال تلك الجمعيات والمؤسسات والهيئات تعرضت لضعف بالغ عوض أن تكون تلك الوسائل عونًا لها على التقدم؛ إذ عمدت تلك المؤسسات والجمعيات إلى جماعة من خير عناصرها -والناس كإبل مائة- لتدربهم على مشاق التخطيط والتحليل والأرقام التي لا تكاد تنتهي، والنسب التي لا نكاد نظن أنها انتهت إلا وبدأت من جديد، فأصبح ذلك كله همهم وديدنهم فحصل تقصير كبير في جوانب أخرى مهمة جدًا بل هي الأصل وغيرها الفرع، وهم معذورون فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

والله المستعان على سد هذه الثغرة الواضحة في العمل الصحوي، وإليه يرجع الأمل في إدراك هؤلاء عوار هذه الطريقة، وفساد تلك السبيل، وغلو سالكها، وضعف الأثر الناتج عنها.

●●●

الفصل الخامس:

حال الصحوة اليوم ومستقبلها



بعد هذا الطواف الطويل في تاريخ الصحوة، والتعريج على أحداث ووقائع كثيرة، لا بد من بروز سؤال مهم ألا وهو: ما هو حال الصحوة اليوم؟ وماذا بقي لها؟

قد تختلف الإجابة عن هذا السؤال بحسب النظر في وضع الصحوة، فمن نظر إلى مظاهر الصحوة وما كانت عليه من عنفوان وشدة وقوة فسيجزم بأنها انحسرت وضعفت، ومن نظر إليها نظر المتعمق فلربما حكم عليها أنها نضجت وتخلصت من الشوائب وصارت مثل الذهب إذا دخل إلى النار خرج إبريزًا رائعًا.

ولا شك عندي أن الصحوة جمعت بين ما يشبه النقيضين: الانحسار والقوة، فقد انحسر شيئًا مدها الشعبي الجارف الذي كان سندًا لها في كل مكان، لكن بقي لها صفوة أولئك وأحسنهم وأخيرهم، بعد أن غادرهم ضعفاء الإيمان والعمل ممن لم يقْو على تحمل تبعات الصحوة ومشَاقّها.

ونضجت الصحوة أيما نضوج بعد أن كانت عُرضة للتوجيه الخاطئ وسرقة المنجزات.

واستوت كثير من المفاهيم على سوقها بعد أن كانت مختلطة غير محددة ولا مؤصلة.

ولئن ضعفت الصحوة في بلاد فقد عظمت واشتدت في بلاد أخرى.

ثم إن الناس لا يجدون اليوم بديلاً عن الصحوة وتراثها ومنتجاتها؛ فمن ذا الذي يستطيع أن يستغني عن الاقتصاد الإسلامي اليوم مهما قيل فيه؟

ومن الذي يقف شامخًا مدافعًا عن قضايا الإسلام والمسلمين سوى أهل الصحوة؟!

ومن الذي يحرك الشارع في طول بلاد الإسلام وعرضها سوى أهل الصحوة، وأما من عداهم فيظلون متفرجين أو مشاركين على استحياء؟!

ومن يفوز في الانتخابات البلدية والنيابية سوى أهل الصحوة على اختلاف مشاربهم، أما إن فاز غيرهم فاسأل عن التزوير آنذاك، وفتش عن الأساليب الملتوية لإقصائهم.

ومن الذي جاهد ويجاهد أعداء الإسلام في فلسطين والعراق والفلبين وكشمير والشيشان وأفغانستان وليبيا وسوريا ومصر واليمن سوى من تربوا على فكر الصحوة ونهلوا من معينها؟

ومن الذي يقوم في وجه أعداء الإسلام، ويفند مزاعمهم، ويبين مؤامراتهم، ويجمع الناس لإفشالها سوى أهل الصحوة ومن لاذ بهم؟!

ومن الذي ينصح الحكام، ويقوم في وجه الظلمة من الساسة وأعوانهم في أكثر بلاد الإسلام سوى أهل الصحوة؟!

ومن ذا الذي يقدم الإعلام النظيف وسط ركام كثيف سوى أهل الصحوة ومن تربوا على موائدهم؟!

ومن ذا الذي يؤم الناس في الجوامع الكبار والمساجد، ويوعيهم، ويربيهم، وينبههم إلى ما يحيط بهم من أفكار سوى أهل الصحوة؟!

إذا عرفنا هذا كله فهل يبقى مسوّغ للقول إن الصحوة انحسرت وضعفت بمجرد ملاحظة قلة عدد المحاضرات وحاضريها عن ذي قبل كما يذهب إلى ذلك بعض المحللين؟!

ثم ما هي البدائل للصحوة؟ وأين هي؟

إن المتأمل في بلاد العالم الإسلامي لا يجد مذهبًا ولا اتجاهًا ولا طائفة تقوده في الجملة أو هي صالحة لقيادته سوى أهل الصحوة، فبعد أن أذهب الله تعالى المذاهب الضالة التي سادت في منتصف القرن الماضي وما بعده لم يعد هنالك موجه للناس وقائد لهم ومحقق لآمالهم أو صالح لأن تُعلق به الآمال -بعد الله تعالى- سوى أهل الصحوة.

فمن هو هذا المؤتمن على الناس غيرهم؟

ومن الباذل لهم من وقته وماله بل حياته غيرهم؟



انحسار الصحوة وتقدمها:

هذا وقد كثرت الأقوال في مسألة انحسار الصحوة، وأنها تراجعت عما كانت عليه من زخم واضح قوي، وأقول - والله تعالى أعلم - التالي:

الصحوة لم تنحسر يومًا من الدهر، لكن كان هناك في زمن الصحوة الأول مَدٌّ من الشباب هو كالسيل الجارف، وأولئك الشباب تعرضوا لابتلاءات متتالية، وتلك سنة الله -تعالى- في خلقه، فقد قال جل من قائل:

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال سبحانه:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

- وأول فتنة تعرضت لها الصحوة هي فتنة الثورة الإيرانية التي زخرفت القول، وبهرت كثيرًا من أهل السنة بزخمها وشعاراتها الخداعة المرفوعة، فأحسن الظن بها جماعات من أهل السنة، دافعوا عنها دفاع المستميت، فطعنتهم هذه الدولة الرافضية من الخلف، وشنت هجومًا كبيرًا على أهل السنة في أماكن عديدة، هجومًا عقديًا وعسكريًا وسياسيًا وثقافيًا، فأحدث هذا كله خلطًا في التصورات والمفاهيم، وفي عقيدة الولاء والبراء عند كثير من أهل الصحوة؛ لأن زمن الثورة الرافضية هو زمن تعاظم الصحوة وانتشارها.

- ثم فتنة الجماعات الإسلامية الغالية بل شديدة الغلو، ومنها فتنة جهيمان العتيبي ودخوله الحرم، وقد كان من نتائج هذه الفتنة تراجع المد الصحوي قليلاً في المملكة العربية السعودية خاصة، وتراجع بعض المنجزات فيها.

- وبعد ذلك جاءت فتنة صدام حسين وحرب الخليج، التي حصل بسببها شرخ واضح بين أهل الصحوة؛ بسبب تباين مواقفهم من بعض أحداثها، واختلاف الفتاوى بشأنها، فكان من جراء ذلك كله تراجع المد الصحوي، وحدوث المشكلات في صفه.

- ثم مضت سنوات حوصر فيها المد الإسلامي إلى أن وقعت مشكلة أحداث أمريكا التي أحاطت بالناس في أقطار الأرض، وأدت إلى مشكلات كثيرة.

- ثم وقعت أحداث مختلفة تُوجت بالربيع العربي، الذي تخلصنا به من بعض الأنظمة الطاغية، والملاحظ بعد هذا العرض الموجز -بل بالغ الوجازة- التالي:

١- إن تلك الفتن والوقائع أدت إلى تمحيص الصحوة، فخرج منها الضعاف الذين كانوا قد ركبوا موجتها في عنفوان أمرها واشتداد مَدِّها، وانسحبوا وانتكسوا، فهل هذا انحسار أصاب الصحوة أو أنه تمحيص ومكسب كبير للصحوة؟!

٢- وتلك الوقائع أدت إلى تراجع كبير في الغلو الذي أصاب جماعات كبيرة من شباب الصحوة، فحصلت مراجعات حميدة - في أكثرها - في صفوفهم، وأعلنوا بوضوح تراجعهم عن غلوهم، وندمهم على إفراطهم، ورجعوا إلى صفوف أهل السنة والجماعة، فهل هذا انحسار للصحوة أو تمحيص لها، واشتداد لقوتها، وتنقية لصفوفها؟؟

٣- لئن انحسرت الصحوة أعدادًا، فقد عظم شأنها خبرةً، ووعيًا، وفهمًا، وتمكنًا في الأرض، فمثالها كمثل أرض أصابها مطر عظيم فأنبتت نباتًا كثيرًا جميلاً بهيًا للناظرين لكنه كان بلا جذور، فمات بعضه وتجذر بعضه الآخر في الأرض حتى اشتد وعظم، واستوى على سوقه ليصبح جنة وبستانًا وارف الظلال، فهذا هو مثل الصحوة في مدها وجزرها.

٤- كانت الصحوة قائمة على جهود شباب أغرار في معظمهم، ليس فيها قيادات من المشايخ حكيمة - إلا القليل - بل هي حماسة وفورة لا نظير لها، فأصبحت اليوم وقد اكتهل كثير من أهلها، وشاخ بعضهم، وصاروا أعلامًا يقتدي بهم الشباب ويعتصمون بحكمتهم من الزلل والخَطَل.

٥- أصبحت الصحوة وقد صار لها مؤسسات كثيرة، في كل باب من أبواب الحياة



المعاصرة، فلئن قَلّت أعداد الصحوة فقد عظمت وتنامت مؤسسات وهيئات لها أثر جليل في توجيه الشباب اليوم.

أخطاء الصحوة:

لا يعني كلامي السابق أنه ليس للصحوة أخطاء كيف وقد بينت جملة منها في هذا الكتاب، لكني أزعم أن أخطاءها مغمورة في بحر حسناتها، وجلائل أعمالها، وحسبها أن أخطاءها غير متعمدة، ولم تأت من سوء منهج أو فساد طريقة أو ضلال فكر، إنما هي العجلة، وعدم اكتمال النضج، وقلة العلم الشرعي بين بعض أفراد الصحوة، فنتج عن كل ذلك وغيره أمور ما كان ينبغي للصحوة أن تقع فيها، وليس هذا الكتاب من أجل تقويم هذه الأخطاء أو النظر في آثارها ونتائجها فلذلك مكان آخر، لكني إنما أردت الإشارة إليه فقط، وقطع الطريق على من يريد أن يأخذ الصحوة كلها بجريرة بعض أفرادها، وهم في نهاية الأمر ناس من الناس وبشر يخطئون ويصيبون.

مستقبل الصحوة:

إن الصحوة ماضية في طريقها، قادمة إلى ميعادها الذي وُعدته، فلئن برز بسبب جهودها ربيع عربي جليل فإنه لا يعدو أن يكون قطرة من بحر قادم، وغيضًا من فيضٍ آتٍ ينتهي بنا إلى خاتمة الحسنى، والصلاة في المسجد الأقصى بإذن الله تعالى.

ولئن أحاطت بالمسلمين أهل الصحوة اليوم مشكلات وبلاءات، ولئن سِيموا الخَسْف، ولئن أحيط بهم في أماكن فليعلم الناس أن ذلك من جملة البلاء:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

ولكنه البلاء الممهد للتمكين، والأذى السابق للعز، ويحكم كل ذلك قوله تعالى:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦].

وقوله جل من قائل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وإن نصر الله تعالى لقادم، وموعوده لمتحقق، شاء من شاء وأبى من أبى، وإن الصحوة لآتٍ أكلها، وقادمة ثمارها، وإن غداً لناظره قريب.

ومن أكبر الأدلة على هذا الذي قلته وأن المستقبل للصحوة وأهلها الجهاد الجليل في سوريا وقد كان أهلها لا يجرأون على الهمس.

والجهاد في غزة الذي أذاق إخوان القردة ألواناً من الذل لا عهد لهم بها من قبل.

والجهاد في اليمن يوشك أن يؤتي ثماره.

والجهاد في ليبيا، وفي العراق، وكل ذلك مؤذن بعز قادم، وتخلص من هوان قائم، ومسار يسير فيه المسلمون إلى ما يحبه الله تعالى ويرضاه لهم، بإذنه وتوفيقه سبحانه.

●●●

خاتمة ونتائج البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد حاولت أمرًا صعبًا ألا وهو التأريخ والتقويم لحادث جليل عم الأرض نوره، واشتمل على مئات الملايين من الناس، ومما زاد من صعوبة الأمر قلة المراجع فيه، وضحالة أكثر ما كتب فيه.

وقد ظهر واضحًا على ضوء الوقائع المذكورة في هذا الكتاب جملة من النتائج أجملها في الآتي:

١- الصحوة هي قدر الله تعالى الماضي، وأمره الذي لا مرد له، أراده فكان، وقدره فهيأ أسبابه، فلا يستطيع أحد في الأرض أن يرجع أمر الصحوة إليه، ولا وقوعها إلى عمله وجهده بل هي محض فضل من الله -تعالى- ولذلك باتت كل محاولات إيقافها وتعويقها بالخسران، ولا عجب فهي أمر من الرحمن، جل جلاله.

٢- إن كل الذي ظهر من آثار الصحوة لهو جزء يسير من أمر قادم كبير، ولا أقول ذلك رجمًا بالغيب، ولا كشفًا عن ستره، معاذ الله، إنما هي قراءة للسنن، ومعرفة بالواقع.

٣- المستقبل للصحوة وأهلها:

لقد تأكد لكل متابع بصير أن الصحوة منذ قامت قبل حوالي خمسين سنة قد تعلقت بها آمال الجماهير، وأن خطها البياني في تصاعد على شراسة ما تتعرض له من العداء، وأنها قد برهنت على أنها الصانعة لمستقبل هذه الأمة إن شاء الله تعالى، فقد تغيرت الأمة - كما تبين في هذا الكتاب- بعد الصحوة تغيرًا جذريًا، وحققت الصحوة لها من المكاسب العظيمة ما يند عن الحصر، وسيكون لها بإذن الله تعالى الغلبة والريادة في نهاية المطاف، والناس شاهدة على الانفضاض الكبير عن الباطل وأهله بحيث أصبحت المذاهب التي سادت برهة من الزمان في مزبلة التاريخ، وذهب عنها

جمهورها العريض وغادرها إلى غير رجعة، ولفظها كما يُلفظ فاسد الطعام، والتفت الجماهير حول الصحوة وأهلها مؤازرة معاضدة، وسيبقى هذا موقفها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٤- عظم فاعلية وتأثير الصحوة الإسلامية:

إن الصحوة الإسلامية هي أمل هذه الأمة في التغيير والارتقاء، ومجاوزة ما يعاني منه المسلمون اليوم من عثرات ومؤامرات وتخلف، فقد ظلت هذه الصحوة تتعاظم وتؤتي شيئًا كبيرًا من أكلها إلى أن مَنّ الله على الأمة بحركة الشعوب قبل بضع سنين فيما عرف بالربيع العربي، ولقد قادت الصحوة هذه الحركة، ورشّدتها، وقامت عليها حتى أثمرت زوال عدد من الأنظمة الطاغوتية التي لم يكن متصوراً زوالها على ذلك الوجه من السرعة.

وإنه لمن المظنون أن تواصل الصحوة بعثها لأجيال من المسلمين إلى أن تكون الخاتمة الحسنى، والصلاة في المسجد الأقصى بإذن الله تعالى وأمره وتدبيره، وكل الشواهد تدل على هذا وتسوق إلى القناعة به.

نعم هناك عقبات كبيرة، ومصاعب جمة، وحواجز عديدة أمام الصحوة لكنها اجتازت من قبل عقبات أكبر، وحواجز أصعب، وعانت من مصاعب جمة أيام بعث العراق والشام، وناصرية مصر، وماركسية الجزائر واليمن الجنوبيّ، وكفريات القذافي وابن علي، وتغلبت على كل ذلك بفضل الله تعالى ومنّه، والمظنون أنها قادرة بإذن الله اليوم على تحقيق مرادها العظيم الذي قامت من أجله.

٥- إن أكبر معوق للصحوة لم يكن الغرب ولا الشرق ولا العدو اليهودي، ولا الماسونية العالمية، إنما أكبر معوق كان هو أهلها الذين لم يحسنوا البذل العظيم لها، ولا التضحية التامة في سبيلها، وكان فيهم من النقائص ما منعهم من بلوغ ما يرجون، أو الوصول إلى ما يأملون، هذه حقيقة راسخة في وجداني، ولغيري أن يخالفني بحسب ما يؤديه إليه اجتهاده.

٦ - إن الصحوة أنقذت الأمة من كل حسابات الغرب والشرق بأنها قد خمد مدها، وخفت ضوؤها، وانطفأت جذوتها، واستوت الأمة على سوقها بفضل الصحوة، وأتى الله تعالى بنيان أعدائها من القواعد، وذهبت مخططاتهم أدراج الرياح.

٧- لا بد من القول إن ما جمعته لا يعدو أن يكون شيئًا يسيرًا من أحداث صحوة أدركت طرفًا يسيرًا من الزمان قبلها وعشت غالب عمري مستمتعًا بها، ولا بد أن يكون عند أناس كثيرين غير ما جمعته، وأكثر بكثير مما ذكرته، وحسبي أني شاركت في شيء يسير وفاء للصحوة وأهلها، وأثبت ما يمكن أن يُنسى بعضه عبر السنين، والأمر ما زال ينتظر جهودًا عظيمة، وتكاتفًا لإظهار أثر الصحوة الحقيقي وفضلها على الأمة على وجه تام جامع.

هذا والله وحده هو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به فهو الرحيم الرحمن.

وصل اللهم على سيد ولد عدنان، المصطفى الحجازي التهامي، والشفيع بين يدي الباري سيدنا محمد القرشي الكناني، وآله العُمُد السواري، وصحبه النجوم اللآلي، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

●●●



فهرست المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- «أحمد صلاح جمجوم يتذكر»: تسجيل د. خالد باطرفي.

طبع دار العلم. جدة. المملكة العربية السعودية.

٢- «الأخطاء الستة للحركة الإسلامية في المغرب» الأستاذ فريد الأنصاري. نشر رسالة القرآن. مكناس. المغرب. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨/ ٢٠٠٧.

٣- «أسرار الحركة الطلابية»: وائل عثمان. الطبعة الثانية ١٤٢٦/ ٢٠٠٦.

٤- «الإسلام الطُرُقيّ»: دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية: الأستاذة لطيفة الأخضر. نشر دار سراس للنشر. تونس. سنة ١٩٩٣.

٥- «أضواء جديدة على نشأة مصطلح الاقتصاد الإسلامي»: د. عبدالرزاق بالعباس.

مطبوع ضمن محاضرات في الاقتصاد والتمويل الإسلامي. نشر جامعة الملك عبدالعزيز بجدة مجلد سنة ١٤٣٢/ ١٤٣٣- ٢٠١٢/ ٢٠١٣.

٦- «أيام مع جهيمان» ناصر الحزيمي. نشر الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت. الطبعة الثانية سنة ٢٠١١/ ١٤٣١.

٧- «اقتصاد المستقبل: تجربتي في الاقتصاد الإسلامي وقصص عن البنوك الإسلامية»: د. توفيق الشاوي. نشر دار الزهراء للإعلام العربي. القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٤/ ١٩٩٣.

٨- «البنوك الإسلامية: التجربة بين الفقه والقانون والتطبيق»: عائشة الشرقاوي المالقي. نشر المركز الثقافي العربي.

٩- «البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق»: الأستاذ أنور الجندي، نشر دار الاعتصام. القاهرة.

١٠- «البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي: نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية»: الأستاذ فريد الأنصاري. نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

١١- «تاريخ الحركة الإسلامية في ساحة التعليم»: ١٩٣٣-١٩٩٣» د. السيد عبدالستار المليجي.

نشر مكتبة وهبة. القاهرة، الطبعة الأولى. سنة ١٤١٤/ ١٩٩٤.

١٢- «التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث»: د. مصطفى حلمي. دار الدعوة. مصر.

١٣- «التصوف منشؤه ومصطلحه» د. أسعد السمحراني. دار النفائس. بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧.

١٤- «التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري» عبداللطيف الشاذلي. مطابع سلا. المغرب.

١٥- تقويم الدور الاقتصادي للمصارف الإسلامية»: إعداد نخبة من الخبراء الاقتصاديين والشرعيين والمصرفيين.

نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الجزء الرابع.

١٦- «التيارات الفكرية في الخليج العربي: ١٩٣٨-١٩٧١»: د. مفيد الزيدي.

رسالة دكتوراه نشرها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠/ ١٤٢٠.

١٧- «جمهرة أبحاث ودراسات قرآنية وحديثية وفقهية واجتماعية»: الشيخ إسماعيل الخطيب. نشر مجلة النور. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨/ ٢٠٠٧.

١٨- «الحركات الإسلامية: رؤية نقدية»: د. محمد عمارة. نشر نهضة مصر. القاهرة. سنة ١٩٩٨.



١٩- «**الحركة الإسلامية في السودان**»: د. حسن الترابي. نشر الخرطوم. الطبعة الأولى سنة ١٤١٠.

٢٠- «**الحركة الإسلامية في قطاع غـزة بين الدعوة والسياسة**»: عدنان أبو عامر. نشر مركز الإعلام العربي. القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.

٢١- «**الحركـات الإسلامـية المعـاصرة في الوطن العـربي**»: مجموعة من المؤلفين. مركز دراسات الوحدة العربية.

٢٢- «**خمسون عامًا بين الشرق والغرب**»: أحمد توتونجي.

٢٣- «**الدعوة إلـى الله في أقطار مختـلفة**»: د. محـمـد تقي الدين الهـلالي. نشـر مكتبة الصحابة. الشارقة الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.

٢٤- «**ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية**»: بلال التليدي. نشر مطبعة طوب بريس. المغرب. الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨/ ١٤٢٨.

٢٥- «**ذكريات من حياتي**»: عبدالله التليدي. نشر دار القلم. دمشق. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.

٢٦- «**رحـيق العـمـر**» د. جـلال أمين. نشـر دار الشـروق. القـاهرة. الطبـعـة الثـانيـة ٢٠١٠/ ١٤٣٠.

٢٧- «**الصحـافة والأقلام المسمـومة**» الأستاذ أنور الجندي. نشر دار الاعتصام. القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

٢٨- «**الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي**»: د. يوسف القرضاوي.

نشر دار الصحوة للنشر، القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

٢٩- «**الصحوة الإسلاميـة: صحوة من أجل الصحوة**»: د. عبدالكريم بكار. نشر مؤسسة الإسلام اليوم. الطبعة الأولى. سنة ١٤٣٢/ ٢٠١١.

٣٠- «**الصوفية والوجه الآخر**»: د. محمد جميل غازي. نشر دار المؤيد. جدة.

٣١- «صيحة الحق»: محمد درويش. المكتبة العصرية. صيدا- بيروت. سنة ١٤٠٢.

٣٢- «صيحة الحق»: الشيخ محمود عبد الوهاب فايد. نشر دار القلم والكتاب. الرياض.

٣٣- «الطريق إلى القدس»: د. محسن صالح. نشر مركز الإعلام العربي سنة ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.

٣٤- «علماء ومفكرون عرفتهم»: الأستاذ محمد المجذوب. نشر دار الاعتصام. القاهرة.

٣٥- «قصة البنوك الإسلامية»: البنك الإسلامي للتنمية، أول روافد النظام المصرفي على أساس المبادئ الإسلامية»: د. توفيق الشاوي: نشر دار الزهراء للإعلام العربي. القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤/ ١٩٩٣.

٣٦- «قضايا إسلامية معاصرة»: د. عبدالشافي غنيم، د. رأفت خيمي الشيخ. نشر عالم الكتب. القاهرة ١٩٨٠/ ١٤٠٠.

٣٧- «قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث»: د. يوسف القرضاوي. نشر دار الضياء للنشر والتوزيع الأردن. عمان. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

٣٨- «مجلة البحوث الإسلامية»: الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض.

٣٩- مجلة «البعث الإسلامي» : الصادرة عن ندوة العلماء. لكنو. الهند.

٤٠- «محاولات الإصلاح والتغيير في العالم العربي المعاصر وموقف الدعوة الإسلامية منها»: د. علاء سعيد. نشر مؤسسة شروق للنشر والتوزيع. المنصورة. مصر. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨/ ٢٠٠٧.

٤١- «المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر»: الأستاذ أنور الجندي. نشر دار الاعتصام. القاهرة.

٤٢- «مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي»: ١٩٤٥-١٩٩٥»: د. توفيق الشاوي.

٤٣- «**المستشرقون والصحوة الإسلامية**»: بشير بركات. دار المستقبل. فلسطين. الطبعة الأولى ١٤٢٠/ ١٩٩٩.

٤٤- «**مظاهر الانحراف العقدي عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية**» إدريس محمد إدريس. نشر مكتبة الرشد. الرياض. الطبعة الأولى سنة ١٤١٩.

٤٥- «**مع الدعوة: خواطر ومواقف**»: الأستاذ كمال عبدالمحسن. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

٤٦- «**من اليقظة إلى الصحوة خلال المرحلة من ١٩٣٣-١٩٩٥**»: الأستاذ أنور الجندي. نشر دار الاعتصام. القاهرة.

٤٧- «**من تجربة الحركة الإسلامية في تونس**»: الأستاذ راشد الغنوشي. نشر دار المجتهد للنشر والتوزيع. تونس. الطبعة الأولى سنة ٢٠١١/ ١٤٣١.

٤٨- «**منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**» الشيخ عبدالكريم الفكون. تحقيق د. أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨.

٤٩- «**منهج الصحوة الإسلامية**»: د. أحمد النجار. طبعة مصرية ليس فيها اسم لدار نشر ولا سنة نشر.

٥٠- «**واقعنا المعاصر**»: الأستاذ محمد قطب. نشر مؤسسة المدينة للطباعة والصحافة والنشر. جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧/ ١٩٨٦.

٥١- «**موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الإمام الهمام الشهيد عبدالله عزام**» نشر وإعداد مركز الشهيد عزام الإعلامي. بيشاور. باكستان. الطبعة الأولى سنة ١٤١٧/ ١٩٩٧. طبع بمشاركة اللجنة النسائية العربية.

●●●

فهرست

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول: جذور الصحوة وبداياتها

الفصل الثاني: أمثلة على نشأة الصحوة في البلاد العربية والإسلامية

الفصل الثالث: آثار الصحوة

الفصل الرابع: تقويم عام للصحوة الإسلامية غير ما ذكر

الفصل الخامس: حال الصحوة اليوم ومستقبلها

●●●

سرد مصنف للكتب التي ألفتها والتي أعملت قلمي فيها اختصاراً وتهذيباً

● المجموعة النسائية:

١- المرأة الداعية.

٢- المرأة شئون وشجون.

٣- مصطلح حرية المرأة بين كتابات الإسلاميين وتطبيقات الغربيين.

٤- حياء النساء عصمة وأنوثة وزينة.

٥- أختي المضيفة.

❋ المجموعة الدعوية:

٦- الثبات.

٧- عجز الثقات.

٨- التوريث الدعوي.

٩- أثر المرء في دنياه.

١٠- الهمة طريق إلى القمة.

١١- التقارب والتعايش مع غير المسلمين.

١٢- إنصاف الإمام ابن حجر العسقلاني الرجال المختلف في شأنهم في صحيح البخاري.

١٣- إنصاف الإمام الذهبي الرجالَ المختلف في شأنهم مستخرجًا من كتابه سير أعلام النبلاء.

١٤- نَحْوُ الدعاة.

١٥- مقياس العمل المؤثر.

● مجموعة السيرة:

١٦- ضوابط منهجية في عرض السيرة النبوية.

١٧- العلاقة بين النبي ﷺ والخلفاء الراشدين.

١٨- حقوق آل البيت والصحابة رضي الله عنهم.

١٩- جهود المؤرخين المحدثين في تدوين السيرة النبوية.

٢٠- خصائص العبادة عند الصحابة وآل البيت.

● المجموعة الإيمانية:

٢١- الأمن النفسي.

٢٢- العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين.

٢٣- أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء.

٢٤- العاطفة الإيمانية وأثرها في الأعمال الإسلامية.

٢٥- تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء.

٢٦- عظمة الله تعالى وجل وعز.

● المجموعة القرآنية والفقهية:

٢٧- الاختيارات من كتاب الفروق للإمام القرافي.

٢٨- مجموع فتاوى القرآن الكريم.

٢٩- الفتاوى المتعلقة بالقرآن الكريم لمدارس وطلاب الحلقات القرآنية.

٣٠- التلخيص في القراءات الثمان.. للإمام عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري.. رسالة ماجستير.

٣١- إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء.. رسالة دكتوراه.



٣٢- هذا هو القرآن العظيم.

● **مجموعة التطوير:**

٣٣- الطرق الجامعة للقراءة النافعة.

٣٤- التنازع والتوازن في حياة المسلم.

٣٥- التدريب وأهميته في العمل الإسلامي.

٣٦- جدد حياتك (رسالة إلى مَن جاوز سن الأربعين).

٣٧- الثقافة الآمنة.

٣٨- الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول.

٣٩- الجانب الفكري في شخصية المشتغلين بالعلوم الشرعية- العلوم القرآنية مثالاً.

● **مجموعة الآفات:**

٤٠- حصول الطلب بسلوك الأدب.

٤١- ظاهرة التهاون في المواعيد.

٤٢- الترف وأثره في الدعاة والصالحين.

٤٣- القدوات الكبار بين التحطيم والانبهار.

٤٤- أهل الإسلام والتفلت من ظاهر الالتزام.

٤٥- من مآسي الافتراق.. نماذج تاريخية ومعاصرة.

● **المجموعة التاريخية:**

٤٦- حال بلاد الشام في أوائل القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي.

٤٧- المختار من طبقات الشافعية الكبرى.

٤٨- استجابات إسلامية لصرخات أندلسية.

٤٩- مختصر مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس.

٥٠- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (القرن الأول إلى السابع).

٥١- المختار المصون من أعلام القرون (القرن الثامن إلى الثالث عشر).

٥٢- مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: نور الدين وصلاح الدين.

٥٣- كيفية قراءة التاريخ وفهمه.

٥٤- إعداد المؤرخ الثقة.

٥٥- التراجم وأثرها في السلوك الإنساني.

٥٦- تعريف موجز بأشهر كتب التاريخ.

٥٧- الأخبار العليات من الوافي بالوفيات، للعالم الأديب صلاح الدين الصفدي.

٥٨- علماء آسيا الوسطى (تركستان) بين الماضي والحاضر.. ونبذة عن أهم مدن تركستان التاريخية.

٥٩- تهذيب رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية والقيروان لأبي عبد الله المالكي.

٦٠- مختصر «الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» للشيخ خالد الناصري.

٦١- دراسات تاريخية منهجية نقدية.

● **مجموعة التراجم:**

٦٢- الصواف بطل العراق.

٦٣- الصفات والخصائص التي أبرزت الإمام المجاهد يوسف بن تاشفين المرابطي.

٦٤- عمر المختار البطل المغوار.

٦٥- الشيخ عبد العزيز بن باز مثقفاً ومفكراً.



٦٦- الحسن البصري الزاهد العارف .

٦٧- عبد الحميد بن باديس داعية الجزائر .

٦٨- صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين .

٦٩- محمد عبد الكريم الخطابي بطل من الريف .

٧٠- عبدالعزيز بن باز .

٧١- مختصر الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي .

٧٢- عظماء منسيون في التاريخ الحديث ١/ ٤ .

٧٣- الصفات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره .

٧٤- مجاهدون منسيون .

- **مجموعة اللغة والأدب:**

٧٥- اللطائف والنوادر .

٧٦- الشوق والحنين إلى الحرمين الشريفين .

٧٧- الاختيارات من مجلة معهد المخطوطات .

٧٨- قصص وطرائف في الحج من القرون السوالف .

٧٩- معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة .

- **المجموعة الخاصة:**

٨٠- مذكرات طيار .

٨١- رحلتي مع القراءة .

٨٢- رحلتي في طلب العلم .

٨٣- رحلتي في التأليف .

٨٤- رحلاتي .

- **المقالات المجموعة في كتيبات:**

٨٥- بر الوالدين .

٨٦- القرآن الكريم فضله وأهميته .

٨٧- العلم أهميته وفضله .

٨٨- رمضان شهر العبادة والنصر .

٨٩- وصايا ونصائح إلى الملاحين الجويين .

٩٠- المرأة شئون وشجون .

- **كتب المقالات المجموعة:**

٩١- مقالات الإسلاميين في شهر رمضان الكريم .

٩٢- المقالات النفيسة في الحج إلى مكة المكرمة والمدينة الشريفة .

٩٣- مقالات في القرآن العظيم .

- **مجموعة كتب الرحلات:**

٩٤- المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية .

- **كتب تعد للطبع:**

٩٥- تهذيب مجلة المنار للأستاذ محمد رشيد رضا .

٩٦- الصحوة الإسلامية تاريخًا وتقويمًا .

٩٧- الاختيارات من مجلة «الرسالة» .

٩٨- مختصر مذكرات محمد عزت دروزة .

٩٩- مختصر مذكرات مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا الأسبق .

١٠٠- مختصر مذكرات د. محمد معروف الدواليبي رئيس وزراء سوريا الأسبق .

١٠١- رحلتي في التدريس .

١٠٢- شرح كتاب التحبير في علم التفسير للإمام السيوطي .

١٠٣- القصة الأليمة لتنحية الحكم بالشريعة .



القاهرة - العجوزة - شارع المنتصر
ebsar2015@gmail.com
00201062532813
الترقيم الدولى : I.S.B.N

